

فَوَائِدُ الْوَفِيَّاتِ

وَالَّذِي لَ عَلَيْهَا

تأليف

محمد بن شاکر الکتبی

(- ۷۶۴ هـ)

المجلد الأول

تحقيق

الدكتور احسان عباس

دار صادر

بيروت

مقدمة المحقق

مؤلف الكتاب :

محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن بن شاكر بن هارون بن شاكر الملقب بصلاح الدين^١ : داراني المولد دمشقي الدار ، سمع من ابن الشحنة والمزي وغيرهما من علماء بلده ، ولكنه حصل أكثر ثقافته - فيما يبدو - عن طريق الوراثة والمتاجرة بالكتب ، وقد كان شديد الفقر قبل أن يجد الحرفة الملائمة ، فلما غدا كتبياً توفر له من عمله مال طائل . وربما كانت جودة خطه ووضوحه ، وذلك الاتقان في الوراثة جملة (كما تدل على ذلك نسخة الفوات بخطه) مما كفل له إقبال الناس على ما ينسخه من كتب ، وكسب له حسن المعاملة في التجارة مزيداً من ذلك الإقبال ، فقد وصف بأنه كان ذا مروءة في معاملته للناس ؛ كذلك كان يذاكر بعض معارفه ويفيد ، غير أنه لم يشتهر بين معاصريه بثقافته ، وإن وصف نفسه في مقدمة الفوات بإكثاره من مطالعة كتب التاريخ ، ولم ينل من عمق الثقافة ودقة الحكم ما ناله مشهورو الوراقين أمثال أبي حيان التوحيدي وياقوت الحموي ، بل ظلت ثقافته تقيماً وتنسيقاً . ويبدو لمن يطلع على نسخة الفوات أن الرجل كان لا يكثر كثيراً بمراعاة الأصول النحوية واللغوية، وربما كانت معرفته بالنحو واللغة بسيطة ساذجة ، وهذا يبدو واضحاً إذا قارناه بمؤلفي كتب التراجم من معاصريه ، فهم يميلون - في الأغلب - إلى استعمال أسلوب مبسط فيه كثير من طبيعة الحديث الدارج ، ولكنهم لا يبلغون في ذلك مبلغ ابن شاكر .

ولا نعرف على وجه قاطع متى ولد ابن شاكر ؛ وفي إحدى نسخ الدرر الكامنة أن ذلك كان عام ٦٨٦ ، وهو تاريخ غير مستبعد ، إلا أننا نعرف على

١ أصل المعلومات عنه عند ابن كثير ، البداية والنهاية ١٤ : ٣٠٢ - ٣٠٣ وترجم له ابن حجر ترجمة موجزة في الدرر الكامنة ٤ : ٧١ ونقلت تلك الترجمة بنصها في الشذرات ٦ : ٢٠٣ ؛ وانظر كشف الظنون ٢ : ١١٨٥ حيث يذكر أن لقبه « فخر الدين » ، وهدية العارفين ٢ : ١٦٣ .

وجه اليقين أنه عاش حتى شهر رمضان سنة ٧٦٤ ؛ يقول ابن كثير : « وفي يوم السبت الحادي عشر من رمضان (من العام المذكور) صلينا بعد الظهر على الشيخ محمد بن شاكر الكتبي »^١ وبعد شهر ، وفي ١٠ شوال ٧٦٤ على التحديد ، توفي معاصره الشيخ صلاح الدين الصفدي .

مؤلفات الكتبي :

- (١) عيون التواريخ : ذكر حاجي خليفة أنه في ست مجلدات ، وقال صاحب هدية العارفين إنه في ٢٨ مجلداً ، وإليه أشار ابن كثير حين قال : « وجمع تاريخاً مفيداً نحواً من عشر مجلدات » ولعل الاختلاف في عدد أجزاء الكتاب راجع إلى تفاوت في طبيعة النسخة التي اطلع عليها كل واحد منهم ، وفي مكاتبات استانبول عدة نماذج من نسخ هذا الكتاب ، تشير إلى هذا التفاوت في التجزئة .
- (٢) روضة الأزهار في حديقة الأشعار ، ذكره صاحب هدية العارفين .
- (٣) فوات الوفيات والذيل عليها .

كتاب فوات الوفيات :

يستفاد من المقدمة القصيرة التي صدر بها الكتبي كتابه هذا أنه قام بجمعه وترتيبه بعد أن اطلع على وفيات الأعيان لابن خلكان فوجد أنه لم يذكر أحداً من الخلفاء وأنه أدخل تراجم بعض فضلاء زمانه وجماعة ممن تقدم على أوانه ، فأحب أن يستدرك عليه ما فاته ويذيل على كتابه ؛ وفي ذكر هذه الغاية على هذا النحو شيء من المغالطة ، فان ابن خلكان قد صرح بأنه لا ينوي أن يترجم للخلفاء ، وأنه لن يدرج في كتابه إلا من عرف سنة وفاته ، ولم يكن إغفاله الكثيرين « لدهول عنهم أو لأنه لم تقع له ترجمة أحد منهم » كما يدعي الكتبي ، وإنما جرى ذلك خضوعاً لمنهج محدّد .

ويراعى لي أن مؤلف الفوات وجد أمامه كتاب الصفدي « الوافي بالوفيات » فاختار منه عدداً من التراجم (ربما لم تزد على ستمائة) ، وجعل مصنفه الجديد

١ تصحفت هذه اللفظة في المطبوعة فأصبحت « الليثي » .

في أربعة مجلدات ، وتولى ما ينقله ببعض الاختصار ، ولم يزد شيئاً في المعلومات التاريخية والاختبارية ، وإنما زاد في بعض المختارات الشعرية ، وأكثر منها بشكل واضح في بعض التراجم^١ ؛ وحاول حقاً ألا يكرر ما أورده ابن خلكان من تراجم ، إلا أن ذلك لم يكن مطرداً دائماً .

ويبدو أن الكتبي كان يصنع كتبه بالاتكاء على مؤلفات معاصريه من مؤلفي الموسوعات ، فقد ذكر حاجي خليفة أيضاً أنه في « عيون التواريخ » يتتبع في الغالب ابن كثير ، « لا سيما في الحوادث ، وكثيراً ما ينقل منه صفحة فأكثر بحروفه » .

متى ألف الكتبي كتاب الفوات ؟ : في آخر نسخة الفوات التي كتبها المؤلف أن العمل قد تم سنة ٧٥٣ ؛ إن هذا التاريخ إن لم يكن تاريخاً لتأليف الكتاب فإنه يعدّ تاريخ الصورة النهائية التي اعتمدها مؤلفه وارتضاها^٢ ، وبما أنه يتكئ على الصفدي في ما نقله ، فإن هذا التاريخ يشير إلى أن الصفدي نفسه كان قد انتهى من تأليف كتابه قبل ذلك العام .

تحقيق كتاب الفوات :

لم يكن في نيتي أن أعيد النظر في هذا الكتاب لإيماني بأن التوفر على نشر ما يزال مطوباً من التراث أجدى من إعادة تحقيق ما قد نشر ، وخاصة وأني كنت أجد المطبوعة وافية بالمطلوب^٣ ، حتى اطلعت على نسخة منه بخط

١ عرضت الفوات على نسخة من « تجريد الوافي » فوجدت التراجم مشتركة بين الكتابين ، وتؤكد الأجزاء المطبوعة من الوافي (١ - ٩) مدى اعتماد الكتبي على الصفدي .

٢ ربما كان الاختلاف الذي سأشير إليه فيما يلي بين المطبوعة والمخطوطة ناجماً عن قيام المؤلف بالتعديلات على مر الزمن في كتابه ، كما فعل ابن خلكان ، وإن كنت أستبعد هذه المقايسة ، لأن المؤلف لا يتعدى الصفدي بينما جمع ابن خلكان مادته من عشرات المصادر .

٣ أشير هنا إلى الطبعة التي صدرت بعناية الشيخ محيي الدين عبد الحميد رحمه الله ، في جزئين كبيرين (القاهرة ١٩٥١) فقد بذل فيها جهداً طيباً ، معتمداً على طبعتين صدرتا في مصر قبل ذلك . وقد أشار في مقدمته إلى اتكاء ابن شاکر على الصفدي .

المؤلف محفوظة بمكتبة أحمد الثالث (طوبقبو سراي) ، فوجدت لدى المقارنة أن المطبوعة صورة غير دقيقة من « الفرات » لعدة أسباب منها :

(١) أن ترتيب التراجم فيها مضطرب - وخاصة في حرف الهمزة - ولذلك اختلطت بعض التراجم معاً ، وبتر بعضها من جراء هذا الاضطراب في الترتيب .

(٢) أن معظم التراجم في المطبوعة يمثل صورة موجزة جداً ، حذف منها الكثير مما قيده المؤلف من أخبار أو اختاره من أشعار .

(٣) أن عشرات التراجم سقطت من المطبوعة .

(٤) أن اللغة التي استعملها الكتبي في كتابه قد غيرت في كثير من المواطن لتصبح أقرب إلى الصحة وأخضعت لقواعد النحو ، وأن بعض العبارات التركية والفارسية قد حذفت ووضع في مكانها عبارات عربية .

(٥) أن بعض التراجم قد دُست في الفوات منقولة حرفياً عن ابن خلكان مثل ترجمة السيدة نفيسة وابن الشجري والبديع الاضطرابي وابن القطان وواصل بن عطاء ووثيمة بن الفرات (رقم ٤٧٣ - ٤٧٩ في طبعة الشيخ محيي الدين عبد الحميد) ولا وجود لها في الأصل الذي ارتضاه المؤلف .

هذا عدا الأخطاء في أسماء الأماكن والأعلام ، ومباينة الأصل في كثير من القراءات .

لكل ذلك قمت بتحقيق جديد لهذا الكتاب ، معتمداً على نسختين :

(١) نسخة مكتبة أحمد الثالث باستانبول رقم ٢٩٢١ (ورمزت لها بالحرف ص لأنها أصل هام) ، وهي تقع في أربعة أجزاء ، بخط المؤلف ، إلا أن الجزء الثالث منها مفقود ، وعدد أوراقها موزعة على الأجزاء الباقية كما يلي : الجزء الأول في ١٩٠ ورقة ؛ الجزء الثاني في ١٨٩ ورقة ؛ الجزء الرابع في ١٨٠ ورقة ، وجاء في آخر الجزء الرابع : « تمّ المجموع المسمى بفوات الوفيات والذيل عليها في العشر الأول من المحرم سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة من الهجرة النبوية » . والأجزاء الثلاثة الباقية كتبت

كلها بخط واحد نسخي جميل واضح مشكول شكلاً جزئياً ، وفي الصفحة الواحدة ١٧ سطراً ومعدل الكلمات في السطر الواحد ١١ كلمة . وعلى الجزء الرابع تملكات مختلفة ، من أقدها : « استوعب هذا المجلد المبارك مطالعة العبد الفقير إلى الله تعالى يحيى بن عجلان بن محمد الطائي المكي . . . في أحد شهور سنة ٨٨١ » .

(٢) نسخة في مكتبة الصديق العلامة الأستاذ محمد زهير الشاويش (ورمزها : ر) وتقع في ١٤٠ ورقة ، في الصفحة الواحدة منها ٢١ سطراً ، ومعدل الكلمات في السطر ١٢ كلمة ، وخطها نسخي واضح جميل مقارب كثيراً لخط النسخة السابقة ، حتى يمكن أن تعد النسختان لدى النظرة العجلى بخط ناسخ واحد . وهي نسخة قديمة أيضاً ولا بدّ ، إذ جاء على الورقة الأولى منها أنها « للخزانة العالية المولوية المخدومية الأميرية الكبيرة الناصرية ابن فضل الله ، عمرها الله ببقائه أمين » . وعلى الورقة نفسها أنها « الجزء الثاني من كتاب الفوات » ، ولكنها في شكلها الحالي مجموعة من الأوراق قد اضطرب ترتيبها واختلّ ، بسقوط أوراق كثيرة في عدة مواطن منها ، وتمثل التراجم الباقية منها جانباً من الجزء الثاني وجانباً من الجزء الثالث حسب قسمة النسخة (ص) .

وقد كان لهذه النسخة قيمة كبيرة في التحقيق ، وخاصة لأنها تسدّ مسدّ جانب من الجزء الثالث المفقود . ولما كان الجزء الثالث يتضمن عدداً كبيراً من تراجم المحمدين ، فقد كان عرضه على الأجزاء الأربعة الأولى من كتاب الوافي المطبوع (وهي تضم تراجم المحمدين) وعلى مخطوطة عقود الجمان للزرکشي (وهي صورة أخرى من الفوات مع اختلافات قليلة) مما ييسر

١ لا شك في أنه هو الذي ترجم له السخاوي في الضوء اللامع ١٠ : ٢٣٥ وقال إنه يعرف بابن الشريفة ، حفظ القرآن والمنهاج وسافر إلى الحبشة والهند والقاهرة والشام لاسترزاق ، وكان يفتق ما يدخل عليه أولاً فأولاً ، ويقال له الطائي نسبة لجد له اسمه طي . إلا أن السخاوي ذكر أنه مات بالقاهرة في طاعون سنة ٨٧٣ . وقد كان الطاعون حقاً في ذلك العام (انظر ابن اياس ٣ : ٢٦ وما بعدها) فإما أن السخاوي أخطأ في تاريخ الوفاة ، وإما أن ابن عجلان وفيه في تقييد التاريخ المذكور (بدلاً من ٨٧١ مثلاً) .

الاطمئنان إلى النصّ ، ولكنني لا أستطيع أن أجزم إن كان الجزء الثالث المفقود يحتوي تراجم لم ترد في مطبوعة الفوات .

وقد اتبعت في تحقيق هذا الكتاب منهجاً أحبّ توضيحه فيما يلي :

(١) ذهبت إلى اعتبار الصفدي والزرکشي صورتين مشابھتين أو مقاربتين لهذا الكتاب فقارنته بهما مقارنة دقيقة ، ثم عرضت كل ترجمة على المصادر الأخرى ، وأثبت هذه المصادر مجتمعة في الحاشية ؛ وقد تعمدت في الجزء الأول أن أذكر كتاب الصفدي اعتماداً على «تجريد الوافي» لأقدم نموذجاً يشير إلى مدى الاتفاق في التراجم بين الكتّابين ، ولكنني لم أشر إلى الصفدي في الأجزاء التالية إلا إذا كانت الترجمة موجودة في الأجزاء المطبوعة منه .

(٢) حرصت على إبقاء النص كما ورد في نسخة المؤلف ، إلا حيث كان الخطأ اللغوي أو النحوي مما يمس رواية شعر قديم ، أو يتصل بشخص لم يعرف عنه التساهل في اللغة النحو ، فصوّبت المتن ، وأشرت إلى نصّ الأصل في الحاشية . أما ما كان أسلوباً حوارياً أو إخبارياً يمثل اللغة الدارجة في القرنين السابع والثامن - على وجه الخصوص - فقد أبقيته في المتن على حاله دون تغيير .

(٣) بينت في كل موضع إن كانت الترجمة مما لم يرد في المطبوعة ، كما أشرت بشكل عام إلى ما حذف من بعض التراجم ، ليتكون لدى القارئ صورة واضحة عن مدى العلاقة بين المطبوعة ونسخة المؤلف .

(٤) حذف تراجم الدخيلة التي وردت في المطبوعة .

(٥) اقتصر في الشرح على تفسير بعض الألفاظ الاصطلاحية ، وبعض الغريب ، ولم أحاول التوسّع في الشرح والتخريج .

هذا ولإني أتقدم بجزيل شكري إلى الصديق الأستاذ محمد زهير الشاويش الذي أعارني نسخته الخاصة من هذا الكتاب ، وسمح لي باستخدامها في التحقيق وكل ما أرجوه أن تكون هذه المحاولة ذات نفع في خدمة العلم ، والله الموفق .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

رب يسر واختم بخير

أحمد الله على نعمه التي جلّت مواقع دِيَمِهَا ، وعمّت فوائدها كرمها ، وأشكره على مننه التي جادت رياض التحقيق من سحب الأفكار بمنسجمها ، فأظهرت أزاهر المعاني التي انثرت^١ فأشرق الكون بتبسّمها ، الذي حكم بالموت على عباده إظهاراً لبدائع قدرته وحكمها ، وأسعد وأشقى فيا فوز فرقة نقل الرواة ما سلف من محاسن شيمها . وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له شهادة ، يقترن بالخلود ذكرها ، ويتجدد في كل يوم فخرها ، وينسدل على هفوات الإنسان سترها . وأشهد أن سيدنا محمداً^٢ عبده ورسوله الذي قلد بدرر محاسنه الأعناق [وبعنه على حين فترة من الرسل متمماً لمكارم الأخلاق]^٣ وجعل شمس شريعته الغراء دائمة الإشراق . صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين جمّلوا بذكر محاسنهم السير ، وذهبوا وصف مفاخرهم الآصال والبكر ، ما دونت الأقلام ذكر الأفاضل ، وجلّت الكتب على أسماع الأواخر ذكر الأوائل ، وسلم .

وبعد ، فإنّ علم التاريخ هو مرآة الزمان لمن تدبر ، ومِشكاة أنوار يطّلع بها على تجارب الأمم منّ أمعن النظر وتفكر ، وكنت ممن أكثر لكتبه المطالعة ، واستحلي من فوائده المطالعة والمراجعة ، فلما وقفت على كتاب « وفيات الأعيان »

١ كذا في ص ، ولعلها « افترت » كما هي في المطبوعة .

٢ ص : محمد .

٣ سقطت من ص .

لقاضي القضاة ابن خلكان ، قدّس الله روحه ، وجدته من أحسنها وضعاً لما
اشتمل عليه من الفوائد الغزيرة ، والمحاسن الكثيرة ، غير أنه لم يذكر أحداً^١ من
الخلفاء ، ورأيته قد أخلّ بتراجم بعض فضلاء زمانه ، وجماعة ممّن تقدم على
أوانه ، ولم أعلم أذلك لذهول^٢ عنهم ، أو لم يقع له ترجمة أحد منهم .
فأحببت أن أجمع كتاباً يتضمن ذكر ممّن لم يذكره من الأئمة الخلفاء ،
والسادة الفضلاء أذيل فيه من حين وفاته إلى الآن ، فاستخرت الله تعالى ،
فشرح لذلك صدري ، وتوكلت عليه وفوّضت إليه أمري . ووسمته بـ « فوات
الوفيات » .

والله تعالى المستول أن يوفّق في القول والعمل ، وأن يتجاوز عن هفوات
الخطأ والخطل .

١ ص : أحد .

٢ ص : لذهولا .

حرف الهنزة

إبراهيم بن أدهم

إبراهيم بن أدهم بن منصور بن يزيد بن جابر ، أبو إسحاق العجلي وقيل النخعي البلخي الواعظ أحد الأعلام^١ ، روى عن أبيه ومنصور ومحمد بن زياد الجمحي وأبي جعفر الباقر ومالك بن دينار [وأبي نعيم وأبي موسى]^٢ والأعمش . قال الفضل بن موسى : حج أدهم بأمر إبراهيم وهي حبل ، فولدت إبراهيم بمكة ، فجعلت تطوف به على الحلق في المسجد وتقول : ادعوا لابني أن يجعله الله صالحاً .

وأخباره مشهورة في مبتدأ زهده ، وطريقه مشهورة . قيل غزا في البحر مع أصحابه ، فاختلف في الليلة التي مات فيها إلى الخلاء خمساً^٣ وعشرين مرة ، كل مرة يجدد الوضوء ، فلما أحس بالموت قال : أوتروا لي قوسي ، وتوفي وهي^٤ في كفه ، ودفن في جزيرة من جزائر البحر في بلاد الروم .

قال إبراهيم بن يسار الصوفي : كنت ماراً مع إبراهيم بن أدهم ، فأتينا على قبر مسنم ، فترحم عليه إبراهيم ، ثم قال : هذا قبر حميد بن جابر أمير هذه المدن كلها ، كان غارقاً في بحار الدنيا ثم أخرجه الله منها ، بلغني أنه سر ذات

١ - هي من الترجمات المزينة في وفيات الأعيان ١ : ٣١ وانظر أيضاً تهذيب ابن عساكر ٢ : ١٦٧ وكتاب التوابين : ١٤٩ وحلية الأولياء ٧ : ٣٦٨ ، ٨ : ٣ والبداية والنهاية ١٠ : ١٣٥ وشرح المقامات ٢ : ٨٢ وعبر الذهبي ١ : ٢٣٨ والوافي ٥ رقم : ٣١٨ وطبقات السلمي : ١٣ .
١ في المطبوعة : العجلي النخبة الأجل الفاضل ملك الأعلام .

٢ لم يرد هذا في ص .

٣ ص : خمسة .

٤ ص : وهو .

٥ بهامش ص تعليق : ليس هو في جزيرة بل هو في الساحل قريباً من طرابلس .

يوم بشيء ، ونام ، فرأى رجلاً بيده كتاب ، فناوله ففتحه فإذا فيه مكتوب بالذهب : لا تؤثرنّ فانيا على باق^١ ، ولا نفرحن بملكك ، فإن ما أنت فيه جسيم ، إلاّ أنه عديم ، فسارع إلى الآخرة ، فإن الله تعالى يقول ﴿ وسارعوا إلى مغفرةٍ من ربّكم وجنّةٍ عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين ﴾ (آل عمران : ١٣٣) فانتبه فزعاً ، وقال : هذا تنبيه من الله تعالى وموعظة ، فخرج من ملكه فأتى هذا الجبل وعبد الله فيه حتى مات .

وقال : رأيت في النوم كأن قائلاً يقول لي : أيجسن بالحر المرید، أن يتذلل للعبيد ، وهو يجد عند الله كل ما يريد ؟

وقال النسائي : إبراهيم أحد الزهاد ، وهو مأمون ثقة . وقال الدارقطني : ثقة . وقال البخاري : مات سنة إحدى وستين ومائة ، وسيرته في « تاريخ دمشق » ثلاث وثلاثون ورقة وهي طويلة في « حلية الأولياء » ، رحمه الله تعالى .

٢

إبراهيم الحربي

إبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم ، الفقيه أبو إسحاق الحربي أحد الأئمة الأعلام ؛ ولد سنة ثمان وتسعين ومائة ، وتفقه على الإمام أحمد بن حنبل ، وكان من نجباء أصحابه ، روى عنه ابن صاعد وابن السماك .
قال الخطيب : كان إماماً في العلم ، رأساً في الزهد ، عارفاً بالفقه ، بصيراً

١ ص : باقيا .

٢ - ترجمة الحربي في معجم الأدباء ١ : ١١٢ وتاريخ بغداد ٦ : ٢٧ وصفة الصفوة ٢ : ٢٢٨ والوافي ٥ : ٣٢٠ وطبقات أبي يعلى ١ : ٨٦ وتذكرة الحفاظ ٥٨٤ وثمة دراسة مطولة عنه في مقدمة كتاب المناسك من تحقيق الشيخ حمد الجاسر .

بالأحكام ، حافظاً للحديث ، مميّزاً لعلله ، قيماً بالأدب ، صنف « غريب الحديث » وكتباً كثيرة . وحدث عبد الله بن أحمد بن حنبل قال : كان أبي يقول لي : أمضِ إلى إبراهيم الحربي يلقي عليك الفرائض . وأنشده رجل :

أنكرتُ ذلّي فأنيّ شيء أحسنُ من ذلّةِ المحبِّ^١ ؟
أليس شوقي وفَيْضُ دمعي وضعفُ جسمي شهودُ حُبّي

فقال إبراهيم : هؤلاء شهود ثقات .

قال إبراهيم : ما أنشدت شيئاً من الشعر إلاّ قرأت ﴿ قل هو الله أحد ﴾ ثلاث مرات .

قال ياقوت في كتاب « معجم الأدباء »^٢ : قد كان إسماعيل بن إسحاق القاضي يشتهي رؤية إبراهيم الحربي ، وكان إبراهيم لا يدخل عليه ، ويقول : لا أدخل داراً عليها بواب ، فأخبر إسماعيل بذلك ، فقال : أنا أدع بابي كبابة الجامع ، فجاء إبراهيم إليه ، فلما دخل عليه خلع نعليه ، فلفسهما القاضي^٤ في مندبل ديبقي وجعلهما في كفه ، وجرى بينهما بحث كثير ، فلما قام إبراهيم التمس نعليه ، فأخرج القاضي النعل من كفه ، فقال إبراهيم : غفر الله لك كما أكرمت العلم ؛ فلما مات القاضي روي في المنام فقيل له : ما فعل الله بك ؟ فقال : أجيبت في دعوة إبراهيم الحربي .

ودخل عليه قوم يعودونه ، فقالوا : كيف تجدك يا أبا إسحاق ؟ فقال : أجدني كما قال^٥ :

١ بعد هذا السطر وقع خرم في ص ضاعت بسببه ورقات .

٢ معجم الأدباء ١ : ١٢٥ .

٣ ياقوت : كباب .

٤ هو أبو عمر محمد بن يوسف القاضي .

٥ هو أبو نواس ، انظر تاريخ بغداد ٧ : ٤٤٨ .

دَبَّ فِي السَّقَامِ سُفْلًا وَعُلُوًّا وَأَرَانِي أَذُوبُ عُضْوًا فَعُضُوا
بَلَيْتَ جِدَّتِي بِطَاعَةِ نَفْسِي وَتَذَكَّرْتُ طَاعَةَ اللَّهِ نِضْوًا

وقال ياقوت : حدثني صديقنا الحافظ أبو عبد الله محمد بن محمود بن النجار قال : حدثني أحمد بن سعيد الصباغ يرفعه إلى أبي نعيم قال : كان يحضر مجلس إبراهيم الحربي جماعة من الشبان للقراءة عليه ، ففقد أحدهم ، فسأل عنه مَنْ حضر ، فقالوا : هو مشغول ، ثم سألهم يوماً آخر ، فقالوا : هو مشغول ، وكان الشاب قد ابتلي بمحبة شخص شغله عن الحضور ، وعظموا قدر إبراهيم الحربي أن يخبروه بحقيقة الحال ، فلما تكرر منه السؤال عنه وهم لا يزيدون على أنه مشغول قال : يا قوم إن كان مريضاً قوموا بنا لنعوده ، وإن كان مديوناً اجتهدنا في مساعدته ، أو محبوساً سعينا في خلاصه ، فخبروني عن جلية حاله ، فقالوا : نجلدك عن ذلك ، فقال : لا بدَّ أن تخبروني ، فقالوا : إنه ابتلي بعشق صبي ، فوجم إبراهيم ساعة ، ثم قال : هذا الصبي الذي ابتلي بعشقه أهو مليح أم قبيح ؟ فعجب القوم من سؤاله عن مثل ذلك مع جلالته في أنفسهم ، وقالوا : أيها الشيخ مثلك يسأل عن مثل هذا ؟ فقال : إنه بلغني أن الإنسان إذا ابتلي بحب صورة قبيحة كان بلائاً تجب الاستعاذة من مثله ، وإن كان مليحاً كان ابتلاءً يجب الصبر عليه واحتمال المشقة ، قال : فعجبنا ممّا أتى به .

ومن مصنفاته كتاب « سجود القرآن » . « مناسك الحج » . « الهدايا والسنة فيها » . « الحمّام وآدابه » . « مسند أبي بكر رضي الله عنه » . « مسند عثمان رضي الله عنه » . « مسند عليّ رضي الله عنه » . « مسند الزبير رضي الله عنه » . « مسند طلحة رضي الله عنه » . « مسند سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه » . « مسند عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه » . « مسند العباس رضي الله عنه » . « مسند شيبه بن عثمان » . « مسند عبد الله بن جعفر » . « مسند المسور بن مخرمة » . « مسند المطلب بن ربيعة » . « مسند السائب » . « مسند خالد بن الوليد » . « مسند أبي عبيدة بن الجراح » . « مسند ما روي عن عاصم بن عمر » . « مسند

صفوان بن أمية . « مسند عمرو بن العاص » . « مسند عمران بن حصين » .
 « مسند حكيم بن حزام » . « مسند عبد الله بن زَمعة » . « مسند عبد الرحمن بن
 سمرة » . « مسند عبد الله بن عمرو » . « مسند ابن عمر » .
 وكان أصل إبراهيم الحربي من مرو ، توفي لسبع بقين من ذي الحجة سنة
 خمس وثمانين ومائتين ، رحمه الله .

٣

المتقي لله

إبراهيم بن جعفر ، أمير المؤمنين المتقي لله ابن المقتدر ابن المعتضد ؛ ولد
 سنة سبع وتسعين ومائتين ، واستخلف سنة تسع وعشرين وثلثمائة بعد أخيه
 الراضي ، فولياها إلى سنة ثلاث وثلثين ، ثم خلعه وسلموا عينيه ، وبقي في
 قيد الحياة ، وكان حسن الجسم مشرباً بحمرة أبيض أشقر الشعر أشهل العينين ،
 وكان فيه دين وصلاح ، وكثرة صلاة وصيام ، وكان لا يشرب الخمر .
 وتوفي في السجن سنة سبع وخمسين وثلثمائة ، رحمه الله تعالى . وكانت
 مدته سنتين^١ وأحد عشر شهراً ، وكانت أيامه منغصة عليه لاضطراب الأتراك ،
 حتى إنه أتى إلى الافة ، فلقبه الإخشيد صاحب مصر وأهدى له تحفاً كثيرة وتوجع
 لما ناله من الأتراك ، ورغبه في أن يسير معه إلى مصر فقال : كيف أقيم في زاوية
 من الدنيا وأترك العراق متوسطة الدنيا وسررتها ، ومستقر الخلافة وينبوعها ؟ ثم
 سار حتى قدم بغداد ، بعد أن خاطبه أمير الأتراك تُوْزُون ، وحلف له أن لا

٣ - راجع المصادر التاريخية كالكمال لابن الأثير... الخ وانظر الروحي: ٦٢ والفخري: ٢٥٤
 وتاريخ الخلفاء للسيوطي: ٤٢٤ ونكت الحميان: ٨٧ والروافي: ٥: ٣٤١ .
 ١ الروافي: ثلاث سنين .

يغدر به ، وزينت له بغداد زينة يضرب بها المثل ، وضربت له القباب العظيمة العجيبة في طريقه ، فلما وصل السندية على نهر عيسى قبض عليه توزون ، وسمل عينيه ، وباع المستكفي من ساعته ، ودخل بغداد في تلك الزينة فكثرت تعجب الناس من ذلك ، وقال المتقي :

كَحَلَوْنَا وَمَا شَكُوْا نَا إِلَيْهِمْ مِنَ الرَّمْدِ
ثُمَّ عَاثُوا بِنَا وَنَحْنُ نَ أَسْوَدٌ وَهَمْ نَقْدٌ^١
كَيْفَ يَغْتَرُّ مِنْ أَذَا نَا وَفِي دَسْتِنَا قَعْدٌ

٤

جمال الدين بن النجار

إبراهيم بن سليمان بن حمزة بن خليفة ، جمال الدين بن النجار الدمشقي الموجد . ولد بدمشق سنة تسعين وخمسمائة وتوفي سنة إحدى وخمسين وستمائة ، رحمه الله تعالى . وحدّث وكتب في الإجازات ، وكتب عليه أبناء البلد ، وله نظم وأدب ، وسافر إلى حلب وبغداد ، وكتب للأبجد صاحب بعلبك ، وسافر إلى الاسكندرية وتولى نقابة الأشراف بها ، وسمع بدمشق من التاج الكندي وغيره . ومن شعره ما قاله في أسود شائب :

يَا رَبَّ أَسْوَدَ شَائِبٍ أَبْصَرْتُهُ وَكَأَنَّ عَيْنَيْهِ لَطْفَى وَقَادُ
فَحَسْبَتْهُ فَحَمًّا بَدَتْ فِي بَعْضِهِ نَارٌ وَبَاقِيهِ عَلَيْهِ رَمَادُ

١ التقيد : صفار الغم .

٤ - الشذرات ٥ : ٢٥٣ والزركشي ١ : ١١ والوافي ٥ : ٣٥٦ وعقود الجمان لابن شمار ١ :

٤٠ والمنهل الصافي ١ : ٥٠ .

وله أيضاً :

ما لهذي العيون قاتلها اللد
ولهذا الذي يسمونه الغش
ولقابي يقول أسلو فإن قلا

وله أيضاً :

ومغرمٍ بالببدال قلتُ له
طوراً على الراحتين منبطحاً
دخلٌ وخرجٌ وليس بينهما
أيسرٌ ما فيه أن مسلكه
وعندنا قهوةٌ معتقةٌ
ومن بنات القيانِ مخطفةٌ
ومطربٌ يحسنُ الغناءَ لنا
ولستَ تخلو مع كل ذلك من
ينطح نطح الكباش متصلاً

وله أيضاً :

لقد نبتت في صحن خدك لحية
وما كنت محتاجاً إلى حسن نبتها

تأنتق فيها صانعُ الإنسِ والجن
ولكنها زادتك حسناً إلى حسن

١ ابتداء من هذا البيت ينتهي الحرم في ص .

ابن سهل الإسلامي

إبراهيم بن سهل الإسرائيلي ؛ قال ابن الأَبَر في « تحفة القادم »^١ : كان من الأدباء الأذكياء الشعراء ، مات غريقاً مع ابن خلاص^٢ والي سبته سنة تسع وأربعين وستمائة ، وكان سنُّه نحو الأربعين أو ما فوقها ، وكان قد أسلم وقرأ القرآن ، وكتب لابن خلاص بسبته فكان من أمره ما كان .

قال أثير الدين أبو حيان : هو إبراهيم بن سهل الإشبيلي الإسلامي ، أديب ماهر ، دوّن شعره في مجلد ، وكان يهودياً فأسلم ، وله قصيدة مدح بها رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يُسلم ، وأكثر شعره في صبي يهودي كان يهواه ، وكان يقرأ مع المسلمين ويخالطهم .

قلت : والقصيدة النبويّة على حرف العين ، ذكرها ابن الأَبَر في ترجمة المذكور .

وكان يهوى يهودياً اسمه موسى فتركه ، وهوى شاباً اسمه محمد ، فقبل له في ذلك فقال :

تركتُ هوى موسى لحبِّ محمدٍ ولولا هدى الرحمن ما كنتُ أهتدي
وما عن قَلِيّ منِّي تركتُ وإنما شريعة موسى عطّلت بمحمدٍ

٥ - انظر مقدمة كتبها على ديوانه (ط . صادر ، بيروت ١٩٦٧) وفيها ثبت بأهم المصادر

التي تعرضت لذكره ، وانظر الزركشي ١ : ١٢ والوافي ٦ : ٥ .

١ ليس له ترجمة في المقتضب من تحفة القادم .

٢ يعني محمد بن الحسن بن خلاص ، وكان الحسن أبوه والي سبته وقد بعث ابنه في سفينة إلى حضرة تونس ومعه هدية ، ففرقت السفينة ، وانظر مقدمة ديوان ابن سهل : ٣٨ - ٤٢ فيها مناقشة لهذه الرواية ومن ثم لتاريخ وفاته .

قال الشيخ أثير الدين : أخبرنا قاضي الجماعة قال : نظم الهيثم^١ قصيدة بمدح بها المتوكل على الله محمد بن يوسف بن هود ملك الأندلس ، وكانت أعلامه سوداء لأنه كان بايع الخليفة ببغداد ، فوقف إبراهيم بن سهل على قصيدة الهيثم وهو ينشدها لبعض أصحابه ، وكان إبراهيم إذ ذاك صغيراً ، فقال إبراهيم للهيثم : زد بين البيت الفلاني والبيت الفلاني :

أعلامهُ السود إعلماً بسؤددهِ كأنهنَّ بجدَّ الملك خيلانُ

فقال له الهيثم : هذا البيت ترويه أم نظمته ؟ قال : بل نظمته الساعة ، فقبل الهيثم : إن عاش هذا ليكون^٢ أشعر أهل الأندلس .
والقصيدة التي مدح بها النبي صلى الله عليه وسلم^٣ :

وركب دعوتهم نحو طيبة نية	فما وجدت إلا مطيعاً وسامعا
يسابقُ وخد العيس ماء شؤونهم	فيقفون بالسوق المدى والمدامعا
إذا انعطفوا أو رجعوا الذكر خلتهم	غصوناً ليداناً أو حماماً ^٤ سواجعا
تضيء من التقوى حنايا صدورهم	وقد لبسوا الليل البهيم مدارعا
تكادُ مناجاةُ النبي محمد	تمُّ بهم مسكاً على الشم ذاتعا
تلاقى على ورد اليقين قلوبهم	خوافق يُذكرن القظا والمشارعا
قلوبُ عرفن الحق فهي قد انطوت	عليها جنوب ما عرفن المضاجعا
سقوا دمعهم غرس الأسى في ثرى الجوى	فأنبت أزهار الشحوب الفواقعا
تساقوا لبان الصدق محضاً بعزمهم	وحرّم تفريطي عليّ المرضعا

١ هو أبو المتوكل الهيثم بن أحمد بن أبي غالب بن الهيثم الإشبيلي ، كان شاعراً مشهوراً بالحفظ والارتجال ، قتل سنة ٦٣١ (انظر اختصار القدح : ١٥٨ والمغرب ١ : ٢٥٨ وصفحات متفرقة من نفح الطيب) .

٢ ص : فيكون .

٣ ديوانه : ٢٣٢ .

٤ ص : حمام .

وهي طويلة ؛ ومن شعره ^١ :

تدري النجومُ كما تدري الورى خبري
دمعي وأنشقُ ريتاً ذكرك العطر
بين الرياض وبين الكأسِ والوتر
تأملوا كيف هام الغنُجُ بالخفر
أو تضنني ^٢ فمحاقٌ جاء من قمر

سل في الظلام أحاك البدرَ عن سهري
أبيت أسجعُ بالشكوى وأشربُ من
حتى أخيلُ أني شاربُ ثميلُ
بعض المحاسن يهوى بعضها عجباً
إن تُقصني فنفسارُ جاء من رشيلُ
وله أيضاً ^٣ :

وخبروني بقلبي أيتةً ذهبا
أن المنامَ على عينيَّ قد غضبا
قد يغضب الحبُّ إن ناديتُ واحربا
أقولُ حملتهُ في سفكه تعباً
هل تعلمونَ لنفسي في الجوى نسبا
أغواك ؟ قلت اطلبوا في لحظة السبا
جرتُ بقيتهُ في ثغره شنباً
والقطران حجبت شمس الضحى انسكبا
رهينَ شوق إذا غالبته غلبا
نجومها رددت من حالي عجباً
إلا بكى أو شكاً أو حنّاً أو طرباً
ذاقَ الشرابَ فيروى وهو ما شرباً

ردوا على طرفي النوم الذي سلبا
علمت لما رضيتُ الحبَّ منزلة
فقلتُ واحرباً والصمت أجدر بي
إني له عن دمي المسفوكِ معتذرُ
نفسي تكدتُ الأسى فيه وتألفه
قالوا عهدناك من أهل الرشادِ فما
من صاغه الله من ماء الحياة وقد
يا غائباً مقلتي تهمني لفرقتَه
كم ليلةً بثها والنجمُ يشهدُ لي
مردداً في الدجى لهفأً ولو نطقت
ماذا ترى في حُبِّ ما ذكرتَ له
يرى خيالك في الماء الزلال وما

١ ديوانه : ١٤٨ .

٢ ص : تطني .

٣ ديوانه : ٧٤ .

٤ ص : قتلت .

وله أيضاً^١ :

ولما عَزَمْنَا ولم يبقَ من
بكيتُ على النهر أخفي الدموعَ
ولو عرف السَّفَرُ حالي إذن
إذا ما سرى نفسي في الشراع
وقفت سَحِيرًا وغالبت شوقي
أنا وقد لَفَحَتْ زفرتي
ومَنَّ الفراقُ بتوديعه
وقبلتُ وجنته في الدموع
وقبلتُ في الترب منه خُطًا
تَغَرَّبَ نوميَ عنْ مَقَلَّتِي
أموسى تهن^٣ نعيم الكرى
وله أيضاً^٤ :

كأن الخال في وجنات موسى
أخُطَّ لصدغه في الحسن واو
لواحِظْهُ حَيِّرةً ولكن
وله خمّس^٥ :

غريبُ الحسنِ عنَّ لنا فعنَى
ووسنانُ طريقَ الحجرِ سنًا

١ ديوانه : ١٥٢ .

٢ ص : إلا اليسير .

٣ ص : تهنّا .

٤ ديوانه : ١١٨ .

٥ لم يرد هذا الخمس في الديوان أو في المطبوعة .

ثني أعطافه فاستعطفتنا أغنّ عن الرشا والبدر أغنى
فهِمنا سرّ مقلته فهما

شكوتُ له من الحرقِ التهابا فأسداها مراشفه العذابا
فكانت رحمة لقيتْ عذابا ومال وقد تطارحنا العتابا
كأني طائرٌ ناجيتُ غصنا

أمولّي حاز حتى الحسنَ عبدا حكيتَ الوردَ لي عهداً وخذاً
ونجمَ الأفقِ إشراقاً وبعدا وسوى الله بدرَ التّمّ فردا
فإذ سوّاك قال الناس: ثنّي

أخاف على مكانك من فؤادي فلا تضره ناراً بالبعاد
ودع حظاً لطيفك من رقادي تنازعي الكواكب في سهاد
وتعجز عن دموع سح معنا

أحوريّ الطهارةِ والجمالِ هجرت الخلدَ هجرأً عن دلال
تركتَ الحورَ بعدك في ضلال فمن للناس عندك بالوصال
وقد فارقت رضواناً وعدنا

وسيم الحسن قيضَ لي لأشقي فليت ابن البقاء عليّ أبقى
أيوسفُ إنني يعقوبُ حقاً كملت ملاحهً وكملتُ عشقا
فمن ذا مثلنا حسناً وحزنا

وله أيضاً موشح^١ :

يا لحظاتَ للفتنِ في كرها أوفى نصيب
ترمي وكلّي مَقْتلُ وكلها سهمٌ مصيبٌ

* * *

١ ديوانه : ٢٩٢ والمنهل الصافي ١ : ٥٣ وتوشيح التوشيح : ١٥٧ .

اللوم^١ للآحي مباحٌ أما قبوله فلا
علقته وجه صباح ريقَ طِلاً^٢ عنقَ^٢ طلا
كالظبي ثغرُهُ^٣ أقاح وما ارتعى شيخَ الفلا^٣

* * *

يا ظبيُّ خذْ قلبي وطن فأنت في الإنس غريب
وارتَعْ^٤ قدمي سلسلُ ومهجتي مرعى خصيبُ

* * *

بين اللَّمى والحوَرِ منه الحياةُ والأجلُ
سقتُ مياهُ الخفرِ في خده ورد الحجلُ
زرعتُهُ^٥ بالنظرِ وأجتنيهِ بالأمل

* * *

في طرفه^٦ الساجي وسنُ سهدَ أجفان الكئيبُ
والردف فيه ثِقَلُ خفَّ له عقل اللبيبُ

* * *

أهدى إلى حرِّ العتاب بردَ اللَّمى وقد وقدُ
فلو^٦ لثمته لذاب من زفرتي ذاك البردُ

١ الديوان : النصح .

٢ الديوان : عيني .

٣ الديوان : ما ارتعاه بالفلا .

٤ الديوان : غرسته .

٥ الديوان : لحظه .

٦ ابتداء من هذه اللفظة ترد صفحتان في ص بخط غير خط المؤلف .

ثم لوى جيدَ كَعَابٍ ما حَلَّيْهِ^١ إلا الغَيْدُ

* * *

في نزعَةِ الظبي الأَغْنُ وهزة الغصن الرطيبُ
يجري لدمعي جدولُ فيثني منه قضيبُ

* * *

أأنت حَوْرًا أرسلكُ رضوان صدقاً للخبر
قَطَّعَتِ القلوبُ نك وقيل ما هذا بشر
أمُّ الصفا مَضَى هلك من النوى أم الكدر

* * *

حتى تزكبه المحن أمرُ الهوى أمر غريب
كأنَّ عشقي مندلُ زاد^٢ بنار الهجر طيب

* * *

أغربت في الحسن البديع فصار دمعي مغربا
شمل الهوى عندي جميع وأدمعي أيدي سببا
فإستمعُ عبداً مطيع غنى لبعض الرقبا

* * *

هذا الرقيب ما أسواه يظن ايش لو كان لانسان مريب
مولاي قم تا نعملو^٣ ذاك الذي ظن الرقيب

١ ص : خلته ، وأثبت رواية الديوان .

٢ ص : يزداد ، والوزن ينكسر به .

٣ الديوان : يا مولتي قم نعملو .

وله أيضاً موشح^١ :

روض نضير وشادن وطلا فاجتنِ زهرَ الربيع والقبلا واشرب
يا ساقياً ما وُقيتُ فتنَّتَهُ
حككتُ رحيق الكؤوس صورته
فمثلتُ ثغرهُ ووجنتَهُ

هذا حباب كالسلك^٢ معتدلاً وذا رحيق لدى الزجاج علا كوكب
أقمتُ حربَ الهوى على ساقِ
وبعتُ عقلي بالخمير من ساقِي
أسهرَ جفني بنوم أحداقِ

تمثلَ السحرُ وسطها كحلا معتلةٌ وهي تبرىء العللا فاعجب
قلبك صخر والجسم من ذهب
أيا سميَّ النبيَّ يا ذهبي^٣
جاورت من مهجتي أبا لهب

يا باخلاً لا أذمَّ ما فعلا صيرتَ عندي محبةَ البخلا مذهب
يا منيتي المنى من الخُدَعِ
ما نلت سؤلي ولا الفؤاد معي
هل عنك؛ صبر أو فيك من طمع

أفنتُ فيك الدموعَ والحिला فلا سلواً في الحب نلت ولا مأرب

١ الديوان : ٣١٦ .

٢ الديوان : في الكاس .

٣ الديوان : يا طلبي ، وقال إن الموشحة نظمت في أبي بكر الطلبي .

٤ ص : عندك .

أُتيت أشكوه لوعتي عجباً
فصدّ عني بوجهه غضباً
فعند هذا ناديت واحرباً

تصدّ عني يا منيتي مللاً وأشتكي من صدودك العللاً تغضباً
وله من قصيدة في محبوبه موسى ٢ :

وإني لثوب الحزن أجدرُ لابسٍ وموسى لثوب الحسن أحسنُ مرتدٍ ٣
تأمل لظي شوقي وموسى يشبُّها
إذا ما رنا شزراً فقل لحظُ أحرٍ
وعدّبَ بالي أنعمَ اللهَ بـاله
شكوتُ فجاءوا بالطيب ، وإنما
فقال على التأنيس طُبِّكَ حاضرٌ
بكيت فقال الحبُّ هزواً أتشري
فأنشدته شعراً به أستميله
كأنّي بصرفِ البينِ حانِ فجاد لي
تغنمتُ منه السيرَ خلفي مُشيعاً
وجاء لتوديعي فقلت له اتشد
جعلتُ يميني كالنطاقِ لخصره
وجدّتُ بدوبِ التبرِ فوق مورسٍ
ومسحَ أجنفاني ببردِ بنانه
فيا آفةَ العقلِ الحصيفِ وصبوةِ الـ

وموسى لثوب الحسن أحسنُ مرتدٍ ٣
تجد خير نار عندها خير موقد
وإن يلو إعراضاً فصفحةُ أغيد
وسهّدني لا ذاقَ طعمَ التسهّد
طيبُ سقامي في لواظٍ مبعدي
فقلت نعم لو أنه بعض عودِي
بماء جفونِ ماءٍ ثغر منضد
فأبدى ازدراءً بـابنِ حُجرٍ ومعبّد
بأحلى سلامٍ منه أفضعُ مشهّد
فأقبلتُ أمشي مثلَ مشي المقيد
مشتَ لكَ روجي في الزفيرِ المصعد
وصاغتُ جفوني حلّيَ ذاك المقلّد
وضنّ بدوبِ الدرّ فوق مورد
فألّفَ بين المزنِ والسوسنِ الندي
عفيفٍ وغَيّ النَّاسِكِ المتعبّد

١ الخرجة عامية في الديوان ، والظاهر أنها قد حورت عند المشاركة .

٢ ديوانه : ٩٩ .

٣ إلى هنا تنتهي الصفحتان اللتان جاءتا بغير خط المؤلف .

فأذهلني عن مصدرِي حُسْنُ مُورد
ويومي بِحمدِ اللهِ أَحْسَنُ من غدي
وأطيبُ من عيشِ الزمانِ الممهّد
وأخرجتُ قَلْبِي طَيِّبَ النفسِ من يدي

رَعَيْتُ لحاظي في جمالك آمناً
أظِلُّ ويومي فيكَ هَجْرٌ ووحشةٌ
وصالك أشهى من معاودةِ الصبا
عليك فطمتُ العينَ من لذةِ الكرى
وله أيضاً^١ :

صرفتُ إلى أيدي العناءِ عنائي
فحسبيَ منك اليومِ نيلِ أمانِي
وقلبُ فأشكو منه بالخفقانِ
خفيتُ فما يدري الحمامِ مكاني
بساعةٍ وصلِ منكِ قلتُ : كفاني
بمساءِ شبابي واقْتبَالِ زماني
فإن شئتُما علمِ الهوى فسلاني
فإن كان فرداً فاحسباني ثاني

ضمانٌ على عينيكِ أُنِي عاني
وقد كنتُ أرجو الوصلِ منكِ غنيمةً
ومن لي بجسمِ أشتكي منه بالضنا
وما عشتُ حتى اليومِ إلاّ لأنّني
ولو أنّ عمري عمرُ نوحٍ وبعته^٢
وما ماءِ ذاكِ الريقِ عنديّ غالياً
خليليّ عندي في السلوّ بلادةً
خذنا عدداً من مات من ألمِ الهوى
وله أيضاً^٣ :

أيطمَعُ في التقبيلِ من يعشقُ البدرا
أنزّهه أن أذكرَ الجيدَ والثغرا
أغارُ حفاظاً أن أذيعَ له سراً
ففي وجهِ موسى آيةٌ تُبطلُ السحرا

يقولون لو قبَلْتَه لاشتفى الجوى
ولو غَقَلَ الواشي لقبلتُ نعله
وما أنا منّ يستحملُ الريحَ سرّه
إذا فئتُ العذالِ جاءتِ بسحرها
وله من أبيات^٤ :

١ لم ترد في المطبوعة ، وانظر ديوانه : ٢١٤ .

٢ ص : وبمته .

٣ هذه القطعة وما يليها حتى آخر الترجمة لم يرد في المطبوعة ، وانظر ديوانه : ١٥٩ .

٤ ديوانه : ١٦٩ .

غضّ الصبا يسفرُ عن منظرٍ
صوّر من نور ومن فتنسةٍ
أحلتُ أشواقِي على ذكره
أخشى عليك العارَ من قولهم :
أحسن من عصر الصبا المقبل
والناس من ماء ومن صلصل
أسلّط النار على المندل
معتدلُ القامة لم يعدل

وقال أيضاً ١ :

أموسى ولم أهجرك والله إنّما
تركتك لا غدراً بعهدك بل أرى
قنعتُ على رغمي بذكرك وحده
أقبل من كاس المدير حبابها
وله أيضاً ٢ :

لاموا فلما لاح موضع صبوتي
شرقت بدمعي وجنتي شوقاً إلى
حلو الكلام كأنّما ألفاظه
بالله يا موسى وقد لدّ الردى
هاروت أودع في لحاظك سحره
قالوا لقد جثّ الهوى من بابهِ
ذي وجنة شرقت بماء شبابه
يشربن عند النطقِ شهدَ رضابه
اجبرُ ولا تبقِ الجريحَ بما به
فأصاب قلبي منك مثلُ عذابه

وديوانه كله من هذا النوع ، رحمه الله تعالى وسامحه .

١ ديوانه : ١٥٧ .

٢ ديوانه : ٨٢ .

الشيخ إبراهيم الأرموي

إبراهيم بن عبد الله بن يوسف بن إبراهيم بن سليمان أبو إسحاق الأرمني ، ويقال الأرموي ، الشيخ الزاهد العابد ؛ ولد سنة خمس عشرة وستمائة ببجل قاسيون ، وتوفي رحمه الله تعالى سنة اثنتين^١ وتسعين وستمائة . سمع من الشيخ الموفق وابن الزبيدي وغيرهما ، وكان صالحاً خيراً كبير القدر مقصوداً^٢ للتبرك . ولما قدم الأشرف دمشق من فتح عكا طلع إليه وزاره وطلب منه الدعاء ، ووصله . ولما مات طلع إلى جنازته ملك الأمراء والقضاة وحمل على الرءوس . وله شعر جيد منه :

سهرى عليك ألدُّ من سِنَّةِ الكرى	ويلد فيك تهتكى بين الورى
وسوى جمالك لا يروق لناظري	وعلى لساني غير ذكرك ماجرى
وحياة وجهك لو بذلتُ حُشاشتي	لمبشري برضاك كنتُ مُقَصِّراً
أنا عبدُ حبك لا أحول عن الهوى	يوماً وإن لام العذول وأكثرأ

٦ - هذه الترجمة موجزة جداً في المطبوعة ، وانظر الزركشي ١ : ٢٨ والوافي ٦ : ٣٦ والدارس

٢ : ١٩٦ والنجوم الزاهرة ٨ : ٣٨ والشذرات ٥ : ٤٢٠ .

١ ص : اثنتين .

٢ ص : مقصود .

الشيخ برهان الدين الفزاري

إبراهيم بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن سباع بن ضيا ؛ هو الشيخ الجليل الإمام العلامة الورع شيخ الشافعية برهان الدين أبو إسحاق الفزاري الصعيدي الأصل الدمشقي ، مدرس الباذرائية^١ وابن مدرّسها ، وسيأتي ذكر والده الشيخ تاج الدين إن شاء الله تعالى في حرف العين .

كان جده فقيهاً بالرواحية^٢ ، وولد الشيخ برهان الدين سنة ستين وستمائة ، وأمه أمّ ولد ، عاشت إلى بعد العشرين وسبعمائة . سمّعه أبوه الكثير في الصغر من ابن عبد الدايم وابن أبي اليسر ، وبرع في الفقه على والده ، وقرأ العربية على عمه شرف الدين ، وقرأ الأصول وبعض المنطق ، وتفنّن وجود الكتابة ، ونشأ في صون وخير وإكباب على العلم والإفادة ، وتخرج به الأصحاب ، وأذن في الفتوى لجماعة ، وانتهى إليه إتقان غوامض المذهب . علّق على « التنبيه » شرحاً في مجلدات .

وكان عذب العبارة صادق اللهجة ، طلق اللسان ، طويل الدروس ، وكان له حظ من صلاة وصيام وذكر ، وفيه لطف وتواضع ولزوم خير وكفّ عن

٧ - لم ترد هذه الترجمة في المطبوعة ؛ وانظر طبقات السبكي ٦ : ٤٥ و الدرر الكامنة ١ : ٣٥ والمنهل الصافي ١ : ٨٠ ومرآة الجنان ٤ : ٢٧٩ وطبقات الاسنوي ٢ : ٢٩٠ والدارس ١ : ٢٠٨ والبداية والنهاية ١٤ : ١٤٦ والوافي ٦ : ٤٣ وأعيان العصر : ٢٠ والرد الوافر : ٨٦ والشذرات ٦ : ٨٨ .

١ يكتبها المؤلف بالذال المعجمة حيثما وقعت وترد بالذال المهملة في المصادر ، وهي المدرسة التي أنشأها الإمام نجم الدين عبد الله بن محمد بن الحسن الباذرائي (انظر الدارس ١ : ٢٠٥) .
٢ الرواحية: نسبة إلى مؤسسها زكي الدين أبي القاسم التاجر المعروف بابن رواحة (الدارس ١ : ٢٦٥).

الغيبة وعن أذى الناس . وكان كل شهر يعمل طعاماً لفقهاء الباذرائية ويقف في خدمتهم ، وكان واسع البذل ، يعود المرضى ويشيع الجنائز ؛ وكان لطيف المزاج نحيف الجسم أبيض حلو الصورة رقيق البشرة معتدل القامة ، قليل الغذاء جداً ، يديم التنقل بالخيار شنب ، وربما انزعج في المناظرة .

ولي الخطابة بالجامع الأموي بعد عمه شرف الدين ، ثم عزل نفسه بعد شهر ، ولما توفي قاضي القضاة نجم الدين ابن صصرى^١ طلب للقضاء فامتنع ، وكان فيه رفق ورحمة ، يكره الفتن ولا يدخل فيها ، وله جلالة ووقع في النفوس . وكانت وفاته في سنة تسع وعشرين وسبعمائة ، ودفن عند والده بباب الصغير ، وكانت جنازته مشهورة^٢ ، رحمه الله تعالى .

٨

الشيخ العماد

إبراهيم بن عبد الواحد بن علي بن سرور المقدسي ، الشيخ عماد الدين الحنبلي الزاهد ، أخو الحافظ عبد الغني ؛ ولد بجماعيل سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة ، وتوفي سنة أربع عشرة^٣ وستمائة . هاجر إلى دمشق ، وسمع وارتحل ، وصارت له معرفة حسنة بالحديث مع كثرة السماع واليد الباسطة في الفرائض والنحو والخط المليح ، وطول الشيخ شمس الدين الذهبي في ترجمته ، رحمه الله تعالى .

١ توفي سنة ٧٢٣ .

٢ الأصب « مشهودة » كما في الوافي .

٨ - عبر الذهبي ٥ : ٤٩ ؛ والشذرات ٥ : ٥٧ ؛ والوافي ٦ : ٤٩ ؛ وذيل ابن رجب ٢ : ٩٣ ؛ ومرآة الزمان : ٥٨٦ ، ولم ترد هذه الترجمة في المطبوعة .

٣ ص : أربع عشر .

ابن هرمة

إبراهيم بن علي بن سلمة الفهري المدني الشاعر المعروف بابن هرمة ، من شعراء الدولتين ؛ كان شيخ الشعراء في زمانه ، وكان منقطعاً إلى الطالبيين ، وكان منهوماً في الشراب لا يكاد يصبر عنه ، فقال للمنصو : يا أمير المؤمنين ، إني مغرم بالشراب ، وكلما أمسكني والي المدينة حدّني ، وقد طال هذا ، فاكتب لي إليه ، فقال : ويحك ! كيف أكتب في حدّ من حدود الله تعالى ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، احتلّ لي في ذلك ؛ فكتب إلى عامله بالمدينة : « أما بعد ، فمن أتاك بابن هرمة سكراناً ، فحدّ ابن هرمة ثمانين واجلد الذي يأتيك به مائة » ؛ فكان يمرّ به العسسُ وهو سكران ملقّى على قارعة الطريق فيقولون : من يشتري ثمانين بمائة ؟

ومرّ يوماً على جيرانه وهو ميت سكرّاً حتى دخل منزله ، فلما كان من الغد عاتبوه^١ في الحالة التي أوه فيها ، فقال : أنا في طلب مثلها منذ دهر ، أما سمعتم قولي^٢ :

أسأل الله سكرة قبل موتي وصياح الصبيان يا سكرانُ

٩ - الأغاني ٤ : ٣٦٨ (دار الثقافة) والشعر والشعراء : ٦٣٩ وتاريخ بغداد ٦ : ١٢٧
وتهذيب ابن عساكر ٢ : ٢٣٤ وطبقات ابن المعتز : ٢٠ والسبط : ٣٩٨ والموشح : ٢٢٣
والوافي ٦ : ٥٩ والخزانة ١ : ٢٠٣ وقد جمع ديوانه الأستاذ محمد جبار المعبيد (النجف
١٩٦٩) والأستاذان محمد نفاع وحسين عطوان (مطبوعات المجمع العلمي بدمشق) وإلى جمع
المعبيد أشير في هذا الكتاب ؛ وهذه الترجمة لم ترد في المطبوعة .

١ ص : فعاتبوه .

٢ ديوانه : ٢٢٩ .

فنهضوا من عنده ، ونفضوا ثيابهم وقالوا : ما يفلح هذا أبداً .
ويقال إنه ولد سنة سبعين ، ونادم المنصور سنة أربعين ومائة ، وعمر بعد
ذلك دهرأ ؛ وهو القائل^١ :

ما أظنّ الزمانَ يا أمّ عمروٍ تاركاً إن هلكتُ من ييكيني

وكان كذلك ، لقد مات وما يحمل جنازته إلاّ أربعة نفر لا يتبعهم^٢ أحد ،
حتى دفن بالبقيع . وكانت وفاته سنة خمسين ومائة . وكان الأصمعي يقول :
ختم الشعر بابن ميادة وابن هرمة ، رحمه الله تعالى .

١٠

عين بصل

إبراهيم بن علي بن خليل الحراني ؛ شيخ حائك ، كان عامياً أمياً أناف على
الثمانين ، وتوفي رحمه الله تعالى سنة تسع وسبعمائة ؛ قصده قاضي القضاة شمس
الدين ابن خلكان رحمه الله تعالى واستنشده من شعره فقال : أما القديم فما يليق ،
وأما نظم الوقت الحاضر فنعم ، وأنشده :

وما كلّ وقتٍ فيه يسمح خاطري بنظم قريض ائق اللفظ والمعنى
وهل يقتضي الشرع الشريف تيمماً بتربٍ وهذا البحر يا صاحبي معنا^٣

١ ديوانه : ٢٤٣ .

٢ ص : لا يتبعهم .

١٠ - الزركشي ١ : ١٧ والمنهل الصافي ١ : ١٠١ والوافي ٦ : ٧٠ وأعيان العصر : ٢٣ والدرر

الكامنة ١ : ٤٥ .

٣ جاء في الزركشي ان ابن خلكان قال له بعدما سمع البيتين : « أنت عين بصر » .

وله أيضاً :

وقائل قال إبراهيم عينٌ بصل
فقلت : مَهْ يا عدولي لا تعنفي
أضحى يبيعُ قَباً في الناس بعد قبا
لوجعتَ قَدَتَ ولو أفلست بعث قبا
وله أيضاً في الشبكة والسلك :

كم كبسنا بيتاً لكي نمسكَ السكانَ منه في سائرِ الأوقاتِ
فمسكنا السكانَ وانهمزَ البيتُ لدينا خوفاً من الطاقاتِ

وله أيضاً :

جسمي بسقم جفونه قد أسقما
كالرمح معتدلُ القوام مهفهفٌ
رشاً أحلٌ دمي الحرام وقد رأى
ربَّ الجمالِ بوصله وبهجره
عن ورد وجنته بأسِ عذاره
عائتتهُ فقسا وفيت فخانتي
حكمته في مهجتي وحشاشتي
ياذا الذي فاق الغصونَ بقده
رفقاً بمن لولا جمالك لم يكن
أنسيتَ أياماً مضتُ ولياليا
إذ نحن لم نخشَ الرقيبَ ولم نخفُ
والعيشُ غضٌ والحواسدُ نومٌ
في روضةٍ أبدت ثغورُ زهورها
ريمٌ بسهمٍ لحاظه قلبي رمى
مرُّ الجفا لكنه حلو اللّمي
في شرعه وصلي الحلال محرماً
لقى^٢ وأصلى جنّةً وجهنماً
وبسيف نرجس طرفه الساجي حمى
قربته فنأى بكيت تبسماً
فجنى وجار عليّ حين تحكّما
وسما بطلعته على قمر السّما
حلفَ الصبابةِ والغرام متيماً
سلفت وعيشاً بالصّريم تصرّماً
صرفَ الزمانِ ولا نطيع اللوما
عنا وعين الين قد كحلت عمى
لما بكى فيها الغمام تبسماً

١ الوافي : كم .

٢ ص والوافي : ألقى .

مدّ الربيعُ على الحمائل نوره
تبدو الأفاحي مثل ثغرٍ مهفهفٍ
وعيون نرجسها كأعينِ غادةٍ
والطير يصدح في فروع غصونها
والراح في راح الحبيب يديرها
فسقّاتنا تحكي البدورَ وراحنا
وله أيضاً رحمه الله تعالى .

ربوع جلتقَ للأوطار أوطانُ
كم لي مع الحبِّ في أقطارها أرباً
أيامَ تجريرُ أذيالي بها طرباً
إذ بت أنشدُ في غزلانها غزلاً
سقياً لجامعها كم قد جُمعنَ لنا
وكم حوى الحسن في باب البريد لنا
أغنت عن السمر فيه السمر إذ خطرت
أهلاً تحت ليل الشعر تحملها
جمالها وأخو الأشواق حين بدت
وبعدها ليس يخلو في الهوى أبداً
نواحه في نواحي جلتقَ وله
فجلق جنةً تبدو جواسقها
والسبت كالعيد تلقى الغيد سائحةً
أنزه الطرفَ في الميدان من فرح
قم يا نديمي إلى شرب المدام بها
فأنت في جنةٍ منها مزخرقةٍ

وليس فيها من السُدمان ندمانُ
إذ نحن في ساحتي جيرون جيران
ولي مكان له في السعد إمكان
لما غزت كبدي باللحظ غزلان
فيه من الغيد أقمارٌ وأغصان
فهل ترى عند ذاك الحسن إحسان
وسودُ أجفانها للبيض أجفان
لفتنة الصبِّ قضبان وكشبان
إليه في الحبِّ مفتونٌ وفتان
يوماً لإنسانه في الخلق إنسان
بالحسن لا بالنقا والحزن أحزان
مثلَ القصور بها حورٌ وولدان
وقد حوى الغيد ميدانٌ وبستان
والقلب مني لطفل اللهو ميدان
من قبل يدرك بدر السعد نقصان
وقد تلقاك بالرضوان رضوان

وأنت فيها عن اللذات في كسلٍ
أما ترى الأرض إذ أبكى السحاب بها
والزهرُ كالزهر حياه الحيا فبدت
زمرد قُضْبُ فيها مركبة
كأنما الورد خدُ الحب حين غدا
كأن مثورها إذ لاح مبتسماً
كأنما البان أهدى المسك حين بدا
كأن ريح الصبا طافت بخمر هوّى
كأنما حُمْرة التفاح خدُ رشاً
كأن نارنجها نارٌ وباطنه
والطير تطربُ بالعيدانِ نغمتها
أبدت فنوناً فأفنت صبرَ سامعها
بلابلٌ هيّجت منّا بلابلنسا
وهزنا الشوقُ إذ غنى الهزار بها
وربّ صافية في الكأس مشرقة
راحٌ أراحت لمن حلت براحتة
صبت لنا فهى ماء في زجاجتها
يسعى بها رشاً بالسحر مكتحلٌ
عذب اللمى ناعس الأجفان منتبه
كأنما وجهه فيه لعاشقه
كأنما خاله لما بدا كُرّة

وشعره مقبول ، غير أنه لا يخلو من اللحن ، رحمه الله تعالى وإيانا .

١ الزركشي : منها .

الجعبري

إبراهيم بن عمر بن إبراهيم ، الشيخ الإمام العلامة ذو الفنون شيخ القراء ،
برهان الدين الجعبري الشافعي ابن مؤذن جعبر ؛ ولد في حدود الأربعين ، وسمع
في حياة ابن خليل ، وتلا ببغداد بالسبع على ابن الوجوهي ، وقرأ « التعجيز »
حفظاً على مؤلفه تاج الدين ابن يونس ، وسمع من جماعة ، وقدم إلى دمشق ،
فنزل بالشميصاتية^١ وأعاد بالغزالية^٢ ، وباحث وناظر ، ثم ولي مشيخة الحرم
ببلد الخليل عليه السلام ، فأقام به بضعا وأربعين سنة ، وصنف التصانيف ،
واشتهر ذكره .

وألّف شرحاً للشاطبية كبيراً ، وشرحاً للرائية ، ونظم في الرسم « روضة
الطرائف » واختصر مختصر ابن الحاجب ، ومقدمته في النحو ، وكمل « شرح
التعجيز » ، وله ضوابط كثيرة نظمها ، وله كتاب « الافهام والإصابة في
مصطلح الكتابة » نظم ، وله كتاب « يواقيت المواقيت » نظم ، و « السبيل
الأحمد إلى علم الخليل بن أحمد » و « تذكرة الحفاظ في مشته الألفاظ »
و « رسوم التحديث في علم الحديث » و « موعد الكرام لمولد النبي عليه السلام »
و « كتاب المناسك » و « مناقب الشافعي » و « الشرعة في القراءات السبعة »

١١ - الزركشي ١ : ١٧ والدرر الكامنة ١ : ٥١ وطبقات الشافعية ٦ : ٨٢ والوافي ٦ : ٧٣
وأعيان العصر : ٢٧ والبداية والنهاية ١٤ : ١٦٠ وغاية النهاية ١ : ٢١ والأنس الجليل ٢ :
٤٩٦ وطبقات الاسنوي ١ : ٣٨٥ ومرآة الجنان ٤ : ٢٨٥ والمنهل الصافي ١ : ١١٢ والشذرات
٦ : ٩٧ وبغية الوعاة : ١٨٤ ؛ وهذه الترجمة موجزة جداً في المطبوعة .
١ هكذا يكتبها المؤلف ، وفي الدارس والوافي : السيساطية ، وهي خانقاه .
٢ تنسب إلى الغزالي لكونه دخل دمشق ومنعه الصوفية من دخول الخانقاه السيساطية ، فأقام بزايوة
عرفت من بعد بالغزالية (الدارس ١ : ٤١٣) .

و « عقود الجمان في تجويد القرآن » و « التصحيح في علم البديع » و « حدود الإتيان في تجويد القرآن » و « كتاب الاهتداء في الوقف والابتداء » و « الإيجاز في الألغاز » ؛ وتصانيفه تقارب المائة كلها جيدة محررة .

وكان حلو العبارة ، يحكى قال : كان قبلي لهذا الحرم شيخ ، جاء السلطان مرة إلى زيارة الخليل عليه السلام متخلياً عن الناس ، فقال له المتحدثون في الدولة : يا شيخ ما تعرفنا حال هذا الحرم ودخله وخرجه ، فقال : نعم ، وأخذهم وجاء بهم إلى مكان يمدون فيه السَّمَط ، وقال لهم : الدخُل هاهنا ، ثم أخذهم وجاء بهم إلى الطهارة ، وقال : الحَرَج هاهنا ، ما أعرف غير ذلك . فضحكوا منه .

وللجعبري شعر منه :

لَمَّا أَعَانَ اللَّهُ جَلَّ بِلُطْفِهِ لَمْ تَسْبِي بِجَمَاهَا الْبِيضَاءُ
وَوَقَعَتْ فِي شَرْكَ الرَّدَى مُتَجَبِّلًا وَتَحَكَّمَتْ فِي مَهْجَتِي السُّودَاءُ

وقال لي من سمعه يحكي : كنت في أوّل الأمر أشترى بفلس جزر أتقوت به ثلاثة أيام .

وكان ساكناً ذكياً وقوراً ، وألف في كثير من العلوم ، وتوفي في رمضان سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة .

ومن شعره :

أضواء لها دجى الليل البهيمِ وجدّد وجدها مرّ النسيمِ
فراحت تقطعُ الفلواتِ شوقاً مكلفةٌ بكلّ فتى كريمِ
فقالوا لا نرى فيها أنيساً سوى نجمٍ وغصنِ نقاً وريمِ
نفاقٌ كالحنايا ضامراتٌ يحاكي ليلها ليل السّليمِ
كانّ لها قوائمٌ من حديدٍ وأكبّاداً من الصلْدِ الصمِيمِ
لها بقبا وسفح منى غرامٌ يلازمها ملازمة الغريمِ

تراها من هوى وجوى ووجد تير مع الدجى سير النجوم
لما تلقاه من نصبٍ نهاراً ترى الادلاج كالخلل الحميم
وله أيضاً :

لما بدا يوسفُ الحسن الذي تَلِفَتْ في حبه مهجتي استجيت لواحيه
فقلتُ للنسوةِ اللاتي شغفن به فذلكن الذي لم تُنتي فيه

١٢

الرقيق الكاتب

إبراهيم بن القاسم المعروف بالرقيق النديم ؛ أصله من القيروان ، رجل
فاضل له تصانيف كثيرة منها : كتاب « تاريخ افريقية والقيروان » في عدة
مجلدات . « كتاب النساء » كبير . « كتاب الروح^١ والارتياح » . « كتاب
نظم السلوك في مسامرة الملوك » في أربع مجلدات . « الاختصار البارع للتاريخ
الجامع » في عدة مجلدات . « كتاب الأغاني » مجلد . كتاب « قطب السرور في
أوصاف الخمور » مجلدان ، فضح العالمين فيه ، وعندني منه نسخة ، وله غير ذلك.
قال ابن رشيقي في حقه : شاعر سهل الكلام ، لطيف الطبع ، غلب عليه
اسم الكتابة وعلم التأريخ وتأليف الأخبار ، وهو بذلك أحذق الناس ؛ قدم مصر
سنة ثمان وثمانين^٢ وثلاثمائة بهدية من ابن باديس إلى الحاكم ، وقال قصيدة يصف

١٢ - معجم الأدباء ١ : ٢١٦ ومسالك الأبصار ١١ : ٣٣٣ والروافي ٦ : ٩٢ وقد نشرت قطعة
من تاريخه تحقيق المنجي الكعبي (تونس ١٩٦٨) وجزء من كتابه قطب السرور (تحقيق أحمد
الجندي ، دمشق ١٩٦٩) ؛ ولم ترد هذه الترجمة في المطبوعة .

١ الروافي : الراح .

٢ ص : وثلاثين .

فيها المنازل والمناهل ، منها :

إذا ما ابن شهر قد لبسنا شبابه
إلى أن أقرت جيزة^١ النيل أعيناً
بدا آخر^٢ من جانب الأفق يطلع
كما قرّ عيناً ظاعن^٢ حين يرجع
وقال أيضاً :

ريم^٣ إذا ما معاريض^٤ المنى خطرت
يا إخوتي ألقاح فيه أقبل^٤ لي
أجله^٥ المتمتي عن أمانيه
أم خطّ راعين من مسك^٥ على فيه
أم حسن^٦ ذاك التراخي في تكلمه
أم حسن^٦ ذك التهادي في تشنيه

١٣

ابن كيغلف

إبراهيم بن كيغلف ، أبو إسحاق ، أديب فاضل . قال ابن النجار : ذكره
الوزير أبو سعد محمد بن الحسين ابن عبد الرحيم في كتاب « طبقات الشعراء »
وقال : من شعره :

لاعبت^١ بالحاتم إنسانة^١ كالبلدري في تاج^١ دجى عاتم^١
حتى إذا واليت^٢ أخذي^٢ له من البنان^٢ الترف^٢ الناعم^٢
خبته^٣ في فيها ، فقلت انظروا^٣ قد خبت^٣ الحاتم^٣ في الحاتم^٣
وله أيضاً :

١ ص : حيرة ، والتصويب عن ياقوت والوافي .

٢ ص : ضاعن ؛ وذلك كثير الورد ، إذ تصحح الظاء ضاداً في هذه النسخة .

١٣ - الزركشي ١ : ١٨ ودمية القصر ١ : ١٣٩ والوافي ٦ : ٩٥ .

٣ ص : خدي ، والتصويب عن الزركشي والوافي .

باللهِ ممّا هجرتني قل لي وأنت مما جنيت في حلّ
من لي بيوم أراك فيه وقد قررت عيني بزورَةٍ من لي؟
وله أيضاً :

قم يا غلامُ أدرْ مدامك واحثُثْ على الندمانِ جامكُ
تدعى غلامي ظاهراً وأظُلُّ في سرِّ غلامكُ
اللهُ يعلمُ أني أهوى عناقك التزامكُ

كان المقتدر بالله قد قلده مدناً على ساحل الشام : السويدية واللاذقية وجبله
وصيدا وما يتعلق بهما ، وكانت وفاته في سنة ثلاث وثلاثين وثلثمائة ، رحمه
الله تعالى .

١٤

فخر الدين ابن لقمان

إبراهيم بن لقمان بن أحمد بن محمد الوزير الكاتب ، فخر الدين الشيباني ؛
قال الشيخ شمس الدين : رأيتُه بعمامة صغيرة ، وقد حدثت عن ابن رواج^١
وكتب عنه البرزالي والطلبة ، وتوفي بمصر سنة ثلاث وتسعين وستمائة ، وصلي
عليه بدمشق ؛ ولي وزارة الصحبة للملك السعيد ، ثم وزر مرتين للملك المنصور
قلاوون ، وأصله من إسعرد .

وكان قليل الظلم ، فيه إحسان إلى الرعية ، وكان إذا عزل من الوزارة يأخذ

١٤ - الزركشي ١ : ١٩ والمنهل الصافي ١ : ١١٨ والوافي ٦ : ٩٧ والنجوم الزاهرة ٨ : ٥٠ ؛

ولم ترد هذه الترجمة في المطبوعة .

١ الوافي والمنهل الصافي : رواج .

غلامه الحرمدان^١ خلفه ، ويكر من الغد إلى ديوان الإنشاء .

ولما فتح الكامل آمد كان ابن لقمان شاباً يكتب على عرصة القمح ، وينوب عن الناظر ، وكان البهازهير كاتب الإنشاء للملك الكامل ، فاستدعى من ناظر آمد حوائج ، فكانت الرسالة ترد إليه بخط ابن لقمان ، فأعجب البها زهير خطه وعبارته ، فاستحضره ونوّه به ، وناب عنه في ديوان الإنشاء ، ثم إنه خدم في ديوان الإنشاء في الدولة الصالحية وهلم جرّاً إلى أوائل الدولة الناصرية .

قال الشيخ فتح الدين ابن سيد الناس : كان فخر الدين ابن لقمان وتاج الدين ابن الأثير صحبة السلطان على تل العجول ، ولفخر الدين مملوك اسمه الطنبا ، فاتفق أنه دعا بمملوكه المذكور ، « يا الطنبا » ، فقال : نعم ، ولم يأت ، فتكرر طلبه له وهو يقول نعم ، ولا يأت ، وكانت ليلة مظلمة ، فأخرج فخر الدين رأسه إلى الخيمة وقال : تقول نعم وما أراك ؟ فقال تاج الدين :

في ليلةٍ من جمادى ذاتِ أُنديّةٍ لا يبصرُ الكلبُ من ظلماتها الطنبا

قلت : وهذا من جملة أبيات في « الحماسة » لمرة بن محكان^٢ ، وما استشهد أحد في واقعة بأحسن من هذا أبداً .

ومن شعر فخر الدين ابن لقمان في غلامه غلمش :

لو وشى فيه مَنْ وشى ما تسلّيتُ غلمشا
أنا قد بحتُ باسمه يفعلُ اللهُ ما يشا

وله أيضاً :

كنّ كيف شئتَ فإنني بك مغرمٌ راضٍ بما فعل الهوى المتحكّمُ

١ الحرمدان (وبالحاء في الفارسية) : جراب من جلد توضع فيه الأدوات والأوراق .

٢ شرح المرزوقي ، الحماسية رقم ٦٧٥ (١٥٦٢) وشرح التبريزي ٤ : ٥٩ ومرة بن محكان شاعر إسلامي من شعراء الدولة الأموية (انظر الأغاني ٢٠ : ٩ ، ٢٢ : ٣٤٨) ومعجم المرزباني : ٣٨٣ والشعر والشعراء : ٥٧٦) .

ولئن كتمتُ عن الوشاةِ صبايبي بك فالجوانحُ بالهوى تتكلمُ
أشتاقُ من أهوى وأعلمُ أنني أشتاقُ من هو في الفؤادِ مخيمُ
يا مَنْ يصدُّ عن المحبِّ تدلُّلاً وإذا بكى وجداً غداً يتبسمُ
أسكتك القلبَ الذي أحرقتَهُ فحذارٍ من نارٍ به تنصرمُ

١٥

ابن المدبر

إبراهيم بن محمد بن عبيد الله المعروف بابن المدبر الكاتب ؛ كان كاتباً بليغاً
شاعراً فاضلاً مترسلاً ، خدم المتوكل مدة طويلة ، وكان في رتبة الوزارة ،
وكان قد غضب عليه المعتمد وحبسه ، وله في الحبس أبيات كثيرة ، منها :

أدموعها أم لؤلؤ متناثرُ يندى به الوردُ الجنيُّ الزاهرُ
لا يؤيسنك من كريم نبوةُ فالسيفُ ينبو وهو غضبُ باتر
هذا الزمانُ تسومني أيامه خَسَفاً وها أناذا عليه صابر
إن طال ليلى في الإسار فطالما أفنيتُ دهرأ ليله متقاصر
والسجنُ يحجبني وفي أكنافه مني على الضراء ليث خادر
عجباً له كيف التقتُ أبوابه والجودُ فيه والربيعُ الباكر
هلا تقطّع أو تصدّع أو هوى فعذرتة لكنه بيَ فاخر

وله في المعنى :

١ ص : جداً .

١٥ - الزركشي ١ : ٢٠ ومعجم الأدياء ١ : ٢٢٦ والأغاني ٢٢ : ١٥١ والجهشياري :
١٠٢ والوافي ٦ : ١٠٧ ؛ ولم ترد هذه الترجمة في المطبوعة .

ألا طرقت سلمى لدى وقفه الساري
هو الحبس ما فيه عليّ غضاضة
ألست ترين الخمر يظهر حسنها
وما أنا إلا كالجواد يصونه
أو الدرّة الزهراء في قعر لجة
وهل هو إلا منزل مثل منزلي
فلا تنكرن طول المدى وأذى العدا
لعل وراء الغيب أمراً يسرنا
وحيداً فريداً^١ موثقاً نازح الدار
وهل كان في حبس الخليفة من عار
وبهجتها بالحبس في الطين والقار
مقومه للسبق في طي مضمار
فلا تُجتلي إلا بهول وأخطار
وبيت ودار مثل بيتي أو داري
فإن نهايات الأمور لإقصار
يقدره في علمه الخالق الباري

ولما عزل من الأهواز جاء الناس يودعونه . فجاء أبو شراعة فأمسك الحراقة ،
وأنشد رافعاً صوته :

ليت شعري أي قوم أجذبوا
نزل اليمن من الله بهم
يا أبا إسحاق سر في دعة
فضحك ووصله :

وقال العطوي^٢ الشاعر : استأذنت علي ابن المدبّر فحجّني ، فكتبت إليه :

أتيتك مشتاقاً فلم أرَ جالساً ولا ناظراً إلا بعين قطوب
كأني غريم مقتض أو كأني نهوض حبيب أو جلوس^٣ رقيب

فأدخلني وهو يقول : هي بالله ، نهوض حبيب أو حضور رقيب .
ومن شعر ابن المدبّر :

١ ص : فريقاً ، والتصويب عن الزركشي والروافي .

٢ ص : العطري .

٣ كذا في ص ، وسترّد في السطر التالي « حضور » ، ووردت كذلك في الزركشي .

يا كاشفَ الكرب بعد شدته
لا تبلُ قلبي بشحطِ بينهمُ
ومُنزلَ الغيثِ بعدما قنطوا
فالموتُ دانٍ إذا همُ شحطوا
وله أيضاً :

قالوا أضرَّ بنا السحابُ بوكفه
لا تعجبوا ممّا ترونِ فإنّما
لما رأوه لمقلتي يحكي
هذه السماء لرحمتي تبكي

توفي إبراهيم ببغداد سنة تسع وسبعين ومائتين ، وولد سنة إحدى عشرة^١
ومائتين .

١٦

ابن لنكك

إبراهيم بن محمد بن محمد بن جعفر بن لنكك^٢ ، الشاعر ابن الشاعر ، من
أهل البصرة ؛ قدم بغداد ، وروى بها شيئاً من شعره وشعر أبيه ؛ روى عنه أبو
القاسم التنوخي قال : جلس ابن لنكك^٢ في الجامع بالبصرة ، فجلس إليه قوم من
العامة ، فاعترضوا كلامه بما غاظه ، فأخذ محبرة بعض الحاضرين وكتب من شعره :

وعصبةٍ لما توسّطتهم^٣ ضاقت^٣ عليّ الأرض كالخاتم
كأنهم من بعد إفهامهم لم يخرجوا بعدُ إلى العالم
يضحكُ إبليس سروراً بهم^٤ لأنّهم عسارٌ على آدم

١ ص : أحد عشر .

١٦ - الزركشي ١ : ١٩ واليتمية ٢ : ٣٥٨ والوافي ٦ : ١١٤ .

٢ ص : لنكك .

٣ الوافي : سارت .

٤ اليتيمة : إذا زارهم .

كأنتي بينهمُ جالسٌ من سوء ما شاهدت في ماتم
 فاعترضه ولده وقال : يا أبةِ أبياتك متناقضة ، ولكن اسمع ما عملت :
 لا تصلحُ الدنيا ولا تستوي إلاّ بكمُ يا بقَرَ العالمِ
 مَنْ قال للحرثِ خلقتم فلم يكذبُ عليكم لا ولمْ ياثم
 ما أنتمُ عسارٌ على آدمٍ لأنتمُ غيرُ بني آدمِ
 توفي في حدود الأربعمئة ، رحمه الله تعالى .

١٧

عز الدين السويدي الطيب

إبراهيم بن محمد بن طرخان ، عز الدين أبو إسحاق الأنصاري الطيب
 المعروف بابن السويدي ، شيخ الأطباء بالشام ؛ ذكر أنه من ولد سعد بن معاذ سيد
 الأوس ، رضي الله عنه . ولد سنة ستمائة بدمشق ، وسمع من ابن ملاعب وأحمد
 ابن عبد الله السلمي ، وعلي ابن عبد الوهاب أخي كريمة ، وتفرد عنه ، وابن
 مسلمة وزين الأمان ابن عساكر ، وقرأ « المقامات » سنة تسع عشرة^٢ على التقي
 خزعل النحوي ، وقرأ الأدب والنحو على ابن معطي ، وأخذ الطبّ عن الدخوار ،
 وبرع فيه وصنف فيه ، ونظر في علم الأوائل ، وله شعر وفضائل ، وكتب بخطه
 الكثير ، وكان مليح الكتابة ، كتب « القانون » لابن سينا ثلاث مرات ؛ وكان

١ ص : ولا ؛ والتصويب عن اليتيمة .

١٧ - الزركشي ١ : ١٠ والمنهل الصافي ١ : ١٢٤ والروافي ٦ : ١٢٣ والنجوم الزاهرة ٨ : ٢٨

والدارس ٢ : ١٣٠ والشذرات ٥ : ٤١١ ؛ وهي شديدة الإيجاز في المطبوعة .

٢ ص : تسع عشر .

أبوه تاجراً من السويداء بحوران .

قال ابن أبي أصيبعة في تاريخه^١ : له من الكتب « الباهر في الجواهر »
و « التذكرة » في الطب في ثلاث مجلدات ، وهي من أحسن كتب الطب ، وكانت
وفاته سنة تسعين وستمائة ، ودفن بتربته إلى جانب الخانقاه الشبلية ، رحمه الله .
ومن شعره :

لو أنّ تغيير لون شبيبي يُعيدُ ما فات من شبابي
لما وفي لي بما تلاقي روعي من كلفة الخصاب

ومن شعره :

ومدام حُرمتها لصيامٍ قد توالى عليّ في رمضان
وأقاموا الحدود فيها بلا - دامت فدامت ندامة الندمان
وتغالى العلوجُ فيها بزعمٍ وحموها من كل إنس وجان
ثم قالوا المطبوخُ حلٌّ فأفنو ها طييحاً بلاعج النيران
طبخواها بنارٍ شوقي إليها فغدت مهجةً بلا جثمان

١٨

ابن معضاد

إبراهيم بن معضاد بن شداد الشيخ برهان الدين الجعبري . قال أبو حيان :
رأيت المذكور بالقاهرة وحضرت مجلسه أنا والشيخ نجم الدين ابن مكّي ، وجرت

١ انظر عيون الأنباء ٢ : ٢٦٦ - ٢٦٧ .

١٨ - الزركشي ١ : ١٨ والمنهل الصافي ١ : ١٦٣ والوافي ٦ : ١٤٧ وطبقات السبكي ٥ : ٤٩
والنجوم الزاهرة ٧ : ٣٤٧ والشذرات ٥ : ٣٩٩ ؛ ولم ترد هذه الترجمة في المطبوعة .

لنا معه حكاية ، وكان يجلس للعوام يذكرهم ، ولهم فيه اعتقاد ، وكان له مشاركة في العلم والطب .

وله شعر منه من أبيات :

عشقوا الجمال مجرداً بمجرد الـ روحِ الزكية عشق من زكاها
متجردين عن الطباعِ ولؤمها متلبسين عفاها وتقاهها
متمثلين بصورةٍ بشريّةٍ وقلوبهم ملكيّة بقواها
كتمثل الروح الأمين بدحيةٍ [إذ باليتيم له تمثل طاها]¹

قال : لما مرض مرض موته أمر أن يخرج به إلى مكان مدفنه ظاهر القاهرة بالحسينية ، فلما وصل إليه قال له : قُبِير ، جاك دُبِير ، وتوفي بعد ذلك بيوم سنة سبع وثمانين وستمائة ؛ ولأصحابه فيه مغلاة وعقيدة ، وكل من يعرفه يعظمه ويثني عليه ، وعليه مأخذ في عباراته . جاوز الثمانين بسنوات ، رحمه الله تعالى .

١٩

المعمار

إبراهيم الخائك ، وقيل المعمار ، وقيل الحجار ، غلام النوري المصري : عامي مطبوع تقع له التوريات المليحة المتمكنة ، لا سيما في الأزجال والبلاليق ، فمن مقاطيعه اللائقة قوله :

١ سقط من ص : وأكملته من الزركشي والوافي .

١٩ - الزركشي ١ : ١٠ وسماه إبراهيم بن أحمد ، والمنهل الصافي ١ : ١٧٤ وهو عنده إبراهيم

ابن علي ، والوافي ٦ : ١٧٣ وأعيان مصر : ٣ : ٤ والدرر الكامنة ١ : ٥٠ .

وصاحب أنزل بي صفةً
وقال في ظهرك جاءت يدي
فاغتظتُ إذ ضيَّع لي حرمتي
قلت : لا والعهد في رقبتي
وله أيضاً :

ومُفَتَّن يَهْوَى الصفا
سَلَّمْتُهُ عُنُقِي السدقي
عَ ولم يكن إذ ذاك فَنِي
قَ فراح ينخلهُ بغبن
لكنه من خلف أذني
لأمرته بالكفِّ عني
لولا يَدٌ سبقتُ لهُ
وله أيضاً :

أيري إذا ندبتهُ
قام لها بنفسه
لحاجة تعرِّضُ بي
ما هو إلاَّ عصبي
وله أيضاً :

عابت أيري إذ جاء ملثماً
بل قال لي حين لمته : قسما
بالخرء من علقه فما أكثرنا
ما جزت حمام قعره عبثا
أقلبُ ماءً وأرفع الحدئا
كيف وفيها طهارتي ' وبها
وقال أيضاً :

لما جلوا لي عروساً لست أطلبها
فقلتُ لما رأيت النهدَ متنفساً
قالوا ليهنك هذا العرسُ والزينه
رُمانة كتبت يا ليتها تينه
وقال أيضاً :

قال لي العاذلون أنحلِكَ الح
إذا صرتَ من جفاهم عظاماً
بُ وأصبحتَ في السقام فريدا
أبوصلِّ تعود خلقاً جديداً؟

ما رأينا ولا سمعنا بهذا
قلت: كونوا حجارة أو حديدًا
وقال أيضاً :

لثمتُ عذار محبوبي الشرابي
حفظت الياسون كما يقولوا
ورحت تضيّع الورد المرّبي
فقال : تركت لثم الخلد عجباً
وقال أيضاً :

قلت له هل لك من حرفةٍ
فقال : يغنيني ردفي الذي
تعيش بها بين الورى أو سببُ
أسموه عشاقى تليل الذهب
وقال أيضاً :

لما جلوا عرسي وعابنتها
فقلتُ للدلالِ ماذا ترى ؟
وجدت فيها كلَّ عيبٍ يقالُ
فقال ما أضمنُ إلاّ الحلال
وقال أيضاً :

لج العَدول ولامتي
فهمتُ أطمُ رأسه
فمن أحبُّ وعَنفا
مما ملئت تأسفا
لكنها زلقت يدي
وقعت^١ على أصل القفا
وقال أيضاً :

هويتُ طبأخاً سلاني وقد
محرّقا إذ لم يزل بالجفا
فلا فؤادي بعد ما رده
يغرفُ لي أحمصَ ما عنده
وقال أيضاً :

شكوتُ للحبِّ منتهى حرقى
قال : تداوى بريقتي سحرأ
وما ألقىه من ضنى جسدي
فقلت : يا بردّها على كبدي

١ الواني : نزلت .

وقال :

يا قلبُ صبراً على الفراقِ ولو روَّعتَ ممَّنْ تحبُّ باليينِ
وأنت يا دمع إن ظهرتِ بمسا يخضيه قلبي سقطتَ من عيني

وله غير ذلك . بلغنا وفاته في شهور سنة تسع وأربعين وسبعمائة ، رحمه الله تعالى .

٢٠

ظهير الدين البارزي

إبراهيم بن [. . .]^١ البارزي الحموي ، ظهير الدين ؛ قال الشيخ أثير الدين أبو حيان : رأيت المذكور ، شيخ صوفي من أولاد الرؤساء بحماة ، له أدب ، وأنشدني :

لئن فتكت الحاظه بحشاشتي وساعدها بالهجر واعتزّ بالحسن
فلا بدّ أن تقتصّ لي منه ذقنه وتذبجه قهراً من الأذن للأذن
وأنشدني أيضاً :

غدا أسوداً بالشعر أبيض خدّه فأصبح من بعد التنعم في ضنك
على حظه أضحى يخطّ عذاره فنادتُها عيناه حزناً : قفا نبك^٢
وأنشدني أيضاً :

٢٠ - الزركشي ١ : ٢١ والوافي ٦ : ١٧٨ .

١ بياض في ص ؛ وهو إبراهيم بن محمد بن مرشد بن مسلم الجهني البارزي .

٢ ص : نبكي .

أراكَ فأستحيي وأطرقُ هيبَةً
وهيهات أن يخفى وأنت جعلتني
وله أيضاً :

يذكرني وجددي الحمامُ إذا غنّيتُ
ولكن إذا غنّيتُ أجبتُ بأنسةٍ
تجولُ عيوني في الرياضِ لتجتلي
وما وردها والرجسُ الغضُ نايساً
فأعربَ دمعي بالذي أنا كاتمٌ
ولو أن بيضَ الهندِ ممّا تردّني
لقبّلتُ حدّ السيفِ حبّاً لطرفه
وخضتُ عجاج الموت والموت طيباً
حفظنا على حكمِ الوفاءِ وضيعوا
وضنوا على المضنى بسذل تحية

وكتب إلى من رزق توم^١ ذكر وأنثى من جارية سوداء :
وخصّك ربُّ العرش منها بتوأمٍ
وأيرك أضحي وارثاً علم جابر
وقال في مליح شواء :
بطلعته على كلّ البرايا
يشمرها ويقطعُ لي اللّوايا

وشواءٍ بديع الحسن يُزهي
فواشوقساه للأفخاذِ منه
وله أيضاً :

يا لحية الحِبِّ الذي^٢ زال لها تشبي

١ كذا في ص ؛ وفي الواقي : توأمين .
٢ الواقي : التي .

هل أنت فوق خدّه الـ وردى مسك تبتّ^١

توفي بعد الثمانين وستمائة ، رحمه الله وإيانا .

٢١

الفاروئي

أحمد بن إبراهيم بن عمر بن الفرج^٢ بن أحمد بن سابور ، الإمام المقرئ الواعظ المفسر الخطيب الشيخ عز الدين الفاروئي الواسطي الشافعي الصوفي ؛ ولد بواسط سنة أربع عشرة^٣ وستمائة ، وتوفي سنة أربع وتسعين وستمائة ، قدم بغداد وسمع من ابن كرم ومن شهاب الدين السهروردي ، ولبس منه خرقة التصوف ، وأبي الحسن القطيعي وابن الزبيدي وابن اللي و ابن سكينه والأنجب ابن أبي السعادات وابن روزبه وابن بهروز^٤ وابن ياسين^٥ وأبي بكر ابن الخازن وابن القبيطي وغيرهم .

وكان فقيهاً مفتياً مدرساً عارفاً بالقراءات ووجوهها ، خطيباً زاهداً عبداً

١ الوافي : تنبتي، وصورة الكلمة في ص قريبة من ذلك ؛ وعلق الصفدي على ذلك بأن فيه لحناً وكان يجب أن يقول « تنبتين » قال : « والصحيح أن الأرض التي ينسب إليها المسك يقال لها أرض التبت » - على وزن عمر - .

٢١ - طبقات السبكي ٥ : ٣ وعبر الذهبي ٥ : ٣٨١ وطبقات الاسنوي ٢ : ٢٩٠ والوافي ٦ : ٢١٩ وغاية النهاية ١ : ٣٤ والدارس ١ : ٣٥٥ والشذرات ٥ : ٤٢٥ ؛ ولم ترد هذه الترجمة في المطبوعة .

٢ ص : الفرج .

٣ ص : أربع عشر .

٤ الوافي : بهزور .

٥ الوافي : رياسين .

صوفياً صاحب أوراد وحسن أخلاق وكرم إيثار ومروءة وفتوة وتواضع ، له أصحاب ومريدون . ولي مشيخة الحديث بالظاهرية ، والإعادة بالناصرية ، وتدرّس النجيبية ، ثم ولوه خطابة البلد بعد زين الدين ابن المرحل ، وكان يخطب من غير تكلف ولا يتلعم ، ويخرج من الجمعة وعليه السواد ، ويشيع الجنازة ويعود المرضى ويعود إلى دار الخطابة .

وله نوادر . وكان الشجاعى قائلاً به ، ثم عزل عن الخطابة بموفق الدين ابن حبّيش الحموي ، فتألم لذلك ، وترك الجهات ، وأودع بعض كتبه ، وكانت كثيرة جداً ، وسار مع الركب الشامي سنة إحدى وتسعين ، وسار مع حجاج العراق إلى واسط .

وكان لطيف الشكل ، صغير العمامة ، يتعاني الرداء على ظهره ، وخلف من الكتب ألفي مجلدة ومائتي مجلدة . وكانت وفاته بواسط ، وصلي عليه بدمشق بعد سبعة أشهر ، رحمه الله تعالى وإيانا .

٢٢

عماد الدين الواسطي

أحمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن الشيخ القدوة ، عماد الدين ابن شيخ الحزامية الواسطي الشافعي الصوفي ، نزيل دمشق ؛ تفقه وتأدب ، وكتب المنسوب^١ ، وتجرد ولقي المشايخ ، وتزهد وتعبد ، وصنف في السلوك والمحبة ، وشرح « منازل السائرين » واختصر « سيرة ابن هشام » و « دلائل النبوة » . وكان

٢٢ - لم ترد هذه الترجمة في المطبوعة ؛ وانظر الوافي ٦ : ٢٢١ وأعيان العصر : ٤٧ والمنهل الصافي ١ : ١٩٦ والدرر الكامنة ١ : ٩٦ والشذرات ٦ : ٢٤ .
١ المنسوب : خط ينسب إلى ابن مقلة .

يتبلغ من نسخه ولا يجب الخوانك ولا الاحتجاز^١ .
 قال الشيخ شمس الدين : جالسته مرات ، وانتفعت به ، وكان منقبضاً عن
 الناس ، تسلّك به جماعة ، وكان ذا ورع وإخلاص ومناذرة للاتحادية ، وله
 نظم . عاش بضعاً وسبعين سنة ، وتوفي بالبيمارستان الصغير ، سنة إحدى عشرة^٢
 وسبعمائة ، ودفن بسفح قاسيون ، رحمه الله تعالى .

٢٣

شرف الدين المقدسي

أحمد بن أحمد بن أحمد ، الإمام شرف الدين المقدسي أقضى القضاة ،
 خطيب الشام ، بقية الأعلام ؛ كان إماماً فقيهاً متفنناً^٣ للمذهب والأصول والعربية
 حاد الذهن ، سريع الفهم ، بدیع الكتابة إماماً في تحرير الخط المنسوب ؛ درس
 بالشامية الكبرى ، وناب في الحكم عن الخويي ، وكان من طبقتة ، وولي دار
 الحديث النورية ، ثم ولي خطابة الجامع الأموي . ولد سنة اثنتين وعشرين بالقدس ،
 وتوفي سنة أربع وتسعين وستمائة ، وكان أبوه خطيب القدس .
 أجاز له ابن عبد السلام والسهوروردي ، وكان له حلقة اشغال عند الغزالية ،

١ ص : الاحتجاز .

٢ ص : إحدى عشر .

٢٣ - الزركشي ١ : ٢٤ والمنهل الصافي ١ : ٢١٢ وهو عنده «قاضي القضاة أحمد بن أحمد بن
 نعمة بن أحمد شرف الدين النابلسي المقدسي» . وانظر الوافي ٦ : ٢٣١ وطبقات السبكي
 ٥ : ٧ وبغية الوعاة : ١٢٧ والدارس ١ : ١١١ والبداية والنهاية ١٣ : ٣٤١ وعبر الذهبي
 ٥ : ٣٨٠ والشذرات ٥ : ٤٢٤ وطبقات الاسنوي ٢ : ٤٥٦ ، ٥٥٥ ؛ ولم ترد هذه
 الترجمة في المطبوعة .

٣ الوافي : محققاً ، وهو أصوب .

تخرج به جماعة ، وانتهت إليه رياسة المذهب بعد الشيخ تاج الدين ، وكان متواضعاً كَيْساً حسن الأخلاق طويل الروح على التعليم ، متين الديانة حسن الاعتقاد . فمن شعره :

احججُ إلى الزهر لتحظى^١ به وارم جمارَ الهمّ مستهترا^٢
من لم يطف بالزهر في وقته من قبلِ أنْ يخلقَ قد قصرَا
وقال في الدولاب :

وما أنثى وليست ذات فرجٍ وتحملُ دائماً من غيرِ فحلٍ
وتلقي كل آونة جنيناً فيجري في الرياضِ بغيرِ رجلٍ
وتبكي حين تلقيه عليه بصوتِ حزينَةٍ ثكلى بطفلٍ

٢٤

القادر بالله

أحمد بن إسحاق أمير المؤمنين القادر بالله ؛ بويع له بالخلافة عند القبض على الطائع ، في حادي عشر رمضان سنة إحدى وثمانين وثلثمائة ، ومولده سنة ست وثلاثين وثلثمائة ، وكان أبيض كث اللحية طويلها ، يخضب شيبته ، وكان من أهل السمر والصيانة وإدامة التهجد ، وبقي خليفة إحدى وأربعين سنة وثلاثة أشهر . توفي ليلة الاثنين الحادي عشر من ذي الحجة سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة ،

١ ص : واسمى ، والتصويب عن المنهل الصافي والوافي .

٢ المنهل والوافي : مستنفرا ، وهو أصوب .

٢٤ - لم ترد هذه الترجمة في المطبوعة ؛ وراجع كتب التاريخ العامة ، وانظر بخاصة : الوافي

٦ : ٢٣٩ وتاريخ الخلفاء : ٤٤٢ والفخري : ٢٥٨ والروحي : ٦٤ والمنتظم ٨ : ٥٧

وتاريخ بغداد ٤ : ٣٧ .

ودفن بدار الخلافة ، وصلى عليه ولده القائم بأمر الله . عاش سبعاً وثمانين سنة ،
ثم نقل تابوته إلى الرصافة ، ولم يبلغ أحد من الخلفاء قبله هذا العمر ، ولا أقام
في الخلافة هذه المدة . ومن شعره :

ما الزهد أن تُمنع الدنيا فترفضها ولا تزال أخوا صومٍ حليفَ دعا
وإنما الزهد أن تحوي البلاد وأر قابَّ العباد فتلقى عادلاً ورعا

وبينما القادر يمشي ذات ليلة في أسواق بغداد إذ سمع شخصاً يقول لآخر :
قد طالت دولة هذا المشوم ، وليس لأحد عنده نصيب ، فأمر خادماً كان معه
بالتوكل عليه ، وأن يحضره بين يديه ، فما شك أنه يبطش به ، فسأله عن صنعته
فقال : إني كنت من السُّعاة الذين يستعين بهم أرباب هذا الأمر على معرفة أحوال
الناس ، فمذ ولي أمير المؤمنين أقصانا ، وأظهر الاستغناء عنا ، فتعطلت معيشتنا
وانكسر جاهنا ، فقال له : أتعرف من في بغداد من السعاة مثلك ؟ قال : نعم ،
فأحضر كاتباً ، وكتب أسماءهم ، وأمر بإحضارهم ، ثم أجرى لكل واحد منهم
معلوماً ، ونفاهم إلى الثغور القاصية ، ورتبهم هناك عيوناً على أعداء الدين ،
ثم التفت إلى من حوله وقال : اعلموا أن هؤلاء ركب الله فيهم شراً وملاً صدورهم
حقداً على العالم ، ولا بدَّ لهم من إفراغ ذلك الشر ، فالأولى أن يكون ذلك في
أعداء الدين ، ولا ننتص بهم المسلمين . رحمه الله تعالى .

أبو جلنك الشاعر

أحمد بن أبي بكر شهاب الدين أبو جلنك الحلبي الشاعر المشهور بالعبارة والنوادر ؛ كان فيه همة وشجاعة ، نزل من قلعة حلب للإغارة على التتار ، فوقع في فرسه سهم ، فوقع وبقي راجلاً ، فأسروه وأحضر بين يدي مقدم التتار ، فسأله عن عسكر المسلمين ، فكثروهم وعظّم شأنهم ، ف ضرب عنقه سنة سبعمائة^١ :

يقال : إنه دخل الموصل وقصد الطهارة ، وعلى بابها خادم ، وعنده أكيال ، وهو مُرصد لمن يدخل يناوله كيل ماء للاستنجاء ، فدخل أبو جلنك على عادة البلاد ، ولم يعلم بالأكيال ، فصاح به ذلك الخادم ، وقال : قف خذ الكيل ، فقال : أنا أخرا جزأف^٢ ، فبلغت الحكاية صاحب الموصل ، فقال : هذا مطبوع ، فطلبه ونادمه .

قال القاضي جمال الدين ابن ريان : لازمنا مدة ، فكان ينتبه نصف الليل فيكرر عليّ محافظه ، منها « مختصر ابن الحاجب » ثم يشبب ويزمزم ، فإذا أصبح توضأ وصلى الصبح . من شعره لغز في مسعود :

اسم الذي أهواه في حروفه مسألة في طيها مسائل
خمسه فعل وهو في تصحيفه مبيّن والعكس سمّ قاتل
تضيء بعد العصر إن جئت به مكرراً من عكسك المنازل

٢٥ - الزركشي ١ : ٢٥ والمنهل الصافي ١ : ٢٠٦ والوافي ٦ : ٢٧١ وأعيان العصر : ٥٠

والنجوم الزاهرة ٨ : ١٩٤ .

١ أحمد سبعمائة : لم يرد في المطبوعة .

٢ كذا في ص .

وهو إذا صحفته مكرراً
وفيه طيب مطربٌ وطالما
فاكهة يلتذّ منها الآكل
هاجت على أمثاله البلابل^١

ومن شعره :

أتى العذارُ بماذا أنتَ معتذر
لا عذر يُقبل إن نَمَّ العذار ولا
وأنت كالوجد لا تبقي ولا تذرُ
كأنني بوحوش الشعْر قد نزلت
ينجيك من خوفه بأس ولا حذر
وكلما مرّ بي مردٌ أقولُ لهم :
بوجتيتك وبالعشاق قد نفروا
قفوا انظروا وجه هذا الحروا
واعتبروا

وكان قد مدح قاضي القضاة شمس الدين ابن خلكان ، فوقع له برطلين خبز ، فكتب على بستانه^٢ :

لله بستانٌ حللنا دَوْحَه
والبانُ تحسبه سنازيراً رأت
والورق قد صدحت عليه لما بها^٣
قاضي القضاة فنفتت أذناها^٤

يقال إن الشيخ بدر الدين ابن مالك وضع على هذين البيتين كراسة في البديع .
وله أيضاً :

لا تحسبن خضابها النامي على الـ
لكنها بالهجر خاضت في دمي
قدمين بالمتكلف المصنوع
فتسرّبتْ أقدامها بتنجيع
وله أيضاً :

جعلتك المقصد الأقصى وموطنك الـ
بيت المقدس من روحي وجشmani

١ قال القاضي . . . البلابل : لم يرد في المطبوعة .

٢ العبارة في المطبوعة : برطلين خبزاً كل يوم ، فكتب على لسانه وقد دخل بستاناً للقاضي فيه منظره ، فكتب فيها .

٣ الوافي : في جنة قد فتحت أبوابها .

٤ قال صاحب المنهل الصافي : لعله وهم في هذه الحكاية ، وما هي مشهورة إلا عن قاضي القضاة ابن الزملكاني .

وقلبك الصخرة الصماء حين قست
أما إذا كنت ترضى أن تقاطعني
فلا تغررتك نار في حشاي فمن
الطف من هذا قول القائل :

أيا قدس حسن قلبه الصخرة التي
ويا سؤلي الأقصى عسى باب رحمة
ومن شعره أيضاً :

ماذا على الغصن^١ الميال لو عطفاً
وعاد لي^٢ عائد^٣ منه إلى صلة
صفا له القلب حتى لا يمازجه
وزارني طيفه وهناً ليؤنسي
ورمت من خصره برء أفزدت ضنني
حكى الدجى شعره طولاً فحاكمه^٣

ومال عن طرُق الهجران وانحرفا
حسبي من الشوق ما لاقيته وكفى
شيء سواه وأماً قلبه فصفا
فاستصحب النوم من جفني وانصرفا
وطالب البرء والمطلوب قد ضعفا
فضاع بينهما عمري وما انتصفا

٢٦

ابن الديبشي

أحمد بن جعفر بن أحمد بن محمد الديبشي ، أبو العباس البيع ، من أهل
واسط ، من أعيانهم حشمة وتمولاً ، وهو ابن عم الحافظ أبي عبد الله بن الديبشي .

١ المنهل : غصته .

٢ المنهل : وعائدي .

٣ المنهل : فخاصمه .

٢٦ - الزركشي ١ : ٢٦ وعقود الجمان ١ : ١٥٨ والوافي ٦ : ٢٨٣ ؛ وقد أخلت المطبوعة

بكثير مما جاء في هذه الترجمة .

قدم بغداد مرّات ، ورؤي بها شيء من شعره ؛ قال ابن النجار : ولم يتفق لي لقاءه ، وكان قد ضمن البيع بواسطة ، ثم عطل وصادر على أموال كثيرة .
أورد له ابن النجار :

يروم صبراً وفرط الوجد يمنعه
إذا استبان طريق الرشد واضحه
محلاً ذاده عن عذب مورده
مشحونة بالهوى والشوق أضلعه
تصبيه أن هتفت ورقاء ضاحية
تسنمت من غصون البان مرتعداً
خضباء ضافية السربال ناعمة
لا إلفها نازح تنهل أدمعها
عانت يدُ البين في قلبي لتقسمه
كأنما آلت الأيام جاهدة
روعت يا دهر قلبي بالبعاد وكم
وأنت يا بين قلبي كم تذوقه
وكم مرّامٍ لقلبي ليس يبلغه
من لي بمن قلبه قلبي فأسمعه
قلّ الوفاء فما أشكو إلى أحد
يا خالي القلب قلبي حشوه حرق
إن خنت عهدي فإنني لم أخنه، وإن
هذا مقام ذليل عزّ ناصره
يلومه في الهوى قوم وما علموا
من لا يكابد فيه ما أكابده
تمرّ أقوالهم صفحاً على أذني
سلوه ودواعي الشوق تردعه
عن الغرام فيثنيه ويرجعه
جور الزمان وطام عزّ مشرعه
ومفعم القلب بالأحزان مرّعه
في كل يوم لها لحن ترجعه
نحطه الريح أحياناً وترفعه
جناها دمث الأكتاف مرّعه
عليه وجداً كما تنهل أدمعه
على الهوى وعلى الذكرى توزّعه
لما تبدّد شملي لا تجمعه
قد بات قلبي ولا شيء يروعه
مرّ الأسى وفؤادي كم تجرعه
تصدّه عنه أسباب وتمنعه
بشيّ فيبسط من عندي ويوسعه
إلاّ أكبّ على قلبي يقطعه
وهاجع الليل ليلي لست أهجمه
ضيعت ودّي فإنني لا أضيعه
يشكو إليك ، فهل شكواه تنفعه؟
أنّ الملامة تغريه وتولعه
منه ويوجعني ما ليس يوجعه
مرّ الرياح بسلمي لا تززعه

من متقدي من يدَي من ليس يرحمني
آتبه بالصدق من قولي فيدفعه
لو خفف الثقل عن قلبي وعالله
لكنه صرّح المهجران فالتهمت
أقول أسلو فتأتيني بدائعه
وليلة زارني فيها على عجل
وبات مستنطقاً أوتار مزهره الـ
إذا لوت كفه الملوى سمعت لها
فبت أنظره بدرأ ، وأرشفه
وقام والوجد يُبْطيه ويعجله

قلت : أظنه عارض بهذه القصيدة عينية ابن زريق المشهورة التي أولها :

لا تعذليه فإنّ العذلَ يولعه
قد قلتِ حقاً ولكن ليس يسمعه

وجيد هذه أكثر من جيد تلك .

وكانت وفاة ابن الدبشي بواسطة سنة ثمان وخمسين وخمسمائة ، رحمه

الله تعالى .

٢٧

المعتمد على الله

أحمد بن جعفر أمير المؤمنين ، المعتمد على الله بن المتوكل بن المعتصم ، ولد
سنة تسع وعشرين ومائتين بسرّ من رأى ؛ كان أسمر رقيقاً أعين خفيفاً لطيف

٢٧ - الزركشي ١ : ٢٧ والروحي : ٥٧ والفخري : ٢٢٦ وتاريخ الخلفاء : ٣٩٢ والوافي

٦ : ٢٩٢ ؛ ولم ترد هذه الترجمة في المطبوعة .

اللعية جميلاً ، توفي ليلة الاثنين تاسع عشر رجب سنة [تسع وسبعين ومائتين]^١ ببغداد ، وحمل فدفن بسامراً ، وكانت خلافته ثلاثاً^٢ وعشرين سنة وستة أيام ، وقيل إنته سم في رعوس الجداء ، وقيل بل لف في بساط وشد عليه حتى مات ، وقيل إن الذين أكلوا معه من الرعوس ماتوا ؛ وكان منهمكاً على اللذات ، فاستولى أخوه الموفق على الأمور ، وكان يشرب ويعربد على الندماء ، واستولى بعده ابن أخيه الموفق ، المعتضد .

قال المرزباني في « معجم الشعراء » : وكان يقول الشعر ويغني به المغنون ،

فمن شعره :

طال والله عذابي واهتمامي واكتنابي
 بغزال من بني الأصفر لا يعنيه ما بي
 أنسا مغرى بهواه وهو مغرى بعذابي
 فإذا ما قلت صلي كان « لا » منه جوايبي

ومن شعره وقد نقله الموفق من مكان إلى مكان :

ألفتُ التباعده والغربة ففي كل يوم لنا تُرْبُهُ
 وفي كل يوم لنا حادث يؤدي إلى كبدي كربه
 أمر الزمان لنسا طعمه فما إن أرى ساعة عذبه

ومن شعره :

بليت بشادن كالبدر حسناً يعذبني بأنواع الحنقاء
 ولي عينان دمعهما غزير ونومهما أعز من الوفاء

وأطربته يوماً مغنية فأمر لها بشيء ، فلم ينجز لها ، فقال :

١ سقط من ص .

٢ ص : ثلاث .

أليس من العجائب أن مثلي يرى ما قلّ ممتنعاً عليه
وتؤكل باسمه الدينيساً جميعاً وما من ذلك شيء في يديه

٢٨

[الناصر لدين الله]

أحمد بن الحسن أمير المؤمنين الإمام الناصر لدين الله ، أبو العباس ابن الإمام
المستنصر ؛ ولد يوم الاثنين عاشر رجب سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة ، وبويع
له في أول ذي القعدة سنة خمس وسبعين ، وتوفي سلخ رمضان سنة اثنتين وعشرين
وستمائة ، فكانت خلافته سبعاً^١ وأربعين سنة .

وكان أبيض اللون تركي الوجه مليح العينين أنور الوجه^٢ ، خفيف العارضين ،
أشقر ، رقيق المحاسن ؛ نقش خاتمه « رجائي من الله عفوهُ » . ولم يل^٣ الخلافة
أطول مدة منه ؛ وكان شاباً مرحاً عنده منعة^٤ الشباب ، يشق الدروب والأسواق
أكثر الليل ، والناس يتهيئون لقاءه ، وظهر التشيع في أيامه ثم انطفا ، وظهر
التسنن المفرط ثم زال ، وظهرت الفتوة والبندق والحمام الهادي ، وتفنن الناس
في ذلك ، وألبس الملك العادل وأولاده سراويلات الفتوة ، وكذلك للملك شهاب
الدين الغوري صاحب غزنة وملك الهند وجميع الملوك الذين كانوا في أيامه ،

٢٨ - انظر كتب التاريخ العامة ؛ والروحي ؛ ٦٨ والفخري ؛ ٢٨٥ وتاريخ الخلفاء ؛ ٤٨٠
ومرآة الزمان ؛ ٦٣٥ والوافي ؛ ٦ ؛ ٣١٠ ونكت الحميان ؛ ٩٣ والمنهل الصافي ؛ ١ ؛ ٢٦٤ ، ولم
ترد هذه الترجمة في المطبوعة .

١ ص : سبع .

٢ الوافي : الجبهة .

٣ ص : يلي .

٤ الوافي : ميمة .

وكان شديد الاهتمام بالملك ومصالحه لا يكاد يخفى عليه شيء من أمور رعيته ، كبارهم وصغارهم ، وكان له حيل لطيفة ومكايد خفية ، يوقع الصداقة بين ملوك متعادين ، ويوقع العداوة بين ملوك متصادقين .

قال أبو المظفر سبط ابن الجوزي : قلَّ بصر الخليفة في آخر عمره ، وقيل بل ذهب ، وكانت جاريته تُعلم عنه ، وكان قد علمها الخط ، فكانت تكتب مثل خطه .

ولما مات بويغ لولده أبي نصر ، ولقب بالظاهر لأمر الله . وكان الناصر سيء السيرة ، خرب في أيامه العراق ، وتفرق أهله في البلاد ، وأخذ أموالهم وأملاكهم . وكان يفعل الشيء وضده ، وجعل همه في رمي البندق والطيور المنسوبة وسراويلات الفتوة ، وملك من المماليك ما لم يملكه خليفة ، وخطب له بالأندلس والصين . وكان أسد بني العباس .

وكتب إليه خادم اسمه يمن ورقة تتضمن عتباً^٢ ، فكتب إليه الناصر :
يَمْنُ يَمْنُ يَمْنُ ، ثَمَنُ يَمْنُ يَمْنُ يَمْنُ يَمْنُ يَمْنُ .

ولما صرف ابن زبادة^٣ عن عمل كان يتولاه ، ولم يعرف ابن زبادة سبب عزله ، كتب إلى الناصر شعراً منه :

هب أن ذلك عن رضاك فمن ترى يدري مع الإعراض أنك راض

فوقع له على رقعة : الاختيار صرّفك ، والاختبار صرّفك ، وما عزلناك لخيانة ولا لجناية ، ولكن للملك أسرار لا تطلع عليها العامة ، ولتعلمن نبأه بعد حين .
ومن شعر الناصر :

١ ص : أبو .

٢ ص : عتب .

٣ ص : زيادة ؛ وأرجح أن المشار إليه هو أبو طالب يحيى بن أبي الفرج سعيد المعروف بابن زيادة (ابن خلكان ٦ : ٢٤٤) أو ابن له ، وقد ضبط ابن خلكان «زيادة» بالباء الموحدة وقال : هو القطعة من الزباد الذي يتطيب به النسوان .

زعموا أنني أحبّ علياً صدقوا كلهم لديّ عليّ
كلُّ من صاحب النبيّ ولو طُرِّه فته عين فحقه مرعي
فلقد قلّ عقلٌ كلُّ غبيّ هو من شيعة النبيّ بريّ

وقال أيضاً :

إن طال عمري فما قصرتُ في كرمٍ ولا حراسةٍ ملكي من أعاديه
عُربٌ وعجمٌ ورومٌ كلهم طمعوا فلم يفوزوا بشيءٍ غير تمويهه
بليت حتى بأدنى الناس من خلدي يريد موتي وبالأرواح أفيديه

يشير بذلك إلى ولده الظاهر بالله، وسيأتي ذكره في ترجمته، إن شاء الله تعالى .
وكان بالناصر أمراض منها عسر البول والحصى ، ووجد منه شدة ، وشقّ
ذكره مراراً ، سامحه الله تعالى وإيانا .

٢٩

الحاكم بأمر الله العباسي

أحمد بن الحسن ، الإمام الحاكم بأمر الله أبو العباس ابن الأمير أبي علي
الحسن ابن أبي بكر بن علي بن أمير المؤمنين ، المسترشد بالله العباسي البغدادي .
قدم مصر ، ونهض ببيعته الملك الظاهر بيبرس الصالحي ، وبويع له سنة
إحدى وستين وستمائة ، وخطب بالناس ، وكان ملازماً لداره ، فيه عقل
وشجاعة وديانة ، وله راتب يكفيه من غير سرف . امتدت أيامه ، وعهد بالخلافة

٢٩ - تاريخ الخلفاء : ٥١١ والروافى ٦ : ٣١٧ وأعيان العصر : ٦٥ والمنهل الصافي ١ : ٢٩١
والدرر الكامنة ١ : ١٢٨ ؛ ولم ترد هذه الترجمة في المطبوعة .

إلى ولده المستكفي بالله أبي^١ الربيع سليمان، وتوفي سنة إحدى وسبعمئة ، وهو في عشر الثمانين وكانت خلافته أربعين سنة ، ولم يكن له من الخلافة غير الخطبة والسكة .

٣٠

[المسيلي]

أحمد بن الحسين بن محمد المسيلي : ذكره ابن الأبار في « تحفة القادِم »^٢ ؛
توفي في حدود الخمسمائة ، رحمه الله تعالى . من شعره :

خطرت على وادي العذيب بأدمعي فما جَزَتْهُ إِلَّا وأكثرُهُ دمُ
وقد شربتُ منه كرامُ جِيَادنا فكادتُ^٣ بأسرارِ الهوى تتكلمُ
سرى البرق من نعمانَ يخبرُ أَنه سيشقى بكم من كان بالأمس ينعمُ
رحلتم وهذا الليل فيكم ولم يعد إليّ سواه منكم إذ رحلتمُ
وما أنا صبٌّ بالنجومِ وإنما تخيل لي الأشواقُ أنكم همُ
وله أيضاً :

متى طلعت تلك الأهلة في الحُمُرِ ونابت لنا تلك العيونُ عن الحَمَرِ
ومن علم الأعجاز تستعجز القنسا وهذي الثنايا الغرّ تسطو على الدرّ
شموسُ أبت إلا شماسَ سجيّةٍ وأقمارُ حسنٍ في الهوى قمرت صبري

١ ص : أبو .

٣٠ - الزركشي : ٢٨ والوافي ٦ : ٣٣٥ ؛ ولم ترد هذه الترجمة في المطبوعة .

٢ لم ترد له ترجمة في المقتضب من تحفة القادِم .

٣ ص : فكانت ، والتصويب عن الزركشي .

ابن أبي فنن

أحمد بن صالح بن أبي معشر ، وكنية صالح أبو فنن ، مولى المنصور ؛
كان أسود اللون ، وبلغ سنّاً عالية ، توفي بين الستين والسبعين والمائتين ، رحمه
الله تعالى . وهو القائل :

سَرَّ مَنْ عَاشَ مَالُهُ فَإِذَا حَا سَبَهُ اللَّهُ سَرَّهُ الْإِعْسَادُ
وله أيضاً :

عَاشَ بُنْيِيَّ فِصَارٍ مِثْلِي يَلْبَسُ مَا قَدْ خَلَعْتُ عَنِي
فَسَرَّتْنِي مَا رَأَيْتُ مِنْهُ وَسَاعَنِي مَا رَأَيْتُ مِنْنِي

[السنيلي]

أحمد بن صالح شهاب الدين السنيلي ؛ كان فاضلاً شاعراً حسن الشكل
كثير المروة ، طيب الأخلاق ، وكان مباشر عمائر الجامع الأموي بدمشق في

٣١ - الزركشي : ٢٨ وطبقات ابن المعتز : ٣٩٦ وكنيته أبو عبد الله ، وقال فيه : كان شاعراً
مفلقاً مطبوعاً ، وتاريخ بغداد : ٤ : ٢٠٢ ومعجم الأدباء : ٦ : ١٢٣ والديارات : ٨١ وابن
خلكان : ٦ : ٣٤١ والروافي : ٦ : ٤٢٣ ؛ ولم يرد من هذه الترجمة في المطبوعة سوى بيتين
من الشعر .

٣٢ - الزركشي : ٢٨ والنجوم الزاهرة : ٧ : ٢٢٠ وقد ذكره في وفيات سنة ٦٦٤ وأورد
له البيتين الأولين ؛ والروافي : ٦ : ٤٢٤ ؛ ولم يرد في المطبوعة إلا الشعر .
١ الروافي : إعمار .

زمن الصالح نجم الدين ، فلما ملك الناصر صاحب حلب دمشق وباشر عز الدين ابن وداعة شدّ الدواوين مدّحه ، وطلب النقلة إلى جهة خير منها ، فقال له ابن وداعة : أبصر جهةً مثل جهتك ومعلومها ، فقال : يا خوند ، فحينئذ لم يحصل للمملوك إلاّ نقلة وحركة لا غير ، فاستحسن ذلك منه ، وولي جهةً أرضته ، وتوفي سنة ثلاث وتسعين وستمائة ، رحمه الله .

ومن شعره ما أورده الشيخ قطب الدين في «الذيل» :

هَوَيْتُهُ مُكَارِبَا شَرَّدَ عَنِ عَيْنِي الْكَرَى
كَأَنَّه الْبَدْرُ فَمَا يَمَلُّ مِنْ طَوْلِ السُّرَى

وقال في السيفِ عاملِ الجامع :

رَبَعُ الْمِصَالِحِ دَائِرُ لَمْ يَبْقَ مِنْهُ طَائِلُ
هِيَهَاتَ تَعْمُرُ بِقَعَّةٍ وَالسِّيفُ فِيهَا عَامِلُ

وله أيضاً :

لِلْوِزِّ زَهْرٌ حَسَنُهُ يُصْبِي إِلَى زَمَنِ التَّصَابِي
شَكَتِ الْغُصُونُ مِنَ الشَّتَا فَأَعَارَهَا بِيضَ الثِّيَابِ
وَكَأَنَّه عَشِيقَ الرَّيِّبِ عَ فَشَابَ مِنْ قَبْلِ الشَّبَابِ

وله وقد وقع مطر كثير يوم عاشوراء :

يَوْمَ عَاشُورَاءِ جَادَتْ بِالْحَيَا سُحُبٌ تَهْطَلُ بِالْدمَعِ الْهَمُولِ
عَجَباً حَتَّى السَّمَوَاتِ بَكَتْ رُزْءَ مَوْلَايَ الْحُسَيْنِ ابْنِ الْبَتُولِ

المعتضد بالله العباسي

أحمد بن طلحة أمير المؤمنين المعتضد بالله أبو العباس ابن ولي العهد أبي أحمد الموفق بالله ابن المتوكل ؛ ولد في ذي الحجة سنة اثنتين وأربعين ومائتين ، أيام جده ، وتوفي في رجب سنة تسع وثمانين ومائتين ، رحمه الله . وكان قد استخلف بعد عمه المعتمد سنة تسع وسبعين ومائتين . وكان شجاعاً مهيباً ، أسمرًا نحيفاً وافر العقل ، ظاهر الجبروت ، شديد الوطأة ، من أفراد خلفاء بني العباس ، كان يقدم على الأسد وحده لشجاعته .

قال خفيف السمرقندي : كنت معه في الصيد ، وانقطع عنا العسكر ، فخرج علينا أسد ، فقال : أفليك خير ؟ قلت : لا ، قال : ولا تمسك فرسي ؟ قلت : نعم ، فنزل وتحزم وسل سيفه وقصد الأسد ، وتلقاه بسيفه فقطع عضده ، ثم ضربه ضربة فلقت هامته ، ومسح سيفه في صوفه . وركب ، وصحبته إلى أن مات ما سمعته يذكر ذلك لقله احتفاله به .

وكان يبخل ويجمع المال ، وفي أيامه سكنت الفتن لعظم هيئته ، وكان يسمى السفاح الثاني ، لأنه جدّ ملك بني العباس ، وكانت أيامه طيبة ، كثيرة الأمن والرخاء ، وأسقط المكوس ، ونشر العدل ، ورفع المظالم عن الرعية ، وكان مزاجه قد تغير من إفراطه في الجماع وعدم الحمية ، بحيث إنه أكل في علته زيتوناً وسمكاً ، وشكّوا في موته ، فتقدّم الطيب وجسّ نبضه ، ففتح عينه ورفس الطيب ، رماه أذرعاً ، فمات الطيب ثم مات المعتضد ، وبويع ابنه

٣٣ - الروحي : ٥٩ والفخري : ٢٣١ وتاريخ الخلفاء : ٣٩٨ والمنظم ٦ : ٣٤ والوافي ٦ :

٤٢٨ والنجوم الزاهرة ٣ : ١٢٦ ؛ وقد أخلت المطبوعة بجانب منها .

١ ص : أسمرًا .

المكتفي ، فكانت ولايته تسع سنين وتسعة أشهر وأياماً . وهو أحد من ولي الخلافة ولم يكن أبوه خليفة ، وهم : السفاح والمنصور والمستعين والمعتضد .
 وكان المعتضد حسن الميل إلى آل الرسول صلى الله عليه وسلم . وتزوج قطر الندى بنت خمارويه ، أصدقها ألف ألف درهم .
 ومن شعره :

غلب الشوق اصطباري لتبــــاريحِ الفــــراقِ
 إن جسمي حيث ما سِرُّ تُ وقلبي بــــالعراقِ
 أملك الأرض ولا أم ملك دفع الإشتياقِ

وحكى ابن حمدون النديم أن المعتضد كان قد شرط علينا أنا إذا رأينا منه شيئاً ننكره نقول له ، وإن اطلعنا على عيب واجهناه به ، قال : فقلت له يوماً : يا مولانا في قلبي شيء أردت سؤالك [عنه] منذ سنين ، قال : ولم أخرته إلى اليوم ؟ قلت : لاستصغاري قدرتي ولهية الخلافة . قال : قل ولا تخف ، قلت : اجتاز مولانا ببلاد فارس . فتعرض الغلمانُ للبطيخ الذي كان في تلك الأرض ، فأمرت بضربهم وحبسهم . وكان ذلك كافياً ، ثم أمرت بصلبهم ، وكان ذنبهم لا يجوز عليه الصلْب ، فقال : أوتحسب أن المصلبين كانوا أولئك الغلمان ؟ وبأي وجه كنت ألقى الله تعالى يوم القيامة لو صلبتهم لأجل البطيخ ؟ وإنما أمرت بإخراج قوم من قطاع الطريق كان وجب عليهم القتل ، وأمرت أن يُلبسوا أقبية الغلمان وملايسهم إقامة للهية في قلوب العسكر ، ليقولوا : إذا صلب أخص غلمانه على غصْب البطيخ فكيف يكون على غيره ؟ وأمرت بتلثيمهم ليستتر أمرهم على الناس .

الشيخ تقي الدين بن تيمية

أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم الحرّاني الشيخ الإمام العلامة الفقيه المفسّر الحافظ المحدث ، شيخ الإسلام نادرة العصر ، ذو التصانيف والذكاء ، تقي الدين أبو العباس ابن العالم المقتي شهاب الدين ، ابن الإمام شيخ الإسلام مجد الدين أبي البركات . ولد بجرّان عاشر ربيع الأول سنة إحدى وستين ، وتحوّل به أبوه إلى دمشق سنة سبع وستين ، وتوفي سنة ثمان وعشرين وسبعمائة ، رحمه الله تعالى .

سمع من ابن عبد الدايم وابن أبي اليسر والكمال ابن عبد والشيخ شمس الدين والقاسم الاربلي وابن علان وخلق كثير ، وقرأ بنفسه ، ونسخ عدة أجزاء ، وصار من أئمة النقد ومن علماء الأثر مع التدين والذكر والضيانة والنزاهة عن حطام هذه الدار ، ثم أقبل على الفقه ودقائقه ، وغاص على مباحثه . وأما أصول الدين ومعرفة أقوال الخوارج والروافض والمعتزلة والمبتدعة فكان لا يشقّ فيها غباره ، مع ما كان عليه من الكرم الذي لم يشاهد مثله ، والشجاعة المفرطة ، والفراغ عن ملاذ النفس : من اللباس الجميل ، والمأكل الطيب ، والراحة الدنيوية . قيل إن والدته طبخت له يوماً قرعية ، ولم تذوقها أولاً وكانت مرة ، فلما ذاقتها تركتها على حالها ، فأقّى الشيخ إلى الدار فرأى القرعية ، فأكل منها حتى

٣٤ - الوافي ٧ : ١٥ وأعيان العصر : ٧٤ وذيل ابن رجب ٢ : ٣٨٧ وتذكرة الحفاظ : ١٤٩٦ والدرر الكامنة ١ : ١٤٤ والبدر الطالع ١ : ٦٣ والعقود الدرية لابن عبد الهادي ؛ والبداية والنهاية ١٤ : ١٣٥ وتاريخ ابن الوردي ٢ : ٢٨٤ والنجوم الزاهرة ٩ : ٢٧١ ، وقد كان ورد في المطبوعة ترجمة لابن تيمية ملخصة عن ابن عبد الهادي ، ثم تلخيص لما ورد في القوات نفسه ، ولما كان القسم المأخوذ عن ابن الهادي من غير أصل الكتاب فقد أهملته .

شعب ، وما أنكر منها شيئاً^١ .

وحكي أنه كان قد شكاه إنسان من قطلوبك الكبير^٢ ، وكان المذكور فيه جبروت وأخذ أموال الناس واغتصابها ، وحكاياته في ذلك مشهورة ، فلما دخل إليه الشيخ ، وتكلم معه في ذلك ، قال : أنا الذي كنت أريد أجي إليك لأنك رجل عالم زاهد، يعني يستهزي به ، فقال له : لا تعمل عليّ دركوان^٣ ، موسى كان خير مني وفرعون كان شراً منك ، وكان موسى كل يوم يجي إلى باب فرعون مرّات ، ويعرض عليه الإيمان .

قال الشيخ شمس الدين : وصنف في فنون ، ولعل تواليه تبلغ ثلاثمائة مجلدة . وكان قوَّالاً بالحق ، نهياً عن المنكر ، ذا سطوة وإقدام وعدم مداراة ، وكان أبيض أسود الرأس واللحية ، قليل الشيب ، شعره إلى شحمة أذنيه ، كأن عينيه لسانان ناطقان ، ربعة من الرجال ، جهوري الصوت ، فصيح اللسان ، سريع القراءة ، توفي محبوساً في قلعة دمشق على مسألة الزيارة ، وكانت جنازته عظيمة إلى الغاية ، ودفن في مقابر الصوفية صلى عليه قاضي القضاة الشيخ علاء الدين القونوي ، انتهى كلام الشيخ شمس الدين الذهبي .

ذكر تصانيفه :

كتب التفسير : قاعدة [في] الاستعاذة . قاعدة في البسمة [و] الكلام على الجهر بها ، قاعدة في قوله تعالى إياك نعبد وإياك نستعين ، وقطعة كبيرة من سورة البقرة في قوله تعالى ﴿ ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر ﴾ ثلاث كراريس ، وفي قوله تعالى ﴿ مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً ﴾ كرارين ، وفي قوله تعالى ﴿ يا أيها الناس اعبدوا ﴾ سبع كراريس . ﴿ إلا من سقه نفسه ﴾ كراسة . آية الكرسي ، كراسان ، وفي قوله ﴿ شهد الله أنه

١ ص : شيء .

٢ انظر الدرر الكامنة ٣ : ٣٣٧ .

٣ الوافي : دركوانتك ، ولعلها بمعنى « الحيل » .

لا إله إلا هو ﴿ ست كراريس ؛ ﴿ ما أصابك من حسنة ﴾ عشر كراريس ،
 وغير ذلك من سورة آل عمران ، تفسير المائدة مجلد [لطيف]^١ . ﴿ يا أيها الذين
 آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة ﴾ ثلاث كراريس . ﴿ وإذا أخذ ربك من بني آدم ﴾
 سبع كراريس . سورة يوسف ، مجلد كبير . سورة النور ، مجلد لطيف . سورة
 القلم وأنها أول سورة أنزلت ، مجلد . سورة لم يكن . سورة الكافرون . سورة
 تبت والموذنين ، مجلد . سورة الإخلاص ، مجلد .

كتب الأصول : الاعتراضات المصرية على الفتوى الحموية ، أربع مجلدات .
 ما أملاه في الجب ردّاً على تأسيس القديس . شرح أول المحصل ، مجلد . شرح
 بضعة عشرة مسألة من الأربعين للإمام فخر الدين . تعارض العقل والنقل ، أربع
 مجلدات . جواب ما أورده كمال الدين ابن الشريشي ، مجلد . الجواب الصحيح ،
 ردّاً على النصراني ، ثلاث مجلدات . منهاج الاستقامة . شرح عقيدة الأصفهاني
 مجلد . شرح أول كتاب الغزنوي في أصول الدين ، مجلد . الردّ على المنطق ،
 مجلد . ردّاً آخر لطيف . الردّ على الفلاسفة ، أربع مجلدات . قاعدة في القضايا
 الوهمية ، قاعدة في تناهي ما لا يتناهى^٢ ، جواب الرسالة الصفدية . جواب في
 نقض قول الفلاسفة : إن معجزات الأنبياء عليهم السلام قوى نفسانية ، مجلد كبير .
 إثبات المعاد والردّ على ابن سينا . شرح رسالة ابن عبدوس في كلام الإمام أحمد
 في الأصول . ثبوت النبوات عقلاً ونقلاً والمعجزات والكرامات ، مجلدان .
 قاعدة في الكليات ، مجلد لطيف . الرسالة القبرصية . رسالة إلى أهل طبرستان
 وجيلان في خلق الروح والنور . الرسالة البعلبكية . الرسالة الأزهرية . القادرية .
 البغدادية . أجوبة الشكل والنقط . إبطال الكلام النفساني أبطله من نحو ثمانين وجهاً .
 جواب من حلف بالطلاق الثلاث أن القرآن حرف وصوت . إثبات الصفات

١ زيادة من الوافي .

٢ ص : تناسي ما لا يتناسى ؛ وفي الوافي : ما يتناهى وما لا يتناهى .

والعلو والاستواء مجلدان . المراكشية . صفات الكمال والضابط [فيها] . جواب
في الاستواء وإبطال تأويله بالاستيلاء . جواب مَنْ قال : لا يمكن الجمع بين
إثبات الصفات على ظاهرها مع نفي التشبيه . أجوبة كون العرش والسموات كريمة
وسبب قصد القلوب جهة العلو . جواب كون الشيء في جهة العلو مع أنه ليس
بجوهر أو عرض معقول أو مستحيل . جواب هل الاستواء والنزول حقيقة ؟
وهل لازم المذهب مذهب سماه الإبيلية . مسألة النزول واختلاف وقته باختلاف
البلدان والمطالع ، مجلد لطيف . شرح حديث النزول ، مجلد كبير . بيان حل
إشكال ابن حزم الوارد على الحديث . قاعدة في قرب الرب من عابديه وداعيه ،
مجلد . الكلام على نقض المرشدة . المسائل الإسكندرية في الرد على الاتحادية
والحلولية . ما تضمنه فصوص الحكم . جواب في لقاء الله . جواب رؤية^١
النساء رهنّ في الجنة . الرسالة المدنية في إثبات الصفات الثقلية . الهلاونية .
جواب وردّ على لسان ملك التتار ، مجلد . قواعد في إثبات [القدر] والرد على
القدرية والجبرية ، مجلد . رد على الروافض في الإمامة^٢ على ابن مطهر . جواب
في حسن إرادة الله تعالى لخلق الخلق وإنشاء الأنام لعله أم لغير علة . شرح حديث
« فحجّ آدم موسى » . تنبيه الرجل الغافل على تمويه المجادل ، مجلد . تناسي
الشدائد في اختلاف العقائد ، مجلد . كتاب الإيمان ، مجلد . شرح حديث جبريل
في حديث الإيمان والإسلام ، مجلد . عصمة الأنبياء عليهم السلام فيما يبلغونه .
مسألة في العقل والروح . مسألة في المقربين : هل يسألهم منكر ونكير . مسألة
هل يعذب الجسد مع الروح في القبر . الرد على أهل الكسروان^٣ ، مجلدان . في
فضل أبي بكر وعمر رضي الله عنهما على غيرهما . قاعدة [في] فضل معاوية وفي
ابنه يزيد لا يُسبّ . في تفضيل صالحى الناس على سائر الأجناس . مختصر في

١ ص : رؤيا .

٢ ص : الأمانية .

٣ ص : الكسروان .

كفر النصيرية . في جواز قتال الرافضة ، كراسة . في بقاء الجنة والنار وفي فنائهما رد على ^١ مولانا قاضي القضاة تقي الدين السبكي أعزه الله تعالى .

— كتب أصول الفقه : قاعدة غالبها أقوال الفقهاء ، مجلدان . قاعدة كل حمد وذم من المقالات والأفعال لا يكون إلاّ بالكتاب والسنة . شمول النصوص للأحكام ، مجلد لطيف . قاعدة في الإجماع وأنه ثلاثة أقسام . جواب في الإجماع وخبر التواتر . قاعدة في كيفية الاستدراك على الأحكام بالنص والإجماع . في الرد على من قال إن الأدلة اللفظية لا تفيد اليقين ، ثلاث مصنفات . قاعدة فيما يُظنّ من تعارض النص والإجماع . مواخذ ^٢ على ابن حزم في الإجماع . قاعدة في تقرير القياس . قاعدة في الاجتهاد والتقليد في الأحكام . رفع الملام عن الأئمة الأعلام . قاعدة في الاستحسان . وصف العموم والإطلاق . قواعد في أن المخطيء في الاجتهاد لا يأثم . هل العامي يجب عليه تقليد مذهب معين . جواب في ترك التقليد . فيمن يقول مذهبي مذهب النبي عليه السلام وليس أنا محتاج ^٣ إلى تقليد الأربعة . جواب من تفقه في مذهب ووجد حديثاً صحيحاً هل يعمل به أو لا . جواب تقليد الحنفي الشافعي في [الجمع] للمطرء والوتر . الفتح على الإمام في الصلاة . تفضيل قواعد مذهب مالك وأهل المدينة . تفضيل الأئمة الأربعة وما امتاز به كل واحد منهم . قاعدة في تفضيل الإمام أحمد . جواب هل كان النبي صلى الله عليه وسلم قبل الرسالة نبياً . جواب هل كان النبي صلى الله عليه وسلم متعبداً بشرع مَنْ قبله . قواعد أنّ النهي يقتضي الفساد ^٥ .

— كتب الفقه : شرح المحرّر في مذهب أحمد ، ولم يبيض . شرح العمدة لموفق

١ الوافي : ورد عليه فيها .

٢ الوافي : مؤاخذة .

٣ كذا في ص ، والوافي وأعيان العصر .

٤ ص : المطر .

٥ كذا وفي الوافي : العناد .

الدين ، أربع مجلدات . جواب مسائل وردت من أصفهان . جواب مسائل وردت من الأندلس . جواب مسائل وردت من الصلت . مسائل من بغداد . مسائل وردت من زرع . مسائل وردت من الرحبة . أربعون^١ مسألة [لقب]^٢ الدرر المضية في فتاوى ابن تيمية . الماردانية . الطرابلسية . قاعدة في المياه والمائعات وأحكامهما . طهارة بول ما يؤكل لحمه . قاعدة في حديث القلتين وعدم رفعه . قواعد في الاستجمار وتطهير الأرض بالشمس والريح . جواز الاستجمار مع وجود الماء . نواقض الوضوء . قواعد في عدم تقضيه بلمس النساء . التسمية على الوضوء . خطأ القول بجواز المسح على الخفين . جواز المسح على الخفين المنخرقين والجوربين والقفائف . فيمن لا يعطي أجرة الحمام . تحريم دخول الحمام بلا مئزر . في الحمام والاعتسال . ذم الوسواس . جواز طواف الحائض . تيسير العبادات لأرباب الضرورات بالتيمم والجمع بين الصلاتين للعذر . كراهية التللفظ بالنية وتحريم الجهر بها . الكلم الطيب في الأذكار . كراهية تقديم بسط سجادة المصلي قبل مجيئه . في الركعتين اللتين تصليان^٣ قبل الجمعة ، في الصلاة بعد أذان الجمعة . الفنون في الصبح والوتر . قتل تارك المباني وكفره . الجمع بين الصلاتين في السفر . فيما يختلف حكمه بالسفر والحضر . أهل البدع : هل يصلى خلفهم صلاة بعض أهل المذاهب خلف بعض . الصلوات المبتدعة . تحريم السماع . تحريم الشبابة . تحريم اللعب بالشطرنج . تحريم الحشيشة القنبية ووجوب الحد عليها وتنجيسها . النهي عن المشاركة في أعياد النصارى واليهود وإيقاد النيران في الميلاد ونصف شعبان وما يُفعل في عاشوراء من الحبوب . قاعدة في مقدار الكفارة في اليمين . في أن المطلقة بثلاثة لا تحل إلاّ بنكاح زوج ثان . بيان الحلال والحرام في الطلاق . جواب من حلف لا يفعل شيئاً على المذاهب الأربعة ثم طلق ثلاثاً في الحيض .

١ ص : أربعين .

٢ ص : كررت لفظة « مسألة » .

٣ ص : التي تصل .

الفرق المبين بين الطلاق واليمين . لمحة المختطف في الفرق بين الطلاق والحلف .
كتاب التحقيق في الفرق بين الأيمان والتطليق . الطلاق البدعي لا يقع . مسائل
الفرق بين الطلاق البدعي والخلع ونحو ذلك . مناسك الحج . في حجة النبي
صلى الله عليه وسلم . في العمرة المكية . في شهر السلاح بتبوك وشرب السويق
بالعقبة وأكل التمر بالروضة وما يلبس المحرم وزيارة الخليل عليه السلام
عقب الحج . زيارة القدس مطلقاً . جبل لبنان كأمثاله من الجبال ليس فيه رجال
الغيب^٢ ولا أبدال . جميع أيمان المسلمين مكفّرة .

الكتب في أنواع شتى : جمع بعض الناس فتاويه بالديار المصرية مدّة مقامه
بها سبع سنين في علوم شتى ، فجاءت ثلاثين مجلد . الكلام على بطلان الفتوة
المصطلح [عليها] بين العوام ، وليس لها أصل متصل بعلي رضي الله عنه . كشف
حال المشايخ الأحمدية وأحوالهم الشيطانية . [بطلان] ما يقوله أهل بيت الشيخ
عدي . النجوم : هل لها تأثير عند القران والمقابلة وفي الكسوف : هل يقبل قول
المنجمين فيه ورؤية الأهله ، مجلد . تحريم أقسام المعزمين بالعزائم المعجمة وصرع
الصحيح وصفة الخواتيم . إبطال الكيمياء وتحريمها ولو صحت وراجت .

ومن نظم الشيخ تقي الدين رحمه الله تعالى على لسان الفقراء المجردين :

والله ما فقرنا اختيار وإنما فقرنا اضطرار
جماعة كلنا كسالى وأكلنا ما له عيار
تسمع منا إذا اجتمعنا حقيقة كلها فشار

وله أجوبة وسؤالات كان يُسألها نظماً فيجيب عنها نظماً ، وليس هذا موضع
إيراد ذلك رحمه الله تعالى .

١ ص : شرح .

٢ الوافي : غيب .

ابن عبد الدايم

أحمد بن عبد الدايم بن أحمد بن نعمة بن إبراهيم بن أحمد بن بكير ، المعمّر العالم مسند الوقت ، زين الدين أبو العباس المقدسي الفندقي الحنبلي الناسخ ؛ ولد بفندق المشايخ^١ من جبل نابلس سنة خمس وسبعين وخمسمائة [وأدرك الاجازة]^٢ التي من السلفي لمن أدرك حياته ، وأدرك الإجازة [الخاصة]^٣ من خطيب الموصل أبي الفضل الطوسي وأبي الفتح بن شاتيل ونصر الله القزاز وخلق سواهم . وسمع من يحيى الثقفي وأبي الحسين الموازيني ومحمد بن علي بن صدقة والمكرم بن هبة الله الصوفي وبركات الخشوعي وابن طبرزد والحافظ عبد الغني . ودخل بغداد وسمع من ابن كليب وطبقته ، وتفقه على الشيخ الموفق ، وكتب بخطه المליح السريع ما لا يوصف ، لنفسه وبالأجرة ، حتى كان يكتب إذا تفرغ في اليوم تسع كراريس قيل إنه كان يكتب الحرقى^٤ في ليلة واحدة ، وكان ينظر في الصفحة مرّة واحدة ويكتبها ، ولازم النسخ خمسين سنة ، وخطه لا نقط ولا ضبط ، وكتب ألفي مجلدة .

٣٥ - الزركشي : ٢٩ والوافي ٧ : ٣٤ وذيّل ابن رجب ٢ : ٢٧٨ ونكت الهميان : ٩٩ ومنتخب

السلامي : ٢٩ والشذرات ٥ : ٥٢٣ ، ولم يرد في المطبوعة إلا قسم يسير من هذه الترجمة .

١ الوافي : بفندق الشيوخ .

٢ سقطت من ص وزدتها من الوافي .

٣ زيادة من الوافي .

٤ ص : وأبو .

٥ الوافي : القدوري ؛ يعني مختصر القدوري في فروع الحنفية ؛ أما مختصر الحرقى لأبي القاسم عمر ابن الحسن الحنبلي ، فإنه في فروع الحنبلية .

وكان تام القامة ، حسن الأخلاق والشكل ، وولي خطابة كفربطنا^١ ، وأنشأ
خطباً كثيرة ، وحدث ستين سنة .

روى عنه الشيخ محيي الدين والشيخ تقي الدين ابن دقيق العيد وشرف الدين
الدمياطي وابن الظاهري وابن جعوان وابن تيمية ونجم الدين ابن صصرى وشرف
الدين الفزاري وأخوه تاج الدين ، وولده برهان الدين ، وإمام الكلاسة ومنيف
قاضي القدس وعلاء الدين [ابن] العطار وعلاء الدين ابن غانم ، وخلق كثير
بمصر والشام ، وتفرد بالكثير ، وكف بصره في آخر عمره ، وتوفي لتسع خلون
من رجب سنة ثمان وستين وستمائة . ومن شعره لما أضرّ ، رحمه الله تعالى :

إن يُذهب الله من عيني نورهما فإنّ قلبي بصير ما به ضررُ
والله إنّ لكم في القلب منزلةً ما نالها قبلكم أنثى ولا ذكر
وصالكم لي حياةٌ لا نقادَ لها والهجر موت فلا عين ولا أثر

ومن شعره :

عجزت عن حمل قرطاسٍ وعن قلم من بعد إلفي بالقرطاس والقلم
كتبت ألفاً وألفاً من مجلدةٍ فيها علومُ الورى من غير ما ألم
ما العلم فخر امرىءٍ إلاّ لعامله إنّ لم يكن عمل فالعلمُ كالعدم

٣٦

[الشارمساحي]

أحمد بن عبد الدايم بن يوسف بن قاسم بن عبد الخالق الكنانى الشارمساحي ؛

١ كفربطنا : من قرى غوطة دمشق .

٣٦ - الزركشي : ٣٠ والواقى ٧ : ٣٦ وأعيان المصر ١ : ٨٦ والدرر الكامنة ١ : ١٦١ .

قال الشيخ أثير الدين أبو حيان : مولده بشارمسارح^١ سنة ثلاث وستين وستمائة ؛
ومن شعره :

محجةٌ بين الترائب والحشا
وحالُ الهوى ما ليس يدركُ كنهه
ومسلكه بالطرف سهلٌ وإنما
لديه الأمانى بالمنايا مشوبةٌ
وكم مهلكٍ فيه يقين لعاشق
وله أيضاً :

تخشى الظُّبا والظُّبا من فتك ناظره
لا واخذ الله عينيه فقد نشطت
يرمي القلوبَ فلا ندرى أقام بها
هذا الغزالُ الذي راقَتْ محاسنهُ
لما تواليتُ من وجدٍ ومن شغفٍ
ومن شعره :

لا تعجبوا للمجانيق التي رشقتُ
بل اعجبوا للسان النارِ قائلةٌ
عكاً بنارٍ وهدتها بأحجارٍ
هذي منازلُ أهل النارِ في النارِ

١ شارمساح : بلدة من كورة الدقهلية ، قريبة من دمياط .

٢ من أول الترجمة حتى هذا الموضع لم يرد في المطبوعة .

ابن نفادة

أحمد بن عبد الرحمن بن علي بن نفادة السلمي الأديب البارع بدر الدين نشو الدولة ، الشاعر المحسن ؛ روى عنه الشهاب القوصي . كان رئيساً وديوانه مشهور . توفي سنة إحدى وستمائة وقد ناهز الستين . وله مدائح كثيرة في السلطان صلاح الدين الكبير وفي أولاده وأخيه العادل وجماعته ، وفي الوزير صفي الدين ابن القابض ، وفي القاضي الفاضل والقاضي ابن الشهرزوري ومحيي الدين ابن الزكي ؛ وهو من المشهورين بحسن النظم ، فمن شعره لغز في يوسف :

يا سائلي ما اسم الذي أحببته^١ لأني بسرّ هواه غير مصرّح
لكن إذا فكرت فيه وجدته معكوساً سابحاً لفظةً في سبْح^١
ومن شعره :

إنّ أعوزَ الحاذقُ فاستبدلوا مكانه آخرَ لم يحسّدقِ
فلاعبُ الشطرنج من شأنه وضعُ حصاةٍ موضع البيدقِ

وقال :

أفدي التي سمرتُ فقابل ناظري مرآةً وجهٍ بالجمالِ صقيلِ
أبكي فأبصرُ أدمعي في خسدّها لصقاله فأظنها تبكي لي

أخذه من قول الأرجاني^٢ :

٣٧ - الزركشي : ٣٠ والوافي ٧ : ٣٩ والخريدة (قمم الشام) ١ : ٣٢٩ والنصون ليانعة : ٢٦

ولم يرد من هذه الترجمة في المطبوعة إلا بيتا اللغز .

١ يريد لفظة « فسوي » .

٢ انظر ديوانه : ٤٣٨ .

قابلي حتى بدت أدمعي
يوهمُ صحي أنه مسعدي
وإنما قلّدي منّةً
ولم يقع من دمه قطرة

في خده المصقول مثل المراه
بأدمعٍ لم تذرهما مقلته
بدمعٍ عينٍ من جفوني مرّاه
إلاّ خيالاتُ دموع البكاه

وقال ابن نفاذة :

حتامَ إن أمرَ الغرامُ وإن نهى
أرضيت جفني للدموع موهلاً
قد كنت معتمداً على صبري إذا
ومدللٍ ما زلتُ من هجرانه
متأود الأعطاف ، قلبُ محبّه
تجني على عشاقه وجنساته
فيه إذا عدّ الملاحُ مبتدا
يا مطلعين لنسا بدوراً أوجها
وملاحظين بأعينٍ من أمّها
فحذارٍ من تلك العيون خديعة
وله أيضاً :

دعهُ مثلي يبكي الصبا وزمانه
ناح شجواً على ليلالٍ وأيّاً
كيف يرجو في الأربعين وفاءً
أو ينالُ اللذاتِ في أخرياتِ العم

إن ذكراه هيّجتُ أحزانه
مٍ تقضت لم يقض منها لبانه
من شبابٍ قبلَ الثلاثين خانته
رٍ من لم يفز بها ربعساته

١ الوافي : فهي .

٢ ص : آخر ، والتصويب عن الوافي .

وقال :

قد حجبوا البيضَ ببيض الصفاخِ ومنعوا السُّمْرَ بسمرِ الرماحِ
وأطبَقوا أصدافَ أجفانهم فما ترى شمس الصباحِ الصباحِ

منها :

يثبتُ تأليفُ الهوى حسنَها وقدها للصبر إن ماح ماحِ
وطرفها مسكرةٌ خمسه إذا أدبرتُ وهو يا صاحِ صاحِ
أمدُّ قلبي نحو كاساتها رشفاً إذا مُدَّتْ إلى الراحِ راحِ
واضحها موضعُ عذري فما يلومني فيها إذا لاحِ لاحِ

وقوله أيضاً :

وامتدَّ ليلى إذ سهرتُ وكلِّما قصرتُ جفوني زاد ليلى طولاً
وكانَ مرآةَ الصباحِ تنفسي ال صعداءُ أصدأً وجهها المصقولا

وله غير ذلك كل معنى حسن ، وديوانه موجود ، رحمه الله تعالى وإيانا .

٣٨

الحنبلي معبر المنامات

أحمد بن عبد الرحمن بن عبد المنعم بن نعمة بن سلطان بن سرور المقدسي
الشيخ الإمام العالم شهاب الدين الحنبلي مفسر المنامات ؛ ولد بنابلس سنة ثمان
وعشرين وستمائة ، وسمع من عمه التقي يوسف ومن الصاحب محيي الدين ابن

٣٨ - الوافي ٧ : ٤٨ وأعيان العصر ١ : ٨٥ وذيل ابن رجب ٢ : ٣٣٦ والشذرات ٥ : ٤٣٧ ،
وأكثر هذه الترجمة ورد في المطبوعة .

الجوزي ، وسمع بمصر من ابن رواج والساوي وابن الجميزي وسبط السلفي .
وروى الكثير .

وكان إليه المنتهى في تعبير الرؤيا ، واشتهر عنه في ذلك عجائب ، ويخبر
بأشياء ، وكان بعضُ الناس يعتقد فيه الكشف والكرامات ، وبعضهم يقول :
كهانات وإلهامات ، ولكل منهم في دعواه شُبُهَة وعلامات .

قال الشيخ شمس الدين : حدثني الشيخ تقي الدين ابن تيمية أنّ شهاب الدين
العابر كان له تابع من الجنّ يخبره بالمغيبات ، وكان صاحب أوراد وتعبّد ، وما
برح كذلك حتى مات .

صنف في التعبير مقدّمة سماها « البدر المنير » وكان عارفاً بالمذهب ، وذكر
الدرس بالجوزيّة^١ ، وكان شيخاً حسن البشر ، وافر الحرمة ، معظماً في النفوس ،
أقام بمصر مدّة ؛ وكانت وفاته بدمشق سنة سبع وتسعين وستمائة ، وحضر جنازته
ملك الأمراء والقضاة والأكابر .

وقال الشيخ فتح الدين ابن سيد الناس : كنت عنده يوماً وقد جاءه إنسان ،
قال : رأيت كأني صرتُ أترجة ، فقال : أترجة ألف تا را جيم ها ، وعدّها خمسة
أحرف ، وقال : أنت تموت بعد خمسة أيام ، فان مَن رأى أنه صار ثمرة تؤكل
فإنه يموت ، وهذه زيادة من عنده عدد حروف الأترجة .

وقال بهاء الدين ابن غانم : كنت عنده يوماً ، فجاء إليه إنسان ومعه آخر ،
فقال : رأيت رؤيا وقصها ، فقال له : ما رأيت شيئاً ، وإنما تريد الاستخفاف^٢ ،
فخرجا بعدما اعترفا ، فقلنا له : من أين لك هذا ؟ قال : لما تكلمنا نظرت في ذيل
أحدهما نقطة [من دم] فذكرت الآية وهي قوله تعالى ﴿ وجاؤا على قميصه
بدم كذب ﴾ (يوسف : ١٨) فاتفق أني رأيت أحدهما فيما بعد ، فسألته عن

١ هي إحدى مدارس الحنابلة، وكانت بسوق القمح بالقرب من الجامع، أنشأها محيي الدين ابن
الجوزي (الدارس ٢ : ٢٩) .

٢ الوافي : الامتحان .

القصة ، فقال : لما اجتزنا عليه ذكرنا أمره الغريب ، وقلنا : نريد نمتحنه ، وصنفنا رؤيا للوقت ، فكان ما سمعت .

وحكي عنه أنه جاء إليه آخر وقال : رأيت كأن في داري شجرة يقطين ، قال : أعندك في دارك غير الزوجة ؟ قال : نعم جارية ، قال : بعني إياها ، قال : إنها ملك زوجتي ، قال : قل لها تبيني إياها ، فراح وعاد وقال : إنها لا تبعتها ، فقال : امضي إلى هذه الجارية واعتبرها ، فمضى وعاد وقال : إنها طلعت عبد^١ ، وزوجتي تكتمني أمره ، وتلبسه لباس النساء .

وجاء إليه إنسان وقال له : رأيت كأنني قد وضعت رجلي على رأسي ، فقال له : أفسر لك هذه الرؤيا بيني وبينك أو في الظاهر ؛ فقال : في الظاهر ، فقال : أنت كنت من ليالي^٢ تشرب الخمر وسكرت ووطئت أمك ، فاستحيا ومضى . وقيل جاء إليه إنسان وقال له : رأيت كأنّ قائلاً يقول لي : اشرب شراب الهكاري فقال له : فؤادك يوجعك ؟ قال : نعم ، قال : اشرب العسل تبرأ ، فسئل : من أين لك هذا ؛ قال : سمعتهم يقولوا^٣ اشرب الديناري . ولم أسمع بالهكاري ، فرجعت إلى الحروف فرأيت شراب الهك أري ، والأري : العسل ، وذكر قول صلي الله عليه وسلم : كذب بطن أخيك ، اسقه العسل .

٣٩

المستظهر بالله

أحمد بن عبد الله أمير المؤمنين المستظهر أبو العباس ابن المقتدي بن الذخيرة

١ كذا في ص ؛ وأبقيته على حاله .

٢ كذا في ص .

٣ كذا في ص .

٣٩ - الوافي ٧ : ١١٥ والمنتظم ٩ : ٢٠٠ ومرآة الزمان ١ : ٧٣ والنجوم الزاهرة ٥ : ٢١٥ والفخري : ٢٦٦ وتاريخ الخلفاء : ٤٥٧ والروحي : ٦٥ ؛ ولم ترد هذه الترجمة في المطبوعة .

ابن القائم بن القادر ؛ ولد يوم السبت العشرين من شوال سنة سبعين وأربعمائة ، وبويج له وهو ابن ستة عشر وشهرين ، ولي الخلافة ثامن عشر المحرم سنة سبع وثمانين وأربعمائة ، وتوفي سابع عشر ربيع الآخر سنة اثني عشرة^١ وخمسمائة ، فكانت ولايته خمساً وعشرين سنة وأشهرًا^٢ .

ولما بويج له صلى على والده ، وصلى بالناس صلاة الظهر ، وكان ميمون الطلعة ، حميد الأيام ، وكان لين الأخلاق ، موصوفاً بالعطاء والكرم ، يجب العلماء ويتفقد الفقراء ، وكان حسن الخطّ جيد التوقيعات لا يقاربه فيها أحد .

وقال محب الدين ابن النجار : أنشدني محمد بن محمود المعدل ، قال أنشدنا أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور السمعاني ، وذكر أنها للمستظهر :

أذابَ حرُّ الهوى في القلب ما جمدا يومَ مددتُ إلى رسم الوداعِ يدا
فكيفَ أسلكَ نهجَ الإصطبارِ وقد أرى طرائقَ في مهوى الهوى قددا
قد أخلف الوعدَ بدر^٣ قد شغفت به من بعد ما قد وفي دهري بما وعدا
إن كنت أنقض عهدَ الحبِّ في خلدي من بعد هذا فلا عاينتسه أبدا

وطلب من يؤم به في الصلوات ويلقن أولاده القرآن ، وقصد أن يكون من أرباب البيوت الصالحين وأن يكون مكفوف البصر ، فوقع الاختيار على المبارك ابن دوّاس المقرئ ، فوقع منه موقعاً حسناً . ولما صلّى به أول ليلة التراويح قرأ في كل ركعة آية ، فلما سلم قال له : زدنا من التلاوة ، فصلّى في كل ركعة بآيتين ، فلما سلم قال له زدنا ، فأقام^٤ يزيده إلى أن صلّى في كل ركعة بجزء كامل ، فلما كان ليلة الجمعة أحضر له كاغد طيب وعود ند وكافور وما أشبه

١ ص : اثني عشر .

٢ ص : وأشهر .

٣ ص : بدرًا .

٤ ص : فلم .

ذلك ، وكاغد فيه ذهب ووضعه على مصلاه ، فلما فرغ من الصلاة وضع يده عليهما فدفعهما بظاهر كفه وانصرف ، فلما وصل إلى المكان الذي أفرد له جاء إليه خادم بالكاغدين وقال : ان أمير المؤمنين استحسَن ذلك منك وقال : ما قصر معكم ، قال لكم : ما أنا حمال ، ومنزلي فتعرفونه إن أردتم أن تعطوني شيئا فاحملوه إلى منزلي .

ومات المستظهر بعلة المراقيا ، رحمه الله تعالى .

٤٠

الاعيمى الاندلسي

أحمد بن عبد الله بن هريرة أبو العباس الأعمى الاشبيلي ، توفي سنة خمس وعشرين وخمسمائة ، رحمه الله تعالى . من شعره^٢ :

بحياة عصياني عليكِ عواذلي إن كانت القرباتُ عندكِ تنفعُ
هل تذكرين لياليساً سلفت لنا لا أنتِ باخلةٌ ولا أنا أقنَعُ
وله أيضاً^٣ :

أعدتُ نظراً في روضتي ذلك الخلدُ فإني أخاف الياسمين على الوردِ
وخذتُهما دمعي وعللتهما بسسه فإنّ دموعي لا تُعيد ولا تبدي

١ كذا في ص .

٤٠ - الزركشي : ٣١ وقلائد المعيان : ٢٧٣ والذخيرة (القسم الثاني : ٢١٥) وبغية الملمس :

١٧٦ والمغرب ٢ : ٤٥١ وتحفة القادم : ٢٧ ونكت الهميان : ١١٠ والوافي ٧ : ١٢٦ ومقدمة

ديوانه (ط . دار الثقافة ١٩٦٣) ؛ ولم ترد هذه الترجمة في المطبوعة .

٢ ديوانه : ٧٨ .

٣ ديوانه : ٣٣ .

تقومُ مقامَ الدنّ عندك أو عندي
تعلّلُ بالكافور والمسك والشهد
لو أنّ الليالي لم تزاحمك في الورد
على مثل حدّ السيف أو طرّة البرد
فتنفى ولكن المدار على وجدي
وكنت أنا والنجم بتنا على وعسد
ولا شيء أحلى من دنوّ على بعد
كما لاح وسمّ الشيب في الشعر الجعد
وفرط نحولي واصفراري على خدي
وإن لم يطق حمل الوشاح ولا العقد
وقد كان هذا الشوق أولى بأن يعدي
ولكن سلّ الأيام عن حاله بعدي
فمكّد على حرصٍ ومثّر على زهد
قسمنا المعالي بين^٢ غور إلى نجد
وآب ابن عيسى بالسيادة والمجد
إذا امتلأت كفا يديه من الحمد

وإلاّ ففي كأس المدامة بلغة
وفي ريقك المعسول لو أن روضة
وماء شبابي كان أعذب مورداً
أمنك الخيالُ الطارقي كلّ ليلة
منى لا أبالي أن تكون كواذباً
وليلة وافساني وقد ملتُ ميلاً
ألمّ فحيماً بين رقبنا ورقبة
وقد زانه ملح من البدر في الدجى
رأى أدمعي حمراً وشيبي ناصعاً
فودّ لو آني عقده أو وشاحه
ألمّ فأعداني ضنّاه^٣ وسهده^٤
وولتي فلا تسأل بحالي بعسده
تفاوت قومي^١ في الحظوظ وسبلها
وأمننا أنا والحضرمي فإتننا
فأبت أنا بالشعر أحمي لواءه
فتى لا يبالي فوز من فاز بالعلا
وله أيضاً^٣ :

مئة كالغصن كالتقنا كالريم
يستخفّ النفوس قبل الجسوم
ربّما كان ضلّةً للحلوم

وبديع الأوصاف كالشمس كالد
سكريّ اللمي وضيء المحيّا
متهدّ^٤ إلى الحلوم بلحظ

١ الديوان : قوم .

٢ الديوان : قسمنا العلاما بين .

٣ ديوانه : ١٦٥ .

٤ ص : مستند .

ما^١ يبالي من بات يلهو به إن
 قمت أسقيه من لمى ثغره العذ
 بين ليل كخضرة الروض في اللو
 وكأن النجوم في غبش الصب
 أعينُ العاشقين أدهشها البيد
 وله أيضاً^٤ :

أما والهوى وهو إحدى الملل
 وأشرق وجهك للعاذلات
 ولم أر أفتك من مقلتيه
 كحلتها بهوى قساتل
 واتي وإن كنت ذا غفلة
 ولست أسائل عينيك بي
 وقد كنت جاريت تلك الجفون
 وقال يرثي شاباً قتل غيلة^٦ :

لعلّي أرى باق على الحدثان
 فنين وصرف الدهر ليس بفان
 بشرخ شباب أم همسا هرمان
 ولم يطويا كشحاً على شتان
 خذا حدثاني عن فلان وفلان
 وعن دول حسن الديار وأهلها
 وعن هرمي مصر الغداة أمتعا
 وعن نخلي حلوان كيف تئاتسا

١ الديوان : لا .

٢ ص : فوادي .

٣ ص : والرحوم .

٤ ديوانه : ١٣٠ .

٥ الديوان : كنت داهنتي .

٦ هو ابن اليناقى ، انظر ديوانه : ٢٢٤ .

وطال ثواء^١ الفرقدين بغطسة
 وزايل بين الشعريين تصرف
 فان تذهب الشعري العبور لسانها
 وجن سهيل^٢ بالثريا جنونسه
 وهيهات من جور القضاء وعدله
 فأزمع عنها آخر الدهر سلوة
 وأعلن صرف الدهر لابني نويرة
 وكانا كندماني جذيمة حقبسة
 فهان دم بين الدكادك فاللوى
 وضاعت دموع بات يبعثها الأسى
 ومال على عبس وذبيان ميلة
 فعوجسا على جفر الهباءة فاعجبا
 دماء جرت منها التلاع بمثلها
 وأيام حرب لا يُنادى وليدُها
 فآب الربيع والبلاد تهزه
 وأنحى على ابني وائل فتهاصرا
 تعاطى كليب فاستمر بطعنة
 وبات عدي^٣ بالذئائب يصطلي
 فذلت رقاب^٤ من رجال أعزة
 وهبوا يلاقون الصوارم والقنسا
 فلا خد إلا فيه حد مهند
 وصال على الجونين بالشعب فانثى

١ ص : ثوى .

٢ ص : سهيلا .

٣ ص : مرد .

على شرس^١ أدلوا به وليان
 لكان عذير^٢ الحي من عدوان
 بيكر من الأرزاء أو بعوان
 فإن كنتما في مريّة فسلاني
 لعل المنايا دون مسا تعداني
 تشاغلّت عنه عنّي وعنساني
 وقد لجت الأحشاء في الخفقان
 فوالهف نفسي ما التقى أخوان
 فهل لك بالصبر الجميل يدان
 منايما وإن قال الجهول أماني
 بأيدي شجاع أو بكيد جبان
 بأروع فضفاض الرداء هجان
 وإن لم يزل من ظنه بمكان
 يعسد وإن تطلب جداه فداني
 لست خلّت من شهره وثمان
 وقد حيل بين العير والنزوان
 ومن أين للمقصود بالطيران
 مجاور حور في الجنان حسان
 يجدن به مثل الذي تجدان
 من المزن بين السحّ والهملان

وأمضى على أبناء قيلة حكمه
 ولو شاء عدوان الزمان ولو يشا
 وأي قبيل لم يصدع جميعهم
 خليلي أبصرت الردى وسمعته
 ولا تعداني أن أعيش إلى غد
 ونهني ناع مع الصبح كلما
 أغمض أجفاني كأنّي نائم
 أبا حسن أما أخوك ففسد مضى
 أبا حسن إحدى يدك رزتها
 أبا حسن ألقى^٣ السلاح فانها
 أبا حسن هل يدفع الموت حينه
 توقوه شيئاً ثمّ كروا فجمعجوا
 قليل حديث النفس عما يروعه
 أبي وان تتبع رضاه فمصحب
 بنفسي وأهلي أي بدر دجّة
 يقولون لا يعسد والله درّه
 ويأبون إلاّ ليته ولعلّسه
 ليشعركما السلوان أن محمداً
 وأن النجوم الزهر في كل مطلع
 سفاك كدمعي أو كجودك واكف

١ ص : شرس .

٢ ص : عزيز .

٣ ص : القي .

٤ ص : فجمعجوا .

[الشهاب العزازي]

أحمد بن عبد الملك العزازي التاجر بقيسارية جركس^١ ، الشاعر المشهور ؛
كان كيساً ظريفاً ، جيد النظم في الشعر والموشحات ، فمن شعره يمدح رسول
الله صلى الله عليه وسلم :

دمي بأطلال ذات الخلال مطلول^٢ وجيش^٣ صبري مهزوم ومفلول^٤
ومن يلاق^٥ العيون الفاتكات بلا صبر يدافع عنه فهو مخذول
لم يدّر من سلب العشاق أنفسهم بأنه عن دم العشاق مشول
وبي أغنّ غضيض الطرف معتدل القوام لذنّ مهزّ العطف مجدول
كأنه في تشنيه وخطرتيه غصن من البان مطلول ومشمول
سلافة منه تسبيني وسالفة وعاسل منه يصبيني ومعسول
وكلما مرضت أجفان^٦ مقلته يصحّ إلا غرامي فهو منحول
يا برق^٧ كيف الثنايا الغرّ من إضم^٨ يا برق^٩ أم كيف لي منهنّ تقبيل
ويا نسيم الصبا كرر^{١٠} على أذني حديثهنّ فما التكرار مملول
ويا حداة المطايا دون ذي سلّم عوجوا وشرقيّ بانات اللوى قيلوا

منها :

منازل لأكف الغيث توشية^{١١} بها والنور^{١٢} توشيع وتكليل

٤١ - الزركشي : ٣٢٠ والوافي ٧ : ١٤٨ وأعيان العصر ١ : ٨٩ والدرر الكامنة ١ : ١٩١

والمنهل الصافي ١ : ٣٤٠ والنجوم الزاهرة ٩ : ٢١٤ والشذرات ٦ : ٢١ .

١ الوافي : جهاركس .

٢ ص : يلاقي .

بطيب ترب رسول الله مجبول
 وخير من جاءه بالوحي جبريل
 في السلم طول وفي يوم الوغى طول
 وذلك السيف حتى الحشر مسلول
 والكفر واه وعرش الشرك مثلول
 عنان رشدهم غي وتضليل
 لهم من الله تعذيب وتنكيل
 لها السيوف بيوت والقنا غيل
 غر المغاوير والصيد البهاليل
 بسه افتخار وترجيح وتفضيل
 قمعاء تيجان كسرى والأكاليل

كأنما طيب رياهما ونفحتها
 أوفى النبيين برهانها ومعجزة
 لسه يد وله بساع يزينهما
 سل الإله به سيفاً ملته
 وشاد ركناً أثيلاً من نبوته
 ويل لمن جحدوا برهانه وثى
 أولئك الخاسرون الخاسون ومن
 نمته من هاشم أسد ضراغمة
 إذا تفاخر أرباب العلى فهم ال
 لهم على العرب العرباء قساطبة
 قوم عمائمهم ذلت لعزتها ال

وله أيضاً رحمه الله :

بالحسن يختال ويغتال
 تالله لا ماء ولا مال

منذ عشقت الشارعي الذي
 لم يبق في ظهري ولا راحتي

وله أيضاً ١ :

ألا تفيض بدمعك الآماق
 هي سنة قد سنّها العشاق
 مذ حان من ذلك الفريق فراق
 لعبت بقلبك نحوه الأشواق
 فتكت به من أهله ٢ الأحداق

ما عذر مثلك والركاب تساق
 فأذل مصونات الدموع فإنما
 ولرب دمع خان بعد وفائه
 ووراء ذياك العذيب منيزل
 خذ أيمن الوادي فكم من عاشق

١ هذه القطعة لم ترد في المطبوعة .

٢ الوافي : سربه .

واحفظاً فؤادك إن هفا بريق الحمى
وقال أيضاً :

تَعَشَّقْتُهُ سَاحِرِ الْمُقْلَتَيْنِ
كَبِدَرِ يَلُوحُ وَغُصْنِ يَمِيلُ
إِذَا احْمَرَّتْ مِنْ وَجْتِيهِ الْأَسِيلُ
وَاحْوَرَّتْ مِنْ مَقْلَتِيهِ الْكُحَيْلُ
فَقُلْ لِلشَّقَائِقِ مَاذَا تَرِينَ
وَلِلنَّرَجِسِ الْغُضَّ مَاذَا تَقُولُ
وَقَالُوا : ذَبُولٌ بِأَعْطَسَاهُ
فَقُلْتُ : يَزِينُ الْقَنَاةَ الذَّبُولُ
وَعَابُوا تَمْرَضَ أَجْفَسَانَهُ
فَقُلْتُ : أَصَحُّ النَّسِيمِ الْعَلِيلُ

وكتب شهاب الدين العزازي إلى ناصر الدين ابن النقيب مُلغزاً في شبابة وأحسن :

وما صفراء شاحبة ولكن
يُزِينُهَا النَّصَارَةُ وَالشَّبَابُ
مَكْتَبَةٌ وَلَيْسَ لَهَا بِنَانُ
مَنْقَبَةٌ وَلَيْسَ لَهَا نِقَابُ
تَصِيخُ لَهَا إِذَا قَبِلَتْ فَسَاهَا
أَحْسَادِيثًا تَلْدُ وَتُسْتَطَابُ
وَيَحْلُو الْمَدْحُ وَالتَّشْيِيبُ فِيهَا
وَمَا هِيَ لِأَسْعَادٍ وَلَا الرَّبَابُ
فَأَجَابَهُ نَاصِرُ الدِّينِ ابْنَ النَّقِيبِ :

أنت عجمية أعربت عنها
لِسْلَمَانٍ يَكُونُ لَهَا انْتِسَابُ
ويفهم ما تقول ولا سؤال
إِذَا حَقَّقْتَ ذَلِكَ وَلَا جَوَابُ
يَكَادُ لَهَا الْجَمَادُ يَهْرُ عِطْفًا
وِيرْقَصُ فِي زَجَاجَتِهِ الْحَبَابُ

وقال الشهاب العزازي مُلغزاً في القوس والنشاب :

ما عجوزٌ كبيرةٌ بلغتْ عُمُ
رَأً طَوِيلًا وَتَتَّقِيهَا الرِّجَالُ
قَدْ عَلَا جِسْمَهَا صَفَارٌ وَلَمْ تَشْ
لِكَ سَقَامًا وَلَا عَرَاهَا هُزَالُ
ولها في البنين سهمٌ وقسم
وَبَنُوهَا كَبَارٌ قَدَرٌ نِيَالُ
وَبَنُوهَا لَمْ يُشَبَّهْوَهَا فِي الْأُ
مَّاعِوَجَاجٌ وَفِي الْبَنِينَ اعْتِدَالُ

وقال أيضاً :

قال لي من أحبه عند لثمي وجنات تحدث الوردَ عنها
حلّ عني أما شبعت فساديت رأيت الحياة يشبع منها ؟

ووقفت على ديوان الاعزازي ، وهو في مجلدين : شعر وموشح ، فمن
موشحاته :

يا ليلة الوصل وكاس العقار دون استتار علمتماني كيف خلع العذار
اغتم اللذات قبل الذهاب
وجرّ أذيال الصبا والشباب
واشرب فقد طابت كؤوس الشراب

على حدودٍ تنبت الجلتنار ذات احمرار طرزها الحسن بأس العذار
الراح لا شك حياة النفوس
فحلّ منها عاطلات الكؤوس
واستجّلها بين الندامى عروس

تجلى على خطّابها في إزار من النضار حبابها قسام مقام النار
أما ترى وجه الهنا قد بدا
وطائر الأشجار قسد غردا
والروض قد وشاه قطر الندى

فكملت النهو بكأس تدار على اقرار مباسم النوار غيب القطار
اجن من الوصل ثمار المني
وواصل الكأس بما أمكنا
مع طيب الريقة حلّوا الجنى

بمقلة أفتك من ذي الفقار ذاتِ احورار منصوره الأجفان بالانكسار

زار وقد حلّ عقودَ الجفا

وافترّ عن ثغر الرضى والوفا

فقلتُ والوقتُ لنا قد صفا

يا ليلةً أنعمَ فيها وزار شمسُ النهار حَيَّيتُ من دونِ الليالي القصار

وقال أيضاً :

ما سلّيتِ الأعينِ الفواتر من غمِدِ أجفانها الصفاح
إلاّ أسالتِ دمَ المحاجر من غيرِ حرَبٍ ولا كفاح

تالله ما حرّك السواكنُ غيرِ الطباءِ الجآذرِ
لما استجابت بكلِ طاعنٍ من القسودِ النواصرِ
وفوقتِ أسهمَ الكنائنِ من كلِّ جفْنٍ وناظرِ

عُربٌ إذا صيحنَ يالَ عامرٍ بسينِ سرايا من الملاح
طلّنتُ علينا من المحاجر طلائعُ تحملُ السلاح

أحبّبتُ بما تُطلّعِ الجنوبِ منها وما تبرزُ الكلالِ
من أقمريّ ما لها مغيبِ وأغصنُ زانها الميلِ
هيئات أن تعدلِ القلوبِ عنهما ولو جارت المقلِ

لمسا توشحنَ بالغدائرِ سفرنَ عن أوجهِ صباحِ
فانهزمَ اللئيلُ وهو عاثرِ بذيله واختفى الصباحِ

١ ص : ذو .

٢ الوافي : من بين .

٣ ص : تبدي ، وأثبت ما في الوافي .

تهزه نسمة الشمال	وأهيف نسام الشمال
كما انثى شارب ومسال	فينثي كالفقيب مسائل
لله كم من دم أسال	له عذار كالند سائل
من داخل الأنفس الصباح	شقت على نبتة المرائر
وتخرس الألسن الصباح	تكل في وصفه الخواطر
الشمس والبدر من حلاه	ظبي إلى الإنس لا يميل
مبدهاه منه ومنتهاه	والحسن قالوا ولم يقولوا
هيهات من صنعه النجاه	وطرفه الناعس الكحيل
فهو له خافض الجناح	أذل بالسحر كل ساحر
كما يجول القضا المتاح	يجول في باطن الضمائر
مذ غمضت أعين الغسق	أما ترى الصبح قد تطلع
كهارب نساله فرق	والبدر نحو الغروب أسرع
كصارم حين يمتشق	والبرق بين السحاب يلمع
أسنة ألق الرماح	وتحسب الأنجم الزواهر
فدرعته يد الرياح	فانهزم النهار وهو سائر

وقال أيضاً :

كأس رويته	جلا علينا النديم	أم سنا مصباح
أم شمس حسن	قد توجتها النجوم	في سما الأفراح
هات الكؤوسا	ممزوجة بالرضاب	من ثنايا ساكا
واخطب عروسا	تروق تحت الحجاب	كسجايا ساكا
وادع الجليسا	لمجلس وشراب	مثل رباكا

واشرب سَيِّئَهُ	بها النفوس تهيمُ	ولها ترتاحُ
من بنت دنَّ	أليس نحن الجسوم	وهي الأرواحُ
خسدها مُداما	وجرَّ ذيل المجونِ	أَيُّما جرَّ
وافضِّض فِداما	لها من الزرجونِ	طيبَ التَّشْرِ
حيثما التَّدامي	بها سقيمُ الجفونِ	ناحلُ الحَصْرِ
حرُّ السَّجِيَّةِ	حلوُ الدلالِ رخيِّمُ	بخنثُ مزَّاح
لدنُّ التَّنَنِّي	له قوامٌ قويمُ	للقنسا فضَّاح
مَدَّ الرِّبْعُ	للوردِ أيَّ بِساطِ	حَفَّ بِالآسِ
قَمُ يا خَلِيعُ	إلى الصَّبوحِ بشاطي	نهرِ بساناسِ
فما الهُجوعُ	وقد دعاكَ معاطي	جذوة الكاسِ
في سُنْدُسيَّةِ	أجرت عليها الغيومُ	مدمعاً سحاحِ
من ماء مزن	وصال منها التَّسيمِ	أرجسا نفاحِ
لنا خليلُ	نراه منسند ليالي	غائب عنا
وما الشَّمولُ	لذبذة وهو سالي	أليسَ منسا
قلُّ يا رسول	بأنتنا في ظلال	روضَة غنَّا
زبرجدية	وثمَّ شادٍ ووريمُ	وبقايا راحِ
ويوم دَجْنِ	وقد دعاكَ التَّدِيمُ	أجب يا صاحِ
سَقِيًّا لدهرِ	مضى بعَلِّ ونهل	وبغـزلانِ
وطيب عمرِ	قضى بليلة وصل	ما لها ثاني
خلعت عذري	فيها وقلت لخلي	ولنـدماني

في البابلية لا تسمعن من يلومُ واهجر النصح
واشرب وغني يا ليلة لو تدومُ دامت الأفراح

وقال موشح ذوبيتي :

أقسمتُ عليكَ بالأسيل القاني أن تنظر في حال الكئيب العاني
أو تقصرَ عن إطالة الهجران يا مَنْ سلبَ المنامَ من أجفاني
ما ألتيق هذا الحسن بالإحسان

والله لقد ضاعفت عندي الكمدا مذ جزت من الهجر الطويل الأمد
أدرك رمقي أو هبّ فؤادي جلدًا يا من أخذ الروحَ وأبقى الجسدا
ما أصنع بعد الروح بالجثمان ؟

بالله إذا قضيتُ وجداً وغرام فابسطْ عذري يوم عتابٍ وملام
قد كنت خلياً من عذار وقوام لا أعطي لصبوةٍ قياداً وزمام
حتى علقْتُ بي أعين الغزلان

من لي بسقيم الحفن واهي الحصر يرنو بعيون كحلت بالسحر
كم أوضح لي عذاره من عذر ما مال به الدلالُ ميلَ السكر
إلاّ سجدتُ معاطفُ الغزلان

في مرشفه مواردٌ للقبَلِ تُحَمّي بفتور لحظه والكحلِ
كم قلت لمن كثر فيه عدّلي ما دام سوادُ طرفه لم يتحلِ
لا تطمعُ يا عدولُ في سلواني

بديّ محيا غصني القَدِ يسبكُ بجلنارة في الخسدِ
ذو مبسم عذب [وخذوردي] مذ عاينت العين نظام العقد
منه نثرتُ فلائد العقيان

سالم لحظات طرفه الرشاق واستكف سهاماً ما لها من واق
أو خذ لك موثقاً من الأحداق واستخبر عن مصارع العشاق
تنيك وعن مقاتل الفرسان

وقال أيضاً :

وقفت مذ سارت المحاملُ واقتربت ساعة الفراقُ
أكفكف الدمع بالأناملُ والدمعُ يأبى إلا اندفاقُ
هل للعزا بعدهم سبيلُ أم هل لطيف الكرى مزارُ
هيهات والصبر مستحيلُ والقلبُ لا يملك القرارُ
إن أوحشت منهم الطلولُ فطالما آتسوا الديارُ
ساروا وقد زمت المحاملُ بهم وأظعانهم تساقُ
وخلّفوا أضلعاً نواحلُ ترقُ مع أدمع تراقُ
قف باللوى نندب الربوعا على فراق الجبابِ
واسفح بأطسلاها الدموعا إن كنت خلّي وصاحبي
ملاعب تُنبِتُ الولوعا سقياً لها من ملاعبِ
ما بال أقمارها أوافلُ وقد محسا نورها المحاقُ
ومما لبانساتها ذوابلُ وكن مهزوزة رشاقُ
بكيت من لوعتي ووجدي حتى فتني كثر أدمعي
وكان يوم الفراق ودي تبكي عيون الحيسا معي
إن لم أف بعدهم بعهدي فكنت في الحب مدّعي

١ ص : ألم أني .

فإن جفا النوم وهو واصل
أو غاضَ دمي وكان سائل
فكلُّ شملٍ له افتراق
فالنيل يعتساده احتراق
مَنْ لفتني ساهر المسآقي
يشكو إلى الله ما يلاقي
قد بلغت روحه التراقي
قد ذلَّ في طاعةِ الهوى
صَبَّ لثقلِ الغرامِ حامل
راح لكأسِ الفراقِ ناهل
وحمل ذبآك لا يطـاق
وكأسه مرة المسـداق

وقال أيضاً :

زمانَ شبابي كنتَ خيرَ زمان
فله كم جَرَّرتُ ذيلَ بطالتي
وقد كنتُ سباقاً إلى غاية الصبا
أقبلُ نغراً الكأسِ أبيضَ واضحاً
ألا خلياني والتصابي فإني
سأملأ من طيبِ العذارِ مقارقي
فلا زلتُ مشكوراً بكلِّ لسانٍ
وأطلقتُ للذاتِ فيك عِنائي
مجيباً إذا داعي المـجونِ دعاني
وألثِمُ خدَّ الراحِ أحمرَ قاني
أرى في التصابي غيرَ ما تـرَيانِ
وأخضبُ من صرفِ الكؤوسِ بناني

وقال أيضاً :

أرامة للآرامِ كنتَ مراتعنا
فأين غصونٌ كنَّ فيك موائساً
وقفنا لتوديعِ الحمولِ عشيةً
وعُدنا وما بلَّ الوداعُ غليلنا
سألتكما ما ضرَّ حادي ركابهم
وماذا على المستودعينِ قلوبنا
تعرضنَ لي يومِ الكئيبِ كأنما
فمالك للعشاقِ صرتِ مصارعنا
وأين بدورِ كنَّ فيك طوالعا
نبث صباياتٍ ونذري مدامعا
ولا بردتُ منّا الدموعُ الأضالعا
لو احتبس الأظعانُ أو كثرَ راجعا
بجـلي زرود لو رددن الودائعا
تعرض لي سربٌ من الرملِ راتعا

وما كنت أدري أن بين ستورهم
وقال أيضاً :

أدركُ بقيةَ نفسٍ فات أكثرها
يا من إذا نظرت عيني محاسنهُ
حسبي علاقة حب قد برت جسدي
ومهجة يتحسامها تجلدها
يا للرجال أما في الحب من حكمٍ
ويا ولأهوى قوموا بنصر فتى
لا تطلبن من الأعطاف عاطفة
وقال أيضاً :

يا راسق القلب مني
ويا كثير التجنني
ونخت ذمة صب
فاردد علي منامي
فمن رأى سوء حالي
فلو أردت حياي
بمن أحلتك قلبي
وابسم لعلي أحيا
يا خدة ما أحيلي
بكيت دالا وميما
أصبت فاكف سهامك
منعت عني سلامك
ما خان قط ذمامك
فلا عدمت منامك
بكي علي ولا ملك
لما هزرت قوامك
ارفع قليلا لثامك
إذا رأيت ابتسامك
للعاشقين الشامك
لما تأملت لامك

علاء الدين ابن بنت الأعز

أحمد بن عبد الوهاب بن خلف بن عبد المحمود^١ بن بدر ، علاء الدين المعروف بابن بنت الأعز .

قال الشيخ أثير الدين أبو حيان : درس المذكور [بالكُهرارية] والقضية وتولى الحسبة ، وكان له معرفة بالأدب ، وكان فصيح العبارة ، جميل الصورة ، فيه إحسان ومروءة ، لطيف المزاج كثير التبسم ، حج ودخل اليمن ؛ ترددت إليه مراراً بالقاهرة ، دعاني يوماً للمأدبة صنعها بالروضة ، وحضر معنا القاضي صدر الدين ابن فخر الدين الماراني^٢ ، فرأينا شاباً حسناً يسبح وقد تلطّخ بالتراب ، فقال لنا القاضي علاء الدين : لينظم كلٌّ منا في هذا الشاب ، فقام كلٌّ منا إلى ناحية وانفرد ، فنظمنا نظماً قريب الاتفاق ، ولم يطلع أحد منا على ما نظمه صاحبه إلى أن أكمل كل منا ما نظمه ، وكان الذي نظمه القاضي علاء الدين :

ومتربٍ لولا الترابُ بجسمه لم تبصرِ الأبصارُ منه منظراً
وكأنه بدرٌ عليه سحابةٌ والترب ليلٌ من سناه مقمراً

وكان الذي نظمه أبو حيان :

ومتربٍ قد ظنّ أن جماله سيصونه منا بتربٍ أعفراً

٤٢ - الزركشي : ٣٤ والوافي ٧ : ١٦٣ وأعيان العصر ١ : ٩٣ وطبقات السبكي ٥ : ١٠
والدرر الكامنة ١ : ١٩٦ والمنهل الصافي ١ : ٣٥٨ والشذرات ٥ : ٤٤٤ ؛ ولم يرد من هذه
الترجمة في المطبوعة إلا أربعة أبيات .

١ الوافي : بن محمود .

٢ الوافي : فخر الدين ابن صدر الدين المارديني .

فغدا يضمّخه فزاد ملاحه^١ إذ قد حوى ليلاً بصبح أنور^١
وكأنما الجسم الصقيل وتربه كافورة^٢ لطخت^٢ بمسك^٢ أذفر

ومن شعر علاء الدين ابن بنت الأعز :

تعطلت^٣ فايضت^٣ دواقي لحزنها ومذقل^٣ مالي قل^٣ منها مدادها
وللناس^٣ مُسَوِّدُ اللباس^٣ حدادهم ولكن^٣ مبيض^٣ الدواة حدادها

ومن شعره :

وقالوا بالعذار تسَلَّ^٤ عنسه وما أنا عن غزال الحسن سالي
وإن أبدت^٤ لنا خداه^٤ مسكاً « فإن^٤ المسك بعض دم الغزال »^٤

قال الشيخ شمس الدين : قدم دمشق وتولى تدريس الظاهرية والقيصرية ،
وكان مليح الشكل لطيف الشمايل ، يركب البغلة ، ثم عاد إلى مصر وأقام بها
مدينة ، وتوفي سنة تسع وتسعين وستمئة ، رحمه الله ، وهو أخو الأخوين :
قاضي القضاة صدر الدين وقاضي القضاة تقي الدين . رحمهما الله تعالى .

٤٣

الماهر الحلبي

أحمد بن عبيد الله بن فضال ، أبو الفتح الموازني الحلبي الشاعر المعروف
بالماهر ، روى عنه من شعره أبو عبد الله الصوري وأبو القاسم النسيب ، وتوفي

١ ص : ليل وصبح أنور ، والتصويب عن الواقي .

٢ مضمن من شعر المتنبي ، وصدرة « فإن تفق الأنام وأنت منهم » .

٣ ٤٣ - الزركشي : ٣٥ ، والوافي : ٧ ، ١٧٢ ، ودمية القصر : ١ ، ١٥٨ ، وعبر الذهبي : ٣ ، ٢٢٧

والشذرات : ٣ ، ٢٨٩ ، والنجوم الزاهرة : ٥ ، ٦٧ ؛ وقد ورد الشعر فقط في المطبوعة .

بجلب سنة اثنتين وخمسين وأربعمائة ، رحمه الله تعالى . ومن شعره :

برغمي أن أعنف فيك^١ دهرًا قليلاً فكره بمعنفيه
وأن أرى النجوم ولستَ فيها وأن أطا الترابَ وأنتَ فيه
ومنه أيضاً :

أرى نفسي تحدّثها^٢ الظنون وما تركَ الفراقُ عليّ دمعاً
وجيشُ الصبرِ منهزمٌ فقلّ لي كأنّي من حديثِ النفسِ عندي
بأنّ البينَ بعدَ غدٍ يكونُ يسحّ ولا تشحّ به الجفون
عليكَ بأيّ دمعٍ أستعين جهينةً عندها الخبرُ اليقين
ومنه أيضاً :

من صحّ قلبك في الوري^٣ ميثاقه عُرِفَ الهوى في الخلقِ مذ عُرِفَ الهوى
يا مَنْ تَوَقَّدَ في الحشا بصدوده حتّى تصحّ ، ومَنْ وفي حتّى تفي ؟
بمذلةِ الأقوى وعزِّ الأضعف نارٌ بغيرِ وصاله لا تنظفي
وقال :

أمّوجة الدعوى عليها ولا تفي أظنّ الأسي والدمع لا يقيسان لي
وسامعة الشكوى إليها ولا تُشكي فؤاداً به أهوى وعيناً بهسا أبكي

١. الوافي : ألوم عليك .

٢. الوافي : تحدّ بها .

٣. الوافي : الهوى .

ابن الخلل

أحمد بن المبارك بن أحمد بن عبد الله بن الخلل ؛ ولد سنة اثنتين وثمانين وأربعمائة ، وتوفي سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة ، رحمه الله ؛ كان فاضلاً أديباً شاعراً ، وهو أخو الفقيه ابن الخلل شارح « التنبيه » ؛ من شعره ذوبت :

ساروا وأقام في فؤادي الكمدُ لم يلقَ كما لقيتُ منهم أحدُ
شوقٌ وجوى ونارٌ وجدٍ تقيدُ مالي جلدٌ، ضعفت، مالي جلد
وله أيضاً :

هذا ولهي وقد كتمتُ الوها صوتاً لحديثٍ من هوى النفس لها
يا آخرَ محنتي ويسا أولها آياتُ غرامي فيك من أولها
وله في بعض الوعاظ :

ومن الشقاوة أنهم ركنوا إلى نَزَغَاتِ ذاك الأحمقِ النمامِ^٢
شيخٌ يبهرجُ دينهُ بنفاقهُ ونفاقهُ منهم على أقوامِ
وإذا رأى الكرسيَّ تاه بأنفسه أي أن هذا موطني^٣ ومقامي
ويدقُّ صدره ما انطوى إلا على غلٍّ يواريه بكفِّ عظامِ
ويقول أيش أقول، من حصر به لا لازدحامِ عبارةٍ وكلامِ

٤٤ - الزركشي : ٣٥ والوافي ٧ : ٣٠٣ والشذرات ٤ : ١٦٥ والاسنوي ١ : ٤٨٨ وابن خلكان ٤ : ٢٢٧ ؛ ولم ترد هذه الترجمة في المطبوعة .

١ الوافي : أيام عناني فيك ما أطولها .

٢ ابن خلكان : التمتام .

٣ الوافي : موضعي .

ابن خلكان

أحمد بن محمد بن إبراهيم بن خلكان قاضي القضاة شمس الدين الإربلي الشافعي ؛ ولد باربل سنة ثمان وستمائة ، وسمع بها صحيح البخاري من ابن مكرم الصوفي ، وأجاز له المؤيد الطوسي ، وروى عنه البرزالي والمزي . وكان فاضلاً بارعاً متقناً عارفاً بالمذهب ، حسن الفتاوي ، بصيراً^١ بالعربية ، علامة في الأدب والشعر وأيام الناس ، كثير الاطلاع حلو المذاكرة ، وافر الحرمة . وصنف كتاب « وفيات الأعيان » وقد اشتهر كثيراً . وله مجاميع أدبية .

قدم الشام في شببته . وتفقه بالموصل على كمال الدين ابن يونس ، وبحلب على بهاء الدين ابن شداد وغيرهما ، ودخل مصر وسكنها وتأهل بها ، وناب بها في القضاء عن بدر الدين السنجاري . ثم قدم الشام على القضاء في ذي الحجة سنة تسع وخمسين منفرداً بالأمر ، ثم أقيم معه في القضاء سنة أربع وستين شمس الدين ابن عطا الحنفي وزين الدين عبد السلام الزواوي المالكي وشمس الدين عبد الرحمن ابن الشيخ أبي عمر الحنبلي ، وكان الحنفي قبل ذلك نائباً للشافعي^٢ . ثم عزل عن القضاء سنة تسع وستين بالقاضي عز الدين ابن الصايغ . ثم عزل ابن

٤٥ - قد قمت بدراسته في مقدمة الجزء السابع من وفيات الأعيان (ط . بيروت ١٩٦٨ - ١٩٧٢) وذكرت هنالك مصادر دراسته ومنها عقود الجمان لابن الشعار ١ : ٤٥٤ ؛ وذيل الروضتين وذيل مرآة الزمان والوافي ٧ : ٣٠٨ ؛ وعيون التواريخ لابن شاكر ومرآة الجنان ٤ : ١٩٣ ؛ وطبقات الشافعية ٥ : ١٤ ؛ وطبقات الاسنوي ١ : ٤٩٦ ؛ والبداية والنهاية ١٣ : ٣٠١ ؛ والزرکشي ٥٢ ؛ وفي كتابه معلومات كثيرة عنه ، وكذلك ما قيده ابنه في « المختار من وفيات الأعيان » .

١ ص : بصير .

٢ من أول الترجمة حتى هذا الموضوع لم يرد في المطبوعة .

الصايغ بعد سبع سنين به ، وقدم من مصر ، فدخل دخولاً لم يدخله غيره
مثله من الحكام ، وكان يوماً مشهوداً ، وجلس في منصب حكمه ، وتكلم
الشعراء ، فقال الشيخ رشيد الدين الفارقي :

أنت في الشام مثل يوسف في مصر وعندي أن الكرام جناسُ
ولكلِّ سبعٍ شداد وبعد السبع عام فيسه يغاث الناس
وقال سعد الدين الفارقي :

أذقتَ الشامَ سبعَ سنينَ جدياً غداةَ هجرتهُ هجرأً جميلاً
فلما زرتَه من أرضِ مصرِ مددتَ عليه من كفيك نَيْلاً
وقال نور الدين ابن مصعب :

رأيتُ أهلَ الشامِ طرأً ما فيهمُ قطُّ غيرُ راضٍ
نالهمُ الخيرُ بعدَ شرِّ فالوقتُ بسطُ بلا انقباضِ
وعوَّضوا فرحةً بحزنِ مذ أنصفَ الدهرُ في التقاضي
وسرهم بعد طول غمِ قدومُ قاضٍ وعزل قاضي
فكلهم شاكراً وشاكٍ بحالِ مُستقبلِ وماضِ

وكان كريماً ممدحاً فيه سر وعفو وحلم ، وحكاياته في ذلك مشهورة ؛
ثم عزل بابن الصايغ ، وبقي في يده الأمانة والنجبية إلى أن مات رحمه الله ،
سادس رجب سنة إحدى وثمانين وستمائة بالنجبية جوار النورية ، وشيعه الخلائق ،
ودفن بسفح قاسيون .

وكان وجيه الدين ابن سويد صاحبه وكان يسومه قضاء أشغال كثيرة ، ويقضيها
فحضر في بعض الأيام ورام منه أمراً متعذراً فاعتذر ، فقال وجيه الدين : ما
يكون الصاحب صاحباً حتى يعرق جبينه مع صاحبه في جهنم ، فقال له ابن خلكان :
يا وجيه الدين ، صرنا معك قشل مثل^١ وما ترضى .

١ الوافي : قشلسا .

ويقال إنه عمل سيرة^١ للملك الظاهر . وأوصل نسبه بجنكزخان . فلما وقف عليه قال : هذا يصلح أن يكون وزيراً . اطلبوه ، فطلبوه فبلغ الخبر صاحب بهاء الدين ابن حنا ، فسعى في القضية إلى أن أبطل ذلك ، وناسى السلطان عليه . فبقي في القاهرة يركب كلَّ يوم ، ويقف في باب القرافة ، ويمشي قدام صاحب إلى أن يوصله إلى بيته . وافتقر حتى لم يبق له غير البغلة لركوبه . وكان له عبد يعمل بابا^٢ ويطعمه . وكان الشيخ بهاء الدين ابن النحاس يؤثره . والصاحب بهاء الدين لا يخنو عليه ، حتى فاوضه الدوادار وقال له : إلى متى يبقى هذا على هذه الحالة ؟ فجهز إلى دمشق على القضاء .

ولما كان بطالاً أمر له بدر الدين الخازن دار بألفي درهم ومائة إردب قمح فأبى من قبولها وقال : نخوع الحررة ولا تأكل بشديها . ولم يقبل وأصرَّ على الامتناع مع العاقبة الشديدة^٣ .

وكان له ميل إلى بعض أولاد الملوك ، وله فيه أشعار رائقة ، يقال : إنه أول يوم زاره بسَّط له الطَّرحة ، وقال له : ما عندي أعز من هذه ، طأ عليها ، ولما فشا أمرهما وعلم به أهله منعوه الركوب ، فقال ابن خلكان :

يا سادتي إني قنعتُ وحقكم	في حبكم منكم بأيسر مطلب
إن لم تجودوا بالوصال تعطفاً	ورأيتُ هجري وفرط تجنبي
لا تمنعوا عيني القريحة أن ترى	يوم الحميس جمالكم في الموكب
لو كنتَ تعلم يا حبيبي ما الذي	ألقاه من كمدٍ إذا لم تتركب
لرحمتي ورثيت لي من حسالة	لولاك لم يكُ حملها من مذهبي
[ومن البلية والرزية أني	أقضي وما تدري الذي قد حل بي]
قسماً بوجهك وهو بدرٌ طالعٌ	وبليل طرتك التي كالغيب

١ الوافي : تاريخاً .

٢ كذلك هو في الوافي .

٣ وكان كريماً . . . الشديدة : لم يرد في المطبوعة .

وبقامة لك كالقضيب ركبتُ من
 وبطيب مبسمك الشهويّ الباردِ الد
 لو لم أكنُ في رتبة أرعى لها الد
 لمتكت سترى في هواك ولذتُ لي
 لكن خشيتُ بأن تقول عواذلي
 فارحم فديتك حرقه قد قاربت
 لا تفضحنَ ببحك الصب الذي
 أخطارها في الحب أعظمَ مركب
 عذب النمير اللؤلؤيّ الأشنب
 معهد القديم صيانة للمنصب
 خلعُ العذارِ ولجّ فيك مؤنبي
 قد جنّ هذا الشيخ في هذا الصبي
 كَشَفَ الصِنَاعِ بحق ذيتك النبي
 جرعته في الحب أكدر مشرب

قال القاضي جمال الدين عبد القاهر التبريزي وسيأتي ذكره إن شاء الله :
 كن الذي يهواه القاضي شمس الدين ابن خلكان الملك المسعود ابن الزاهر صاحب
 حماة ، وكان قد تيممه حبه ، وكنت أنا عنده في العادلية ، فتحدثنا في بعض الليالي
 إلى أن راح الناس من عنده ، فقال : نَمَّ أنت هاهنا ، وألقى عليّ فروة قرص^١
 وقام يدور حول البركة في بيت العادلية ، ويكرر هذين البيتين ، إلى أن أصبح ،
 وتوضينا وصلينا ، والبيتان المذكوران :

أنا والله هالكٌ آيسٌ من سلامي
 أو أرى القامة التي قد أقامت قيامي

ويقال : إنه سأل بعض أصحابه عما يقولوه^٢ أهل دمشق فيه فاستعفاه ،
 فألح عليه فقال : يقولون : إنك تكذب في نسبك ، وتأكل الحشيشة ، وتحب
 الصبيان ، فقال : أما النسب والكذب فيه فإذا كان لا بدّ منه كنت أنتسب إلى
 العباس ، أو إلى عليّ بن أبي طالب ، أو إلى أحد الصحابة ، وأما النسب إلى قوم
 لم يبقَ لهم بقية ، وأصلهم قوم مجوس ، فما فيه فائدة ، وأما الحشيشة فالكلُّ
 ارتكاب محرم ، وإذا كان ولا بدّ فكنت أشرب الخمر لأنه ألدّ ، وأما محبة

١ يريد « فروة قرظ » .

٢ كذا في ص .

الغلمان فألى غدٍ أجيبك عن هذه المسألة .
وذكره الصحاح كمال الدين ابن العديم ، ونسبه إلى البرامكة . ومن شعره
أيضاً :

وسرّبِ ظباءَ في غدِيرِ تخالمِ بدوراً بأفقِ الماءِ تبدو وتغرب
يقول عذولي والغرام مصاحبي أما لك عن هذي الصباية مذهب
وفي دمك المظلول خاضوا كما ترى فقلت له : دعهم يخوضوا ويلعبوا
وقال أيضاً :

كم قلت لما أطلعت وجناتسه حول الشقيق الغصّ روضة آس
أعداره الساري العجول بخدّه « ما في وقوفك ساعة من باس »
وقال أيضاً :

لما بدا العارضُ في خدّه بشرتُ قلبي بالسلو المقيم
وقلت : هذا عارضٌ ممطر فجاءني فيه العذاب الأليم
وقال أيضاً :

وما سرّ قلبي منذ شطّيت بك النوى نعيمٌ ولا هوٌ ولا متصرفٌ
ولا ذقتُ طعمَ الماءِ إلاّ وجدته سوى ذلك الماء الذي كنت أعرف
ولم أشهد اللذات إلاّ تكلفاً وأيُّ سرورٍ يقتضيه التكلف
وقال :

أحبابنا لو لقيتم في إقامتكم من الصباية ما لاقيت في طعني
لأصبح البحرُ من أنفاسكم ببساً والبر من أدمعي ينشق بالسفن
وقال :

١ مضمن من شعر أبي تمام ، وعجز البيت : نقضي ذمام الأربع الأدراس .

تمثلتم لي والديارُ بعييدةً
وناجاكم قلبي على البعد والنوى
فخيل لي أن الفؤاد لكم معنى
فأوحشتم لفظنا وأنتم معنى
وقال أيضاً :

انظر إلى عارضه فوقه
تعاين الجئسة في خده
لحاظه يرسل منها الختوف
لكنها تحت ظلال السيوف

وقال في ملاح أربعة يلقب أحدهم بالسيف :

ملاك بلدتنا بالحسن أربعة
تملكوا مهج العشاق وافتتحوا
بجسهم في جميع الخلق قد فتكوا
بالسيف قلبي ولولا السيف ما ملكوا
وقال :

ألا يا سائراً في قفر عمر
قطعت نقا المشيب وجزت عنه
يقاسي في السرى حزنًا وسهلا
وما بعد النقا إلا المصلى

وقال :

أي ليل على المحب أطاله
يزجر العيس طاوياً يقطع المه
أيها السائق المجد ترفق
وأنحها هنيهة وأرحها
لا تطل سيرها العنيف فقد بر
قد تركتم وراءكم حلف وجد
يسأل الربع عن ظباء المصلى
ومحال من المحيل جواب
هذه سنة المحبين يكمو
يا ديار الأحباب لا زالت الأد
سائق الظعن يوم زمّ جماله
مه عسفاً سهوله ورماله
بالمطايا فقد سمن الرحاله
قد برأها فرط السرى والكلاله
ح بالصّب في سراها الإطاله
باديسا في محلّكم إطلاله
ما على الربع لو أجب سؤاله
غير أن الوقوف فيها علّاله
ن على كل منزل لا محاله
مُع في ترب ساحتك مذاله

وتمشى النسيمُ وهو عليلٌ
 أينَ عيش مضى لنا فيك ما أمه
 حيث وجهُ الشبابِ طَلَّقَ نضيرُ
 ولنا فيك طيبُ أوقات أنس
 وبأرجاءِ جوكِ الرحبِ سربُ
 من فتاةٍ بديعةٍ الحسنِ ترنو
 ورخيمِ الدلالِ حلِّو المعاني
 ذو قوامِ تودَّ كلُّ غصونِ البه
 وجهه في الظلامِ بدرُ تمامِ
 ظبية تبهر العيونِ جمالاً
 يا خليلي إذا أتيتَ رُبِّي الجز
 قف به ناشداً فؤادي فلي ثمَّ
 وبسأعلى الكئيبِ بيتِ أغضُ
 كلَّ من جئته لأسألَ عنسه
 أنا أدري به ولكنَّ صَوْناً
 منزلٌ حبه عليَّ قديمٌ
 يا عريبَ الحمى اعذروني فإني
 حاشَ الله غيرِ أني أخشى
 فتأخرتُ عنكمُ قانعاً من
 أتمنى في التومِ زورَ خيسالِ
 يا أهيلَ النقا وحق ليالي الوص
 لي مُدُّ غبتمُ عن العينِ نارُ

في مغانيك ساحباً أذباله
 مرع عتسا ذهابه وزواله
 والتصابي غصونهُ ميّاله
 ليتنا في المنامِ نلقى مثاله
 كلُّ عينٍ تراهُ تهوى جماله
 من جفونِ لحاظها مغتاله
 تَشَنَّى أعطافه مختاله
 انِ لو أنها تحاكي اعتداله
 وعذاراهِ حولَه كالهاله
 وغزالِ تغسارِ منه الغزاله
 عِ وعانيتَ روضه وظلاله
 فؤادٌ أخشى عليه ضلاله
 الطَّرَفَ عنه مهابةً وجلاله
 أظهر العيِّ غيرَةَ وتباله
 أتعامى عنه وأبدي جهاله
 في زمانِ الصبا وعصرِ البطاله
 ما تجنبت أرضكم عن ملاله
 من عدوِّ يسيءُ فينا مقاله
 طيفكم في المنامِ يهدي خياله
 والأمانِ أطماعها قتاله
 ل مسا صبوتي عليكم ضلاله
 ليسَ تخبو وأدمعُ هطّاله

فصلونا إن شئتمُ أو فصّدوا لا عسدمناكمُ على كل حاله

وقال :

يا ربّ إن العبدَ يخفي عيه
ولقد أتاك وما له من شافعٍ
فاستر بحلمك ما بدا من عيه
لذنوبه فاقبل شفاعته شبيه

وقال :

أعديتني بالجوی يا فاترَ المقلِ
وملتَ عني إلى الواشي فلا عجبُ
يا واحدَ الحسنِ عدني زورةً حلماً
يا جيرةً بأعلي الخيفِ من إضمٍ
وملتمُ بحميلِ الصبرِ عن دنفِ
تجري على [الخد] مذ غبتم مدامعه
فصحّ وجدي على ما بي من العللِ
والغصنُ ما زال مطبوعاً على الميلِ
وها يدي إن نومي قد جفا مقلي
خيبتُكمُ بجفاكم في الهوى أُملي
أجلُّ ما يتمنى سرعة الأجلِ
وما عسى ينفع الباكي على طللِ

وقال أيضاً رحمه الله :

أيسا غادراً خانته موثيقُ عهده
وأقصيته من بعد أنسٍ وصحبة
فله أيامٌ تقضتُ حميدةً
وإذ أنت في عيني ألدّ من الكرى
فلهني على ذلك الزمان الذي غدتُ
ومذُ صرتَ ترضيني بقولٍ مُسمّقٍ
ثبتُ عناني عن هواك زهـادةً
لأنني رأيتُ القلْبَ عندك ضائعاً
ولم تحفظ الودّ الذي هو بيننا

لقد جرّت في حكم الغرام على الصبّ
وما هكذا فعل الأحبّة والصحب
بقربك واللذات في المنزلِ الرحب
وأشهى إلى قلبي من البارد العذب
عليه دموعُ العينِ دائمة السكّب
وتظّهرو لي سلماً أشدّ من الحرب
وإن كنت في أعلى المراتب من قلبي
تعذبسه كيف اشتهيت بلا ذنب
ولم ترع أسباب المودّة والحب

١ زيادة تقديرية .

تقلبه الأشواقُ جنباً إلى جنبٍ
فأشفيَ قلبي بالشكِيَّةِ والعَتَبِ
وأبعدتني حتى يثتُ منَ القربِ
وضيَّعتَ ما بيني وبينكَ بالكذبِ
كفاني الذي قاسيتهُ فيك من عجبِ
أبي الله أن تسي فؤادي أو تصيبي
تجرعته بالذلِّ من خلقك الصعبِ
فحسي سلواً بعضُ ما قلته حسي
وخفت حتى في الرسائل والكتبِ

ولا أنت في قيدِ المحبِّ إذا غسدا
ولا أنت ممَّن يرعوي لمقالتِي
ولا رمتُ منكَ القربَ إلاَّ جفوتني
وأصغيتَ للواشي وصدقت قولسه
فلم يبقَ لي والله فيكَ إرادةُ
ولا لي في حبيك ما عشتُ رغبةُ
ومن ذا الذي يقوى على حمل بعض ما
فلا ترجُ منِّي بعد ذا حسنَ صحبةِ
فلا تعبتني قد قطعتُ مطامعي

وقال في المعنى :

أما تستحي من فرط تيهك والعجبِ
محا كثرةُ التقيحِ حبك من قلبي

أيا معرضاً عنِّي بغيرِ جنابةِ
سلوتكَ فاصنع ما تشاء فإنه

وقال أيضاً ذوبت :

قد حيرني فلست أدري ما هو
يسدري أحدٌ بذاك إلاَّ الله

هذا الصلفُ الزائدُ في معناه
كم يحملُ قلبي من تجنيك ولا

وقال أيضاً :

تصحیحُ غرام كلِّ صبِّ عاني
من حاشيةٍ بالقلم الريحاني

في هامش خدك البديع القاني
قد خرجها الباري فمسا أطفها

وقال أيضاً :

قصداً فإذا رأيت من حلِّ هناك
أن مات غراماً أحسن الله عزاك

يا سعدُ عساک تطرق الحي عساک
قل صبيك ما زال به الوجدُ إلى

الزین کتابت

أحمد بن محمد بن أحمد ، أبو العباس الأندلسي الإشبيلي المعروف بزین الدين كتابت المصري الواعظ ؛ مولده سنة خمس وستمائة ، وتوفي بالقاهرة سنة أربع وثمانين وستمائة ، وكان له معرفة بالأدب رحمه الله ، فمن شعره :

حضرُوا فمذ نَظَرُوا جمالك غابوا
فكأنتهمُ في جنّةٍ وعليهمُ
يا سالبَ الألبابِ يا من حسنهُ
القربُ منك لمن يحبك جنّسهُ
يا عامراً منّي الفؤادِ بجبّسهِ
أنت الذي ناولتني كأسَ الهوى
وعلى النّقا حرّمَ لعلوة آمنُ
لفريقها كيف الوصول ودونه
والكلُّ مذ سمعوا خطابكَ طابوا
من خمر جبك طافت الأكواب
لقلوبنا الوهبُ والنهبُ
قد زُحِرِفَتُ والبعد منك عذاب
بيتُ العذولِ على هواك خراب
فإذا سكرتُ فما عليّ عتاب
من حوله تُتَخَطَفُ الألباب
نار لها بحشاشتي إلهاب
وقال أيضاً :

يا بارقَ الحَيِّ كرّر في حديثكَ لي
وأنت يا دمعُ ما هذا الوقوفُ وقد
وقال :

تذكارهم وأعيدُ روحي إلى بدني
جرى حديث الحمى النجديّ في أذني

٤٦ - الوافي ٧ : ٣٣٣ والنفع ٢ : ٥١٦ وعده من المهاجرين من الأندلس وهو خطأ فقد ولد
بتنيس ؛ وانظر النجوم الزاهرة ٧ : ٣٦٤ .
١ هذه المقدمة لم ترد في المطبوعة .

أحن ولكن نحو ضمّ قوامه وأعشق ما لي نعمة^١ من حديثه
وأصبو ولكن نحو لثم لثامه
تفرّج إلا من هموم غرامه
وقال :

حلوتم أهلَ نعمان بقلبي وقد أصبحتُ كنزَ الأمان
فكلُّ عذاب حبكمُ نعيمُ فواجدُ غيركم عندي عديمُ
وقال :

جواز الصبر^٢ في أذني محال وما للصبر في قلبي مجالُ
شغلتم كلَّ جارحةٍ بحسن فليس لها بغيركم اشتغال
سقى الهضبات من نجدٍ سحابٌ ملئتُ الغيث تحدوه الشمال
ولا برحت أئيلات المصلي ترَف^٣ على منابتها الظلال
منازل جيرة ما كان أهنسا بهم لي العيش لو دام الوصال
يهبُ نسيمها فأميل سكرًا فهل هبت شمول أم شمال

٤٧

ابن الشريشي

أحمد بن محمد بن أحمد البكري المعروف بابن الشريشي ، الشيخ كمال الدين

١ ص : نعمة .

٢ الوافي : العذل ؛ وهو أصوب .

٣ ص : ترق .

٤٧ - الزركشي ١ : ٤٩ ، والوافي ٧ : ٣٣٧ وأعيان العصر ١ : ١٠٨ والدرر الكامنة ١ : ٢٥٢
وبغية الوعاة : ١٥٥ ، ولم يرد من هذه الترجمة في المطبوعة إلا بيتا ابن الشريشي إلى ابن الوكيل
ورد ابن الوكيل عليهما ، وقد أفرد لابن الوكيل ترجمة تحمل رقم ٤٨ في المطبوعة ، وذلك خطأ .

أبو العباس الشافعي وكيل بيت المال بدمشق ، وشيخ دار الحديث الأشرفية ،
ومدرس الناصرية . ترشح لقضاء القضاة بالشام ، وكان ذا هيبة^١ وشكل ، مولده
بسنجار سنة ثلاث وخمسين وستمائة ، وتوفي بدرب الحجاز بالكرك^٢ سنة ثمان
عشرة وسبعمائة رحمه الله .

اشتهر عنه أنه كتب إلى بدر الدين ابن الدقاق ناظر أوقاف حلب :

مولاي بدر الدين صلِّ مُدْنفاً صيره حبكَ مثل الخلال
لا تخش من عارٍ إذا زرتني فما يعاب البدر عند الكمال
فلما بلغا صدر الدين ابن وكيل بيت المال قال :

يا بدر لا تسمع قولَ الكمالِ فكلَّ ما نمتقَ زورَ محالٍ
فالنقصُ يعرفو البدرَ في تمهه وربما يخسف عند الكمال
[فزار البدر المذكور ابن الشريشي ، فلم يحفل به ، فكتب :

إنَّ كمال الدينِ إذ زرتُهُ أصلحهُ اللهُ على كلِّ حالٍ
وجدَّتْ حَظِّي عنده ناقصاً فصح أنَّ النقص عند الكمال]^٣

وكتب إلى ابن الرقاعي^٤ يستعفيه من وكالة بيت المال ، وقد بلغه أنه سعى
له فيها :

إلى بابك الميمون وجهتُ آمالي وفي فضلك المعهود قصدي وإقبالي
وأنت الذي في الشام ما زال محسناً إليّ ، وفي مصرٍ على كلِّ أحوالي
أتني أيادٍ منك في طيِّ بعضها تملكُ رِقَّ الحرِّ بالثمنِ الغالي
وقُمتَ بحقِّ المكرماتِ وإنعسا هو الرزق لا يأتي بحيلة محتسبـال

١ الوافي : هيبته . ٢ ص : بالحسا ؛ والتصويب عن الوافي .

٣ ما بين معقفين لم يرد في ص ؛ وهو في الوافي .

٤ كان ناظر النظار بدمشق (أعيان العصر ١ : ١٠٩) .

عليّ لكم أن أعمّرَ العمرَ بالثنا
وقد بقيتُ لي بعد ذلك حاجةٌ
أرحني من واو الوكالةِ عاطفياً
وصنّ ماءً وجهي عن مشاققة الوري
ولا تتأولُ في سؤالي تركهسا
ورزقيّ بأتيني وإنّي لقسانع
وحاليّ حالٍ بافتقارٍ يصونني
وتجبر وقتي كسرةُ الخبز وحدها
فهذي إليكم قصتي قد رفعتها

وبالمدح مهما عشتُ من غير إخلال
لها أنت مسئولٌ فلا تلغِ تسآلي
عليّ بإحسانٍ بسدأت وإفضال
فهذا على أرضٍ وهذا على مال
فوالله مالي نحوها وجه إقبال
لراحةٍ قلبي من زماني بإقلال
ولبسيّ أسمالي مع العز أسمى لي
وأرضي بيالي الثوب مع راحة البال
لتغتنموا أجري ، ورأيكم العالي

فقطع ابن الرقاعي الأبيات كلها من الورقة ، وأبقى البيت الأخير ، وكتب تحتها :

[رأينا] ' العالي أن تعود إلى شغلك وعملك .

٤٨

الصنوبري الشاعر

أحمد بن محمد بن الحسن ابن مرار الضبي الحلبي المعروف بالصنوبري الشاعر ؛ كان جده الحسن صاحب بيت الحكمة للمأمون ، فتكلم بين يديه فأعجبه

١ زيادة من الوافي .

٤٨ - الوافي ٧ : ٣٧٩ وتهذيب ابن عساكر ١ : ٤٥٦ وعبر الذهبي ٢ : ٢٣٧ والشذرات ٢ : ٣٣٥ وقد نشرت ما تبقى من ديوانه (دار الثقافة ١٩٧٠) واستخرجت ما تناثر من شعره في المصادر ، ثم استدرك ما فاتني الأستاذ لطفى الصقال والسيدة درية الخطيب في مجموعة باسم « تنمة ديوان الصنوبري » (حلب : ١٩٧١) .

كلامه وشكله فقال : إنك لصنوبري الشكل ، فلزمه هذا اللقب . وتوفي الصنوبري الشاعر صاحب هذه الترجمة سنة أربع وثلاثين وثلثمائة . ومن شعره في الورد^١ :

زعم الورد أنه [هُوَ] أبهى من جميع الأنوار والريحان
فأجابه أعينُ النرجس الغض بذلَّ من فوقها وهوانِ
أعسا أحسن التوردُ أم مة لمة ريم مريضة الأجفانِ
أم فماذا يرجو بحمرته الحـ لم إذا لم يكن له عينانِ
فرها الورد ثم قال مجيباً بقياسٍ مستحسنٍ ويسانِ
إنَّ وِردَ الحدودِ أحسن من عيـ نٍ بها صفرة من اليرقانِ
وله أيضاً^٢ :

أرأيت أحسن من عيون النرجس أم من تلاحظهنَّ وسط المجلس
در تشقِّقُ عن يواقيت على قُضْب الزمرد فوق بسط السندس
أجفان كافور حَفَقْنَ^٣ بأعينٍ من زعفرانٍ ناعمات الملمس
فكأنها أقمار ليل أهدقت بشموس أفق فوق غصن أملس
وقال أيضاً^٤ :

ياريمُ قومي الآن ويحك فانظري ما للرئي قد أظهرت إعجابها
كانت محاسن وجهها محجوبة فالآن قد كشفَ الربيع حجابها
ورد بدا يحكي الحدود، ونرجس يحكي العيون إذا رأت أحبابها
ونبات باقلاء يشبه نوره بلُقَّ الحمام مشيلة أذنانها
والسروُّ تحسبه العيون غوانيا قد شمَّرت عن سوقها أثوابها

١ ديوانه : ٤٩٨ .

٢ ديوانه : ١٨٠ .

٣ الديوان : حبين .

٤ ديوانه : ٤٥٤ .

خَوْدُ تَلَاعِبِ مَوْهِنَا أَتْرَابِهَا
يَوْمًا لَمَّا وَطِئَ اللَّثَامُ تَرَابِهَا

جس من حسنه وغار البهارُ
حَيْرَةً وَاغْتَرَى الْبَهَارُ اصْفِرَارُ
عَنْ ثَنَائِيَا لِثَانِهِنَّ نَضَارُ
سَنَ لَمَسَا أَذِيَعَتِ الْأَسْرَارُ
صَارَ فِيهَا مِنْ لَطْمِهِ آثَارُ
لِ كَمَا تَسْكَبُ الدَّمُوعُ الْغَزَارُ
بَ حَدَادٍ إِذْ خَانَهُ الْإِصْطِبَارُ
غَضَّ حَتَّى أَذَابَهُ الْإِضْرَارُ^٢
رِ فَوَافِيهِ جِحْفَلُ جِرَارُ
جَسَ بِالْحَرَمِ الَّذِي لَا يَبَارُ
تَحْتَ سَجْفٍ مِنَ الْعِجَاجِ يَثَارُ
ضَّ ضَعِيفًا مَا إِنْ لَدَيْهِ انْتِصَارُ
دَ حَدَارًا أَنْ يَغْلِبَ النَّوَّارُ
خَبُّ فِيهِ الْأَطْيَارِ وَالْأَوْتَارُ
تَدْمَنُ اللَّحْظَةُ نَحْوَهَا الْأَبْصَارُ

وَكَأَنَّ إِحْدَاهُنَّ مِنْ نَفْحِ الصَّبَا
لَوْ كُنْتَ أَمَلَكُ لِلرِّيَاضِ صَيَانَةً
وَقَوْلُهُ أَيْضًا^١ :

خَجَلُ الْوَرْدِ حِينَ لَاحِظُهُ^٢ النَّرُ
فَعَلَّتْ ذَاكَ حَمْرَةً وَعَلَتْ ذَا
وَعْدَا الْأَقْحَوَانَ يَضْحَكُ عَجْبًا
ثُمَّ نَمَّ النَّوَامُ وَاسْتَمَعَ السُّو
عِنْدَهَا أَبْرَزَ الشَّقِيقُ خَدُودًا
سُكِبَتْ فَوْقَهَا دَمُوعٌ مِنَ الطَّ
فَاكْتَسَى ذَا الْبِنْفَسِجِ الْغَضُّ أَثْوَا
وَأَضْرَ السَّقَامُ بِالْيَاسَمِينِ الْه
ثُمَّ نَادَى الْخَيْرِيَّ فِي سَائِرِ الزَّهْرِ
فَاسْتَجَاشُوا عَلَى مَحَارِبَةِ النَّرِ
فَأَتَوْا^٣ فِي جَوَاشِنِ سَابِغَاتِ
ثُمَّ لَمَّا رَأَيْتَ ذَا النَّرْجِسِ الْغَدَا
لَمْ أَزَلْ أَعْمَلُ التَّلَطُّفَ لِلْوَرِ
فَجَمَعْنَاهُمْ لَدَى مَجْلِسِ تَصَا
لَوْ تَرَى ذَا وَذَا لَقَلْتُ خَدُودَ

١ ديوانه : ٧٨ .

٢ الديوان : عارضه .

٣ ص : الاضطراب .

٤ ص : والذي .

٥ الديوان : فأتى .

وله أيضاً^١ :

بدر غدا يشرب شمساً غدت وحدّها في الوصف من حدّه
تغرب في فيسهِ ولكنّهـا من بعد ذا تطلع في خدّه

وله أيضاً^٢ :

ولم أنسَ ما عاينته من جماله وقد زُرْتُ في بعض الليالي مصلاًه
ويقرأ في المحراب والنّاس خلفه (ولا تقتلوا النفس التي حرّم الله)
فقلت : تأمل ما تقول ؛ فإنّه فعالك يا من تقتل الناس عيناه

٤٩

قاضي القضاة ابن صصرى

أحمد بن محمد بن سالم بن الحافظ أبي المواهب بن صصرى ، الشيخ الإمام العالم قاضي القضاة ، نجم الدين أبو العباس الربيعي التغلبي الدمشقي الشافعي ؛ ولد سنة خمس وخمسين وستمائة ، وحضر على الرشيد العطار والتجيب عبد اللطيف ، وسمع من ابن عبد الدايم وابن أبي اليسر وجده لأمه المسلم بن علان ، وتفقه على الشيخ تاج الدين ، ودخل ديوان الإنشاء ، ونظم ونثر ، وشارك في فنون .

١ الديوان : ٤٧٥ .

٢ الديوان : ٥١٢ .

٤٩ - الزركشي : ٥١ : ٥١ والوافي ٨ : ١٦ وأعيان العصر ١ : ١١٢ والدرر الكامنة ١ : ٢٦٣ وطبقات السبكي ٥ : ١٧٥ والبداية والنهاية ١١ : ١٠٦ والدارس ١ : ١٣٢ والبدر الطالع ١ : ١٠٦ وقضاة دمشق : ٨٤ .

وكان فصيح العبارة ، قادراً^١ على الحفظ ، طويل الروح مسالماً محسناً إلى مَنْ أساء إليه . بلغه أن الشيخ صدر الدين نظم فيه بليقة^٢ ، فتحبّل إلى أن وقعت بخطه في يده وسير خلف الشيخ صدر الدين ، ووضع الورقة مفتوحة على مصلاّه ، فلما دخل الشيخ صدر الدين رأى الورقة وعرفها ، وقاضي القضاة مشتغل عنه ، فلما تحقق أن صدر الدين قد رأى الورقة وعرفها قال للطواشي : أحضر للشيخ ما عندك ، فأحضر له بفقجة قماش وصرّة فيها ستمائة درهم ، وقال : هذه جائزة تلك البليقة .

وكان يوماً قد توجه إلى صلاة الصبح بالجامع ، فلما كان ببعض الطريق ضربه إنسان بمطرق رماه إلى الأرض ، وظنّ أنه قد مات ، فلما أفاق حضر إلى بيته وكان يقول : أعرفه وما أذكره لأحد .

وكان ينطوي على دين وتعبّد ، وله أموال وخدم ، وهو من بيت حشمة . وقيل إنه قال يوماً للشيخ صدر الدين : فرّق ما بيننا أنني أشتغل على الشمع الكافوري ، وأنتم على قناديل المدارس .

ودرس بالعادية الصغرى والأمنية ثمّ بالغزالية ، مع قضاء العسكر ومشيخة الشيوخ ، ثم ولي قضاء القضاة سنة اثنتين وسبعمئة إلى أن مات رحمه الله . وأذن لجماعة في الفتوى ، وقيل إنه لم يقدر أحد يدكّس عليه قضية ولا يشهد زور^٣ ، وكان متحرّياً في أحكامه بصيراً بقضايها ، وما سمع عنه أنه ارتشى^٤ في حكومة . وتوفي بعد تعلّل أصابه فجأة ببستانه في نصف شهر ربيع الأوّل سنة ثلاث وعشرين وسبعمئة ، وكان موته مفتاحاً لموت رؤساء دمشق وعلمائها .

ورثاه شعراء عصره ، ورثاه المرحوم شهاب الدين محمود ، ولشعراء زمانه فيه مدائح كثيرة .

١ ص : قادر .

٢ نوع من الشعر العامي ، انتشر بمصر ، وكثيراً ما يعتمد على الإفحاش في القول .

٣ كذا في ص .

٤ ص : ارشّى .

ووجدت منسوباً إليه من الشعر :

ومذخيتٌ عنِّي بدورُ جمالهمُ
وقد بتُّ ما لي في الغرامِ مسامرٌ
وإني على قرب الديارِ وبعدها
ودمعي سريعٌ والشوقُ كاملٌ
وما لي أنصارٌ سوى فيضِ أدمعي
أحبابنا غيمٌ فغابت مسرتي
وما القصدُ إلاّ أنتمُ ورضاكمُ
وما في فؤادي موضعٌ لسواكمُ
وما راقني من بعدكم حسن منظرٍ
وما كلّفتي بالدارِ إلاّ لأجلكمُ
وما حاجرٌ إلاّ إذا كنتمُ بها

غدا سقّمي في جبهم وهو ظاهرٌ
سوى ذكرهمُ يا حبذاك المسامر
مقيمٌ على عهدِ الأحبة صابر
ووجدي مديدٌ والتأسفُ وافر
إذا بات من أهواه وهو مهاجر
وأصبح حزني بعدكم وهو حاضر
وغير هواكم ما تسرُّ السرائر
ولا غيركم في خاطر القلب خاطر
ولا شاقني زاهٍ من الروض زاهر
وإلاّ فما تغني الرسومُ الدوائر
إذا غيمٌ عنها فما هي حاجر

٥٠

شهاب الدين ابن غانم

أحمد بن محمد بن سلمان بن حمائل بن علي بن معلّى بن طريف
ابن أبي جميل بن جعفر بن موسى بن إبراهيم بن إسماعيل بن جعفر بن محمد بن
علي الزينبي الجعفري ، ابن بنت القدوة الشيخ غانم ؛ إمام كاتب مترسل ، نديم
أخباري يتفهبق في كلامه ، يستحضر من اللغة ومن شعر العرب شيئاً كثيراً ،

٥٠ - الوافي ٨ : ١٩ وأعيان العصر ١ : ١١٥ والدرر الكامنة ١ : ٢٦٥ والشذرات ١ : ٢٦٥
والزرکشي : ٣٦ .

ويحفظ شعر المعري؛ باشر الإنشاء بصفد وغزة وقلعة الروم وفي كل مكان له وقائع مع نواب ذلك وأوابد ، ويخرج هارباً ، وكتب قدّام الصاحب شمس الدين غبريال ، فاتفق أنه هرب مملوك الأمير شهاب الدين قرطاي، فظفر به الصاحب، وأمره أن يكتب على يده كتاباً إلى مخدومه يقول فيه: إنما هرب خوفاً منك ، فكتب الكتاب ، وجاء في المعنى المقصود ، فقال : إذا حَسُنَ المقرُّ حسن المقرُّ ، فلما وقف الصاحب على ذلك أنكره وقال : ما هذه مليحة ، فطار عقل شهاب الدين ، لأنه ظن أن ذلك يصادف موقِعاً يهشُّ له ، فضرب الدواة بالأرض ، وقال : ما أنا ملزوم بالقُلفُ الغلف وخرج متوجهاً إلى اليمن وكتب لصاحبها ، ثم خرج منها هارباً .

وكان حَسَنَ الملبس شطف^١ العيش مطرح الكلفة ، يلبس البابوج والجمجم^٢ ، ويلفّ الطول المقصص^٣ الإسكندراني والقماش القصير . وكان حلو المعاشرة ، أَلَفَ به القاضي فخر الدين ناظر الجيش واستكتبه في باب السلطان .

ولما مات فخر الدين رجع إلى الشام كاتب إنشاء ، واختل^٤ قبل موته بستتين . وكان مولده سنة خمسين بمكة ، شرفها الله تعالى ، ووفاته بعد أخيه علاء الدين في سنة سبع وثلاثين وسبعمائة ، ومات وله سبع وثمانون سنة تقريباً ؛ وسمع من ابن عبد الدايم وقرأ على ابن مالك وعلى ولده بدر الدين وعلى مجد الدين ابن الظهير الإبلي .

وكان إذا أنشأ أطال فكره ، ونتاج شعر ذقنه ، أو وضعه في فمه وقَرَضَه بثناياه ، رحمه الله .

فمن شعره :

- ١ ص : شيطف .
٢ ذكره دوزي في ملحق المعاجم بفتح الجيمين (ويضمهما في المعجم الفارسي) وعرفه بأنه نعل يلبسه الدراويش ، ويصنع من قطن .
٣ الوافي : المقصص ؛ ولم أجد شرحاً لما ساء « الطول المقصص » أو « المقصص » .
٤ الوافي : واختلط .

والله ما أدعو على هاجري
حتى يرى مقداراً ما قد جرى
وله أيضاً :

يا حسنها من رياضٍ
كالزُّهر زهراً وعنهما
مثل النُّضار نضارَةً
حسن العبير عبارةً

وله أيضاً :

بأبي صائغ مَلِيح التَّشَنِّي
أمسك الكلبتين يا صاح فاعجب
بقوامٍ يزري بنحوظ البسانِ
لغزالٍ بكفِّهِه كلبتانِ

وله أيضاً :

طرفسكَ هذا به فتور
قد كنتُ لولاهُ في أمانٍ
أضحى كقلبي به فتونُ
لله ما تفعلُ العيونُ

وله أيضاً :

ما اعتكاف الفقيه أخذاً بأجرٍ
هو شهر تُغَلُّ فيه الشياطينُ
بل لحكم قضى به رمضانُ
ن ولا شك أنه شيطانُ

وله أيضاً :

أيها اللامي لأكلي كروشاً
لا تلمني على الكروش فحبي
أتقنوهما في غاية الإتيانِ
وطني من دلائل الإيمانِ

أخذ هذا المعنى من النصير الحمامي حيث قال :

رأيت شخصاً آكلاً كرشةً
وهو أخو ذوقٍ وفيه فِطْنٌ

١ الوافي : ريج .

٢ الوافي : علائم .

وقال ما زلت محبباً لها قلت من الإيمان حب الوطن

وكان قد أضافه الملك الكامل ، ولما خرج نسي جيبته عنده ، فطلبها منه
فمطّله بها فكتب إليه :

يا ذا الذي أطعمني في بيته سبع لُقَمَ
ورام أخذ جيبتي هذا على الرطل بكم

ولما كان قراسنقر نائباً بدمشق أمر أن يبيت كل ليلة بالقصر واحد من
الموقعين ، فنام ليلة الشيخ نجم الدين الصفدي ، وكتب في حائط المكان الذي
يبتون فيه :

عسذبت ليلة المبيت بقلبي فهي عندي مأمولة التوقيت

فلما كانت الليلة الثانية نام الشيخ شهاب الدين ابن غانم ، ورأى البيت فكتب
تحتة :

ليت شعري من بيّت الشيخ حتى راح يثني خيراً على التبيت

وكتب إلى قاضي القضاة جمال الدين بن واصل ، وقد أفعده عاقداً بحماسة في
مكتب فيه السيف ابن المغيزل :

مولاي قاضي القضاة يا مَنْ له على العبد ألف مِنَّة
إليك أشكو قرينَ سوء بليتُ منسه بألف محنه
شهرته بيننا اعتداء أغمده فالسيف سيف فتنه

وكان ليلة في سماع فرقصوا ثم جلسوا ، وقام من بينهم شخص وطال الحال
في استماعه ، وزاد الأمر وشهاب الدين ساكت مطرق ، فقال له شخص :
أيش بك مطرق كأنه يوحى إليك ؟ فقال : نعم ، قد أوحى إليّ أنه استمع نفر
من الجن .

وكان يوماً عند صاحب حماة الملك المنصور وقد حضر السَّمَاط ، وكان أكثره مرق ، فقال شهاب الدين ، لما قيل له الصلاة ، بسم الله الرحمن الرحيم ، نويت رفع الحَدَث واستباحة الصلاة ، الله أكبر . وكان المظفر ولد المنصور يكره شهاب الدين فاغتم الواقعة فيه عند والده ، فقال : اسمع ما يقوله ابن غانم ، يهجنُ طعامنا ويشبهه بالماء الذي يرفع به الحدث ، فعاتبه المنصور على ذلك فقال : ما قصدت ذلك ، ولكن البسملة في بدء كل شيء مستحبة ، والحدث الذي نويت رفعه حدث الجوع ، واستباحة الصلاة في الأكل ، قال : فما معنى الله أكبر ، قال : على كل ثقيل ، فاستحسن الملك ذلك وخلع عليه .

واجتمع ليلة عند كريم الدين الكبير في مولد بعلاء الدين ابن عبد الظاهر ، فجاء إليه شخص وقال : معاوية الخادم يقصد الاجتماع بك ، فقال : وبيك من يفارق علي^١ ويروح إلى معاوية ؟ .

كان شهاب الدين قد فارق أباه وهو صغير ، وتوجه إلى السماوة ونزل على الأمير حسين ابن خفاجة ، وأقام عنده مدة يصلي به ، وكان الوقت قريب العهد بخراب بغداد وقتل المستعصم وتشتت أهل بغداد في البلاد فظن به أنه ابن المستعصم واشتهر ذلك ، واتصل بالملك الظاهر ، فلم يزل في اجتهاد إلى أن أقدمه عليه لما أهمه من أمره ، فلما حضر سأله : ابن من أنت ؟ فقال : ابن شمس الدين ابن غانم ، فطلب والده إلى القاهرة وحضرا بين يدي الملك الظاهر واعترف والده به ، فقال : خذه فأخذه وتوجه به إلى دمشق .

وكان مع صاحب حماة قد خرج مرة إلى شجرات^٢ المعرة ، وكان إذ ذاك في خدمة الملك الظاهر ، وقد ضربت الوطاقات ، وامتلأت الصحراء خياماً ، فاحتاج شهاب الدين إلى الخلا ، وما كان يرى الدخول إلى الخربشت^٣ ، فصعد

١ كذا في ص .

٢ الوافي : شجريات .

٣ لعلها من « خربشته » الفارسية ، بمعنى خيمة ، وهو هنا يعني المرحاض .

إلى شجرة تين ليتخلّى ، والملك المنصور يشاهده ولم يعلم ما يريد ، فأرسل إليه شخصاً ليرى ما يصنع ، فلما صار تحت الشجرة قال له : يا من في هذه الشجرة أطعمني من هذه التينة ، فقال له : خذ ، وسلّح في وجهه ، قال : ما هذا ؟ قال : أطعمتك من التينة ، فلما اطّلع المنصور على القضية وقع مغشياً عليه من الضحك .

ومن شعره :

قالوا : ذؤابته مقصوفة حسداً فقلت : قاطعها للحسنِ صواغُ
صدغان كان فؤادي هائماً بهما فكيف أسلو وكلُّ الشعر أصداغُ

٥١

ابن المدبر

أحمد بن محمد بن عبيد الله المدبر الكاتب أبو الحسن ؛ كان أسنّ من أخيه إبراهيم - وقد تقدم ذكره^١ - ؛ تقلد أحمد ديوان الخراج والضياح للمتوكل ثم تمالأ عليه الكتاب فأخرجوه إلى الشام والياً فكسب بها مالاً عظيماً ، ثم قتله أحمد ابن طولون في سنة سبعين ومائتين^٢ . وكان فاضلاً يصلح للقضاء ، وللبحتري فيه مدائح . مات تحت العذاب ، رحمه الله تعالى ؛ وهو القائل :

أتصبر للدهر أم تجزعُ وماذا عسى جزعُ ينفعُ
فأمّا تصايكٍ بالغانياتِ فولّى به الفاحمُ الأفرعُ

٥١ - الوافي ٨ : ٣٨ وتهذيب ابن عساكر ٢ : ٥٩ والمغرب (قسم مصر) ١ : ١٢٣ وخطط

المقريزي ١ : ٣١٤ وابن خلكان ٧ : ٥٦ ولم ترد هذه الترجمة في المطبوعة .

١ انظر الترجمة رقم : ١٥ .

٢ الوافي : فيما قبل سبعين ومائتين تقريباً ، ثم ذكر ثلاثة تواريخ لمقتله .

غسداةً ابتدلت به حلةً من الشيب ناصعها يلمعُ
وقد كنت أزمانَ شرخ الشبابِ تصولُ مدلاً ولا تحشعُ
تطاعُ ويعصى لديك العذولُ ويصفو لك العيشُ والمربعُ^١

وكتب إليه أخوه إبراهيم يشكو حاله وهو محبوس^٢ فكتب إليه :

أبا إسحاق ان تكن الليالي عطفن عليك بالخطب الجسيمِ
فلم أرَ صرفَ هذا الدهرِ يجني بمكروهٍ على غير الكريمِ

وقال أيضاً :

صباحُ الحبِّ ليس له مساءٌ وداءُ الحبِّ ليس له دواءٌ
ولي نفس تنفّسها اشتباقٌ وعينٌ فيضُ عبرتها الدماءُ
وليلي والنهاسار عليّ ممّا أقاسي فيهما أبداً سواء

وقال المعتصم يوماً للفضل بن مروان ، وقد أراد الخروج إلى القاطول :
غلماني تحت السماء ما لهم شيء يكتنهم ، فابن لهم غداً أربعة آلاف بيت ؛ فخرج
مفكرًا ، فلقية أحمد بن المدبر فسأله عن غمه فأخبره بقول المعتصم فقال : إنما
أمرك أن تشتري لهم أربعة آلاف لباد^٣ ليستكنوا فيها ، فاشترى لهم ما وجد وتقدم
في عمل الباقي لمن بقي ، فلما أصبح المعتصم ورآها على غلمانه قال للفضل :
أحسن ، بهذا أمرتك .

وقيل ان أحمد بن المدبر قال : حبست في حبس لابن طولون ضيق ، وفيه
خلق وبعضنا على بعض ، فحبس معنا أعرايي فلم يجد مكاناً يقعد فيه ، فقال :
يا قوم ، لقد خفت من كل شيء إلا أني ما خفت قط ألا يكون لي موضع في
الأرض في الحبس أقعد فيه ، ولا خطر ذلك بيال ، فاستعيدوا بالله من حالنا .

١ الوافي : المرتع .

٢ ص : محبوساً .

٣ الوافي : لبادة .

وقال يموت بن المزرع : كان أحمد بن المدبر إذا مدحه شاعر لم يرضه شعره
 قال لغلامه : امض به إلى الجامع ولا تفارقه حتى يصلي مائة ركعة ، ثم خله ؛
 فتحاماه الشعراء إلاّ الأفراد المجيدون ، فجاءه الحمل المصري واسمه حسين^١
 فاستأذنه في النشيد فقال له : قد عرفت الشرط ؟ قال : نعم ، قال : فهات إذن ؛
 فأنشده :

أردنا في أبي حسنٍ مديحاً كما بالمدح تنتجعُ الولاةُ
 فقلنا أكرمُ الثقلين طراً ومن كفاهُ دجلةُ والفرات
 فقالوا يقبلُ المدحاتِ لكنْ جوائزهُ عليهنّ الصلاة
 فقلت لهم وما يغني عيالي صلاتي إنما الشأنُ الزكاة
 فيأمر لي بكسر الصاد منها فتضحني لي الصلاة هي الصّلات

فضحك ابن المدبر وقال : من أين لك هذا ؟ قال : من قول أبي تمام الطائي :
 هن الحمامُ فان كسرت عيافةً من حائهنّ فإنهنّ حِمَامُ
 فأعطاه مائة دينار ، رحمهما الله تعالى ، وعفا عنهم .

٥٢

[سيف الدين السامري]

أحمد بن محمد بن علي بن جعفر ، الصدر الأديب الرئيس سيف الدين

١ هو الحسين بن عبد السلام المصري ، انظر ترجمته في تهذيب ابن عساكر ٣ : ٣٠٦ والمغرب
 (قسم مصر) ١ : ٢٧٠ وانظر معجم الأدباء ١٠ : ١٢١ وكتاب الكندي وابن خلكان ٧ : ٥٦ .

٥٢ - الزركشي : ٦٠ والوافي ٨ : ٦٦ وأعيان العصر ١ : ١٢٠ .

السامريّ — بفتح الميم وتشديد الراء — نسبة إلى سامراً ، نزيل دمشق ؛ شيخ متميز متمول ظريف حلو المجالسة مطبوع النادرة جيد الشعر ، طويل الباع في الهجو ، من سرّوات الناس ببغداد . قدم الشام بأمواله وحظي عند الملك الناصر صاحب الشام وامتدحه ، وعمل تلك الأرجوزة المشهورة بالسامرية التي أولها :

يا سائقَ العيسِ إلى الشَّامِ وقاطعَ الوهادِ والآكامِ .

حطّ فيها على الكتاب وأغرى الناصر بمصادرهم . وكان مزاحاً كثير الهزل ، لا يكادُ يتحمّل ، مع أن الصاحب بهاء الدين ابن حنا صادره وأخذ منه نحو ثلاثين ألف دينار عندما قدم أخوه نور الدولة السامري من اليمن ، ونُكِب في دولة المنصور ، وطلبه الشجاعي إلى مصر ، وأخذت منه حزرماً وغيرها ومائتا ألف درهم ، وكان يسكن داره المليحة التي وقفها خانقاه ووقف عليها باقي أملاكه . وكانت وفاته سنة ست وتسعين وستمائة . ومولده [. . .] ؛ من شعره :

من سرّ من رآه ومن أهلها عند اللطيف الخالق الباري
وأى شيء أنا حتى إذا أذنبت لا تغفر أوزاري
يارب ما لي غير سبّ الوري أرجو به الفوز من النار

وكان قد سافر مع وجيه الدين ابن سويد إلى الموصل ، فحضر المكاسة فعفوا عن جيمال الوجيه ، ومكسوا جيمال السامري وأجحفوا به ، فقال :

صحبتُ وجيهَ الدين في الدهرِ مرةً ليحملَ أُنُقالي ويخفّرَ أحمالي
فوزّني عن كلِّ حقِّ وباطل وعن فرسي والبغل والجمل الخالي
فبلغ ذلك صاحب الموصل فأطلق القفْل بأجمعه .

وقال :

قَبِحَ اللهُ كُلَّ مَنْ بدمشقٍ
فهو مع شُحِّه وما يتعاطا
من أصبحا بنا سوى ابن سعيدِ
ه من اللُّومِ أصلحُ الموجودِ

وقال يهجو خاله وخال أبيه :

إذا ما قيلَ مَنْ بالكِرخِ نذلٌ
أجبتهمُ إجابةً لوذَّعيُّ
لثيمُ الأصلِ مذمومُ الفِعالِ
هما التذلانِ خالُ أبي وخالِي

وكتب إلى نور الدين الإسعردى مع غلام حسن الصورة يأخذ له ورقة
برواحه إلى مصر من والي دمشق ، وكان النور كاتباً عنده :

أمولاي نور الدين عارضُ هذه
فلاتخشَ أمراً إن خلوتَ ولُطِبَ به
وقد رام إطلافاً إلى مصر فأنه
ونجلُ الخطيبِ التاجِ نصرَ بينكه
أغار على تلك الروادف أنها
وليس على المملوك إن غاب شخصه
ومولاي من عهد التفقه شيخنا
سقى الله أيام النظامية التي
نغازلُ فيها كلَّ أحوى مهفهف
من الغيدِ يحكي الخيزرانة قامةً
وإن علم المولى الوجيهُ محمد
وليس على المملوكِ بعدَ وصوله

فأجابه نور الدين الإسعردى يقول :

عجبت لسيف الدين كيف يجود لي
بظبي لسه فيه هوى وغرامُ

يميناً لقد بالغتَ فيهِ مروءة
 فلا تخشَ من نصر فليس بضائر
 وذكرتني عهد النظامية الذي
 ولم أنسَ بالمستنصريةِ أنسنا
 سقى نهر عيسى والمحول والحمي الـ
 وعيشك ما ذكري لعيشي بها أسى
 ولكن لي قلباً لله أريحية
 ومن شعر سيف الدين السامري :

أترى وميضَ البارقِ الخفاقِ
 ولعلَّ أنفاسَ النسيمِ إذا سرى
 أحبابنا ما آن بعدَ فراقكم
 بنم فضنتُ بالرقادِ نواظري
 أجريتُ من جفني على أطلالكم
 أتراكمُ ترعون صبياً رُعتمُ
 بين الدموعِ وحرِّ نارِ جوانحي
 باللهِ يا ربحَ الشمالِ تحملي
 وإذا مررتِ على الديارِ فبلغني
 فهناك لي رشاً أغنَّ مهفهفُ
 ممتنعٌ من قدّه بمثقفِ
 فإذا انثنى فضح القنا وإذا رنا
 ويزينُ غصنَ القدِّ منه شعره

ومن شعره في ابن المقدسي لما حبس بالعدراوية^١ :

١ العذراوية مدرسة أنشأتها الست عذراء بنت أخي صلاح الدين الأيوبي داخل باب النصر بدمشق ، وكانت وفقاً على الشافعية والحنفية (الدارس ١ : ٣٧٣) .

ورد البشيرُ بما أقرَّ الأعينا
واستبشروا وتزايدتُ أفراحهم
ثبتت محازي ابن القتيبة عند من
بشهادة السرِّ الرفيع وقولها
وبني البناء بلا أساسٍ ثابتٍ
وتقدّم الأمرُ الشريفُ بأخذ ما
يا سيدَ الأمراء يا شمسَ الهدى
يا من له عزمٌ وجأشٌ ثابتٌ
عَجَلٌ بذبح العليِّ وادفنه وما
واغلاظٌ عليه ولا ترقُّ ، وكل ما
فلكم يتيم مدقعٍ وبيمة
ولكم غنيّ ظلّ في أيامه
إن أنكر العلق القطيم فعاله

فشفى الصدورَ وبلّغَ الناسَ المنى
فألحقَ مشتركون في هذا الهنا
وجدت لديه في الحياة والحنا
من غير واسطة لسلطان الدنا
فأنهار ما شاد النكيحُ وما بني
نهب العينُ من البلاد وما اقتنى
يا ماضي العزمات يا رجبَ الفنا
يغنيه عن حمل الصوارم والقنا
من حقّ علقٍ مثله أن يدفنا
يلقى بما كسبت يدها وما جني
من جورهِ ماتا على فرش الضنى
مسترفداً للناس من بعد الغنى
بالمسلمين فأولُ القتلى أنا

ولما عدل القاضي صدر الدين ابن سني الدولة جمال الدين ابن اليزدي ،
وخلع عليه خلعاً بطيلسان ، وأحضره مجلسه مع العدول وأشهد عليه ، قال
السامري :

طابَ شربُ المدام في رمضان
والزنا واللواط في حرم الا
منذ صار اليزدي في سكك الشا
وإذا صارت العدالة في الفس
فجديرٌ بأن أكونَ نبياً
يا عدُولَ الشأم قد سمح القا

واصطفاقُ العيدان عند الأذان
ه وتترك الصلاة بالقرآن
م يطوفُ الحانات بالطيلسان
اق واللائطين بالمردان
ويكونَ الصديق لي التلمساني
ضي لأصحابه بنيل الأماني

٢ ص : وأشهده .

١ ص : مسترفد .

قامروا واشربوا وقودوا ولوطوا وافسقوا والحدوا إذن بأمان
وارفعوا عنكم التستر بالفسق فلا حاجة إلى كتمان

قال : فلما بلغت الآيات القاضية صدر الدين عز عليه ، وأعرض عن اليزدي
ومنع من الشهادة ، فحضر اليزدي إلى سيف الدين السامري ، ودخل عليه .
ولا زال به إلى أن عمل :

قل لقاضي القضاة أيده إلا
قد تصدقت بالعدالة حوشية
ولئن أجمعوا على فسق ذلك الشيء
عدلوا عن طرائق العدل فيه
نبتزوه بقلّة الدين والحية
وإذا لاط أو زنى وهو شاب
وجهه في مجالس الحكم يجزي
إن تحلّى بالطيلسان فبالح
كل من كان شاهداً بمحال
وكذا لم يزل لكل اجتماع
ه ولا زال للجماعة ظلاً
ت بقول الأغراض إن يقض عدلاً
خ والبائس الذي قلّ عقلاً
ورمّوه بالزور والإفك نقلاً
ر وترك الصلاة ظلماً وجهلاً
ما عليه عاراً إذا صار كهلاً
من رآه بشراً وكيّساً وفضلاً
ق جدير بمثله يتحلّى
أو بزور لما تولّى تولّى
بين خلين بالتجمع أهلاً

وكتب إلى طوغان وأسندمر ، ولكل منهما أستاذار يسمى العلم سنجر
ونائب البر يسمى الشجاع همّام :

اسمُ الولاية للأمير وما له
وجباية^٢ القتلى وكل مصيبة
سيفان قسد وليا وكل^٢ منهما
فيها سوى الأوزار والآثام
تُجبي منافعها إلى همّام
ماضي العزائم دائم الإقدام^٢

١ الوافي : وجباية .

٢ الوافي : في حفظ ما وليه كالضرغام .

ويباب كل منهما علم ينك^١ ل ما يجود^٢ به من الإنعام^٣
 ما الناس عندهما بناس لا ولا يريان هذا الناس كالإنعام
 وقد استحلّ منهم^٤ ما لم يزل^٥ من ما لهم ودمائهم بجرام
 فمتى أرى الدنيا بغير سناجر^٦ والقطع والتكيس للأعلام

٥٣

[المستعين]

أحمد بن محمد بن هارون ، أمير المؤمنين أبو العباس المستعين ابن المعتصم بن هارون الرشيد بن المهدي بن المنصور ؛ ولد سنة إحدى وعشرين ومائتين ، وبويع في ربيع الآخر سنة ثمان وأربعين عند موت المنتصر ابن المتوكل ، واستقام له الأمر ، واستوزر أبا موسى أوتامش بإشارة شجاع بن القاسم ثم قتلها ، ثم استوزر صالح ابن شيرزاد ، فلما قتل وصيف وبغا باغراً^١ التركي الذي قتل المتوكل تعصب الموالي وتكروا له ، فخاف وانحدر من سامرا إلى بغداد ، فأخرجوا المعتز بالله من الحبس وباعوه وخلعوا المستعين . ثم إن المعتز جهز أخاه أحمد لحرب المستعين واستعد المستعين للحصار ، وتجرد أهل بغداد للقتال ، ودام أشهراً^٢ ، وغلت الأسعار ببغداد ، ودام البلاء ، وصاح أهل بغداد : الجوع ، فأنحل أمر المستعين ، فانتقل إلى الرصافة وأنحل أمره وخلع نفسه ، وانحدر إلى واسط تحت الحوطة وأقام

١ الوافي : علم غدا في ظلمه علامة الأعلام .

٥٣ - الوافي ٨ : ٩٣ والمصادر التاريخية (كالطبري واليعقوبي والنجوم ومروج الذهب . . . الخ)

وقد سقط جزء من هذه الترجمة من المطبوعة .

٢ ص : باغر .

٣ ص : أشهر .

بها محبوساً ، ثم انه ردّ إلى سامراً فقتل بقادسيّتها في ثالث شوال سنة اثنتين وخمسين ومائتين ، وله أحد وثلاثون سنة .

وكان مربع القامة أحمر الوجه خفيف العارضين حسن الوجه والجسم ، بوجهه أثر جدري ، وكان يلثغ بالسين فيجعلها ثاء ، وكان مسرفاً مبدراً للخزائن ويقال إنه قيل له : اختر أي بلد تكون فيه ، فاختر واسط ، فلما أحدره لها قال له في السفينة بعض أصحابه : لأي شيء اخترتها وهي شديدة الحرّ ؟ فقال : ما هي بأحر من فقد الخلافة .

وأورد له المرزباني في « معجم الشعراء » لما خلع^١ :

أستعين الله في أم ري على كل العباد
وبه أذفع عني كيد باغٍ ومُعادي

وأورد له صاحب « المرأة » :

أحبت ظيباً ثمين كأنه غنُّ تين
بالله يا عالمين ما في الثما مثلمين
من لأمّتي في هواه لَوَثَّتُهُ بالعَجين

قلت يريد :

أحبت ظيباً سمين كأنه غصن تين
بالله يا عالمين ما في السما مسلمين

قلت : ولا في الأرض ، لأنهم اتخذوك خليفة .
وقيل إنه كان يأمر المغنّين أن يغنوه بهذا الشعر وأشباهه ، فيتضاحكون

١ ما قاله لما خلع هو :

كل ملك مصيره لذهاب غير ملك المهيمن الوهاب
كل ما قد ترى يزول ويفنى ويجازى العباد يوم الحساب

أما البيتان التاليان فقالهما لما استفحل أمر المعتز .

ويتغامزون عليه . وصنع يوماً هذين البيتين :

شربت كأساً أذهبت عن ناظريّ الحمرا
فنشطّطني ولقسد كنت حزيناّ خاسرا

ثم قال : أجزوهما ، فقال أحدهم :

هذا خراّ هذا خراّ هذا خراّ هذا خراّ

وكان للطف أخلاقه يحتمل ذلك منهم .

وقال لهم يوماً وأوماً بيده إلى الباب : أي شيء تصحيف باب ؟ فقالوا :

لا ندرى ، فقال : لم لا تقولوا^٢ باب ؟ فيقولون : بسم الله عليك ، ويقول :

أي شيء تصحيف مخدة ؟ ويضع يده عليها ، فيقولون : لا نعلم ، فيقول : لم

لا تقولون : مخدة فيقولون : بسم الله عليك !

وكان السبب في توليته الخلافة أن الأتراك لما قتلوا المستنصر خافوا من تولية

الخلافة لأحد أولاد المتوكل فيأخذ بثأر أبيه وأخيه ، فولوا المستعين ، وكان خاملاً

يرتزق بالنسخ ، ولما جاءه الأمر بغتة من غير تطلع إليه قال :

جاء لطف الله بالأمر الذي لا أرتجيه

فعليّ اليوم أن أقضيّ حقّ الله فيه

وأعداؤه رووا أنه قال : حقّ الشرب فيه ، رحمه الله تعالى وإيانا بمنه

وكرمه .

١ الوافي : خاترا .

٢ كذا في ص .

ابن الحلاوي الشاعر

أحمد بن محمد بن أبي الوفا بن الخطاب بن الهزبر ، الأديب الكبير شرف الدين أبو الطيب بن الحلاوي الربيعي ، الشاعر الموصلبي ؛ ولد سنة ثلاث وستمائة ، وقال الشعر الجيد الفائق ومدح الخلفاء والملوك ، وكان في خدمة بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل ، وكان من ملاح الموصل ، وفيه لطف وظرف وحسن عشرة وخفة روح ، وله القصائد الطنانة التي رواها الهمياني عنه في معجمه ؛ توفي سنة ست وخمسين وستمائة ؛ فمما رواه الشيخ شرف الهمياني له رحمه الله تعالى :

حكاها من الغصن الرطيب وريقه	وما الخمر إلا وجنتاه وريقه
هلال ولكن أفنق قلبي محله	غزال ولكن سفح عيني عقيقه
وأسمر يحكي الأسمر اللدن قدّه	غدا راشقاً قلب المحب رشيقه
على خده جمر من الحسن مضمّم	يُشبّ ولكن في فؤادي حريقه
أقرّ له من كل حسن جليله	ووافقه من كل معنى دقيقه
بديع الثنّي راح قلبي أسيره	على أن دمعي في الغرام طليقه
على سالفه للعذار جديده	وفي شفّتيه للسلاف عتيقه
يهدد منه الطرف من ليس خصمه	ويُسكّر منه الريق من لا يذيقه
على مثله يستحسن الصب هتكه	وفي حبه يجفو الصديق صديقه
من التّرك لا يصيبه وجد إلى الحمى	ولا ذكر بانات الغوير تشوقه

٥٤ - الزركشي : ٥٨ ، والوافي : ٨ ، ١٠٢ ، والشذرات : ٥ ، ٢٧٤ ، وعبر الذهبي : ٥ ، ٢٢٧ ، والنجوم

الزاهرة : ٥ ، ٢٧٤ ، وعقود الجمان : ١ ، ٣٨٧ .

١ ص : حديده .

ولا سار في ركب يساق وسوقه^١
ولكن إلى خاقان يُعزى فريقه
ويجمل نوار الأفاحي بريقه^٢
فأضرم من حرّ الحريقِ رحيقه
تذكره قلبي فزادَ خفوقه
مع البدر قال الناس : هذا شقيقه
فأطرق من فرطِ الحياء طروقه
يحمّلي كالحصر ما لا أطيعه
وحتّام طرفي كلّ حُسن يشوقه
وهذا فيعدّ البعدِ ما جفّ موقه
وإن كان طرفي مستمراً^٣ فسوقه
فما باله عن كلّ صبّ يعوقه
مدام ثناياه ومنها غبوقه

ولا حلّ في حيّ تلوح قباهه
ولا بات صبّاً بالفريق وأهله
له ميسم^٤ ينسي المدامَ بريقه
تداويتُ من حرّ الغرامِ ببرّده
إذا خفّقَ البرق اليماني موهناً
حكى وجهه بدرَ السماء فلو بدا
رآني خيالاً حين وافي خياله^٥
وأشبهتُ منه الحصرَ سقماً فقد غدا
فما بال قلبي كلُّ حبّ يهيجه
فهذا ليوم البين لم تطفّ ناره
ولله قلبي ما أشدّ عفافه
أرى الناس أضحوأ جاهليةً حبه
فما فاز إلاّ من بيت صبوحة
وقال أيضاً :

وثغرُك كالصراطِ المستقيم
فواعجبا أسهر بسالرقيم

ألقي من صدودك^٦ في جحيم
وأسهرني لديك رقيم خلد

منها :

وحتّام البكاء بكلّ رسم كأنّ عليّ رسماً للرسوم
واجتمعوا في بعض الأيام عند شخص يلقّب بالشمس ، فقالوا له : أطعنا
شي فامتنع ، فقال بعضهم :

الطامع في منال قرص الشمس

١ الوافي : سيفه . ٢ ص : مستمر . ٣ الوافي : خدودك .

فقال ابن الخلاوي :

كالطامع في منال قُـرُصِ الشمس

وأنشده بعض الأفاضل لغزاً في شبابة :

وناطقة خرساء باد شحوبها تكنفها عشرٌ وعنهنّ تخبرُ
يلدُّ إلى الأسماع رجعُ حديثها «إذا سُدَّ منها منخرٌ جاش منخر»^١

فأجابه في الوقت :

نهاني النهى والشيب عن وصلٍ مثلها «وكم مثلها فارقتها وهي تصفر»^٢

وسئل أن ينظم أبياتاً تكتب على مشط للملك العزيز محمد صاحب حلب ،

فقال :

حللتُ من الملك العزيز براحةً غدا لثمها عندي أجَلّ الفرائض
وأصبحتُ مفترّ الثنايا لأنّي حللت بكفّ بحرّها غير غائض
وقبلتُ سامي كفه بعد خده فلم أخلُ في الحالين من لثم عارض

وقال ، وهو مشهور عنه :

جاء غلامي وشكا أمر كميّتي وبكى
وقسال لي لا ش لك بردونك قد تشبكا
قد سَفْتُهُ اليوم فما مشى ولا تحركا
فقلتُ من غيظي له مجاوباً لما حكى
تريدُ أن تخدعي وأنت أصل المشتكى
ابن الخلاويّ أنسا خلّ الرياء والبكا

١ عجز بيت لتأبط شرأ ، وصدرة « فذاك قريع الدهر ما عاش حول » .

٢ عجز بيت آخر لتأبط شرأ ، وصدرة « فأبت إلى فهم وما كدت آيباً » .

ولا تخادعني ودعْ حديثك المَلَكَا
لو أَنَّهُ مُسَيَّرٌ لما غسدا مشيكا
فمذُ رأى حلاوة الـ أَلْفَاظِ مِنِّي ضَحِكَا

وكتب إلى القاضي محيي الدين ابن الزكي يصف خطه :

كُتِبَتْ فَلَوْلَا أَنْ هَذَا مَحَلَّلٌ وَذَاكَ حِرَامٌ قَسْتُ خَطَكَ بِالسَّحْرِ
فَوَاللَّهِ مَا أُدْرِي أَزْهَرُ خَمِيلَةً بِطِرْسِكَ أَمْ دَرٌّ يَلُوحُ عَلَى نَحْرِ
فَإِنْ كَانَ زَهْرًا فَهُوَ صِنْعُ سَحَابَةٍ وَإِنْ كَانَ دَرًّا فَهُوَ مِنْ لِحَةِ الْبَحْرِ

وقال يمدح الملك الناصر داود صاحب الكرك :

أَحْيَا بِمَوْعِدِهِ قَتِيلَ وَعِيدِهِ رَشًا يَشُوبُ وَصَالَهُ بِصُدُودِهِ
قَمْرٌ يَفُوقُ عَلَى الْغَزَالَةِ وَجْهَهُ وَعَلَى الْغَزَالِ بِمَقْلَتِيهِ وَجِيدِهِ
يَا لَيْتَهُ يَعْدُ الصَّدُودَ فَإِنَّهُ مَا زَالَ ذَا لَهَجٍ بِخَلْفِ وَعُودِهِ
يَفْتَرُّ عَنْ عَذْبِ الرِّضَابِ، حَيَاتُنَا فِي وَرْدِهِ وَالْمَوْتِ دُونَ وَرُودِهِ
بَرْدٌ يَذِيبُ وَلَا يَذُوبُ وَإِنَّمَا أَدْنَى زَفِيرِ الْوَجْدِ عَذْبُ بَرُودِهِ
لَمْ أَنْسَهُ إِذْ جَاءَ يَسْحَبُ بَرْدَهُ وَاللَّيْلِ يُخْطِرُ فِي فَضُولِ بَرُودِهِ
وَالصَّبْحُ مَأْسُورٌ أَجَدَّ لِأَسْرِهِ جَنَحُ الظَّلَامِ تَأْسَفًا لِفَقِيدِهِ
وَاللَّيْلِ يِرْفَلُ فِي ثِيَابِ حِدَادِهِ وَالصَّبْحُ يِرْسُفُ فِي فَضُولِ حَدِيدِهِ
وَلِذَلِكَ لَمْ تَنْسَمِ الْجَفُونَ مَخَافَةً مِنْ أَنْ يِعَانِيَ الصَّبْحُ فَكَ قِيُودِهِ
بِمَسْدَامَةِ صَفْرَاءَ يَحْمِلُ شَمْسَهَا بَدْرٌ يَغْيِرُ الْبَدْرَ عِنْدَ سَعُودِهِ
كَأْسٌ كَأَنَّ مَدَامَهَا مِنْ رَيْقِهِ وَحَبَابِهَا مِنْ ثَغْرِهِ وَعُقُودِهِ
مَا زَالَ يُرْشِفُنَا شَقِيقَةَ رَيْقِهِ طَيِّبًا وَيُلْتَمِنُنَا شَقِيقَ حُدُودِهِ
حَتَّى تَحْكُمَ فِي النُّجُومِ نِعَاسُهَا وَالتَّدَنُّ كُلُّ مَسْهَدٍ بِهَجُودِهِ
وَرَأَى الصَّبَاحَ تَخْلَصًا مِنْ أَسْرِهِ فَأَتَى يَكْرَهُ عَلَى الدَّجَى بِعَمُودِهِ
قَمْرٌ أَطَاعَ الْحَسْنَ سُنَّةَ وَجْهِهِ حَتَّى كَأَنَّ الْحَسْنَ بَعْضُ عَيْدِهِ

أنا في الغرام شهيدُهُ ما ضرَّهُ
لو أن جَنَّةَ وصلِهِ لشهيدِهِ
وقال أيضاً :

تبدى له في الخد من تبت خطُّ
ولم ندر لِمَا هَزَّ عاملَ قده
رحيقيُّ ثغرِ بسابليُّ لواحظِ
من الترك لا وادي الأراك محلته
كليث الشرى في الحرب بأساً وسطوةً
يخفّ به لينُ المعاطف مائساً
حمى ثغره من مشرف القد عاملُ
له حاجبُ كالنون خطُّ ابن مقلّةِ
فللبدرِ مسا يثني عليه لثامه
يقولون يحكي البدرُ في الحسن وجهه
كما شبّهوا عُصنَ النقا بقوامه

ولما توجه بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل إلى العجم للاجتماع بهؤلاء
كان ابن الحلاويّ معه ، فمرض بتبريز ، وتوفي بها ، وقيل بسلماس ، وهو
في حدود الستين من عمره .
ومن شعره أيضاً :

لحِظْ عَيْنِكَ فَاتِنَاتُ
فَرَّقْ بَيْنِي وَبَيْنَ صَبْرِي
جَفُونَهَا الْوُطْفُ فَاتِرَاتُ
يَا حَسَنًا صَدَّه قَبِيحُ
مَنْكَ ثَسَايَا مَفْرَقَاتُ
قَدْ كُنْتُ لِي وَاحِدًا وَلَكِنْ
فَجَمَعُ شَمْلِي بِهِ شَتَاتُ
إِنْ لَمْ يَكُنْ مِنْكَ لِي وَفَاءُ
عَدَاكَ عَنِ وَصَلِي الْعِدَاةُ
حَيَاتُ صُدْغِيكَ قَاتِلَاتُ
دَنْتُ بِهَجْرَانِكَ الْوَفَاةُ
فَمَا لِلْمُسْوَعَا حَيَاةُ

والثغر كالثغر في امتناعٍ تحميه من لحظك الرماة
يا بدرَ تيمِّمٌ له عذارٌ بحُسْنِه تَمَّتِ الصفات
منمنمٌ الوشي في هواه يا طالما نمت الوشاة
نبات صُدغ حلاك حسناً والحلو في السكر النَّبات

وكان السلطان بدر الدين لؤلؤ لا ينادمه ولا يحضره مجلسه ، وإنما كان ينشده أيام المواسم والأعياد المدائح التي يعملها فيه ، فلما كان في بعض الأيام رآه في الصحراء في روضة معشبة وبين يديه برذون له مريض يرعى ، فجاء إليه ووقف عنده وقال : ما لي أرى هذا البرذون ضعيفاً ؟ فقام وقبل الأرض وقال : يا مولانا السلطان ، حاله مثل حالي ، وما تخلفت عنه في شيء ، يدي بيده في كل رزق رزقنا الله تعالى ، فقال : هل عملت في برذونك هذا شيئاً ؟ قال : نعم ، وأنشده بديهاً :

أصبح برذوني المرقع بالذ زقات في حسرةٍ يكابدها
رأى حمير الشعير عابرة عليه يوماً فظل ينشدها
« قفا قليلاً بها عليّ فلا أقلّ من نظرةٍ أزوّدُها »^١

فأعجبت السلطان بديته . وأمر له بخمسين ديناراً^٢ وخمسين مكوكاً من الشعير وقال له : هذه الدنانير لك ، وهذا الشعير لبرذونك ، ثم أمره بملازمة مجلسه كسائر الندماء ، وأقطعه إقطاعاً ، ولم يزل يترقى عنده إلى أن صار لا يصبر عنه ، رحمهما الله تعالى .

١ بيت مضمن ، وهو للمتنبى ، ديوانه : ٢

٢ ص : دينار .

[ابن المنير]

أحمد بن محمد بن منصور بن القاسم بن مختار القاضي ، ناصر الدين ابن المنير الجذامي الجروي الإسكندراني ؛ ولد سنة عشرين وستمائة ؛ كان عالماً فاضلاً مفتناً، وكان في علومه له اليد الطولى في الأدب وفنونه، وله مصنفات مفيدة ، وتفسير نفيس ، وسمع الحديث من ابن رواج وغيره ، وله تأليف على تراجم صحيح البخاري وله كتاب « الاقتفا » عارض به « الشفا » للقاضي عياض ، وولي قضاء الإسكندرية وخطابتها مرتين ودرّس بعدة مدارس ؛ وقيل إن الشيخ عز الدين ابن عبد السلام كان يقول : ديار مصر تفتخر برجلين في طرفيها : ابن المنير بالإسكندرية ، وابن دقيق العيد بقُوص ، وله ديوان خطب ، و « تفسير حديث الإسراء » في مجلد على طريقة المتكلمين . وتوفي في مستهل ربيع الأول سنة ثلاث وثمانين وستمائة بالثغر . وكتب إلى الفائزي يسأله رفع التصحيح عن الثغر :

إذا اعتلّ الزمان فمَنك يرجو بنو الأيـام عاقبة الشفاء
وإن ينزلُ بساحتهم قضاء فأنت اللطف في ذلك القضاء

وقال فيمن نازعه الحكم :

قل لمن يبتغي المناصب بالجه لـ تنحى عنها لمن هو أعلم
إن تكن في ربيع وليت يوماً فعليك القضاء أمسى محرم

وكتب إلى قاضي القضاة شمس الدين ابن خلكان :

٥٥ - الزركشي : ٥٧ والديباج المذهب : ٧١ والوافي ٨ : ١٢٨ والشذرات ٥ : ٣٨١ ؛ وقد سقطت عبارات كثيرة من هذه الترجمة في المطبوعة .

ليس شمس الضحى كأوصاف شمس الـ دين قاضي القضاة حاشا وكلاً
تلك مهما عكّت محلاً ثنت ظلا وهذا مهما عسلا زاد ظلاً

وفي ناصر الدين يقول أبو الحسين الجزار :

قد اعتبرت البرايا فتوةً وفتساوي
فمنهم من يساوي شيئاً ومن لا يساوي
هم الدرهم ، فيها محاسنٌ ومساوي
من لم يكن ناصرياً فإنسه عكّاوي

وفيه يقول البرهان الغزولي :

أقولُ لخلّ قد غدا متكبّراً عليّ : ترفقْ إنّي منك أكبرُ
وإن كنت في شكٍ فعندي دليله بأني غزولي وأنت منسيرُ

وفيه يقول أيضاً ، وقد قطع جواري المتصدّرين :

ألا يا ابنَ المنيرِ لا تداري^١ فذنبكَ ليس يُمنحى باعتذارِ
لبستَ ثيابَ لؤمٍ عنك شفت ومن يكسى ثيابَ العار عاري
قويُّ حبِّ العبيد عليك حتى أراكَ سعيتَ في قطع الجوّاري

٥٦

المتيم الأفريقي

أحمد بن محمد الافريقي أبو الحسن المعروف بالمتيم أحد الأدباء الشعراء
الفضلاء ، له من التصانيف كتاب « الشعراء الندماء » . كتاب « الانتصار المنبي

١ كذا في ص .

٥٦ - الزركشي : ٦٢ واليتمية ٤ : ١٥٧ ومعجم الأدباء ٤ : ٢٤٤ والروافي ٨ : ١٥٦ .

على فضل المتنبي « وله ديوان شعر .

قال الثعالبي : رأيت ببخارى شيخاً رث الهيئة ، تلوح عليه سيما الحرفة ، وكان يتطيب وينجم ، فأما صناعته التي يعتمد عليها فالشعر . أنشدني لنفسه :

وفتية أدياء ما علمتهم
فروا إلى الراح من خطب يلّم بهم
شبهتهم بنجوم الليل إذ نجموا
فما درت نوب الأيام اين هم^١

وأنشدني لنفسه :

تلوم على ترك الصلاة حليلتي
فوالله لا صلّيتُ لله مفلساً
ولا عجباً إن كان نوح مصلياً
لماذا أصلي ؟ أين حالي^٢ ومنزلي ؟
فقلت : اغربي عن ناظري أنت طالق
يُصلي له الشيخ الجليل وفائق
لأن له قسراً تدين الخلائق
أصلي ولا فتر من الأرض تحتوي
وأي خيولي والحلى والمناطق ؟
عليه يميني ؟ إتي لمنساق
أصلي له ما لاح في الجوّ بارق

وقال في ملبح تركي :

قلبي أسير في يدَي مقلّة
كأنها من ضيقها عروة
تركية ضاق لها^٣ صدري
ليس لها^٣ زر سوى السحر

١ من أول الترجمة حتى هذا الموضع لم يرد في المطبوعة .

٢ الوائي : باعي .

٣ ص : له .

ابن البقعي

أحمد بن محمد، فتح الدين ابن البقعي - بياض واحدة وقافين - الحموي؛ أقام بديار مصر، وكانت تبدو منه أشياء ضبطت عليه، وكان جيد الذهن ذكياً، ولكن أداه إلى الاستخفاف بالقرآن والشرع، فضرب القاضي المالكي عنقه بين القصرين، في ربيع الأول سنة إحدى وسبعمائة، وطيف برأسه، وقد تكهل. ومن شعره:

الكُسُّ للججرِ غداً معانداً من قدمٍ
فانظره يبكي حسداً في كل شهرٍ بدمٍ

وله أيضاً:

لما لله الحشيشَ وأكليها لقد خبثتُ كما طاب السُّلافُ
كما يصبي كذا تضيئي وتشقي كما يشفي وغايتها الحرافُ
وأصغر دائها والداء جَمٌّ بغساء أو جنون أو نشافُ

وله أيضاً:

جُيِلْتُ على حُبِّي لها وألفتُهُ ولا بدَّ أن ألقى به الله معلنا
ولم يخلُ قلبي من هواها بقدر ما أقول وقلبي خسالياً فتمكنا

٥٧ - الزركشي : ٦٢ والوافي ٨ : ١٥٨ وأعيان العصر ١ : ١٢٤ والدرر الكامنة ١ : ١٣٤ والشذرات ٦ : ٥٢ وذيل عبر الذهبي : ١٥ والبداية والنهاية ١٤ : ١٨ وأخت المطبوعة بجانب من هذه الترجمة، كما أن بعض أشعار ابن البقعي فيها وردت خطأ في ترجمة إبراهيم ابن سليمان بن حمزة .

ومنه قوله :

أينَ المراتبُ في الدنيا ورفعتها
لا شكَّ أن لنا قدرًا رأوه ومسا
همُ الوحوشُ ونحنُ الإنسُ حكمتنا
وليس شيءٌ سوى الإهمال يقطعنا
لنا المريحان من علم ومن عدم
مَنْ الذي حاز علماً ليس عندهمُ
لمثلهمُ عندنا قسدرٌ ولا لهمُ
تقودهمُ حيثما شئنا وهم نَعَمُ
عنهم لأنهمُ وجدانهمُ عدمُ
وفيهمُ المتعبان الجهل والحشمُ

قلت : عارض بهذه الأبيات أبياتاً نظمها الشيخ تقي الدين ابن دقيق العيد
يأتي ذكرها في ترجمته إن شاء الله تعالى .

ومن شعره :

يا مَنْ يخادعني بأسههمُ مكره
اعتدَّ لي زرداً تضائق نسجه
بسلاسة نعمتِ كلمس الأرقم
وعليَّ فكُّ عيونها بالأسهم

وما أحسن قول شمس الدين ابن دانيال فيه :

لا تلمِ البقيَّ في فعله
لو هدَّ ب النَّاموس أخلاقه
إن زاعَ تضليلاً عن الحق
ما كان منسوباً إلى البق

وقوله فيه لما سجن ليقتل :

يظنّ فتى البقي أنسه
نعم سوف يسلمه المالك
سيخلص من قبضة المالك
قريباً ولكن إلى مالك

موفق الدين ابن أبي الحديد

أحمد بن هبة الله بن محمد بن محمد بن حسين ابن أبي الحديد ، أبو المعالي موفق الدين ، ويدعى القاسم أيضاً ؛ ولد سنة تسعين وخمسمائة بالمداين ، وكان أديباً فقيهاً فاضلاً شاعراً مشاركاً في أكثر العلوم ، توفي سنة ست وخمسين وستمائة ، وهو أخو عز الدين عبد الحميد المعتزلي - الآتي ذكره في حرف العين إن شاء الله تعالى - ورأيت الشيخ شمس الدين قد قال في حق هذا إنه أشعري ، والله أعلم . كتب الإنشاء للمستعصم بالله مدة^١ .

من شعره في عارض جيش خرج من دار الوزير بخلعة فعانقه وقبله :

لَمَّا بَدَأَ رَائِقَ التَّشَنِّيِّ وَهُوَ بِأَثْوَابِهِ يَمِيدُ
قَبْلَتَهُ بِاعْتِبَارٍ مَعْنَى لِأَنَّهُ عَارِضٌ جَدِيدُ

وقال أيضاً :

بَيْتٌ مِنَ الشَّعْرِ فِي تَشْبِيهِ وَجْنَتَيْهِ لَمَّا أَحَاطَ بِهَا سَطْرٌ مِنَ الشَّعْرِ
كَالظِّلِّ فِي النُّورِ أَوْ كَالشَّمْسِ عَارِضُهَا خَطٌّ مِنَ الْغَيْمِ أَوْ كَالْحَوْ فِي الْقَمْرِ

وقال أيضاً :

لَوْ يَعْلَمُونَ كَمَا عَلِمْتُ لَمَّا لَحَوْا فِي حُبِّهِ وَلَا قَصْرُوا إِقْصَارَا
هَلَّا أَحَدْتُمْ بِسَرٍّ لَطِيفَةً دَقَّتْ إِلَى أَنْ فَاتَتْ الْأَبْصَارَا
جَادَتْ صِقَالٌ خَدُودَهُ أَصْدَاغُهُ فَتَمَثَّلَتْ لِلنَّسَاطِرِينَ عِدَارَا

٥٨ - الزركشي : ٦٣ والوافي : ٨ : ٢٢٥ وذيل مرآة الزمان : ١ : ١٠٤ وابن خلكان : ٥ : ٣٩٢ .

١ من أول الترجمة حتى هذا الموضع لم يرد في المطبوعة .

وقال الشيخ شرف الدين الدمياطي : أنشدني موفق الدين لنفسه :

قمر عدمتُ عواذلي في عشقه بل ما عدمتُ تزاحمَ العشاقِ
يدو فتسبقه العيونُ وإمها مأمورة بالغمضِ والإطراقِ
عيناى قد شهدا بعشقتك ، إنما لك أن تقول هما من الفساقِ

ولما صنف أخوه « الفلك الدائر على المثل السائر » كتب إليه موفق الدين :

المثلُ السائرُ يا سيّدي صفتَ فيهِ الفلكَ الدائرا
لكنَّ هذا فلكٌ دائرٌ أصبحتَ فيهِ المثلَ السائرا

٥٩

البلاذري

أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البلاذري . أبو الحسن وقيل أبو بكر
البغدادي ؛ ذكره الصولي في ندماء المتوكل ، مات في أيام المعتضد . كان جده
جابر يخدم الحصيب صاحب مصر . وذكر ابن عساكر في « تاريخ دمشق » فقال :
سمع بدمشق هشام بن عمار وأبا حفص ابن عمر بن سعيد ، وبحمص محمد بن
[مصفى]^٢ وبالعراق عفان بن مسلم وعبد الأعلى وعبد الله بن صالح العجلي
ومصعباً^٣ الزبيرى والقاسم بن سلام وعثمان بن أبي شيبة . ووسوس في آخر عمره
بشره البلاذر ، وكان كثير الهجاء بذيء اللسان آخذاً لأعراض الناس . وتناول

١ ص : إنها .

٥٩ - الزركشي : ٦٥ والفهرست : ١١٣ وتهذيب ابن عساكر ٢ : ١٠٩ ومعجم الأدباء ٥ : ٨٩ .

والوافي ٨ : ٢٣٩ .

٢ سقط من ص .

٣ ص : ومصعب .

وهب بن سليمان بن وهب لما شرط فمزقه ، فمن قوله فيه — وكانت الضرطة
بحضرة عبيد الله بن يحيى بن خاقان — :

أيا ضرطة حسبت رعدهُ تنوَّقَ في سلَّها جهَّدهُ
تقدَّمَ وهبٌ بها سابقاً وصلَّى أخو صاعدٍ بعدهُ
لقد هتكَ اللهُ سترَهما كذلك من يطعم الفهدهُ

وقال في عافية ابن شيث^١ :

مَنْ رَاهُ فَقَدْ رَأَى عَرِيَّاً مَدْلَساً
ليس يدري جليسه أفسا أم تَنَفَّساً^٢

قال البلاذري : كنت من جلساء المستعين بالله وقد قصده الشعراء فقال :
ليس أقبَلُ إلاّ من الذي يقول مثل قول البحرّي في المتوكل :

فلو أنْ مشتاقاً تكلَّفَ فوق ما في وَسْعِهِ لَسَعَى إِلَيْكَ الْمِنْبِرُ

فرجعتُ إلى داري وأتيتهُ وقلت : قد قلت فيك أحسنَ ممّا قاله البحرّي
في المتوكل ، فقال : هات ، فأنشده :

ولو أنْ بُرِّدَ المصطفى إذ لبسته يظنُّ لظنَّ البردُ أنك صاحبهُ
وقال وقد أعطيتُهُ ولبستهُ : نعم هذه أعطافُهُ ومناكبه

فقال لي : ارجع إلى منزلك فافعل ما أمرك به ، فرجعت ، فبعث إليّ سبعة
آلاف دينار وقال : ادّخر هذه للحوادث بعدي ، ولك عليّ الجراية والكفاية
ما دمت حيّاً .

وقال في عبيد الله بن يحيى بن خاقان وقد صار إلى بابه فحجبه ، فأنشده :

١ الوافي : شبيب .

٢ من أول الترجمة حتى هذا الموضع لم يرد في المطبوعة .

قالوا اصطبارك للحجابِ مَذَلَّةٌ عارٌ عليكَ مَدَى الزمانِ وعابُ
فأجبتهم ولكلِّ قولٍ صادقٍ أو كاذبٍ عندَ المقالِ جَوَابُ
إنِّي لأغْتَفِرُ الحِجَابَ لِمَاجِدٍ أَمَسَتْ لَهُ مِنْ عَليٍّ رِغَابُ
قد يرفعُ المرءُ اللثيمَ حِجَابَهُ ضَعَةً ودونَ العُرْفِ منه حِجَابُ

وله من الكتب : « كتاب البلدان الصغير » . « كتاب البلدان الكبير » ولم يتم . « كتاب جمل أنساب الأشراف » وهو كتابه المعروف المشهور . « كتاب الفتوح » . « كتاب عهد أزدشير » . وكان أحد النقلة من الفارسي إلى العربي ، رحمه الله تعالى .^١

٦٠

شهاب الدين ابن فضل الله

أحمد بن يحيى بن فضل الله بن مجلي بن دعجان بن خلف بن أبي الفضل نصر ابن منصور بن عبيد الله بن علي بن محمد بن أبي بكر عبد الله بن عبيد الله بن أبي بكر بن عبيد الله الصالح بن أبي سلمة عبد الله بن عبيد الله بن عبد الله بن عمر بن الخطاب ، القاضي شهاب الدين أبو العباس ، ابن القاضي أبي المعالي محيي الدين ، القرشي العدوي العمري .

قال الشيخ صلاح الدين الصفدي في حقه : هو الإمام الفاضل البليغ المفوّه الحافظ ، حجة الكتاب ، إمام أهل الآداب ، أحد رجالات الزمان كتابةً وترسلاً ،

١ وله من الكتب . . . تعالى : سقط من المطبوعة .

٦٠ - الزركشي : ٦٤ والوافي ٨ : ٢٥٢ وأعيان العصر ١ : ١٤٧ والدرر الكامنة ١ : ٣٣١ والنجوم الزاهرة ١٠ : ٣٣٤ والردّ الوافر ٨١ : ١٦٠ وذيل عبر الذهبي :

وتوصلاً إلى غايات المعاني^١ ، وتوسلاً ، وإقداماً على الأسود في غابها ، وإرغاماً لأعاديهِ بمنع رغابها ، يتوقد ذكاء وفطنة ويتلهَّب ، ويتحدر سَيْله ذاكرةً وحفظاً ويتصبَّب ، ويتدفق بجره بالجواهر كلاماً ، ويتألق إنشاؤه بالبوارق المسرعة^٢ نظاماً ، ويقطر كلامه فصاحةً وبلاغةً ، وتتندى عبارته انسجاماً وصياغةً ، وينظر إلى غيب المعاني من ستر رقيق ، ويفوص في لجة البيان فيظفر بكبار اللؤلؤ من البحر العميق ؛ استوت بديته وارتجاله ، وتأخر عن فروسيته من هذا الفن رجاله ، يكتب من رأس قلمه بديهاً ، ما يعجز تروِّي القاضي الفاضل أن يدانيه تشبيهاً ، وينظم من المقطوع والقصيدة جوهراً ، ما يخجل الروض الذي باكره الحيا مزهراً ، صرَّف الزمان أمراً ونهياً ، ودبَّر الممالك تنفيذاً ورأياً ، ووصل الأرزاق بقلمه ، ورويت تواقيعه وهي إسجلات حُكمه وحكمه ، لا أرى أن اسم الكاتب يصدق على غيره ولا يطلق على سواه :

لا يُعْمِلُ القولَ المكرَّ رَمَنه والرأيَ المردِّدُ
ظنٌّ يصيبُ به الغيسو بَ إذا توخَّى أو تعمد
مثل الحسام إذا تألَّ ق والشهاب إذا توقد
كالسيف يقطع وهو مس لولٌ ويرهب حين يُغمد

ولا أعتقد أن بينه وبين القاضي الفاضل من جاء مثله ؛ على أنه قد جاء مثل تاج الدين ابن الأثير ومحيي الدين ابن عبد الظاهر وشهاب الدين محمود وكمال الدين بن العطار وغيرهم ، هذا إلى ما فيه من لطف أخلاق وسعة صدر وبشرحياً ؛ رزقه الله أربعة أشياء لم أرها اجتمعت في غيره . وهي : الحافظة ، قلما طالع شيئاً إلا كان مستحضراً لأكثره ، والذاكرة التي إذا أراد ذكر شيء من زمن متقدِّم كان ذلك حاضراً كأنه إنما مرَّ به بالأمس ، والذكاء الذي تسلط

١ الوافي : المالئ .

٢ الوافي : المتسرعة .

به على ما أراد ، وحسن التريجة في النظم والنثر ، أما نثره فلعله في ذروة كان أوج الفاضل لها حَضِيضًا ، ولا أرى أحداً يلحقه فيه جودة وسرعة ، وأما نظمه فلعله لا يلحقه فيه إلاّ الأفراد ، وأضاف الله تعالى له إلى ذلك كله حسن الذوق الذي هو العمدة في كل فنّ . وهو أحد الأدباء الكملة الذين رأيتهم ، وأعني بالكملة الذين يقومون بالأدب علماً وعملاً في النظم والنثر ومعرفة بتراجم أهل عصره ومن تقدمهم على اختلاف طبقاتهم وبخطوط الأفاضل وأشياخ الكتابة ، ثم إنه مشارك من رأته من الكملة في أشياء ، وينفرد عنهم بأشياء بلغ فيها الغاية لأنه جود فن الإنشاء والنثر ، وهو فيه آية ، والنظم وسائر فنونه ، والترسل البارع عن الملوك ، ولم أرَ من يعرف تواريخ الملوك المغل من لدن جنكيزخان وهلمّ جراً معرفته ، وكذلك ملوك الهند والأتراك . وأمّا معرفة الممالك والمسالك وخطوط الأقاليم والبلدان وخواصها ، فإنه فيها إمام وقته ، وكذلك معرفة الاضطراب وحل التقويم وصور الكواكب . وقد أذن له العلامة شمس الدين الأصفهاني في الإفتاء على مذهب الامام الشافعي رضي الله عنه ، فهو حينئذ أكمل الكملة الذين رأيتهم . ولقد استطرد الكلام يوماً في ذكر القضاة فسرد ذكر القضاة الأربعة^٣ الذين عاصروهم شاماً ومصرأ ، وألقابهم وأسماءهم وعلامة كل قاض منهم ، حتى إني ما كدت أقضي العجب ممّا رأيت .

« ولد بدمشق ثالث شوال سنة سبعمائة . قرأ العربية أولاً على الشيخ كمال الدين ابن قاضي شهبة ، ثم على قاضي القضاة شمس الدين ابن مسلم ، وتفقه على قاضي القضاة شهاب الدين ابن المجد عبد الله ، وعلى الشيخ برهان الدين ، وقرأ الأحكام الصغرى على الشيخ تقي الدين بن تيمية ، والعروض على الشيخ شمس الدين الصائغ وعلاء الدين الوداعي] وقرأ جملة من المعاني والبيان على العلامة

١ ص : أحد .

٢ ص : أرى .

٣ ص : الأربع .

شهاب الدين محمود^١ وقرأ عليه جملة من دواوين العرب ، والأصول على الشيخ شمس الدين الأصفهاني ، وأخذ اللغة عن الشيخ أثير الدين ، وصنف « فواضل السمر في فضائل آل عمر » أربع مجلدات ، وكتاب « مسالك الأبصار في ممالك الأمصار » في عشرين مجلد كبار ، وهو كتاب حافل ما أعلم أن لاحد مثله ، و « الدعوة المستجابة » ، مجلد و « صباية المشتاق في المدائح النبوية » مجلد ، و « سفرة السفرة » و « دعة الباكي وبقظة الساهر » و « نفحة الروض » ونظم كثيراً من القصائد والأراجيز والمقطعات والذوييت والموشح والبليق ، وأنشأ كثيراً من التقاليد والمناشير والتواقيع ومكاتبات الملوك وغير ذلك .

ومن شعره :

شربت مع غادة عجوز طلا فاستصحبت بعد منعها العادة
لَيِّنَها السَّكْرُ لي فحينئذٍ سلَّمتُ أن العجوز قوَّادَه

وقال :

شادنٌ جدِّدٌ وجسدي بعدما صرت شيخاً ليس ترضاني العجوزُ
قلت جاوزَ لي متاعي قال قل غير هذا ذاك شيء لا يجوز

وقال :

سلُّ شجياً عن فؤادٍ نزحاً وخلياً فيهمُ كيف صحا
ومحبياً لم يذق بعدهمُ غيرَ تبريحِ بهم ما برحسا
مزجَ السدمعَ بذكراهُ لهم مثل خدي من سقاه القدحا
زاره الطيف وهذا عجب شَبَحُ كيف يلاقي شَبَحَا

وقال :

أحبابنا والعذر منا إليكم إذا ما شغلنا بالنوى أن نودعا

١ سقط من ص ، وزدته من الوائي .

أبشكُمُ شوقاً أباري ببعضه
 أبيتُ سَميرَ البرقِ قلبي مثله
 وما هو شوقُ مدّةٍ ثمّ ينقضي
 ولكنه شوق على القرب والنوى
 ومن فارق الأحباب في العمر ساعةً
 كمن فارق الأحباب في العمر أجمعاً
 حمامَ العشايسا رنةً وتوجعا
 أفضي به الليلَ التمامَ مروعا
 ولا أنة لكن محبّ مفجعاً
 أغصّ الأماقي مدّماً ثمّ مدمعا

وقال :

يقول بي من شعره أسودٌ كالليل بلّ بينهما فرقُ
 قلت وبي من وجهه أبيضٌ فقال لي هذا هو الحق

وكانت وفاته [سنة تسع وأربعين وستمائة]^١ .

٦١

إدريس ابن اليمان

إدريس بن عبد الله بن اليمان العبدي الأندلسي الشاعر ؛ روى عن أبي العلاء صاعد اللغوي ، وتوفي سنة سبعين وأربعمائة . من شعره :

وموسدين على الأكف رعوسههم^١ قد غالهم نوم الصباح وغالي
 ما زلت أسقيهم وأشربُ فضلهم حتى سكرتُ ونالهم ما نالني
 والكاس^٢ تعرف كيف تأخذ ثأرها إنني أمكلتُ إنساءها فأمالني

١ بياض في الأصل ، واستدركته من المصادر .

٦١ - الزركشي : ٦٦ وجذوة المقتبس : ١٦٠ وبنية الملتبس (رقم : ٥٦٠) والذخيرة (القسم الثالث) : ١١٥ والمغرب ١ : ٤٠٠ والمسالك ١١ : ٢٠٤ والوافي ٨ : ٣٢٧ ولم ترد هذه الترجمة في المطبوعة .

٢ ص : والعارف .

وقال :

وفتيان صدق عرسوا تحت دوحة وليس لهم إلاّ النبات فراشُ
كأنهمُ والنَّورُ يسقط فوقهم مصابيح تهوي نحوهنّ فراشُ

وقال :

ثقلت زجاجاتُ أتنا فراغاً حتى إذا ملئت بصرف الراح
خفت فكادت أن تطيرَ بما حوت وكذا الجسم تخفّ بالأرواح

٦٢

اسبهدوست

أسبهدوست بن محمد بن الحسن بن شيرويه الديلمي أبو منصور الشاعر ؛
روى عن ابن الحجاج ديوانه وكان يسلك طريقته . قال سبط ابن الجوزي : كان
يهجو الصحابة والناس ، ثم تاب وحسنت توبته ؛ من شعره في الحمى :

وزائرة تزورُ بلا رقيب وتنزلُ بالقصى من غير حُبِّه
وما أحدٌ يحبُّ القربَ منها ولا تحلو زيارتها بقلبه
تبيتُ بباطنِ الأحشاء منه فيطلبُ بعدَها من عظم كربه
وتمنعه لذيد العيش حتى تنغصه بمأكله وشربه
أنتَ لزيارتي من غيرِ وعدٍ وكم من زائرٍ لا مرحبا به

وقال في أبي الفتح الواعظ ، ولم يكن في زمانه أحسن صورة منه ولا أعذب

لفظاً :

١ ص : تجف .

٦٢ - الزركشي : ٦٦ والروائي ٨ : ٢٨٤ .

وواعظٍ تيمّمي وعظّمه
 ينهى عن الذنب وألحاظه
 وما رأينا قبله واعظاً
 لسانه يدعو إلى جنّة
 فعرّفه شيباً بإنكار
 تأمر بالذنب بإصرار
 مكسب آثاماً وأوزار
 ووجهه يسدعو إلى نار

ومن شعره أيضاً :

يا طالب التزويج إنك بالذي
 هل أبصرت عينك صاحب زوجة
 لا تبغ في الدنيا نكاحاً لازماً
 أو ما تراه حين يدرك فرصة
 تبغيه منه جاهلٌ معذور
 إلا حزيناً ما لديه سرور
 وافعل بها ما يفعل الزنبور
 يدنو ويلسع لسعةً ويطيّر

وتوفي سنة تسع وستين وأربعمائة ، رحمه الله تعالى وإيانا ، بمنه وكرمه .

٦٣

ابن الطيب الشاعر

إسحاق بن خلف الشاعر المعروف بابن الطيب ، من شعراء المعتصم ؛ كان رجلاً شأنه الفتوة ومعاشرة الشطار والتصيد بالكلاب وإيثار أصحاب الطنابير ، وكان من أحسن الناس إنشاداً كأنه يتغنى في إنشاده ، وكان إذا راجعك الكلام لم تكذب تسأم مراجعته من حسن ألفاظه . حبس مرةً بجناية جناها فقال الشعر في السجن ، ثم ترقى في ذلك حتى مدح الملوك ، ودون شعره ، ولم يزل

١ ص : آثاماً .

٢ ص : مني ، والتصويب عن الوافي .

٦٣ - الزركشي : ٦٧ وطبقات ابن المعتز : ٢٩٢ والوافي ٨ : ٤١١ .

على رسم الفتوة وضرب الطنبور إلى أن توفي في حدود الثلاثين ومائتين .
ومن شعره رحمه الله :

النحو يبسطُ من لسانِ الألكنِ والمرءُ تُعْظِمُهُ إذا لم يَلْحَنِ
وإذا طلبتَ من العلومِ أجَلَهَا فأجَلْتُهَا عندي مقيمُ الألسنِ
وقال في السيف :

ألقى بجانبِ خَصْرِهِ أمضى من الأجلِ المُتَاحِ
وكأَما ذرَّ الهبَا ء عليه أنفاسُ الرياحِ

وقال المبرد^١ : قالت الشعراء في رونق السيف ضروباً من الأفاويل ما سمعت
فيها بأحسن من هذا .

وقال في ابنة أخت كان ربّاهما^٢ :

لولا أميمة لم أجزَع من العدمِ ولم أجُبْ في الليالي حِنْدِسَ الظُّلَمِ
وزادني رغبةً في العيشِ معرفتي ذلَّ اليتيمة يحفوها ذوو الرحمِ
أخشى فظاظة عمّ أو جفاء أخٍ وكنت أبقى عليها من أذى الكلمِ
تهوى لقائي وأهوى موتها شفقاً والموت أكرم نزالٍ^٣ على الحرمِ
إذا تذكّرت بنتي حين تندُبني فاضتْ لعِبرَةٍ بنتي عبرتي بدمِ

١ الكامل ٢ : ٢٣ .

٢ انظر الحماسة رقم ٨٥ في شرح المرزوقي .

٣ ص : نزالا .

مجد الدين النشابي

أسعد بن إبراهيم بن حسن الأجلّ مجد الدين النشابي الكاتب ؛ ولد بإربل سنة اثنتين وثمانين وخمسائة ، وكان في صباه نشابياً ثم تنقل في الجزيرة والشام . ووليّ كتابة الإنشاء لصاحب إربل ، ونفذه رسولاً إلى الخليفة المستنصر فلما وقعت عينه على الخليفة قال :

جَلَالَةٌ هِيَّةَ هَذَا الْمَقَامِ تَحْيِرُ عَالِمَ عِلْمِ الْكَلَامِ
كَأَنَّ الْمَنَاجِيَّ بِهِ قَسَائِمًا يَنَاجِي النَّبِيَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ

ثمّ ان مخدومه غضب عليه وحبسه ، ثم انه بعد موت صاحب إربل خدم ببغداد واختفى أيام التتار ، فسلم ، ثم مات في تلك السنة وهي سنة ست وخمسين وستمائة .

ومن شعره في شرف الدين إبراهيم بن عليّ بن حرب لما ولي وزارة إربل :

فَرَحْنَا وَقَلْنَا تَوَلَّى الْوَزِيرَ وَأَفْلَحَ دِيوَانُنَا بِالْوِزَارَةِ
فَمَا زَادَنَا غَيْرَ جَاوِيْشِهِ وَفِي كِتَابِنَا « كَتَبْتَ بِالْإِشَارَةِ »

ولما وقع بين الأخوين الكامل والأشرف ، والكامل صاحب مصر والأشرف صاحب خِلاط ، ومال ملوك الشام والشرق إلى الكامل ، وتحاملوا على الأشرف فقال مجد الدين :

صَاحِبَ مِصْرٍ ثَنَى الْمَلُوكَ عَنِ الْاِشْرَفِ مِنْ كُلِّ مَسْعَدٍ عَوْنِ

٦٤ - الزركشي : ٦٧ و عقود الجمان ١ : ٥٢١ والوافي (ج : ٩) ؛ وقد أدخلت المطبوعة بأجزاء متفرقة من هذه الترجمة .

١ ص والزركشي : نشابياً .

واحتج كلُّ به فقلت وهل يؤخذ موسى بذنبِ فرعونِ
وله في شرف الدين المبارك^١ مستوفي إربل :

إنَّ المباركَ فيه تَوَقَّفٌ ولتَجاجةُ
صديقهُ أنتَ ما لم تعرضْ إليه بِحاجةُ

وله في صدر الدين ابن نيهان ، وكان صديق عارض الجيش فعزل ، ثم
صار صدر الدين صورة وزير الأمير شجاع الدين العزي فتوفي ، فاتصل صدر
الدين بالملك فتح الدين ، فخرج من بغداد مغاضباً ، فقال :

رجل ابن نيهان الاعرجُ شومها معلوم ما دار قط بأحد إلا لقي المحتومُ
قلع ملكٌ وعزلٌ عارضٌ بهذا الشوم وعاد حر وزعيمهُ مبعر أخت اليومُ
ومن شعره :

والأفقُ روضٌ زهرُهُ أمسى يفتح لي كمامه
قبضت به كف الثريد ا فاللهلالُ لها قلامه
وأغن يشهد أن ريد قتتهُ الطلاعودُ البشامه
يصمي القلوب إذا رمى باللحظ يا ربّ السلامه

ومنه قوله :

تقلد أمر الحسنِ فاستعبدَ الوري وعامله ولتى على القلبِ ناظراً
غدا باحمرار الخدِّ للحسنِ مالكا غدا باحمرار الخدِّ للحسنِ مالكا
فأبسدى لنا من ثغره ورُضابه فأبسدى لنا من ثغره ورُضابه
رأى خدّه ميدان حسنٍ وخالتهُ رأى خدّه ميدان حسنٍ وخالتهُ
وراحت له الأفكارُ تنظم ديوانا
فأصبح لما حلَّ بالقلب سلطانا
ومين فيه أبدى للتبسمِ رضوانا
وعارضيه راحاً وروحاً وربحانا
به كربةً فاستعمل الصدغ جوكانا

١ هو أبو البركات المبارك بن أبي الفتح أحمد مؤلف تاريخ إربل وغيره من الكتب ، توفي سنة
٦٣٧ (انظر ابن خلكان ٤ : ١٤٧ وفي الحاشية ذكر لمصادر ترجمته) .

أَجِلْ نَظْرًا فِي خَدَّهِ يَا مُعْتَنِّي
تَجِدْ فِيهِ مِنْ إِنْسَانٍ عَيْنِكَ إِنْسَانًا
وَمِنْهُ أَيْضًا :

وَالْبَرْقُ يُخَفِّقُ فِي خِلَالِ سَحَابِهِ
خَفَقَ الْفُوَادِ لِمَوْعِدٍ مِنْ زَائِرِ
وَقَالَ :

يَا لِقَوْمِي قَدْ جَشْتَكُمْ مُسْتَجِيرًا
أُنْسَا مَا بَيْنَ عَاذِلٍ وَرَقِيبٍ
بِأَبِي شَادِنُ تَبَدَّى فَأَبْدَى
وَعِيدَارٍ فِي ذَلِكَ الْخَدَّ أَبْدَى
وَتَنَسَّيَا كَأَنَّهُمَا مِنْ جَلَسِينَ
لَا رَعَى اللَّهُ يَوْمَ زَمُّوا الْمُطَايَا
أَوْدَعُوا حِينَ وَدَّعُوا الصَّبَّ وَجَدَا
وَأَسَالُوا الدَّمُوعَ مِنْ نَرْجَسٍ غَدَا
فَعَدَا الصَّبَّ يَرْتَضِي الْحَبَّ دِينَا
وَهَدَى قَلْبَهُ السَّبِيلَ فِيمَا
صَمَّ سَمِعِي عَنِ الْكَلَامِ كَمَا صرُّ
كَمْ سَقَى سَيْفَهُ شَرَابًا حَمِيمَا
سَرَحَ الطَّرْفَ فِي ذِرَاهُ تَرَى ثَدَا
لَمْ يَرَ النَّازِلُونَ فِي ظِلِّهِ الْمَعَا
وَيَبِيعُ الطَّعَامَ وَالْمَالَ كَمْ عَدَا
وَأَرَانَا نَوَالَهُ وَسُطَاهُ
كُلَّ سَاعٍ دَاعٍ لَهُ بِدَوَامِ الدَّ

لَا أَرَى مِنْكُمْ وَلِيًّا نَصِيرَا
مِنْهُمَا خَلْتُ مِنْكَ وَنَكِيرَا
مِنْ حَيْثَ هُوَ بِهَجَّةٍ وَسُرُورَا
بِئْسَ الْحَسَنِ جَنَّةٌ وَحَرِيرَا
قَدَّرُوهُمَا فِي ثَغْرِهِ تَقْدِيرَا
إِنْسَهُ كَانَ شَرَّهُ مُسْتَطِيرَا
وَتَنَاءَوْا وَالْقَلْبُ يَصْلَى سَعِيرَا
ضَّ عَلَى الْخَدِّ لَوْلَا مَثُورَا
وَيَرَى نَاطِرَ السَّلْوِ حَسِيرَا
صَابِرًا شَاكِرًا وَإِمَا كَفُورَا
تُ بَمَدْحِي زَنْكِي سَمِيعًا بَصِيرَا
وَسَقَى سَيْبَهُ شَرَابًا طَهُورَا
مَ نَعِيمًا بِهِ وَمَلَكًا كَبِيرَا
حُورَ شَمْسًا يَوْمًا وَلَا زَمَهْرِيرَا
مَ يَتِيمًا بِزَادِهِ وَأَسِيرَا
فَرَأَيْنَا مِنْهُ بِشِيرًا نَسِيرَا
مُلْكٍ مَا زَالَ سَعْيُهُ مُشْكُورَا

أسماء بن خارجة

أسماء بن خارجة بن حصن بن حذيفة الفزاري ؛ أحد الأجواد من الطبقة الأولى من التابعين من الكوفة ، كان قد ساد الناس بمكارم الأخلاق .
حكى ابن عساكر قال : أتى الأخطل الشاعرُ إلى عبد الملك بن مروان في حمالات^١ تحملها عن قومه ، فأبى أن يُعطيه شيئاً ، فسألها بشر بن مروان أخا عبد الملك فقال كما قال عبد الملك ، فأتى أسماء بن خارجة ، فتحملها عنه جميعاً . فقال :

إذا ما مات خارجةُ بنُ حصنٍ فلا مطررتُ على الأرضِ السماءِ
ولا رجَعَ البشيرُ بغممِ جيشٍ ولا حملتُ على الطهرِ النساءِ
فيومٍ منكَ خيرٌ من رجال كثيرِ حولهمُ نعمٌ وشاء
فبورك في بنيكَ وفي بَنِيهمُ وإن كثروا ، ونحن لك الفداء

وبلغ الشعر عبد الملك فقال : عرّض بنا الخبيث في شعره .
وحكى أبو اليقظان قال : دخل أسماء بن خارجة على عبد الملك بن مروان فقال له : بم سُدّت الناس ؟ فقال : هو من غيري أحسن ، فقال له : بلغني عنك خصال شريفة ، وأنا أعزم عليك إلاّ ذكرت بعضها ، فقال : أما إذ عزمتم عليّ فنعم ، فقال عبد الملك : هذه أولها ، فقال أسماء : ما سألتني أحد حاجة إلاّ ورأيت له الفضل عليّ ، ولا دعوت أحداً^٢ إلى طعام إلاّ ورأيت له المنّة عليّ ، ولا جلس إليّ رجل إلاّ ورأيت له الفضل عليّ ، ولا قصّدني أحدٌ في حاجة

٦٥ - تاريخ الإسلام للذهبي ٢ : ٣٧٢ والنجوم الزاهرة ١ : ١٧٩ والكامل لابن الأثير (حوادث

سنة ٦٦) وتهذيب ابن عساكر ٣ : ٤١ (وكتب خطأ : إسماعيل) .

١ ص : حملات . ٢ ص : أحد .

إلا وبالغت في قضائها ، ولا شتمت أحداً قط ، لأنه إنما يشتمني أحد رجلين :
إما كريم فكانت منه هفوة فأنا أحق بعفوها ، وإما لثيم فأصونُ عرضي منه ،
فقال له عبد الملك : حق لك أن تكون سيِّداً شريفاً .

وقال الكلبي : خرج أسماء في أيام الربيع إلى ظاهر الكوفة فنزل في رياض
مُعشبة ، وهناك رجل من بني عَبَس نازل ، فلما رأى قِبابَ أسماء وخيامه
قَوَّضَ خيامه ليرحل ، فقال له أسماء : ما شأنك ؟ فقال : لي كلب هو أحبُّ
إليّ من ولدي ، وأخاف أن يؤذيكُم فيقتله بعضُ غلمانكم ، فقال له أسماء :
أقيمُ وأنا ضامنُ كلبك ، ثم قال لغلمانه : إذا رأيتمُ كلبه قد ولَّغَ في قدوري
وقصاعي فلا تهبجوه ، وأقام على ذلك مدّة ، ثم ارتحل أسماء ونزل في الروضة
رجل من بني أسد ، وجاء الكلب على عادته فضربه الأسد فقتله ، فجاء العسبي
إلى أسماء فقال له : أنت قتلتِ كلبي ، قال له : وكيف ؟ قال : عَوَّدته عادة
ذهب يرومها من غيرك فقتل ، فأمر له بمائة ناقة دية الكلب .

ولما أراد أسماء أن يهديَ ابنته إلى زوجها قال لها : يا بُنَيَّة ، كوني لزوجك
أمةً يكن لك عبداً ، ولا تَدْنِي منه فيملكك ، ولا تتباعدي عنه فيتغيّر عليك ،
وكوني له كما قلت لأملك :

خذني العفو مني تَسْتَدِيعِي مودتي ولا تنطقي في سَوْرَتِي حينَ أَعْضِبُ
فإني رأيتُ الحبَّ في الصدر والأذى إذا اجتمعا لم يلبثِ الحبُّ يذهبُ
وقال الرياشي : قال أسماء بن خارجة لامرأته : انخضبي لحيتي ، فقالت :
إلى كم ترقع منك ما خلَقَ ؟ فقال :

عَيَّرْتَنِي خَلَقًا أَبْلَيْتَ جِائَتَهُ وهل رأيتِ جديداً لم يعدْ خَلَقًا
كما لبستِ جديدي فالبسي خَلَقِي فلا جديداً لمن لم يلبسِ الخَلَقَا

وأُسند أسماء عن علي بن أبي طالب وابن مسعود ، وتوفي في سنة ست وستين
وقيل : سنة اثنتين وثمانين ، وهو ابن ثمانين سنة ، رحمة الله عليه .

تقي الدين بن أبي اليسر

إسماعيل بن إبراهيم بن أبي اليسر شاكر بن عبد الله بن محمد بن عبد الله ابن أبي المجد ، مسند الشام ، تقي الدين شرف الفضلاء أبو محمد التنوخي المعري الأصل الدمشقي ؛ ولد سنة تسع وثمانين وخمسمائة ، وتوفي سنة اثنتين وسبعين وستمائة .

سمع من الخشوعي وعبد اللطيف وشيخ الشيوخ وابن عساكر والدولعي الخطيب وحنبل وابن طبرزد والكندي ، وأجاز له جماعة^١ .

تفرد بأشياء كثيرة ، وكان متميزاً في كتابة الإنشاء جيداً النظم حسن القول ، ديناً متصوناً ، صحيح السماع ، من بيت كتابة وجلالة ، وكان جدّه كاتب الإنشاء لنور الدين . وكتب هو للناصر داود وولي بدمشق نظر البيمارستان وسمع ببغداد من الداھري والزبيدي وولي مشيخة أمّ الصالح ومشيخة الرواية بدار الحديث الأشرفية .

روى عنه قاضي القضاة نجم الدين ابن صصرى وابن العطار وابن تيمية وأخواه وابن أبي الفتح .

سأله أبو حفص ابن أبي المعالي أن يحلّ أبيات ابن الرومي الزائفة التي أولها :

وحديثها السحرُّ الحلالُ لو أنّه لم يحنِ قتلَ المسلم المتحرزِ
إن طال لم يملل وإن هي أوجزت ودّ المحدثُ أنها لم توجزِ

٦٦ - الزركشي : ٦٨ وعبر الذهبي ٥ : ٢٩٩ والشذرات ٥ : ٣٣٨ والوافي (ج : ٩) .
١ من أول الترجمة حتى هذا الموضع لم يرد في المطبوعة ؛ وهناك مواضع أخرى أيضاً أخلت بها المطبوعة .

فقال: وحديثها الحديث لا كالحديث، عَدْبُ فهو الماء الزلال، وأسكر فأشبهه العتيق الجريال، واستملي من غير ملل ولا ملال، وشغل عن غرر من واجب الأشغال، وجنى من قتل المسلم المتحرز ما ليس بجلال، وصادت بشركة النفوس، ومالت إلى وجهه الأعناق والرؤوس، فهو نزهة العيون وعقال العقول، والموجز الذي ودّ المحدث أن يطول:

حديثٌ حديثُ الروض فتح نورَه	فمن نوره قد زاد في السمع والبصر
يخرون للأذقان عند سماعه	كأنهم من شيعة وهو منتظر
يلدُّ به طولُ الحديث لسامر	ولا يعتريه من إطالته ضجر
به طُرف للطُرف تجنى وعُقلة	لعافل ركب قد سبقن إلى سفر
هي البدر فاسمع ما تقول فإنه	غريبٌ وحدث بالرواية عن قمر

وكتب على لسان سيف الدين مقلد ابن الكامل بن شاور إلى الملك الأشرف - وكان أبطأ عليه عطاؤه - رقعةً مضمونها:

يقبَل الأرض بين يدي الملك الأشرف - أعزَّ الله نصره، وشرح ببقائه نفس الدهر وصدرة - ويُنهى أنه وصل إلى باب مولانا كما قال المتنبي:

حتى وصلتُ بنفس مات أكثرها وليتني عشت منها بالذي فضلا
ويرجو ما قاله في البيت الآخر:

أرجو نَدَاكَ ولا أخشى المطالَ به يا مَنْ إذا وهب الدنيا فقد بَخِلَا

فأعطاه صِلَة سنِيَّة، وقرَّر له جامكيَّة، وأحسن قراه، ورتب له ما كفاه.

وكتب إلى القاضي بدر الدين السنجاري:

لولا مواعيدُ آمالٍ أعيشُ بها لمتُ يا أهلَ هذا الحيِّ من زمنٍ
ولنما طُرفُ آمالي بسَهٍ مَرَحٍ يجري بوعدِ الأماني مُطلقَ الرِّسنِ

ومن شعره :

لَيْلِي كَشَعْرٍ مَعْدِي مَا أَطْوَلَهُ
قِصَصِي بِنَمَلِ عِذَارِهِ مَكْتُوبَةٌ
وَاللَّهِ لَا أَهْمَلْتُ لَامَ عِذَارِهِ
أَقْرَأُ عَلَى قَلْبِي سَبًّا فِي حَبِّهِ
آيَاتُ تَحْرِيمِ الْوَصَالِ أَظْنَهَا
ثَبَتَ الْغَرَامُ بِحَاكِمٍ مِنْ حَسَنِهِ
إِنْ أَبْعَدْتَهُ يَدُ النَّوَى عَنْ نَاطِرِي
بِالْعَادِيَاتِ قَدْ اغْتَدَى عَنَا ضُحَى
شَمْسِ النَّفُوسِ لَيْبِنَهُ قَدْ كُوِّرَتْ
أَخْفَى الصَّبَاحَ بِفِرْعِهِ إِذْ أُسْبِلَهُ
يَا حَسَنَ مَا خَطَّ الْجَمَالَ وَأَجْمَلَهُ
يَا عَاذِلِي مَا كُلُّ لَامٍ مُهْمَلُهُ
وَالذَّارِيَاتِ لِمَدْمَعٍ قَسَدِ أَهْمَلُهُ
بِطَّلَاقِ أَسْبَابِ الْحَيَاةِ مَرْتَلَهُ
وَشَهَادَةِ الْأَلْفَاظِ وَهِيَ مَعْدَلُهُ
فَلَهُ بِقَلْبِي إِنْ تَرَحَّلَ مَنْزَلُهُ
وَبَدَأَ لَهُ فِي كُلِّ قَلْبٍ زَلْزَلُهُ
وَالنَّارِ فِي الْأَحْشَاءِ فِيهِ مُشْعَلُهُ

وقال رحمه الله : ركبني دين فوق عشرة آلاف درهم ، وبقيت في قلتي ،
فرايت والدي في النوم فشكوت له ثقل الدين ، فقال : امدح النبي صلى الله عليه
وسلم ، فقلت : أعجز عن مدحه صلى الله عليه وسلم ، فقال : امدحه يوفى
دينك ، فقلت وأنا نائم :

أَجِدُ الْمَقَالَ وَجَدَّ فِي طَوْلِ الْمَدَى
فَعَسَاكَ تَنْظُرُ أَوْ تَنَالِ الْمَقْصِدَا
هِيَ حَلْبَةٌ لِلْمَدْحِ لَيْسَ يَجُوزُهَا
بِالسَّبْقِ إِلَّا مِنْ أَعْيُنٍ وَأَسْعِدَا

وانتهت فأتممت القصيدة ، فوفى الله ديني تلك السنة .

ومن شعره :

يَا أَحْمَدُ إِنْ فَرَاةَ الْأَجْفَانِ
وَالْمَعْجِزِ مِنْكَ وَاضِحُ الْبِرْهَانِ
نُبِّئْتِ بِهَا فِي آخِرِ الْأَزْمَانِ
تَحْيِي بِالْوَصْلِ مَيْتِ الْمَجْرَانِ

الحمدوني

إسماعيل بن إبراهيم بن حمدويه ، أبو علي الحمدوني ، وجده حمدويه صاحب الزنادقة على عهد الرشيد .

قال المرزباني : بصريّ مليح الشعر حسن التضمن ، اشتهر بقوله في طيلسان ابن حرب ابن أخي يزيد المهلبي وشاة سعيد ، وكان يقول : أنا ابنُ قولي :

يا ابنَ حربٍ كسوتني طيلسانا ملّ من صحبة الزمانِ وصدّاً
طالَ ترداده إلى الرفوِ حتى لو بعثناهُ وحدَهُ لتهدى

وله - ويقال إنّه أول شعر قاله فيه - وقد قال فيه خمسين مقطوعاً :

كساني ابن حربٍ طيلساناً كأنه فتي ناحلٌ بالٍ من الوجدِ كالشَنِّ
تغنّى لإبراهيمَ لمّا لبسته « ذهبُ من الدنيا وقد ذهبَ مني »

يريد إبراهيم بن المهدي ، وهذا الشعر له وتمته :

ذهبتُ من الدنيا وقد ذهبَ مني هوى الدهر بي عنها وولّى بها عني
فإنّ أبكٍ نفسي أبكٍ نفساً نقيسةً وإن احتسبها احتسبها على ضنِّ

ومن شعر الحمدوني في شاة سعيد :

ما أرى إن ذبحتُ شاةَ سعيد حاصلًا في يديّ غيرُ الإهابِ
ليسَ إلاّ عظامها. لو تراها قلتُ : هذي أرايف في جرابِ
من خساسِ الشاءِ اللواتي إذا ما أبصروهنّ قيل : شاء النهابِ

٦٧ - الزركشي : ٦٩ وطبقات ابن المعتز : ٣٧١ والأغاني ١٢ : ٦١ والروائي (ج : ٩) وابن

خلكان ٧ : ٩٥ وسماه « الحمدوي » ولعل « الحمدوي » هو الأصوب .

ستراهن كيف ينفضن في وج ٤ المضحّي بين يوم الحساب
وقوله أيضاً فيها :

أيا سعيدُ لنا في شاتك العبرُ
وكيف تبعر شاةٌ عندكم مكثت
لو أنها أبصرت في نومها علقاً
« يا مانعي لذة الدنيا بأجمعها
وقال فيها :

أسعيد قد أعطيتني أضحيةً
نضواً تغامت الكلابُ بها وقد
فإذا الملا ضحكوا بها قالت لهم
مرت على علف فقامت لم ترم
«وقف الهوى بي حيث أنت فليس لي
وقال فيها :

لسعيد شويهة
قد تغنت وأبصرت
«بأبي من بكفه
فأتاها مطعماً
فتولّى فأقبلت
«ليته لم يكن وقف
سَلَّها الضرّ والتلف
رجلاً حاملاً علف :
برء دائي من الدنف
فأتته لتعتلف
تغنتي من الأسف :
عذب القلب وانصرف

وقال في الطيلسان الذي وهبه إياه ابن حرب ٣ :

١ ص : بندوا .

٢ بيت لأبي الشيص ، طبقات ابن المعتز : ٧٤ .

٣ من هنا حتى آخر مقطعات الحمدوني لم يرد في المطبوعة .

يا طيلسان ابن حربٍ قد هممتَ بأن
 ما فيك من ملبسٍ يغني ولا تمنٍ
 فلو تراني لدى الرفاء مرتبطاً
 أقولُ حين رأيت الناسُ أَلزَمَهُ
 « من كان يسألُ عنا أين منزلنا
 تودي بجسمي كما أودى بك الزمنُ
 قد أوهنت حيلي أركانك الوهنُ
 كأنتي في يديه الدهرَ مرتينُ
 كأتما لي في حانوته وطنُ
 فالأتحوانةُ منا منزلٌ قمنُ »^١

وقال فيه :

يا ابن حربٍ كسوتني طيلساناً
 فإذا ما رفوته قال سبحاً
 أنخلته الأزمان فهو سقيم
 نك محيي العظام وهي رميم

وقال فيه :

قل لابن حرب طيلسانك قد
 متيئسٌ فيه لبصره
 فكانه الخمر التي وُصِفَتْ
 فإذا رمنناه فقيس لنا
 مثل السقيم بري فراجعهُ
 أنشدت حين طغى فأعجزني
 أودى قواي بكثرة العُرم
 آثارُ رفوٍ أوائل الأمم
 في « يا شقيق النفس من حكم »^٢
 قد صحَّ ، قال له البلي انهدم
 نكسٌ فأسلمهُ إلى سَقَم
 « ومن العناء رياضة الهرم »^٣

وقال فيه :

طيلسان لو كان لفظاً ؛ إذن ما
 فهو كالطور إذ تجلى له الا
 كم رفوناهُ إذ تمزق حتى
 شك قومٌ في أنه بهتان
 هُ فدكت قواه والأركان
 بقي الرفو وانقضى الطيلسان

١ بيت للحارث بن خالد المخزومي (الأغاني ٣ : ٣٢٠ ط . دار الثقافة) .

٢ صدر بيت شعر لأبي نواس ، وعجزه « نمت عن ليلي ولم أتم » .

٣ فيه تضمين وصدده « أتروض عرسك بعد ما هرمت » .

٤ ص : لفظ .

وقال فيه :

طيلسانُ لابن حربٍ جاءني
فإذا ما صحتُ فيه صيحةٌ
وإذا ما الريح هبت نحوه
مهطعُ الداعي إلى الرافي إذا
فإذا رفاؤه حاول أنْ
خلعةٌ في يوم نحسٍ مستمرٌ
تركتهُ كهشيمٍ المحتظر
طيرتهُ كالجراد المنتشر
مسا رآه قال : ذا شيء نكر
يتسلفاهُ تعاطي فعفر

وقال فيه :

أيا طيلساني أعيتَ طبي
ويا ريحُ صيرتني أتيك
ومستخبرٍ خبرِ الطيلسان
أسلُ بجمك أم داءُ حبٍ
وقد كنتُ لا أتقي أن تهبي
فقلت له : الروحُ من أمر ربي

وقال فيه :

طيلسانُ لابن حربٍ جاءني
أنا منْ خوني عليه أبسداً
يا ابن حرب خذه أو فابعث بما
فلعلَّ اللهُ يحييهُ لنا
فهو قد أدرك نوحاً فعمى
أبدأ يقرأ منْ يبصره
قد قضى التمزيقُ منه وطرةً
سامريُّ ليسَ يـألو حذره
نشري عجلأً بصفرٍ عشره
إنْ ضربناهُ ببعضِ البقرة
قد حوى من علم نوح خبره
(أإذا كنا عظاماً نخره)

وقال فيه :

يا ابن حربٍ كسوتني طيلساناً
مات رفاؤه ومات بنوه
يُزرعُ الرفوُ فيه وهو سباخ
وبدا الشيب في بنهم وشاخوا

وقال فيه :

١ ص : كنسيم .

يا ابن حرب أطلت فقري برفوي طيلساناً قد كنت عنه غنياً
فهو في الرفو آل فرعون في العر ض على النار بكرة وعشيا
زرت فيه معاشرأ فازدروني فتغنيت إذ رأوني زريا :
« جئت في زي سائل كي أراكم وعلى الباب قد وقفت ملياً »

وقيل إنه عمل في هذا الطيلسان مائتي مقطوع ، وكان قد وقف على أبيات
عملها أبو حمران السلمي في طيلسانه ، وكان قد بلي ، وهي :

يا طيلسان أبي حمران قد برمت بك الحياة فما تلتذ بالعمر
في كل يومين رفأً يجدده هيهات ينفع تجديد مع الكبر
إذا ارتسده لعيد أو لجمعته تنكب الناس أن يبلى من النظر
وذكرت ها هنا ما كتبه ناصر الدين ابن النقيب إلى السراج الوراق :
لو فرغني من اصطبلي لقلت لمن يجري وراه تمهل أيها الساري
ففي زقاق سراج الدين موقفه أو ذلك الخط أو في حومة الدار
وطيلسان ابن حرب قد سمعت به من طول بعث وترداد وتكرار

فأجابه السراج :

أفدي خطاك ولو كانت على بصري لكان في ذاك تشريف بمقداري
وإن دارك صان الله مالكها أعز عندي من أهلي ومن داري
وطيلسان ابن حرب في تردده قلبي إليك من الأشواق في نار
إذا تمزق أفساك الثري له في رفو بال وفي حوك لأشعار

[شرف الدولة ابن منقذ]

إسماعيل بن سلطان بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ ، شرف الدولة أبو الفضل بن أبي العساكر الكناني الشيزري الأمير ؛ كان فاضلاً شاعراً ، وكان أبوه صاحب شيزر وابن صاحبها ، فلما مات أبوه وليها أخوه تاج الدولة ، وأقام هو تحت كنف أخيه إلى أن خربتها الزلزلة ، ومات أخوه وطائفة تحت الردم ، وتوجه نور الدين فتسلمها ، وكان إسماعيل غائباً عنها ، فانتقل إلى دمشق ؛ وكانت الزلزلة سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة . وأبوه عمّ مؤيد الدولة أسامة . ومات إسماعيل بدمشق سنة إحدى وستين وخمسمائة . ومن شعره :

ومفهف كتب الجمالُ بخده سطرّاً يحيرُ ناظر المتأملِ
بالغتُ في استخراجه فوجدته لا رأي إلا رأي أهلِ الموصلِ

وقال لغزاً^٢ في زنبور ونحلة :

ومغردين ترنما في مجلسٍ فنفاهما لأذاهما الأرقامُ
هذا يجود بما يجودُ بعكسه هذا ، فيحمد ذا وذاك يذامُ

ومن شعره :

سقيتُ كأسَ الهوى علاً على نهلٍ فلا تزدني كأسَ اللومِ والعذلِ
نأى الحبيب في من نأيه حرقٌ لو لامستُ^٣ جبلاً هدّت قوى الجبلِ

٦٨ - الزركشي : ٦٩ ، والحريفة (قسم الشام) ١ : ٥٦٤ ، ومعجم الأدباء ٥ : ٢٣٤ ، والوافي (ج : ٩) وليس في المطبوعة من هذه الترجمة إلا بيتان من الشعر .

١ ص : أبي .

٢ كذا في ص .

٣ الحريفة : لا بست .

ولو تطلبتُ سلواناً لزدت هوى
عفتُ رسومي ففجّ نحوي لتسدني
صحتُ من قهوة تنفي الهمومُ بها
أصبرُ النفسَ عنه وهي قائلةُ
كم ميةٍ وحياةٍ ذقتُ طعمهما
والنفسُ إن خاطرتُ في غمرةٍ وألتُ
لها دروعُ تقيها من سهامِ يسدِ
فانظرُ إليه تر ٣ الأعمارَ في قمر
بأيّ أمرٍ سأنجو من هوى رشأ
إذا رمى لحظه بالسحرِ قسال له
إن خفتُ روعةَ هجران الحبيب فقد

وقد تزيدُ رسوباً نهضةُ الوحل
فالجسمُ ١ غبّ زبال الحب كالطلل
لكنني ثمل ٢ من طرفه الثمل
ما لي بعاديةِ الأشواقِ من قبيل
مذ ذقتُ طعمَ النوى لليأسِ والأمل
منها وإن خاطرتُ في الوجد لم تثل
فهل دروعُ تقيها أسهمَ المقل
وانظرُ إليّ تر ٣ العشاقَ في رجل
في جفنه سحر هاروت وسيف علي
قلبي : أعدنُ لا رماك الله بالشلل
أمنتُ في جبهِ من روعةِ العذل

٦٩

[ابن عز القضاة]

إسماعيل بن علي بن محمد بن عبد الواحد بن أبي اليمن ، فخر الدين المعروف
بابن عز القضاة ؛ كان في أول أمره كاتباً أديباً خدّم في جهات كبار ، وله دخول
على الملك الناصر صاحب حلب مع الشعراء وأهل حضرته ، فلما أن جفل الناس

١ الحريرة : فالصب .

٢ ص : ثملا .

٣ ص : ترى .

٦٩ - الزركشي : ٧١ وعبر الذهبي ٥ : ٣٦١ والشذرات ٥ : ٤٨٠ والوافي (ج : ٩) ؛

وقد سقط من المطبوعة معظم هذه الترجمة .

من الشام إلى مصر أيام التتار توجه إلى مصر ، وعاد بصورة عظيمة من الزهد والاعراض عن الدنيا ، ولازم كتب الشيخ محيي الدين ابن العربي ، نسخ منها جملة ، وواظب^١ زيارة قبره ، واشتهر بالخير واعتقد الناس فيه . وتوفي سنة تسع وثمانين وستمائة ، ولم يخلف شي^٢ ، وفرغت نفقته ليلة مات ، وتوفي بعقربا ، وكانت له جنازة عظيمة ، ودفن في تربة أولاد الزكي ، وتلوا الناس على قبره ختمات كثيرة ، وتفجع^٣ الناس عليه ، ورؤيت له المنامات الصالحة . ومن شعره ما كتبه إلى الشيخ شرف الدين الرقي ، وهو مجاور بمكة ، شرفها الله تعالى : من الخادم إلى سيده وأخيه في الله إن ارتضاه ، أما بعد ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، فإني كنت أرجو بركة دعائه لما أظنه من عناية الله به ، فكيفي الآن وهو جار الله ، فانضاف إلى عناية الله تعالى بسيدي عناية الوطن ، وكان الخادم عند توجه الحاج نظم أبياتاً حسنة مشوقة إلى تقبيل الحجر المكرم ، وها هي :

أوفدَ اللهُ أعطاكم قبولاً وكان لكم حَقِيظاً أجمعينا
 إنِ الرحمنُ أذكركمُ بأمرِي هناكَ فقبلوا عني اليمينَا
 فإني أرتجي منهُ جنازاً لأنَّ إليه في قلبي حينَا
 وأرجو لثَمِّ أيدي بايعتهُ إذا عدتمُ بغيرِ آمينَا

فاجابه الشيخ شرف الدين :

نعم أسعى على بصري ورأسي وألثمُ عنكم الركنَ اليمينَا
 نعم وكرامةً وأطوفُ أيضاً بيتَ اللهِ ربِّ العالمينَا
 وأنتَ أخي وخليّ ثمَّ عندي كريمٌ في إحصائك ما بقينَا

١ ص : وواظب .

٢ كذا في ص .

٣ ص : وتفجع .

وأرجو أن نكون غداً جميعاً
ومن شعر ابن عزة القضاة :
لم أنتَ في ودِّ الصديقِ تُفَرِّطُ
يا من تلونَ في الودادِ أما ترى
وقال يصف شموعاً :

وزهُرِ شموعٍ إن مددَنَ بنانها
وفيهنَّ كافوريةٌ خلَّتُ أنها
وصفراءُ تحكي شاحباً شاب رأسه
وخضراءُ يبدو وقدها فوق قدها
ولاغرو أن تحكي الأزاهرِ حسنها
وله أيضاً :

وملثم بالشعرِ من فوق ثغره
فقلت سترت الليل بالصبح قال لا
غدا قائلاً شبَّههُ لي بجيأتي
ولكن سترتُ الدرَّ بالظلمات

وقال على طريقة الشيخ محيي الدين ابن العربي رضي الله عنه :

يقولونَ دعْ ذكرى البينة كيف لي
ولكن إن اسطعم تردون ناظري
وأقسمُ ما عابنت في الكونِ صورةً
ومن لي بلبلى العاصريةِ إنتما
فما الشمسُ أدنى من يدي لأمس لها
ولكن دنَّتْ لطفاً له فتنزلتْ
وأبدت لنا مرآتها غيب حضرة
فحسبي فخراً أن نُسبتُ لحبها

وقد ملكتُ قلبي بحسن اعتدالها
إلى غيرها فالعينُ نصبُ جمالها
لها الحسنُ إلا قلت طيفُ خيالها
عظيم الغنى من نالَ وهمَ وصالها
وليس السُّها في بعد نقطة خالها
على عزها في أوجها وجلالها
غدت هي مجلالها وسرَّ كمالها
وحسبي قرباً أن خطرت ببالها

[العين زربي]

إسماعيل بن علي ، العين زربي [نسبة إلى عين زربة ، ثغر بقرب المصيصة] الشاعر ، سكن دمشق ومات بها سنة ثمان وستين وأربعمائة ، رحمه الله .

ومن شعره :

وحقكم لا زرتكم في دُجْنة من الليل تخفيني كأني سارقُ
ولا زرتُ إلاّ والسيوفُ شواهِرُ عليّ وأطرافُ الرماحِ لواحقُ

ومنه أيضاً :

ألا يا حمامَ الأيكِ عشك آهلُ وغصنك مِيّادِ وإفكَ حاضِرُ
أتبكي وما امتدت إليك يد النوى بين ولم يذعر جنابك ذاعرُ

وله أيضاً :

أعيني لا تستبقيا فيضَ عبرة فإنّ النوى كانت لذلك موعدا
فلا تعجبا أن تمطرَ العينُ بعدهم فقد أبرقَ الينُ المشتُ وأرعدا
ويومٍ كساه الغيمُ ثوباً مصندلاً فصاغت طيرازيه يدُ البرقِ عسجدا
كأنّ السما والرعدَ فيه تذكّرا هوى لهمسا فاستعبرا وتنهدا
ذكرت به فياضَ كفك في الندى وإن كانتا أهملى وأبقى وأجودا

ومنه أيضاً :

٧٠ - الزركشي : ٧٢ وتهذيب ابن عساكر ٣ : ٣٦ والخريدة (قسم الشام) ٢ : ١٨٠ والوافي (ج : ٩) وكنيته أبو محمد .

١ زيادة من المطبوعة .

أحينُ إلى ساكنات الحجاز وقد حجزتني أمورٌ ثقُالُ
 بكيْتُ ففاضتُ بحارُ الدموعِ وكان لها من جفوني اثنيالُ
 وظنَّ العواذلُ أني سلوتُ لفقد البكاء وجاءوا وقالوا :
 حقيقٌ حقيقٌ وجدتُ السلوَّ فقلت لهم [بل] محال محال^١

ومن هذه المادة قول ابن سناء الملك :

أرى ألفَ ألفِ مَليحِ فما كأني رأيت مَليحاً سواهُ
 أراه وما لي وِصُولٌ إليه فراحةٌ قلبي أنْ لا أراهُ
 وقالوا هواك مقيمٌ مقيمٌ عليه فقلتُ كما هو كما هو

٧١

الملك المؤيد صاحب حماة

إسماعيل بن علي، الإمام العالم الفاضل السلطان الملك المؤيد عماد الدين أبو الفدا ابن الأفضل ابن الملك المظفر ابن الملك المنصور، صاحب حماة ؛ مات في الكهولة سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة ، كان أميراً بدمشق ، وخدم الملك الناصر لما كان بالكرك وبالغ في ذلك ، فوعده بحماة ووفى له بذلك وأعطاه حماة لما أمر لأسندمر بحلب بعد موت نائبها قبجق ، وجعله سلطاناً يفعل فيها ما يشاء من إقطاع وغيره ، ليس لأحد من الدولة بمصر من نائب ووزير معه حكم ، وأركبه في القاهرة بشعار الملك وأبته السلطنة ، ومشى الأمراء والناس في خدمته ، حتى الأمير سيف الدين أرغون النائب ، وقام له القاضي كريم الدين بكل ما يحتاج

١ ابن عساكر : عنها فقلت محال محال .

٧١ - الزركشي : ٧٣ والدرر الكامنة ١ : ٣٩٦ والبداية والنهاية ١٤ : ١٥٨ والنجوم الزاهرة

٩ : ٢٩٢ وطبقات السبكي ٦ : ٨٤ والوافي (ج : ٩) .

إليه في ذلك المهم من التشاريف والإنعامات على وجوه الدولة وغيره ، ولقبوه الملك الصالح ، ثم بعد قليل لقبه الملك المؤيد .

وكان كل سنة يتوجه إلى مصر بأنواع من الخيل والرقيق والجواهر وسائر الأصناف الغريبة ، هذا إلى ما هو مستمر طول السنة مما يُهديه من التحف والطُرف ، وتقدم السلطان الملك الناصر إلى نوابه بأن يكتبوا إليه « يقبل الأرض » وكان الأمير سيف الدين تنكز رحمه الله تعالى يكتب إليه « يقبل الأرض بالمقام العالي الشريف المولوي السلطاني الملكي المؤيدي العمادي » وفي العنوان « صاحب حَمَاة » ويكتب إليه السلطان أخوه محمد بن قلاوون « أعز الله أنصار المقام الشريف العالي السلطاني الملكي المؤيدي العمادي » بلا مولوي .

وكان الملك المؤيد فيه مكارم وفضيلة تامّة من فقه وطب وحكمة وغير ذلك ، وأجود ما كان يعرفه علم الهيئة لأنه أتقنه ، وإن كان قد شارك في سائر العلوم مشاركة جيدة . وكان محبباً لأهل العلم مقرباً لهم ، أوى إليه أمين الدين الأبهري ، وأقام عنده ، ورتب له ما يكفيه ، وكان قد رتب لجمال الدين محمد بن نُبّانة كل سنة ستمائة درهم ، وهو مقيم بدمشق ، غير ما يتحفه به .

ونظم « الحاوي » في الفقه ، ولو لم يعرفه معرفة جيدة ما نظمه ، وله تاريخ مليح ، وكتاب « الكناش » مجلدات كثيرة ، وكتاب « تقويم البلدان » هذبه وجدّوله وأجاد فيه ما شاء ، وله كتاب « الموازين » جوده وهو صغير .

ومات وهو في الستين ، رحمه الله تعالى ؛ وله شعر ، ومحاسنه كثيرة .

ولما مات رثاه الشيخ جمال الدين بن نُبّانة بقصيدة أولها :

ما للتدى لا يُلبي صوتَ داعيهِ أظنُّ أنَّ ابنَ شادٍ [ي] قام ناعيه
ما للرجاء قد اشتدَّتْ مذهبهُ ما للزمان قد اسودَّتْ نواحيه
نعمي المؤيد ناعيه فيا أسفَسا للغيث كيف غدَّتْ عنَّا غواديه

منها :

كان المديح له عرساً بدولته فأحسن الله للشعر العزاً فيه
يا آل أيوب صبراً إن إرثكم من اسم أيوب صبراً كان منجيه
هي المنايا على الأقوام دائرة كل سيأتيه منها دور ساقيه

وتوجه الملك المؤيد بعض السنين إلى مصر ومعه ابنه الملك الأفضل محمد ،
فمرض ولده ، فجهز إليه السلطان الحكيم جمال الدين ابن المغربي رئيس الأطباء ،
فكان يجيء إليه بكرة وعشياً ، فيراه ويبحث معه في مرضه ، ويقرر الدواء ،
ويطبخ الشراب بيده في دست فضة ، فقال له ابن المغربي : يا خوند ، أنت والله
ما تحتاج إليّ ، وما أجي إلا امتثالاً لأمر السلطان . ولما عوفي أعطاه بغلة بسرج
وكنبوش^١ زركش وتعبية قماش وعشرة آلاف درهم والذست الفضة ، وقال :
يا مولاي ، اعذرني فإني لما خرجت من حماة ما حسبت مرض هذا الابن .
ومدحه الشعراء وأجازهم ، ولما مات فرق كتبه على أصحابه ، وأوقف
منها جملة . ومن شعره :

اقرأ على طيب الحيا ة سلام صبّ مات حزنا
واعلم بسذاك أحبة بجل الزمان بهم وضنا
لو كان يُشرى قربهم بالمال والأرواح جدنا
متجرّع كأس الفِرا ق يبيت للأشجان رهنا
صبّ قضي وجداً ولم يُقضى له ما قد تمنى

وله أيضاً :

كم من دمٍ حَلَلْتِ وما ندمتُ تفعل ما تشتهي فلا عُدِمْتِ
لو أمكن الشمس عند رؤيتها لثم مواطي أقسدامها لثمت

وله أيضاً :

١ ص : عرس .

٢ ص : وكنبوش ؛ والكنبوش : جلال يتخذ للدابة .

سرى مسرى الصبأ ففجبت منه
وكيف ألمّ بي من غير وعدٍ
وله موشح رحمه الله تعالى :

أوقعني العمر في لعلّ وهل
والشيبُ وافى وعنده نزلا
ما أوقحَ الشيب الآتي
قد أضعفتني الستون لا زمي
لكن هوى القلب ليس ينتقص
يهوى جميع اللذات
يا عاذلي لا تطل ملامك لي
وليس يجدي للملامُ والفندُ
دعني أنا في صبواتي
كم سرتي الدهر غير مقتصر
نمرح في طيب عيشنا الرغد
وكم صفت لي خطراتي
مضى رسولي إلى معذبتي
وقال : قالت تعال في عجل
يا ويح من عمره مضى بلعلّ
وفرّ منه الشباب وارتحلا
إذ حلّ لا عن مرضاتي
وخاني نقص قوّة البدن
وفيه مع ذا من جرحه غُصص
كما له من عادات
فإن سمعي نأى عن العذل
فيمن صبايات عشقه جدّ
أنت البري من زلاتي
بالكاسِ والغايات والوتر
طرّقي وروحي وسائر الجسد
وساعدتني أوقاتي
وعاد في بهجة مجدّدة
لمنزلي قبل أن يمي رجلي

واصعدُ وجُزُ من طساقاتي ولا تَخَفُ مِن جاراتي

قال : ومن الغريب أن السلطان ، رحمه الله ، كان يقول : ما أظنّ أُنّي أستكمل من العمر ستين سنة ، فما في أهلي - يعني بيت تقي الدين - من استكمله ، وفي أوائل الستين من عمره قال هذا الموشح ، ومات في بقية السنة ، رحمه الله تعالى .

وهذه الموشحة جيدة في بابها ، منيعة على طلابها ، وقد عارض بوزنها موشحة لابن سناء الملك رحمه الله تعالى ، أولها :

عسى ويا قلما تفيد عسى	أرى لنفسي من الهوى نَقَسَا
مذ بان عني من قد كلفتُ به	قلبي قد لَجَّ في تَقَلُّبِهِ
وبي أذى شوق عاتِي	ومسدمني يوم شاتِي
لا أتركَ اللهوَ والهوى أبدا	وإنْ أَطَلْتُ الغرامَ والفَسَادَا
إن شئتَ فاعذل فليست أستمع	أنا الذي في الغرام أتبع
وتحتذي صباباتي	وبدعي وعاداتي
بي ملكٌ في الجمال لا بشر	يُظَلِّمُ إنْ قِيلَ إنَّه قمر
يحسن فيه الولوع والوليه	وعزُّ قلبي في أن أذلَّ له
خدي حيدا إن ياتي	ويرتعي حشاشاتي
لست أذم الزمانَ معتديا	كم قد قطعت الزمانَ مُلْتَهِيَا
وظلّنتُ في نعمة وفي نعم	يلتذُّ سَمْعِي وناظري وفمي

ولا قَدَى في كاساتي ومرتعي في الجَنّات
وغادةٍ دينها مخالفتي ولا تَرى في الهوى محالفتي
وتستَيبيني ولست أمتنعها فقلت قولاً عساهُ يخدعها
ما هو كذا يا مولاتي اجري معي في مساواتي

وموشحة السلطان ، رحمه الله تعالى ، نقصت عن موشحة ابن سناء الملك
ما التزمه من القافيتين في الخرجة وهو الذال في « كذا » والعين في « معي »
وخرجة ابن سناء الملك أحسن من خرجة السلطان ، رحمهما الله تعالى .

٧٢

السيد الحميري

إسماعيل بن محمد بن يزيد بن ربيعة المعروف بالسيد الحميري ؛ كان شاعراً
محسناً كثير القول ، إلا أنه كان رافضي جلد زائع عن القصد له مدائح جمّة
في آل البيت عليهم السلام ، وكان مقيماً بالبصرة ، وكان أبواه يُبغضان عليّاً ،
وسمعهما يسبانه بعد صلاة الفجر ، فقال :

لعن الله والديّ جميعاً ثمّ أصلاهما عذاب الجحيم

وكان يرى رجعة محمد بن الحنفية في الدنيا ، وكان كثير الشاعر يرى هذا

٧٢ - طبقات ابن المعتز : ٣٢ والأغاني ٧ : ٢٢٤٢ وابن خلكان ٦ : ٣٤٣ والوافي ٩ رقم
٥٠٠٣ وفتوح ابن أعم ٢ : ٢٣٤ ورجال الكشي : ٢٤٢ وقد طبع في النجف (١٩٦٥)
كتاب للرزباني بعنوان « أخبار السيد الحميري » . وقد جمع ديوانه شاكر هادي شكر (بيروت ؛
دون تاريخ) .

١ كذا هو في ص ، دون اعراب .

الرأي ، وكان السيد يعتقد أن ابن الحنفية لم يمت ، وأنه في جبل بين أسد ونمر يحفظانه ، وعنده عينان نضاًختان تجريان بماء وعسل ، ويعود بعد الغيبة فيملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً. ويقال إن السيد اجتمع بجعفر الصادق عليه السلام فعرفه خطأ وأنه على ضلالة فتاب .

وقال المرزباني في «معجم الشعراء» : إنه إسماعيل بن محمد بن وداع الحميري ، ولذلك يقول ^١ :

إني امرؤٌ حميريٌّ حين تنسبني جدي رعينٌ وأخوالي ذوو يزنٍ
ثمّ الولاء الذي أرجو النجاة^٢ به يوم القيامة للهادي أبي الحسن

وكان أسمر تامّ القامة حسن الألفاظ جميل الخطاب ، مقدّمًا عند المنصور والمهدي . ومات أول أيام الرشيد سنة ثلاث وسبعين ومائة ، وولد سنة خمس ومائة . وكان أحد الشعراء الثلاثة^٢ الذين لم يُضبط ما لهم من الشعر ، هو وبشار وأبو العتاهية ، وإنما أمات ذكره وهجره الناس لسببه الصحابة وبغض أمّهات المؤمنين وإفحاشه في قذفهم ، فتحاماه الرواة .

قال المازني : سمعت أبا عبيدة يقول : ما هجا بني أمية أحد كما هجاهم يزيد ابن مفرغ والسيد الحميري .

وقال السيد : أتى بي أبي وأنا صغير إلى محمد بن سيرين فقال لي : يا بني ، اقصص رؤياك ، فقلت : رأيت كأنّي في أرض سبخة ، وإلى جانبها أرض حسنة ، وفيها النبي صلى الله عليه وسلم واقفاً ، وليس فيها نبت ، وفي الأرض السبخة شوك ونخل ، فقال لي : يا إسماعيل ، أتدري لمن هذا النخل ؟ قلت : لا ، قال : هذا لامرئ القيس بن حجر ، فأنقله إلى هذه الأرض الطيبة التي أنا فيها ، فجعلت

١ ورد البيتان في ديوانه : ٤٣٩ برواية مختلفة .

٢ ص : النجاء .

٣ ص : الثلاث .

أنقله ، إلى أن نقلت جميع النخل وحوّلتُ شيئاً من الشوك ، فقال ابن سيرين لأبي : أمّا ابنك هذا فسيقول الشعر في مدح طهّرة أبرار ، فما مضت إلاّ مدة حتى قلت الشعر .

قال ابن سلام : فكانوا يرون أن النخل مدّحه أمير المؤمنين وذريته ، وأن الشوك حوله وما أمر بتحويله هو ما خلط به شعره من سب السلف .

وقال الصوّلي : حدّثنا محمد بن الفضل بن الأسود ، حدّثنا علي بن محمد بن سليمان ، قال : كان السيد يزعم أن عليّاً رضي الله عنه سمّى محمد بن الحنفية المهدي ، وأنه الذي بشرّ به النبيّ صلى الله عليه وسلم ، وأنه حيّ في جبال رَضَوَى .

قال الصوّلي : قال أبو العيّن للسيد : بلغني أنك تقول بالرّجعة ، قال : هو ما بلغك ، قال : فأعطني ديناراً بمائة دينار إلى الرجعة ، فقال له السيد : على أن توثّق لي بمن يضمن أنك ترجع إنساناً ، أخاف أن ترجع قرداً أو كلباً فيذهب مالي .

وكان السيد إذا سُئل عن مذهبه أنشد من قصيدته المشهورة^١ :

سَمِي نَبِيّاً لم يَبْقَ منهم	سواه فعنده حصل الرجاء
فَعُيِّبَ غِيبةً من غير موت	ولا قتل وسار به القضاء
وبين الوحش ترعى في رياض	من الآفات مرتعها خلاء
تحلّ فما بها بشرٌ سواه	بعقوتيه له عسل وماء
إلى وقت ، ومدة كل وقت	— وإن طال عليه — لها انقضاء
فقل للناصب الهاذي ضلّالاً	يقوم وليس عندهم غناء
فداء لابن خولة كل نذول	يطيف به ، وأنت له فداء
كأنا يابن خولة عن قريب	وربّ العرش يفعل ما يشاء

١ ديوانه : ٤٩ ؛ وهي منقولة عن الفوات .

تهز دُويْن عين الشمس سيفاً كلمع البرق أخلصه الجلاء
تشبه وجهه قمراً منيراً يضيء له إذا طلع السماء
فلا يخفى على أحد فصبرٌ وهل بالشمس ضاحيةٌ خفاء
هنالك تعلم الأحزابُ أننا ليوثٌ لا يُنهنهن اللقواء
فندرك بالذحول بني أُميٍّ وفي ذاك الذحول لهم فناء

وحكي أن اثنين تلاحيا في أي الخلق أفضل بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال أحدهما : أبو بكر ، وقال الآخر : عليّ ، فراضيا بالحكم إلى أوّل من يطلع عليهما ، فطلع عليهما السيد الحميري ، فقال القائل بفضل عليّ : قد تنافرت أنا وهذا إليك في أفضل الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت أنا : علي ، فقال السيد : وما قال هذا ابن الزانية ؟ فقال ذاك : لم أقل شيئاً .

وقال الصولي : حدثنا محمد بن عبد الله التميمي قال حدثنا أحمد بن إبراهيم عن أبيه قال : قلت للفضل بن الربيع : رأيت السيد الحميري ؟ قال : نعم ، عهدي به واقفاً بين يدي الرشيد ، وقد رفع إليه أنه رافضي ، وهو يقول : إن كان الرفض حكيم يا بني هاشم وتقديمكم على سائر الخلق فما أعتذر ولا أزول عنه ، وإن كان غير ذلك فما أقول به ، ثم أنشده^١ :

شجاك الحيّ إذ بانوا فدمعُ العين هتّانُ
كأنّي يوم ردّوا العي سَ للرحلّةِ نشوان
وفوق العيسِ إذ ولّوا مها عينٌ^٢ وغزلان
وما حازوا إلى الأعلى^٣ فأقمارٌ وأغصان

١ ديوانه : ٤١٠ .

٢ ص : عينا ؛ وفي الديوان : بها حور .

٣ الديوان : وما جاوز للأعلى .

منها :

عليّ وأبو ذرٍّ ومقصدادٌ وسلمان
وعبّاسٌ وعمّارٌ وعبّد الله إخوان
دعوا فاستودعوا علماً فأدّوهُ ومسا خانوا
أدينُ اللهَ بسالدين الـذي كانوا بسه دانوا

منها :

فحبيّ لك إيمانٌ وميالي عنه كفران
فعدّ القومُ ذا رفضاً فلا عدّوا ولا كانوا

قال : فعهدني بالرشيد وقد ألطف له ووصله ، وبرّه جماعة من الهاشميين ،
وتوفي بعد قليل ١ .

قيل لما استقام الأمر للسفّاح خطب يوماً فأحسن الخطبة ، فلما نزل عن المنبر
قام إليه السيد الحميري فأنشده ٢ :

دونكموها يا بني هاشم فجددوا من آيها الطّسامسا
دونكموها فالبسوا تاجها لا تعدموا منكم لها لابسا
دونكموها لا علت كعبُ منّ أمسى عليكم ملكتها نافسا
خلاقة الله وسلطاناه وعنصرٌ كان لكم دارسا
قد ساسها قبلكم ساسة لم يتركوا رطباً ولا يابسا
لو خيرَ المنبرِ فرسانه ما اختار إلاّ منكمُ فارسا
فلست من أن تملكوها إلى هبوطِ عيسى منكمُ آيسا

فقال السفّاح سلّ حاجتك ، قال : ترضى عن سليمان بن حبيب بن المهلب

١ وقال الصولي . . . قليل : لم يرد في المطبوعة .

٢ ديوانه : ٢٥٨ .

وتوليه الأهواز، قال ١ : قد أمرت بذلك ، وكتب عهده ودفعه إلى السيد ، وقدم به عليه ، فلما وقعت عينه عليه أنشده ٢ :

أتيناك يا قرمَ أهلِ العراقِ بخيرِ كتابٍ من القائمِ
أتيناك من عند خيرِ الأنامِ فذاك ابن عم أبي القاسمِ ٣
يولئك فيه جسامَ الأمورِ فأنت صنيعُ بني هاشمِ
أتينسا بعهدك من عنده على من يليك من العالمِ

فقال له سليمان : شريف وشافع وشاعر ووافد ونسيب ، سل حاجتك ، فقال : جارية فارهة جميلة ومن يخدمها ، وبدرة دراهم وحاملها ، وفرس رائع وسائسه ، وتخت من صنوف الثياب وحامله ، قال : قد أمرت لك بكل ما سألت ، وهو لك عندي كل سنة .

قال أبو ريحانة ، وكان يشار إليه في التصوف والورع : حدثني رجل كان أبوه في جوار السيد قال : لما حضرته الوفاة جاءنا وليه فقال : هذا وإن كان مخلطاً فهو من أهل التوحيد ، وهو جاركم ، فادخلوا إليه ولقنوه الشهادة ، قال : فدخلنا إليه وهو يجود بنفسه وقلنا له : قل ٤ لا إله إلا الله ، قال : فاسود وجهه وفتح عينه وقال : ﴿ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ ﴾ (سبأ : ٥٤) قال : فخرجنا من عنده ، فمات من ساعته .

١ ص : قلت .

٢ ديوانه : ٣٩٦ .

٣ سقط هذا البيت من المطبوعة .

٤ ص : قول .

ابن مكنسة الشاعر

إسماعيل بن محمد ، أبو الطاهر المعروف بابن مكنسة الاسكندراني ؛ ذكره
أمية ابن أبي الصلت في « الحديقة » ؛ توفي في حدود الخمسمائة أو بعدها .
من شعره :

أعاذلُ ما هبتُ رياحُ ملامةٍ بنارِ هوىٍ إلاّ وزادتُ تضرماً
فكلني إلى عينٍ إذا جفتْ ماؤها رأَتْ من حقوقِ الحبِّ أنْ تدرِفَ الدما
فكم عبرةٍ أعطتْ غرامي زمامها عشيةَ أعملنَ المطيَّ المزمزما
فله قَلْبٌ قسارعتُهُ همومُهُ فلم يبقَ حدٌّ منه إلاّ تثلماً^١
وأورد له أيضاً في « الحديقة » :

رقتُ معاهدُ خصره فكأنها^٢ مشتقةٌ من عهدهِ وتجلّدي
وتجعدتْ أصداغُهُ فكأنها مسروقةٌ من خلقهِ المتجعدي
ما باله يجفو وقد زعم الوري أن الندى يخنص بالوجهِ الندي
لا تخدعنكَ وجنةٌ حمرةٌ رقت ففي الياقوتِ طبعِ الجلمد
وزعمتْ أني لستُ من أهلِ الهوى صبا^٣ فقل ما شنته وتقلد
والله ما أبصرتُ يوماً أيضاً منذ ابتليتُ بحبِّ طرفِ أسود
وله أيضاً :

٧٣ - الزركشي : ٧٤ والخريدة (قم مصر) ٢ : ٢٠٣ والواني ٩ رقم : ٥٠٢٠ .

١ من أول الترجمة حتى هذا الموضع لم يرد في المطبوعة .

٢ ص : فكأنما .

٣ ص : صب .

صيرتمونسا يا بني
لكم الولاية في الهوى
ما قام منكم قائم
ما يلتحي حتى ينص
بكجور عشاقاً بشدة
أمراً أراد الله عقده
إلا وكان الحسن جنده
على ولي العهد بعده

وأورد له أيضاً :

يعطيك مبتدياً لدى سرّائه
بتّ جاره فالعيش تحت ظلاله
يلقى الخطوب بمثلها من صبره
فالطود حاسدٌ حلمه وأناته
ويضاعف الإعطاء في ضرّائه
واستسقه فالبحر من أنوائه
والباترات بمثلها من رائه
والسيف حاسدٌ بأسه ومضائه

ولابن مكنسة :

يا رب عرييدٍ إذا ما انتشى
قالوا : فقد تاب ووالله ما
وإنما توبته هذه
أربنى على المجنون في مسّه
يتوب أو يجعل في رمسه
عريدةً أيضاً على نفسه

وله أيضاً :

إبريقنا عاكف على قدح
أو عابد من بني المجوس إذا
كأنه الأمّ ترضعُ الولدا
توهم الكاس شعله سجدا

[أشجع السلمي]

أشجع بن عمرو السلمي من ولد الشريد بن مطرود ، مدح الرشيد والبرامكة ، وانقطع إلى جعفر خاصة وأصفاه مدحه ، ووصله الرشيد وأعجبه مدحه وتقدم عنده وأثرت حالته في أيامه ، وهو القائل يصف الحمر :

ولقد طعنتُ الليلَ في أعجازه	والكأسُ بين غطارفِ كالأنجمِ
يتمايلونَ مع التَّسِيمِ كأنَّهم	قُضِبُ من الهندي لم تتلم
والليلُ ملتحفٌ بفضلِ ردائه	قد كاد يسفر عن أغرِّ أرقم
فإذا أدارتها الأكفُ رأيتها	تثني الفصيحَ إلى لسان الأعجم
وعلى بَنانِ مديرها عقيانسةٌ	من كسبها وعلى فضول المعصم
تغلي إذا ما الشعران تَلظَّيَا	صيفاً وتسكن في طلوعِ المرزم
ولها سكونٌ في الإناء وتارةٌ	شغباً تطوِّحُ بالكمي المعلم
تعطي على الظلم الفتي يفتادها	قسراً وتظلمه إذا لم يظلم

قال عبد الله بن العباس الربيعي : إن أول من أدخل أشجع على الرشيد أنه خدم الفضل بن الربيع فوصفه للرشيد وقال : هو أشعر أهل هذا الزمان ، وقد اقتطعه البرامكة ، فأمر بإحضاره وإيصاله مع الشعراء ، فلما وصل إليه أنشده في القصر الذي بناه :

قصرٌ عليه تَحِيَّةٌ وسلامٌ نثرتُ عليه جمالها الأيامُ

٧٤ - طبقات ابن المعتز : ٢٥١ والشعر والشعراء : ٧٥٨ وتهذيب ابن عساكر ٣ : ٥٩ والأغاني ١٨ : ١٤٣ والوافي ٩ : رقم ٥٠٨٨ وتاريخ بغداد ٧ : ٤٥ والموشح ٤٥٢ والأوراق للصولي (قسم أخبار الشعراء : ٧٤) ؛ ولم ترد هذه الترجمة في المطبوعة .
١ ابن المعتز : نشرت .

فيه اجتلى الدنيا الخليفة^١ والتقت
 قصر^٢ سقوف المزن دون سقوفه
 نشرت عليه الأرض كسوتها التي
 أدنتك^٣ من ظل النبي وصية^٤
 برقت سماؤك في العدو فأمطرت^٥
 وإذا سيوفك صافحت^٦ هام العدا
 تشي على أيامك الأيتام^٧
 وعلى عدوك يا ابن عم محمد
 فإذا تنبه رعته^٨ وإذا غفا
 للملك فيه سلامة^٩ وسلام^{١٠}
 فيه لأعلام الهدى أعلام
 نسج الربيع وزخرف الأرقام
 وقرابة^{١١} وشجت بها الأرحام
 هاماً لها ظل^{١٢} السيوف غمام
 طارت لمن^{١٣} على الرعوس الهام
 الشاهدان^{١٤} الحل والإحرام
 رصدان ضوء^{١٥} الصبح والإظلام
 سلّت^{١٦} عليه سيوفك الأحلام

قال : فاستحسنها الرشيد ، وأمر له بعشرين ألف درهم . وكان جعفر بن
 يحيى البرمكي يجري عليه في كل جمعة مائة دينار . وتوفي أشجع في حدود المائتين
 تقريباً . وأخباره في كتاب « الأغاني » كثيرة ، رحمه الله تعالى وإيانا .

٧٥

أشعب الطمع

أشعب بن جبير المدني ، الذي يضرب به المثل في الطمع .
 روى عن عكرمة وأبان بن عثمان وسالم بن عبد الله ، وله النوادر المشهورة .

١ ابن المعتز : ودوام .

٢ ابن المعتز : وسيلة .

٧٥ - الوافي ٩ رقم : ٥٠٩٢ وابن خلكان ٢ : ٤٧١ (شبيب) وهو من مزيادات طبعة بيروت
 (١٩٦٨ - ١٩٧٢) وتهذيب ابن عساكر ٣ : ٧٥ وميزان الاعتدال ١ : ٢٥٨ وتاريخ
 بغداد ٧ : ٣٧ والمحاسن والمساوي : ٥٩٧ والأغاني ١٩ : ٦٩ وأخبار الطراف : ٣١ وثمار
 القلوب : ١٥٠ .

قال : حدثنا عكرمة عن ابن عباس قال : إن لله على العبد نعمتين ^١ ، وسكت فقليل له : اذكرهما ، فقال : الواحدة نسيها عكرمة ، والأخرى نسيها أنا . وهو خال الأصمعي .

وقال يوماً : ابغوني امرأة أتجشأ في وجهها فتشيع ، وتأكل فخذ جرادة فتنتخم .

وأسلمته أمه في البزازين ، فقال لها يوماً : تعلمت نصف الشغل ، قالت : وما هو ؟ قال : تعلمت النشر وبقي الطي . وقيل له ما بلغ من طمعك ؟ قال : ما زُفَّت امرأة في المدينة إلاّ كَنَسْتُ بيّتي رجاء أن تهدي لي . ومرّ برجل يعمل طبقاً ، فقال له : وسّعهُ فربما يشترى أحد ويهدي لنا فيه شيئاً ^٢ . ومن عجائب أمره أنه لم يمّت شريف ^٣ بالمدينة إلاّ استعدى على وصيّهِ أو على وارثه ، وقال له : احلف أنه لم يوص لي بشيء قبل موته .

كان زياد بن عبد الله الحارثي على شرطة المدينة ، وكان مبخلاً ، فدعا أشعب في شهر رمضان ليفطر عنده ، فقدمت له أول ليلة مَضِيْرَة ^٤ معقودة ، وكانت تعجبه ، فأمن فيها أشعب وزياد يلمحه ، فلما فرغوا من الأكل قال زياد : ما أظن لأهل ° السجن إماماً يصلي بهم في هذا الشهر ، فليصل بهم أشعب ، فقال أشعب : أو غير ذلك أصلحك الله ، قال : وما هو ؟ قال : أحلف بالطلاق أن لا أذوق مضيرة أبداً . فخرجل زياد وتغافل عنه .

وقال أشعب : جاءتني جارية بدينار وقالت : هذا ودیعة عندك ، فجعلته بين ثني الفراش ، فجاءت بعد أيام فوجدت الدينار ، فقلت : ارفعي الفراش

١ ص : نعمتان .

٢ ص : شيء .

٣ ص : شريفاً .

٤ الوافي : مصلية .

٥ ص : لأجل .

وخذني ولده ، وكنت تركت إلى جانبه درهما ، فتركت الدينار وأخذت الدرهم وعادت بعد أيام فوجدت معه درهماً^١ آخر ، فأخذته ، وعادت في الثالثة كذلك ، فلما جاءت الرابعة تباكيتُ ، فقالت : ما يبكيك ؟ فقلت : مات الدينار في النَّفَّاس ، فقالت : وكيف يكون للدينار نفاس ؟ فقلت : يا فاسقة تصدقين بالولادة ولا تصدقين بالنَّفَّاس ؟

وسأل سالم بن عبد الله بن عمر عن طمعه ، قال : اجتمعوا عليَّ الصبيان يوماً ، فقلت لهم : هذا أبان بن عثمان قد طبخ هريسة وهو يفرقها ، فذهبوا إليه ، فلما ذهبوا ظننت أن الأمر كما قلت ، فعدوت خلفهم .

وقيل له : ما بلغ من طمعك ؟ قال : أرى دخان جاري فأثرده . وقيل له أيضاً ، قال : ما رأيت اثنين^٢ يتساران إلاّ ظننت أنهما يأمران لي بشيء .
وجلس يوماً في الشتاء إلى إنسان من ولد عقبة بن أبي معيط ، فمرّ به حسن ابن حسن ، فقال : ما يقعدك إلى جانب هذا ؟ قال : أصطلي بناره .

ولما مات ابن عائشة المغني جعل أشعب يبكي ويقول : قلت لكم زوجوا ابن عائشة من الشماسية حتى يخرج بينهما مزامير داود ، فلم تفعلوا ، ولكن لا يُغني حنّدر من قدر .

ولما أخرجت جنازة الصريمية المغنية كان أشعب جالساً مع نفر من قريش ، فبكى أشعب وقال : اليوم ذهب الغناء كله ، وترحّم عليها ، ثم مسح عينه والتفت إليهم وقال : وعلى ذلك فقد كانت الزانية شر خلق الله ، فضحكوا ، وقالوا : يا أشعب ليس بين بكائك عليها وبين لعنك لها فرق ، قال : نعم كنا نجيبها الفاجرة بكبش إذا أردنا أن نزورها ، فتطبخ لنا في دارها ثم لا تعشينا إلاّ بسلق .

وجاز به يوماً سبط لابن سريج^٣ ، فوثب إليه وحمله على كتفه ، وجعل يرقصه ويقول : فديت من ولد على عود ، واستهلّ بغناء ، وحنّك بملوى ،

١ ص : درهم . ٢ ص : اثنان .

٣ ص : سيرين ، والتصويب عن الوافي .

وقطعت سرّته بزير ، وختن بمضراب .

وقيل له : رأيت أطمع منك ؟ قال : نعم ، كلب أم حومل ، تبغي فرسخين وأنا أمضغ لباناً^١ .

وخفف الصلاة مرّة ، فقال له بعض أهل المسجد : خففت الصلاة جداً ، قال : إنها صلاة لم يخالطها رياء . وقال له رجل : كان أبوك عظيم اللحية ، وأنت كوسج ، فلمن أشبهت ؟ قال : أشبهت أُمي . وقيل له : هل رأيت أطمع منك ؟ قال : نعم ، خرجت [إلى] الشام مع رفيق لي ، فنزلنا على باب بعض الديات فتلّاحينا ، فقلت : أير الراهب في است الكاذب ، فلم نشعر إلاّ بالراهب قد اطلع علينا وقد أنعظ وهو يقول : مَنْ هو الكاذب فيكم ؟

وكان أشعب لا يغيب عن طعام سالم بن عبد الله بن عمر ، فاشتبهى سالم يوماً أن يأكل مع بناته ، فخرج إلى بستان له ، وأعلم أشعب بالقصة ، فاكترى جَمَلاً بدرهم ، فلما حاذى حائط البستان وثب من على الحمل فصار على الحائط ، فغطى سالم بناته بثوبه [وقال : بناتي]^٢ فقال أشعب : إنك لتعلم ما لَنَا في بناتك من حق وإنك لتعلم ما نريد^٣ .

وقال رجل يوماً لأشعب : ما بلغ من طمعك ؟ فقال : ما سألتني عن هذا الأمر إلاّ وقد خبأت لي شيئاً تريد تعطيني إياه .

وقيل هو من موالي عثمان بن عفان ، وتوفي سنة أربع وخمسين ومائة ، وولد سنة تسع للهجرة ، فعمر عمراً طويلاً . وامرأته بنت وردان الذي بنى قبر النبي صلى الله عليه وسلم . وكان أشعب قد قرأ القرآن وتنسك ، وكان حسن الصوت في القراءة ، وربما صلى بهم في المسجد .

قال المدائني ، قال أشعب : تعلقت بأستار الكعبة ، وقلت : اللهم أذهب

١ ص : لبان .

٢ سقط من ص ، وزدته من الوافي .

٣ انظر سورة هود : ٧٩ .

الحرص عني ، فمررت بالقرشيين وغيرهم فلم يعطني أحد شيئاً^١ ، فجئت إلى أمي فحكيت لها ذلك فقالت : والله لا تدخل بيتي حتى تذهب فتستقيل الله تعالى ، فرجعت فقلت : يا رب قد سألتك أن تخرج الحرص من قلبي ، فأقِلني ، ثم رجعت فلم أمرّ بمجلس من مجالس قريش وغيرهم إلاّ سألتهم وأعطوني ، وهبوا لي غلاماً^٢ ، فجئت إلى أمي بحمار موقور^٣ من كل شيء ، فقالت : ما هذا ؟ فخفت إن أعلمتها أن تموت ، فقلت : وهبوا لي غين ، قالت : وما غين ؟ قلت : لام ، قالت : ويملك وما لام ؟ قلت : ألف ، قالت وأي شيء ألف ؟ قلت ميم ، قالت : وأي شيء ميم ؟ قلت : غلام ، فسقطت مغشياً عليها ، ولو سميته أوّل سؤالها لماتت .

ورأى على عبد الله بن عمر كساء ، فقال : سألتك بوجه الله إلاّ أعطيتني هذا الكساء ، فرماه له . وكان يقول : حدّثني عبد الله بن عمر وكان يبغضني في الله . وكان أشعب يجيد الغناء ، وذكره إبراهيم الرقيق في كتابه^٤ ، وذكر له جملة أخبار ، رحمه الله تعالى .

٧٦

[أبو عطاء السندي]

أفلاح بن يسار ، هو أبو عطاء السندي مولى بني أسد ، ومنشؤه بالكوفة ، وكان من مخضرمي الدولتين ، وكان أبوه سندياً أعجمياً لا يفصح ، وكان في

١ ص : شيء . ٢ ص : غلام .

٣ الوافي : موقر . ٤ الوافي : في كتاب الأغاني له .

٧٦ - الشعر والشعراء : ٦٥٢ والأغاني ١٧ : ٢٤٥ والوافي ٩ رقم : ٦٠٣١ والخزانة ٤ :

١٧٦ والعيبي ١ : ٥٦٠ والسمط : ٦٠٢ ومعجم المرزباني : ٤٥٦ وابن خلكان ٥ : ٢٨١

واسمه عنده «مرزوق» .

لسان أبي عطاء عجمة ولثغة ، وكان إذا تكلم لا يفهم كلامه ، ولذلك قال لسليم
ابن سليم الكلبي :

أعوزتني الرواة يا ابن سليم وأبى أن يقيم شعري لساني
وغلا بالذي أجمجمُ صدري وجفاني لعجمتي سلطاني
وازدرتني العيونُ إذ كان لوني حالكاً مجتوىً من الألوان
فصرتُ الأمورَ ظهراً لبطنٍ كيف أحتال حيلةً لبياني
وتمنيتُ أنتي كنت بالشع ر فصيحاً وكان بعض بياني
ثم أصبحتُ قد أنختُ ركابي^١ عند رجبِ الفناء والأعطان
فأعطني ما تضيقُ عنه رُواتي بفصيحٍ من صالح الغلمان
يفهمُ الناسَ ما أقولُ من الشع ر فإنَّ اللسانَ قد أعياني
واعتمدني بالشكر يا ابن سليم في بلادي وسائر البلدان
سترى فيهمُ قصائدَ غُرّاً فيك سبابةً^٢ بكلِّ لسان

فأمر له بوصيف، فسماه عطاء ، وتبنتى به ورواه شعره ، فكان إذا أراد
إنشاد مديح لمن يجتديه أو إنشاد شعر أمره فأنشده .

قيل إنه قال له يوماً: والأ منذ لدن دأوتاً وألت لبياً ما أنت تصناً ، يعني :
والك منذ [لدن] دعوتك وقلت لبيك ما كنت تصنع .

وشهد أبو عطاء حربَ بني أمية وبني العباس ، وأبلى مع بني أمية ، وقتل
غلامه عطاءً مع ابن هبيرة وأنهزم هو .

وحكى المدائني أن أبا عطاء كان يقاتل المسودة وقدّاهه رجل من بني مرة
يكنى أبا يزيد قد عُقر فرسه ، فقال لأبي عطاء : أعطني فرسك أقاتل عني
وعنك ، وقد كانا أيقنا بالهلاك ، فأعطاه أبو عطاء فرسه ، فركبه المري ومضى على

١ ص والوافي : ردائي .

٢ ص : غر . . . سبافه .

وجهه ناجياً ، فقال أبو عطاء :

لعمرك إنني وأبسا يزيد لكالساعي إلى لمع السراب
رأيت نخيلة فطمعتُ فيها وفي الطمع المذلة^١ للرقاب
فما أغناك عن طلب ورزق وما أغناك عن سرقِ الدواب
وأشهد أن مرةً حيُّ صدقٍ ولكن لستَ فيهم في النصاب

وعن المدائني أن يحيى بن زياد الحارثي وحماد الراوية كان بينهما وبين مسلم ابن هيرة ما يكون بين الشعراء من التفاسة ، وكان مسلم يجب أن يطرح حماداً^٢ في لسان من يهجوهُ ، قال حماد : فقال لي يوماً بحضرة يحيى بن زياد : أتقول لأبي عطاء السندي أن يقول زج وجرادة ومسجد بني شيطان ؟ قلت : نعم ، فما تجعل لي على ذلك ؟ قال : بغلتي بسرجهها ولحامها ، فأخذت عليه بالوفاء موثقاً ، وجاء أبو عطاء فجلس إلينا فقال : مرها بكم ، هياكم الله ؛ فرحبنا به وعرضنا عليه العشاء فأبى وقال : هل عندكم نبيذ ؟ فأتيناه بنبيذ كان عندنا فشرب حتى احمرّت عيناه ، فقلنا له : يا أبا عطاء ، كيف علمك بالانز ؟ فقال : جيد ، فقلت :

أبنُ لي إن سألتُ أبا عطاء يقيناً كيف علمك بالمعاني ؟
فقال :

خيراً عالماً^٣ فاسأل تجدي بها طباً وآيات المثاني
فقلت :

فما اسم حديدة في رأس رمح دوين الكعب ليست بالسنان

١ ص : المذكر .

٢ ص : حماد .

٣ الوافي : خير عالم .

فقال :

هو الزُّرُّ الذي لو بات ضيفاً لصدرك لم تزل لك لوعتان^١

فقلت :

فما صفراء تُدعى أمّ عوفٍ كأنَّ رُجِيلَتَيْهَا منجلان

فقال :

أردت زراةً^٢ وأقول حقاً^٣ بأنك ما عدوت^٣ سوى لساني

فقلت :

أتعرف مسجداً^٤ لبني تميم فوثقَ الميل دون بني أبان ؟

فقال :

بنو سيسان دون بني أبان كقرب أيبك من عبد المدان

قال حماد : فرأيت عينيه قد ازدادت حمرة ، ورأيت الغضب في وجهه وتخوفته ، فقلت : يا أبا عطاء ، هذا مقام المستجير بك ، ولك نصف ما أخذته ، قال : فاصدقني ، قال : فأخبرته فقال : أولى لك ، قد سلّمت سلّمت لك جعلك ، خذه بورك لك فيه فلا حاجة لي إليه ، وانقلت يهجو مسلم بن هيرة .
ووفد أبو عطاء السندي على نصر بن سيار ، فأنشده :

قالت بريكة^٥ بنتي وهي عاتبة^٥ إن المقام على الإفلاس تعذيب
ما بال^٥ هم^٥ دخيل^٥ بات محتضراً رأس الفؤاد فنوم العين ترجيب

١ الأغاني : عولتان .

٢ الأغاني : وازن زنا (= وأظن ظناً) .

٣ ص : عدوت .

٤ ص : مسجد .

٥ ص : وهو .

إني دعائي إليك الخير من بلدي والخير عند ذوي الأحساب مطلوب
فأمر له بأربعين ألف درهم .
وتوفي بعد الثمانين والمائة ، رحمه الله تعالى .

٧٧

[علاء الدين الجاولي]

الطنبغا ، علاء الدين الجاولي ، مملوك ابن باخل ؛ كان عند الأمير علم الدين سنجر الجاولي دوادار لما كان بغزة . وكان حسن الصورة تامّ القامة ، وكان الجاولي يحسن إليه ويبالغ في الإنعام عليه ؛ وكان اقطاعه يعمل عنده عشرين ألف درهم ، فلما شنغ على الجاولي أن إقطاعات مماليكه تعمل من العشرين إلى الثلاثين راك الأجناد ، وأعطى لعلاء الدين المذكور اقطاع دون الذي كان بيده ، فتركه ومضى إلى مصر بغير علم الأمير علم الدين ، فراعى الناس خاطر مخدومه ولم يستخدمه أحد ، فأقام يأكل من حاصله بمصر زماناً ، ثم حضر إلى صفد فأكرم نزله الأمير سيف الدين أرقطاي النائب بها ، وكتب له مربعه بإقطاع ، وتوجه إلى مصر ، فخرج عنه فأتى إلى دمشق ، فأكرمه الأمير سيف الدين تنكز ، وأعطاه إقطاع بخلقة دمشق ، ووقع بينه وبين الأمير علم الدين بسببه ، وبقي بدمشق إلى أن أمسك الجاولي وحبس ، فلما فرج عنه فتوجه^١ إليه وخدمه مدة ، ثم سيره إلى دمشق شاداً على أوقاف المنصور الذي يختص بالبيمارستان المنصوري^٢ .

٧٧ - الوافي والزرکشي : ٧٥ والدرر الكامنة ١ : ٤٣٥ ، واحتفظت بكثير من الألفاظ غير معرفة في هذه الترجمة .

١ كذا في ص ، والأنسب : توجه .

٢ وكان اقطاعه . . . المنصوري : سقط من المطبوعة .

وكان نادراً في أبناء جنسه : في الشكل المليح ولعب الرمح ، والفروسية والذكاء
 ولعب الشطرنج والزرذ ، ونظم الشعر الجيد ، لا سيما في المقطعات فإنه يجيدها ،
 وله القصائد المطولة ، ويعرف فقهاً على مذهب الشافعي ، ويعرف أصولاً ،
 ويبحث جيداً ، ولكنه سال ذهنه لما اجتمع بالشيخ تقي الدين ابن تيمية ، ومال
 إلى رأيه ، ثم تراجع عن ذلك إلا بقايا ، وكان حسن العشرة لطيف الأخلاق
 فيه سماحة .

ومن شعره :

سَبَّحَ فقد لاح برقُ الثغرِ بالبرد واستسقى كأسَ الطلا من كفِّ ذي مَيد
 مستعربَ اللفظِ للأتراكِ نسبتهُ لهُ على كلِّ صبِّ صولةُ الأسد
 يا عاذلي خَلَّتني فالحسن قلده عقداً من الدر لا جلاً من المسد
 ويئلُ لمنْ لامتي فيهِ ومقلتهُ نفاثةُ النبيلِ لا نفاثةُ العقد

وله أيضاً :

خَوْدٌ زها فوق المرافف خالها فلتنِ فتنتُ بهِ فلتستُ الأمُ
 فكأنَّ ميسمها وأسودَ خالها مسكٌ على كأسِ الرحيقِ ختامُ

وله أيضاً :

وباردِ الثغرِ حُلو بمرشفٍ فيه حُوَّةُ
 وخصرهُ في انتحالِ يدي من الضعفِ قوهُ

وله أيضاً :

ردفه زاد في الثقاله حتى أقعد الخصرَ والقوامِ السويًا
 نهضَ الخصرَ والقوامِ وقساما وضعيفسانِ يغلبانِ قويا

وله أيضاً :

تخاطبني خَوْدُ فأبدي تصامماً فتكثُرُ تكرارَ الخطابِ وتجهُرُ

فأصغى لها أذنًا وأظهر عجمةً لكيما أرى درأ من الدر ينثر
وله أيضاً :

وصالك والثريّا في قيرانٍ وهجركَ والحفا فرسا رهانٍ
فديتك ما حفظت لشؤمٍ بحتي من القرآن إلاّ (لن تراني)
وله أيضاً :

سلّ وميض البروق عن خفقاني وعليلَ النسيمِ عن جثماني
ولهيبَ الهجيرِ عن نارِ قلبي وخفيّ الخيالِ عن أجفاني
وله أيضاً :

إن عاد لمع البرق ينجر عنكمُ وأتى القبولُ مبشراً بقبولي
فلاقدحنّ البرقَ من نار الحشا ولأخلعنّ على التجومِ نحولي
وله أيضاً :

انهلّ أدمعها درأ وفي فمها درٌ وبينهما فرقٌ وتمثالُ
لأن ذا جامدٌ في الثغر منتظمٌ وذلك متثرٌ في الخلد سيّال
وله أيضاً :

جاءني الورد في بديع زمان فقَطَعناهُ في منى وأمانٍ
ونهبنا فيه للذيدِ وصالٍ وهتكنا فيه عروس الدنانِ
وغلطننا فيه ببعض ليالٍ فخلطننا شعبان في رمضان

وتوفي^١ بدمشق في ثامن ربيع الأول سنة أربع وأربعين وسبعمائة بعلّة
الاستسقاء ، رحمه الله تعالى .

١ جاء في ص بعدها : « رحمه الله تعالى » وكررت أيضاً في ختام العبارة .

[أيدمر المحيوي]

أيدمر المحيوي ، فخر الترك عتيق محيي الدين محمد بن محمد بن سعيد بن ندى . قال ابن سعيد المغربي في كتاب « المشرق » في ترجمة هذا : بأي لفظ أصفه ، ولو حشدت جيوش البلاغة لفضله لم أكن أنصفه ؟ نشأ في الدوحة السعيدية فممت أزاهره ، وطلع بالسماء الندوية^١ فتمت زواهره ، جمعت لإقرائه^٢ أعلام الفنون ، حتى خرج آية في كل فن ، وبرع في المشور والموزون ، مع الطبع الفاضل الذي عضده ، وبلغه من رياسة هذا الشأن ما قصده ، لا سيما حين سمعت قوله الذي أتى فيه بالإغراب ، وترك مهيار معلقاً منه بالأهداب :

بالله إن جزت الغُويرَ فلا تُغِرْ بالين منك معاطفَ الأغصان
واسترُ شقائقَ وجنتيك هناك لا ينشقُّ قلبُ شقائقِ النعمان
وأورد له أيضاً^٣ :

الروضُ مُقبلُ الشبيبةِ مونقُ خَضِلُ يكاد غضارةً يتدفقُ
نثر الندى فيه لآلئ عفسده فالزهرُ منه متوّجٌ وممنطق
وارتاع من مرّ التّسيمِ به ضحى فغدت كرائمُ نورهِ تتفتّق
وسرى شعاعُ الشمس فيه فالتقى منها ومنه سنا شمس تشرق
والغصن مياس القوام كأنه نشوانُ يُصبح بالتّسيم ويغبق

٧٨ - الوافي والزركشي : ٧٦ وخطط المقرئزي ١ : ٣٤٢ وقد طبع ديوانه بدار الكتب ١٩٣١ وهو مختار من شعره ، ولذلك لم أجد فيه أكثر المقطعات التي أوردتها المؤلف .

١ ص : التداية .

٢ ص : لأقرانه .

٣ ديوانه : ١ .

والطيرُ ينطقُ معرباً عن شجوه
غرداً يغني للغصون فتثنئي
والنهر لما راح وهو مسلسلٌ
وسُلافة باكرتها في فتيسةٍ
شربت كثافتها الدهور فما ترى
يسعى بها ساقٍ يهيج إلى الهوى
تتادم الألاحظ منه على سنا
راق العيون غضاضةً ونضارةً
ورنا كما لمع الحسام المنتضى
وأظلنا^٣ من فرعه وجبينه
وكان مقلته ترددٌ لفظة
فإذا العيون تجمعت في وجهه
وله أيضاً^٤ :

جارٍ بأيمنٍ طائرٍ ميمونٍ
لقياك حتى عاد كالعرجون
وافاك شهرد الصومٍ يخبر أنه
ما زال يُمحقُ بدره شوقاً إلى
وله أيضاً :

حللنا مقاماً كلنا عبد ربّه
فلا غرو أن نهدي له درر العقد^٥
وله أيضاً :

١ ص : الطلل .

٢ ص : به .

٣ الديوان : وأظله .

٤ ديوانه : ٣٤ .

٥ لم يرد في المطبوعة .

رعى الله ليلاً ما تبدى عشاؤه
كأنّ تغشيه لنا وانفراجهُ
ولهُ أيضاً^١ :

وأغرّ مصقول الأديم تخاله
ذي منخرٍ كغم المزايدة زانه
وكأنه نال المجرة وثبه
صناه عن رسم الحديد فوسمه
وله أيضاً :

حبّذا الفسطاط من والدة
يردُّ النيلُ إليها كدرأ
وله أيضاً :

كأنما الهالة حول بدرها
كمامة تفتقت عن زهرها
وله أيضاً :

كم لدينا همانياً
فارغات من الدنا
وقال يرثي سهماً انكسر :

يا سهمٌ هاج رداك لي بلبالاً
[لولاك] ماراع الحمام حمامة
ولطالما شوشت من سرب المها
وأطار نومي والهجوم أطلا
يوماً ولا علق المنون غزالا
ألفاً ومن سطر^٣ الكراكي دالا

١ المقطعات السبع الآتية لم ترد في المطبوعة .

٢ ص : مازح .

٣ ص : شطر .

قد كنت أعجبُ للقسيِّ سقيمةً صفراً تثنُّ كأنهنَّ نكالي
فإذا بها علماً بيومك في الردى كانت عليك تكابد الأهوالا
عجباً من الآجالِ كيف تقسمت فيه وكان يقسمُ الآجالا
وله أيضاً :

وكان نرجسها المضاعفَ خائضاً في الماء لفَّ ثيابهُ في راسِه
وقال أيضاً :

ذو قِصرٍ بين طويِد لمن قد اجتاز بنا
كأنَّهُ بينهما دمامةٌ نونُ «لنا»

وقال أيضاً ، وقد ركب مولاه في البحر فانكسر المركب :
غضب البحرُ من حجابٍ منيع حائلٍ بينه وبين أخيه
نزقتُهُ حمية الشوق حتى خرق الحجبَ علَّه يلتقيه
وقال موشحة^١ :

بات وسُمَّاره التجوم ساهرٌ فمن ترى علّمك السهدَ يا جفون
صب^٢ إلى مذهب التصابي صابي لا يعدل
فجنبه خافقُ الجنابِ نابي مبلبل
والطرف من دائم انسكابِ كابي مخبّل
لسانه للهوى كتوم سائر لما جرى والشان أن تكتم^٣ الشؤون
سباه مستلمح المعاني عاني به البصر

١ الديوان : ٣٤ .

٢ ص : صبا .

٣ الديوان : تستر .

يذكره عن شدَا الأغاني غاني إذا اذكر
يقول ما ناظر رأني راني إلا القمر
يرنو إلى وجهه^١ الحليم حائر لما يرى مرأى به تفتن العيون

من أين للبدر في الكمال ما لي فيوصف
والغصن هل عطفه بحالي حالي مزخرف
وعارض النقص للهلال لالي والكلصف
ولا فم الشمس منه ميم ظاهر لمن قرأ ولا من الحاجين نون

ما كنت لولا درى بشاني شاني أخشى افتضاح
أفدي الذي راح للمثاني ثاني عطف المراح
[أنا لئن]^٢ صد أو جفاني فاني فلا جناح
لما لوى الجيد قلت^٣ ريم نافر ثم انبرى يمشي كما تنثي الغصون

أيا نداماي إن بسالي باني فغردوا
صوتاً أنا عنه لانتقالي قالي فرددوا
في رتب المجدي والمعالي عالي محمداً
دام له العز والنعيم قاهر مقتلدا يعز من شاء أو يهين

وقد عارض هذا الموشح السراج المحار الحلبي بقوله :

ما ناحت الورق في الغصون إلا هاجت على تغريدها لوعة الحزين

هل ما مضى لي مع الحبايب آيب بعد الصدود
أم هل لأيامنا الذواهب واهب بأن تعود

١ ص والديوان : وجهي .

٢ سقط من ص .

٣ ص : قلتو .

مع كل مصقولة الترائب كاعب هيفاء رُود
تَفْتَرُّ عن جوهر ثمين جلاّ أن يجتلى يحمى بقضب من الجفون

وأهيف ناعم الشمايل مايل في برده
في أنفـس العاشقين عامل عامل من قده
يرنو بطرف إلى المقاتل قاتل في غمده
أسطى من الأسد في العرين فعلا وأقتلا لعاشقيه من المنون

قاسوه باليدر وهو أحلى شكلا من القمّر
فراش هُذب الجفون نبلا أبلى بها البشر
وقال لي وهو قد تجلّى جلاّ باري الصور
ينتصف البدر من جبيني أصلا فقلت لا قال: ولا السحر من عيوني

علّفته كامل المعاني عاني قلبي به
مببل البال مذ جفاني فاني في حبه
كم بت من حيث لا يراني راني لقربه
وبات من صدغه يُرني نملا يسعى إلى رضابه العاطر المصون

بتنا وما نال ما تمنى منا طيب الوسن
نفض من خمره لدنا دنا يشفي الحزن
وكلّما مال أو تثنى غنى صوتاً حسن
لا تستمع في هوى المجون عدلا وانهض إلى راح تقي سورة الشجون

وكانت وفاة أيدمر المحيوي في شهور سنة [.....] ٢ .

١ ص : صوت .

٢ بياض في ص .

أيدمر السنائي

هو عز الدين أيدمر بن عبد الله ، كان جندياً وله معرفة بتعبير الرؤيا والأدب ، وكانت وفاته [في ربيع الآخر سنة سبع وسبعمائة]^١ ؛ فمن شعره :

تخذ النسيمَ إلى الحبيب رسولا يَجري العيونَ من العيون صبايةً
دنفُ حكاهُ رِقْسةً ونحوها ويقول من حسدٍ له يا ليتني
فتسيلُ في أثر الفريق سيولا كنتُ اتخذت مع الرسول سييلا

وله أيضاً :

سفرتُ فخلتُ الصبحَ حين تبلجا فتسانة فتاكةً من طرفها
في جنح فودٍ كالظلام إذا سجا نخلت نضيرَ الغصنِ قامةَ قدها
كم حاول القلبُ النجاةَ فما نجا تفتَرُ عن بَرْدٍ نقيٍّ برده^٢
وحبت مهاة الجزع طرفاً أدعجا ما إن دخلتُ رياضَ جنة خدها
بالرشف حرَّ حُشاشتي قد أثلجا ولما رشفت رحيقَ فيها ظامياً
فرأيت عنها الدهر يوماً مخرجا تعطو برخصٍ طرفتهُ بعندمٍ
فازددتُ إلا حرقهً وتوهجا أتى نظرتُ إلى رياضِ جمالها
وتريك ثغراً كالأفاح مفلجا زارت وعمرُ الليل في غلوائه
عاينتُ ثم مفوساً ومدبجا وسرى نسيمُ الروض ينكر إثرها
فغدا من الشمس المنيرة أبهجا فتعرفتُ آثاره وتأرجا

٧٩ - الوافي والزركشي : ٧٨ ؛ ولم ترد هذه الترجمة في المطبوعة .

١ بياض في ص ، وقد اعتمدت في هذا التاريخ على الزركشي .

٢ الزركشي : ثغره .

ومن شعره أيضاً :

وَرَدَ الوردُ فأوردنا المداما
وَأَجَلُّهَا بكرًا على خَطِّابِهَا
ذاتِ ثغرِ جوهريٍّ وصفهُ
برقعتِ باللؤلؤِ الرطبِ على
أقبلتِ تسعى بها شمسُ الضحى
يحفونِ بابيَّ سحرُها
ونضيرُ الوردِ في وجنتها
ودَّتِ الأغصانُ لما خطرت
قال لي خالٌ على وجنتها
منذ ألقيتُ بنفسي في لظيِّ
وأرْحُ بالراحِ أرواحاً هيامي
بنتِ كرمٍ قد أبتِ إلاّ الكراما
في رحيقِ رشفه يشفي الأواما
وجنةٌ كالنارِ لا تألو اضطراما
تخجلُ البدرَ إذا يبدو تماماً
سقمها أهدى إلى جسمي السقاما
نبتُهُ أنبتَ في قلبي الغراما
لو حكّت منها الثني والقواما
حين ناديتُ أما تخشى الضراما
خدها ألقيتُ برداً وسلاما

حرف الباء

[بكر بن النطاح]

بكر بن النطّاح الحنفي ، قيل هو عجلي ، كان شاعراً حسن الشعر كثير التصرف فيه ، وكان صُعلوكاً يقطع الطريق ثم اقصر عن ذلك ، وكان كثيراً ما يصف نفسه بالشجاعة والإقدام ، وهو القائل :

هنيئاً لإخواني ببغداد عيدُهُم وعيدي بجلوانٍ قراعُ الكتائبِ

وأشدها أبا دُلف ، فقال له : إنك لتصف نفسك بالشجاعة ، وما رأيت عندك لذلك أثراً^١ ، فقال أيها الأمير ، وما ترى عند رجل حاسر أعزل ؟ فقال : أعطوه سيفاً ورمحاً ودرعاً وفرساً ، فأعطوه ذلك أجمع ، فأخذه وركب الفرس وخرج على وجهه ، فلقبه مال^٢ لأبي دُلف يحمل إليه من بعض ضياعه فأخذه وجرح جماعة من غلمانه فهربوا وسار بالمال ، فلم ينزل إلاّ على عشرين فرسخاً ، فلما اتصل خبره بأبي دُلف قال : نحن جنيننا على أنفسنا وكنا أغنياء عن إهاجته ، وكتب إليه بالأمان^٢ وسوّغه المال وأمره بالقدوم عليه ، فرجع ولم يزل معه يمدحه حتى مات .

وكان قد لحق أبو دلف إنساناً قد أردف آخر خلفه ، فطعنهما فشكّهما بالرمح ، فتحدث الناس في ذلك ، فلما عاد دخل عليه بكر بن النطاح فأشده :

قالوا أينظّم فارسين بطعنةٍ يوم اللقاء ولا يراه جليلاً

٨٠ - الوافي وطبقات ابن المعتز : ٢١٧ والأغاني ١٩ : ٣٦ وتاريخ بغداد ٧ : ٩٠ .

١ ص : أثر .

٢ ص : بالاماره .

لا تعجبن لو كان مدُّ قناتِهِ ميلاً إذاً نظم الفوارس ميلاً

فأمر له أبو دُلف بعشرة آلاف درهم .

وله فيه :

له راحةٌ لو أن معشارَ جودها على البر كان البر أندى من البحرِ
ولو أن خلقَ الله في جسم فارسٍ وبارزه كان الخليّ من العمرِ
أبا دُلف بوركت في كل بلدة كما بوركت في شهرها ليلة القدرِ

وله فيه أيضاً :

إذا كان الشتاء فأنت شمسي وإن حضر المصيف فأنت ظلُّ
وما تدري إذا أعطيت مالاً أيكثُر في سماعك أم يقلُّ

فأعطاه عشرة آلاف درهم .

وقصد مالك بن طوق ، ومدحه فأثابه ، فلم يُرضِهِ ، فخرج من عنده

وكتب رقعة وبعث بها إليه وفيها :

فليتَ جدًا مالكَ كلَّهُ وما يرتجى منه من مطلبِ
أصيبَ بأضعافٍ أضعافه ولم أنتجعه ولم أرغبِ
أسأتَ اختياري فقلَّ الثوابُ لي الذنب جهلاً ولم يذنبِ

فلما قرأها وجه جماعة في طلبه ، وقال : الويل لكم إن فاتكم ، فلحقوه
ورَدُّوه ، فلما رآه قام إليه وتلقاه وقال : يا أخي عجلت علينا ، وما كنا نقصر
على ذلك وإنما بعثت إليك نفقة ، وعودنا على ما يتلوها ، واعتذر إليه ، ثم أعطاه
حتى أرضاه ، فقال بكر بن النطاح يمدحه :

فتى جاد بالأموالِ من كل جانبٍ وأنهبها في عودِهِ وبلداتِهِ
فلو خسذلت أمواله جود كفه لقاسمَ مَنْ يرجوه شطرَ حياتِهِ
فإن لم يجد في العمر قسمةً باذلٍ وجاز له الإعطاء من حسناتِهِ

لجَاد بها من غيرِ كُفْرٍ بربه وشاركهم في صومهِ وصلاته
وقال أيضاً :

كريمٌ إذا ما جئت طالبَ فضله حبّاكَ بما تحوي عليهِ أنامله
ولو لم يكن في كفتهِ غيرُ نفسه لجَاد بها فليتنقِ اللهُ سائله
ومن شعره :

بيضاء تسحب من قيامِ فرعها وتغيب فيه وهو جثلٌ أسحمٌ
فكأنها فيهِ نهارٌ ساطعٌ وكأنه ليلٌ عليها مظلمٌ
وله أيضاً :

ملأتُ يدي من الدنيا مراراً فما طمع العواذل في اقتصادي
وما وجبت عليّ زكاةُ مالٍ وهل تجب الزكاةُ على جوادٍ ؟

وتوفي بكر بن النطاح في حدود المائتين .

٨١

[الصابوني]

بكر بن علي الصابوني ؛ قال ابن رشيق في « الأنموذج » : كان شيخاً معمرّاً
شاعراً مطبوعاً صاحب نواذر هجاء خبيثاً ، وأقدر الناس على بديهة ، وكان نقيّ
الشبية والثياب ، حسن الصمت والخطاب ؛ وكان مولعاً بأذى أبي بكر الوسطاني ،
وضرب بينه وبين القاضي محمد بن عبد الله بن هاشم عداوة ، وكان سبب خروجه
من القيروان ناجياً بروحه إلى مصر ، وكان قد صنع قبل ذلك قصيدة أولها :

٨١ - لم يرد منها في المطبوعة إلا شيء يسير ؛ وانظر الوافي ومسالك الأبصار ١١ : ٣٥٨ .

أمراض بالوعظ القلوب الصّحاحُ
أيقظني^١ من نومتي في الدجى
يقول : كم ترقدُ يا غافلاً
والدهرُ إن لم يغدُ بالموتِ راح
تركنُ للدنيا كأن لا براح
منها وتغدو لاهياً في مزاح
ما الدهرُ والأيامُ في مرّهسا
إلاّ كبرقٍ خاطفٍ ثم راح

مدح فيها عبد الله بن محمد الكاتب بعد مواعظ كثيرة ، وهجا ابن الوسطاني أقبح هجاء ، وذكر أنه يسترّ بالعزائم والرقى ، ويسرُّ الفسق والزنا ، وأنشده إياها حذاء باب السلام بحضرة أشياخ الدولة ، وكان الراي الشاعر حاضر^٢ ، وله عناية بابن الوسطاني ، فقال : أتيت بشعر غيرك تسفه به على أهل الرتب بين يدي الملوك ، والله انك مستحق العقوبة ، فقال : أما قولك « تسفه » فسفه منك وقلة أدب لأنني جئت محتسباً فيما يعلمه الله والقاضي وجماعة المسلمين . وأما قولك « أهل الرتب » فتلك الرتبة التي اشتكيننا بما سمعت ، لأنها رتبة مصحفة ، وأما قولك « شعر غيرك » فإن أذن لي أبو محمد عرفتك أنه شعري ، فقال عبد الله للراي : ما ترى ؟ فقال : إيذن له ، فقال : شأنك ، فأنشد كأنه يحفظه :

سألتك بالقمر الأزهر وبالعين والحاجب الأنور
وبالسيد الماجد المرتجى لدفع المظالم والمنكر
حسام الخلافة وابن الحسام ومنصورنا جوهر الجواهر
أجرني من الناقص الأعور فلولاك في الناس لم يذكر
هو النحس حلّ به نحسه فلا خلق أنحس من أعور
إذا رام خيراً وما رامه أبتبه شيمة البربر

فقال الراي : قد انتقصت بسيدنا العزيز بالله لأنه من البربر ، فقال بكر :

١ ص : أيقظني .

٢ كذا في ص .

لحما الله ناقصه بيننا وإن كنت ذاك ولم تشعر
وفي أي شيء تنقصته وقد حلّ في البيت من حمير

فكأنما ألقمه حجراً .

ودخل إلى صاحب قيان ، فوجد جماعة من أصحابه يشربون ، منهم أبو حفص الكاتب ، ورأى برذونه قائماً في السقيفة ، فقال : كم لكم هاهنا ؟ فقالوا : كذا وكذا يوم ، فشرب نهاره أجمع وليلته ، وأراد الانصراف من الغد ، فافتقد رداه ودراهم كانت معه ، وسأل القوم فما وقع على عين ولا أثر ، فقال لابن أبي حفص : سألتك بالله إلا ما نزلت إلى هذا العبد الصالح ، فاستوهب لنا منه بأن يفضح الله سارقنا ، أو يجمع علينا ما راح منا ، فإنه صائم النهار قائم الليل ، قال : أي عبد يكون هذا ؟ قال : هو برذونك يا سيدي . فضحك الجماعة وخرج وهو يقول :

وغرفةٍ نُكِّسَ أعلاها للفسقِ والعصيان أنشأها
قد وضع الميزان في وسطها وكنتُ من أول قتلها
من يعرف الله فلا يأتها فما بها من يعرف الله

ومن هجائه :

أذابَ وال بسوسة نختي يُعرف بين الأنام بالفرخ
يزعم عبد العزيز والده وأير عبد العزيز مسترخي

وتوفي سنة تسع وأربعمائة ، وقد زاحم المائة ، رحمه الله تعالى وإيانا .

١ ص : من .

٢ ص : أبي .

أبو بكر بن قوام بن علي بن قوام بن منصور بن معلى البالسي ، أحد مشايخ الشام ؛ كان شيخاً زاهداً عابداً قانتاً لله ، عديم النظير^١ كثير المحاسن ، وافر النصيب من العلم والعمل ، صاحب أحوال وكرامات . ولد بصفين سنة أربع وثمانين وخمسائة ، ونشأ ببالس ، وكان حسن الأخلاق لطيف الصفات ، وافر الأدب والعقل ، دائم البشر ، كثير التواضع ، شديد الحياء ، متمسك^٢ بالآداب الشرعية ، تخرّج به غير واحد من العلماء والمشايخ ، وتلمذ له خلق كثير ، وقُصد بالزيارة .

قال : كنت في بدايتي تطرقني الأحوال كثيراً ، فأخبر شيخني بها فينهاني عن الكلام فيها ويقول : متى تكلمت في هذا ضربتك بهذا الصوط ، ويقول : لا تلتفت إلى شيء من هذه الأحوال ، إلى أن قال لي : سيحدث لك في هذه الليلة أمر عجيب فلا تجزع ، فذهبت إلى أمي وكانت ضريرة ، فسمعت صوتاً من فوق فرفعت رأسي ، فإذا نور كأنه سلسلة متداخل^٣ بعضه في بعض ، فالتفت على ظهري حتى أحسست ببرده في ظهري ، فرجعت إلى الشيخ فأخبرته ، فحمد الله تعالى وقبلني بين عيني وقال : الآن تمت عليك النعمة يا بني ، أتعلم ما هذه السلسلة ؟ قلت : لا ، قال : هذه سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأذن لي في الكلام حينئذ .

قال حفيده : حدثني الشيخ الإمام شمس الدين الخابوري قال : سألت الشيخ

٨٢ - الوافي وعبر الذهبي ٥ : ٢٥٠ والشذرات ٥ : ٢٩٥ والدارس ٢ : ٢٠٨ .

١ ص : النصير .

٢ كذا في ص .

عن قوله تعالى ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ (الأنبياء : ٩٨) فقد عبد عيسى وعزير ، فقال : تفسيرها ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَ الْحَسَنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ (الأنبياء : ١٠١) فقلت له : يا سيدي ، لا تعرف تكتب ولا تقرأ ، من أين لك هذا ؟ قال : يا أحمد ، وعزة المعبود لقد سمعت الجواب فيها كما سمعت سؤالك .

وبعث إليه الملك الكامل على يد فخر الدين خمسة عشر ألف درهم ، فما قبلها وقال : لا حاجة لنا بها ، أنفقها في جُند المسلمين .

وجاءته امرأة وقالت : عندي دابة قد ماتت ، ومالي من يخرجها عني ، قال : امضي وحصلي حبلا حتى أبعث من يجرها ، فمضت وفعلت ، فجاء بنفسه وجرّ الدابة ، فجاء الناس وجرّوها عنه .

وكان لا يدع أحدا يقبل يديه ويقول : من أمكن من تقبيل يده نَقَصَ من

حاله شي .

وتوفي بقرية علم سنة ثمان وخمسين وستمائة ودفن بها ، فأوصى أن يدفن في تابوت ، وقال لابنه : يا بني لا بدّ أن أنقل إلى الأرض المقدسة ، فنقل بعد اثني عشر سنة إلى دمشق سنة سبعين ودفن بزايته أسفل عقبة دمر ، رحمه الله تعالى .

[الملك الأجد]

بهرام شاه بن فرخشاه بن شاهنشاه بن أيوب ، السلطان الملك الأجد مجد الدين أبو المظفر ، صاحب بعلبك ؛ ولي بعلبك بعد أبيه ، وكان أديباً فاضلاً شاعراً ، له ديوان شعر موجود بأيدي الناس . أخذت منه بعلبك سنة سبع وعشرين وستمائة ، أخذها منه الأشرف موسى ، وسلّمها إلى أخيه الصالح إسماعيل ، فقدم الأجد إلى دمشق ، وأقام بها قليلاً ، وقتله مملوك له مليح في أوائل سنة ثمان وعشرين وستمائة ، ودفن بتربة والده على الشرف الشمالي ، وكان سبب قتله أنه كان له غلام محبوس في خزانة في الدار ، فجلس ليلة يلهو بالنرد ، فولع الغلام برزّة الباب فقلعها ، وهجم على الأجد وهو غافل مشتغل باللعب فقتله وهرب ، ورمى بنفسه من السطح فمات ، وقيل لحقه المماليك عند وقعته فقطعوه بالسيوف . وقيل رآه بعض أصحابه في المنام فقال له : ما فعل الله بك ؟ فقال :

كنت من ذنبي على وجلٍ زال عني ذلك الوجلُ
أمنت نفسي بوائقها عشتُ لما متُّ يا رجلُ

ومن شعره :

دعوت بماء في إناء فجاءني غلامٌ بها صرفاً فأوسعته زجرا
فقال : هو الماء القراح وإنما تجلّى لها خدّي فأوهمك الحمرا

وكتب إليه الشيخ تاج الدين الكندي :

٨٣ - الوافي والزرکشي : ٧٩ وابن خلكان ٢ : ٤٥٣ ومرآة الزمان : ٦٦٦ - ٦٦٨ وعبر
الذهبي ٥ : ١١٠ والشذرات ٥ : ١٢٦ والنجوم الزاهرة ٦ : ٢٧٥ والبداية والنهاية ١٣ : ١٣١
ومرآة الجنان ٤ : ٦٥ .

فإن شوقي أضعاف الذي فيها
من اللبالي التي حظي بحاكيها
عمرٌ ولا مت إلا في نواحيها

وإن بعدتم فإن الشوق يدنيها
من وحشة البين لوعات نعانها
فعندنا منكم أضعاف ما فيها
إليكم فهو يدري كيف يهديها

يجلو براحتة عن وجهه الكلفا
يفض باللفظ عن أنوارها الصدفا

فشفيح وجهك ما يزال يجده
ينسك مشتاق تعاضم وجده
نفع النسيم الحاجري وبرده
لولا تجنيه ولولا بعده
إن المني فيما تضمن عقده
منه لبيب هوى تضرم وقده؟
عن رأيه؟ هيهات خيب قصده
حتى يعود وقد تناهى حده
أمل يقويه الهوى ويمده
أسمى وأصبح وهو فيه عبده
أصبر إليه وإن تزايد صده

لا تضجرنكم كتي وإن كثرت
والله لو ملكت كفتي مسألة
لما تصرم لي في غير داركم

فأجابه الأجد :

إنا لتحفنا بالأنس كتبكم
وكيف نضجر منها وهي مذهبة
فإن وصفتم لنا فيها اشتياقكم
سلكوا نسيم الصبا يهدي تحيتنا

ومن شعره :

طوبى لقيمتنا أحتى على قمر
أو درة كمنت في خدرها فغدا

وأورد له القوصي في معجمه :

أما هواك وإن تقادم عهده
لا تحسن على التقاطع والنوى
يهواك ما هبّ النسيم وحبذا
ما كان يكلف بالرياح صباية
تسري إليه بنفحة من عقده
ماذا الملام مع الغرام وفي الحشا
أبروم عاذله المضلل رده
ماذا عليه إذا تضاعف ما به
إن الهوى طمع يولد داءه
فلكم تملك رق حر عتوة
وبأيمن الوادي غزال أراكة

يُخْتَالُ والأغصانُ تعطفها الصبا
والأفحوان إذا تبسّمَ ثغره
قد كان شوقني الوصالَ وليته
وله أيضاً :

قولوا لجيران العقيقِ والنقا
يا ساكني قلبي عسى مبشرٌ
ما لبثائي بعد بُعدي عنكمُ
أشقائي الدهر فإن أسعدني
أهواكمُ وأتقي ، وقلّما
حكّمُ سفينة ركبتهما
حاشا لمن أصبح يرجو الوصل أن
وله أيضاً :

يميناً لقد بالغت يا خلُّ في العذلِ
إذا أنت لم تسعد خليلك في الهوى
ولا تحسبن اللومَ يذهبُ وجدّه
وما كنت ممن يذهب الوجد حزمه
وما هكذا فعلُ الأخلاءِ بالخلِّ
فذرّه لقد أمسى عن العذل في شغل
فلومك بالمحجوب يُغري ولا يسلي
لعمرك لولا أسهم الأعينِ النجل

٨٤

[بهلول المجنون]

بهلول بن عمرو ، أبو وهيب الصيرفي المجنون ، من أهل الكوفة ؛ حدث

٨٤ - له ترجمة في الوافي للصفدي .

عن أيمن بن نابل وعمرو بن دينار وعاصم بن أبي النجود ، وكان من عقلاء المجانين
ووسوس ، وله كلام مليح ونوادير وأشعار ، واستقدمه الرشيد أو غيره من الخلفاء
ليسمع كلامه . توفي في حدود التسعين والمائة .

قال الأصمعي : رأيت بهلولاً قائماً ومعه خبيص ، فقلت له : أيش معك؟
قال : خبيص ، فقلت : أطعمني ، قال : هو ليس لي ، قلت : لمن هو؟
قال : هو لحمدونة ابنة الرشيد بعثته لي آكله لها .

وقال محمد بن أبي إسماعيل ابن أبي فديك : رأيت بهلولاً في بعض المقابر وقد
أدلى رجله في قبر وهو يلعب بالتراب ، فقلت : ما تصنع هاهنا؟ قال : أجالس
أقواماً لا يؤذوني وإن غبت لا يغتابوني ، فقلت : قد علا السعر مرة ، فهل تدعو
الله فيكشف عن الناس؟ فقال والله ما أبالي ، ولو كان حبة بدينار ، لله علينا
أن نعبده كما أمرنا ، وعليه أن يرزقنا كما وعدنا ، ثم صفق يده وأنشأ يقول :

يا من تمتع بالدنيا وزيتها ولا تنام عن اللذات عيناهُ
شغلت نفسك فيما لست تدركه تقول لله ما ذا حين تلقاهُ

وقال الحسن بن سهل : رأيت الصبيان يرمون بهلولاً بالحصى ، فأدمته حصة
فقال :

حسبي الله توكلتُ عليه من نواصي الخلق طرّاً بيديه
ليس للهارب في مهربه أبداً من راحة إلاّ إليه
رُبّ رام لي بأحجار الأذى لم أجدُ بداً من العطف عليه

فقلت له : تعطف عليهم وهم يرمونك؟ فقال : اسكت لعل الله يطلع على
غمي ووجعي وشدة فرح هؤلاء فيهبّ بعضنا لبعض .

وقال عبد الله بن عبد الكريم : كان لبهلول صديق قبل أن يمجنّ ، فلما أصيب
بعقله فارقه صديقه ، فبينما بهلول يمشي في بعض طرقات البصرة إذ رأى صديقه ،
فلما رآه صديقه عدل عنه ، فقال بهلول :

ادُنْ مُتِي وَلَا تَخَافَنَّ غَدْرِي لَيْسَ يَخْشَى الْخَلِيلُ غَدْرَ الْخَلِيلِ
إِنَّ أَدْنَى الَّذِي يَنَالُكَ مِنِّي سَتَرٌ مَا يَتَّقِي وَبَثُّ الْجَمِيلِ

قال الفضل ابن سليمان : كان بهلول يأتي سليمان ابن علي فيضحك منه ساعة ثم ينصرف ، فجاءه يوماً ، فضحك منه ساعة ثم قال : عندك شيء نأكل ؟ فقال لغلامه : هات لبهلول خبزاً وزيتوناً ، فأكل ثم قام لينصرف وقال لسليمان : يا صاحب إن جئنا إلى بيتكم يوم العيد يكون عندكم لحم ؟ فحجل سليمان . وجاء إلى بعض أشراف الكوفة وقال له : أشتهي أكل عسل بسرقين ، فدعا بهما ، فأكل من العسل وأمعن فيه ، فقال له الرجل : لم لا تأكل السرقين كما قلت ؟ قال : العسل وحده أطيب .

وعبَّثَ به الصبيان يوماً ففرَّ منهم والتجأ إلى دار بابها مفتوح فدخلها ، وصاحب الدار قائم له صغيرتان ، فصاح به : ما أدخلك داري ؟ فقال : ﴿ يا ذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض ﴾ (الكهف : ٩٤) . وسأله يوماً عليُّ بن عبد الصمد البغدادي : هل قلت شيئاً في رقة البشرة ، فقال : اكتب :

أضمرُّ أن أضمرَ حبي له فيشتكي إضماراً إضماري
رَقَّ فلو مرَّتْ به ذرَّةٌ نخضته بدمٍ جاري

فقال : أريد أرقَّ من هذا ، فقال :

أضمرَ أن يأخذ المِرَاةَ لكي يبصر وجهاً له فأدناها
فجاز وَهَمُّ الضميرِ منه إلى وجنته في الهوى فأدماها

فقال : أريد أرق من هذا أيها الأستاذ ، فقال : نعم وما أظنه ، اكتب :

شِبْهَتُهُ قَمراً إذ مرَّ مبتسماً فكاد يجرحه التشبيه أو كلما

ومرّ في خاطري تقبيلٌ وجنته فسيلتُ فكري في وجنتيه دما

فقال : أريد أرق من هذا ، فقال : يا ابن الفاعلة أرق من هذا كيف يكون ؟
رويدك لأنظر إن كان قد طبخ في المنزل حريرة أرق من هذا ، رحمه الله تعالى .

٨٥

الفرنسيس الإفرنجي

بولش الإفرنجي المعروف بالفرنسيس ؛ أجل ملوك الإفرنج وأعظمهم قدراً
وأكثرهم عساكراً وأموالاً وبلاداً ، قصد الديار المصرية واستولى على طرف
منها ، وملك دمياط سنة سبع وأربعين وستمائة ، واتفق موت الملك الصالح نجم
الدين أيوب ، وتملك المعظم توران شاه - الآتي ذكره في موضعه - وأسر
الفرنسيس فبقي في أيدي المسلمين مدة ، ثم أطلق بعد تسليم دمياط إلى المسلمين ،
وتوجه إلى بلاده وفي قلبه النار مما جرى عليه من ذهاب أمواله وقتل رجاله وأسره ،
فبقيت^٢ نفسه تحدّثه بالعود إلى مصر لأخذ ثأره ، فاهتم بذلك اهتماماً عظيماً في
مدة سنين ، إلى سنة ستين وستمائة ، فقصد مصر ، فقيل له : إن قصدت مصر
ربما يجري لك مثل النوبة الأولى ، والصواب أن تقصد تونس ، وكان ملكها

٨٥ - تصحف عليه الاسم إلى بولش ، وهو « لويس » التاسع المعروف لدى قومه بالقديس لويس ،
ويدعى في المصادر العربية « ريد افرنس » أي ملك افرنس وتجد وصفاً مفصلاً للحملة الصليبية التي
قادها لويس ضد مصر في السلوك للمقرزي ١ / ٢ : ٣٣٣ وما بعدها وتاريخ أبي الفدا ٣ : ١٧٨
والوافي ، وكذلك عند أبي شامة والعيبي في عقد الجمان وخطط المقرزي ١ : ٢١٩ وانظر « لويس
التاسع في الشرق الأوسط » لجوزيف نسيم و « حملة لويس التاسع » لمحمد مصطفى زيادة ، ١٩٦١ :
وهذه الترجمة موجزة في المطبوعة .

١ ص : عساكراً .

٢ ص : فبقت .

محمد بن يحيى الملقب بالمستنصر ، فإنك إن ظفرت به تمكنت من قصد مصر في البرّ والبحر ، فقصد تونس وكاد يستولي عليها ، ومعه جماعة من الملوك ، فأوقع الله في عسكره وباء عظيماً^١ ، فهلك افرنسيس سنة إحدى وستين وستمائة ، ورجع من بقي من عسكره إلى بلادهم ووصلت البشرى بذلك إلى الملك الظاهر .
ولما أسر الفرنسيس نوبة دمياط تسلمه الطواشي جمال الدين صبيح المعظمي ووضع في رجليه قيد ، وسجنه في الدار التي كان فيها فخر الدين ابن لقمان كاتب الإنشاء ، فلذلك قال صاحب جمال الدين ابن مطروح لما بلغ المسلمين عودة الفرنسيس في المرة الثانية :

قلّ للفرنسيس إذا جتته	مقالَ حق من مقول فصيح
أجرك الله على ما جرى	من قتل عبّاد يسوع المسيح
أتيت مصر تبغي ملكها	تزعّم أن الزمر يا طبل ريح
فساقكَ الحينُ إلى أدهم	ضاق به عن ناظريك الفسيح
وكل أصحابك أوردتهم	بسوء أفعالك بطنَ الضريح
خمسون ألفاً لا يرى ^٢ منهم	إلاّ قتيل أو أسير جريح
وفكك الله لأمشالها	لعلّ عيسى منكم يستريح
إن كان باباكُم بدا راضياً	فربّ غش قد أتى من نصيح
وقلّ لهم إن أضمروا عودة	لأخذ ثأر أو لقصد صحيح
دارُ ابن لقمانِ على حالها	والقيدُ باقٍ والطواشي صبيح

واشتهرت هذه الأبيات وسارت بها الرُكبان ، خصوصاً البيت الأخير
فلهذا قال بعض المغاربة لما قدم الفرنسيس تونس :

يا فرنسيس هذه أختُ مصرٍ فتيقنْ لما إليه تصيرُ
لك فيها دارُ ابنِ لقمانِ قبرٌ وطواشيك مُنكرٌ ونكيرُ

٢ ص : ترى .

١ ص : عظيم .

وقال آخر في المعنى الأول أيضاً :

قلّ للفرنسيس إنّ كلاً
لأنّسه محسنٌ إلينا
ساق إلى مصر ما اقتناه
وأورد الجمع بحر حرب
أركبهم أدهماً خضماً
ورام باباهم أموراً
وأذهل القوم هول حرب
لم تعم أبصارهم ولكن
ولم يفد وفق فيلسوف
فإن يعد طالباً لشار
فذلك البحر تعرفوه
أعاده الله عن قريب
بحيث لا يبق للنصارى
ويستريح المسيح منهم
له من المسلمين شاكر
بقوده نحونا العساكر
أمة عيسى من الذخائر
مصدره بالمتون آخر
ورابح الشر فهو خاسر
فأخلفت ظننه المقادر
تشخص من خوفه النواظر
قد عميت منهم البصائر
طلسمه كاهن وساحر
من أرض دمياط فليادر
والسيف ماض والجيش حاضر
لمثلها ؛ إنّه لقادر
من بعد كسر الصليب جابر
من كلّ علج وكلّ كافر

٨٦

الحبيس الراهب

بولص الراهب المعروف بالحبيس ؛ كان كاتباً أولاً ، ثم ترهب وانقطع

١ ص : فيلسوفاً .

٨٦ - له ترجمة في الوافي (كما جاء في التجريد) والشذرات ٥ : ٣٢٢ .

في جبل حلوان بالديار المصرية ؛ يقال إنه ظفر بمال دفين في مغارة ، فواسى به الفقراء من كل ملة ، وقام عن المصادرين بجملة وافرة . وكان أول ظهور أمره أنه وقعت ناراً بحارة الباطلية^٢ سنة ثلاث وستين وستمائة فأحرقت ثلاثاً وستين داراً^٣ جامعة ، ثم كثرت الحريق بعد ذلك حتى أحرقت ربع فرج^٤ ، وكان وفقاً على أشرف المدينة ، والوجه المطل على النيل من ربع العادل ، وأتهم بذلك النصارى ، فعزم الملك الظاهر على استئصال النصارى واليهود ، وأمر بوضع الحلقا والأحطاب في حظيرة كانت في القلعة وأن تضرم النار فيها ويُلقي فيها اليهود والنصارى ، فجمعوا حتى لم يبق منهم إلا من هرب ، وكتفوا ليرموا فيها ، فشفع فيهم الأُمراء ، فأمر أن يشتروا أنفسهم ، فقرر عليهم في كل سنة خمسمائة ألف دينار ، وضمنهم الحبيس المذكور ، وحضر موضع الجباية منهم ، فكان كل من عجز عما قرر عليه وزن الحبيس عنه ، سواء إن كان يهودياً أو نصرانياً ، وكان يدخل الحبوس ومن كان عليه ديناً^٥ وزنه عنه ، وسافر إلى الصعيد وإلى الاسكندرية ووزن عن النصارى ما قرر عليهم وكان للناس به رفق وكان الناس قد عرفوه ، فكان بعض الناس يتحيل عليه ، فإذا رآه قد دخل المدينة أخذ معه اثنين صورة أنهما من رسل القاضي أو المتولي ، وأخذوا يضربانه ويحذبانه ، فيستغيث به : يا أبونا يا أبونا ، فيقول : ما باله ؟ فيقولان : عليه دين واشتكت عليه زوجته ، فيقول : على كم ؟ فيقال : على ألفين ، أو أقل أو أكثر ، فيكتب له على شقفة أو غيرها إلى بعض الصيارف بذلك المبلغ ، فيقبضه منه .

وقيل إن مبلغ ما وصل إلى السلطان وما واسى به الناس في مدة ستين ستمائة ألف دينار مضبوطة بقلم الصيارف الذي كان يجعل عندهم المال ، وذلك

١ ص : ناراً .

٢ انظر خبر حريق الباطلية في خطط المقريري ٢ : ٨ .

٣ كذا في ص .

٤ ص : فرج .

خارجاً عن ما كان يعطي من يده .

وكان لا يأكل من هذا المال ولا يشرب ، بل النصارى يتصدقون عليه بمؤنته ، فلما كان سنة ست وستين وستمائة أحضره الملك الظاهر بيبرس ، وطلب منه المال أن يحضره أو يعرفه من أين وصل إليه ، فجعل يغالطه ويدافعه ولا يفصح له عن شي ، فعذبته حتى مات ولم يقر بشيء ، وأخرج من قلعة الجبل ورمي ظاهرها على باب القرافة ، وكانت قد وصلت إلى الظاهر فتاوى فقهاء إسكندرية يقتله ، وعللوا ذلك بخوف الفتنة من ضعفاء النفوس من المسلمين .

٨٧

الملك الظاهر

بيبرس بن عبد الله ، السلطان الأعظم الملك الظاهر ركن الدين أبو الفتح الصالحى ؛ قال عز الدين محمد بن علي بن إبراهيم بن شدّاد : أخبرني الأمير بدر الدين بيبرس أن مولد الملك السلطان الظاهر بأرض القبجاق سنة خمس وعشرين وستمائة تقريباً ، وكانت الغيارة قد أغارت على القبجاق فأسروا جماعة ، وكنت أنا والظاهر فيمن أسر ، فبيع فيمن بيع وحُمل إلى سيواس ، فاجتمعت به في سيواس ، ثم افترقنا ، واجتمعت به في حلب بخان ابن قليح ثم افترقنا ، وحمل إلى القاهرة ، فشراه الأمير علاء الدين ايدكين البندقدار وبقي عنده ، فلما قبض عليه الملك

٨٧ - الوافي والزركشي : ٨١ والنجوم الزاهرة : ٧ : ٩٤ وحسن المحاضرة : ٢ : ٩٥ وبدائع الزهور : ١ : ٩٨ ، ١١٢ وتاريخ ابن الوردي : ٢ : ٢٢٣ والدارس : ١ : ٣٤٩ والسلوك : ١ : ٤٣٦ - ٦٤١ وتاريخ أبي الفدا : ٣ : ٢٠٧ وعقد الجمان للميني وعيون التواريخ لابن شاعر وسيرة الملك الظاهر لابن شداد (مخطوط سليمية رقم ٢٣٠٦) . والبداية والنهاية : ١٣ : ٢٧٤ ؛ وليس من اليسير حصر مصادر أخباره .

١ ص : افترقا .

الصالح نجم الدين أيوب أخذ الملك الظاهر في جملة ما استرجعه ، وقدمه على طائفة من الحمدارية^١ ، فلما مات الصالح وملك بعده المعظم وقتل وولّوا عز الدين أيك التركماني ، وقتل الفارس أقطاي الحمدار ، ركب الظاهر والبحرية وقصدوا القلعة فلم ينالوا مقصوداً ، فخرجوا من القاهرة مجاهرين بالعداوة للتركماني مهاجرين إلى الملك الناصر صاحب الشام ، وكان مع الظاهر بلبان الرشدي وأزدمر السيفي وسنقر الرومي وسنقر الأشقر ويسري الشمسي ، وقلاون الألفي ولبان المستعرب وغيرهم ، فأكرمهم الملك الناصر ، وأطلق للظاهر ثلاثين ألف درهم وثلاث قطر بغال وثلاث قطر جمال وخيل وملبوس^٢ ، وفرق في البقية الأموال والخيل ، وكتب إليه المعز أيك يحذره منهم ، فلم يصغ إليه ، وعين للظاهر إقطاع بجلب ، فسأله العوض عن ذلك بزريعين وجينين ، فأجابه ، فتوجه إليهما ، ثم خاف الناصر فتوجه بمن معه من خوشداشيته^٣ إلى الكرك ، فجهز صاحبها معه عسكر إلى مصر فخرج إليهم عسكر من مصر فكسروهم ، ونجا الظاهر وبيليك الخزندار إلى الكرك ، وتواترت إليه كتب المصريين يحرّضونه على قصد مصر ، وجاء إليه جماعة من عسكر الناصر ، وخرج عسكر مصر مع الأمير سيف الدين قطز وفارس الدين أقطاي المستعرب ، فلما وصل المغيث صاحب الكرك والظاهر إلى غزة انزل إليهما من عسكر مصر أيك الرومي ولبان الكافري وسنقرشاه العزيزي وبدر الدين ابن خان بغدي وأيك الحموي وهارون القيمري ، واجتمعوا فقويت شوكة الظاهر ، وتوجهوا إلى الصالحية ، والتقى بعسكر مصر سنة ست وخمسين ، واستظهروا عليهم ، ثم انكسر الظاهر والمغيث وهربا ، وأسرت جماعة وقتلوا صبراً ممن ذكرته أولاً .

-
- ١ الحمدار : الذي يحمل البقجة خلف السلطان في الموكب (سيرة الملك الظاهر ٢ : ١٧١) .
 - ٢ كذا دون إعراب ، وأبقيته على حاله ، وكذلك ما أشبهه في هذه الترجمة .
 - ٣ النجوم : خوشداشيه ؛ والخوشداشيه ماليك ينتمون إلى سيد واحد ، فأصبحوا زملاء على مرّ الزمن (انظر معجم شتاينجاس الفارسي تحت مادة : خواجاتاش) .

ثم حصل بين الظاهر والمغيث وحشة ففارقه ، وعاد إلى الناصر على أن يقطعه [خبز] ^١ مائة فارس ، من جملتها نابلس وجنين وزرعين ، فأجابه إلى ذلك ، ومعه جماعة حلف لهم الناصر : منهم بيسري الشمسي وأوتامش السعدي وطيرس الوزيري وأقوش الرومي الدوادار ^٢ وكشتغدي الشمسي ، ولاجين الدر فيل وأيدغمش الحلبي وأبيك الشيخي وخاص ترك الصغير وبلبان المهراني وسنجر الاسعدي ^٣ ، وسنجر الهمامي وجماعة ، فأكرمهم ووفى لهم ، فلما قبض قطز على أستاذه ^٤ حرّض الملك الظاهر الملك الناصر على قصد مصر فلم يجبه ، فسأله أن يقدمه على أربعة آلاف فارس ، أو يقدم غيره ليتوجه إلى شط الفرات ليمنع التتار من العبور ، فلم يمكنه ، وفارقه وتوجه إلى الشهرزورية وتزوج منهم ، ثم جهز إلى المظفر قطز من استخلفه له ، وعاد إلى القاهرة ودخلها سنة ثمان وخمسين فخرج المظفر إلى لقائه وأنزله في دار الوزارة ، وأقطعه قصبه قلوب لخاصته ، فلما خرج المظفر للقاء التتار جهّز الظاهر في عسكر لكشف أخبارهم ، فأول ما وقعت عينه عليهم ناوشهم القتال .

ولما انقضت الواقعة بعين جالوت تبعهم الظاهر يقتص آثارهم إلى حمص ، وعاد فوافى المظفر بدمشق . ولما عاد المظفر إلى مصر اتفق الظاهر مع الرشيدى وبهادر المعزي وبكتوت الجوكنداري ^٥ وبيدغان الركني وبلبان الهاروني وأنس ^٦ الأصفهاني ، على قتل المظفر ، فقتلوه على الصورة التي تذكر في ترجمته إن شاء الله ،

١ زدتها من النجوم الزاهرة .

٢ الدوادار : هو الذي يقرأ للسلطان كتب الأسرار الواردة عليه من الملوك وهو الذي يجب عنها ، ويسفر بينه وبين وزرائه وكتابه (سيرة الملك الظاهر ٢ : ١٧١) وانظر صبح الأعشى ٤ : ١٩ .

٣ النجوم : الباشقردى (أو الباشقردى) .

٤ النجوم : حتى قبض الأمير قطز على ابن أستاذه الملك المنصور علي وتسلطن . . . الخ .

٥ النجوم : وبكتوت الجوكندار المعزي ؛ والجوكندار : الذي يحمل الجوكان للسلطان ، وهو المحجن الذي يلعب به ويضرب الكرة (صبح الأعشى ٥ : ٤٥٨) .

٦ النجوم : وأنص .

وساقوا إلى الدهليز ، فباع الأمير فارس الدين أتابك للملك الظاهر وحلف له ، ثم الرشيد ثم الأمراء ، وركب معه الأتابك وبيسري وقلاون وجماعة من خواصه ، ودخل قلعة الجبل سابع عشر ذي القعدة سنة ثمان وخمسين ، وجلس في إيوان القلعة ، وكتب إلى الأشرف صاحب حمص ، وإلى المنصور صاحب حماة ، وإلى مظفر الدين صاحب صهيون ، وإلى الإسماعيلية ، وإلى علاء الدين ابن صاحب الموصل نائب حلب ، وإلى مَن بالشام ، يعرفهم ما جرى ، وأفرج على من في الحبوس من أصحاب الجرائم . وأقر الصاحب زين الدين ابن الزبير على الوزارة ؛ وكان قد تلقب بالملك القاهر ، فقال له الصاحب زين الدين : ما لُتِّبَ أحد بالملك القاهر فأفلح ، لقب به القاهر ابن المعتضد ، فلم تطل أيامه ثم خلع وسمل عينيه ، ولقب به الملك القاهر ابن صاحب الموصل فسمّ ولم تطل أيامه . فأبطله ولقب بالظاهر . وزاد إقطاعات من رأى استحقاؤه من الأمراء وخلع عليهم ، وسيّر أقوش المحمدي بتواقيع الأمير علم الدين الحلبي فوجده قد تسلطن بدمشق ، فشرع الظاهر في استفساد من عنده ، فخرجوا عليه ونزعوه من السلطنة ، وتوجه إلى بعلبك فأحضره منها وتوجهوا به إلى مصر؛ وصفا الملك بالشام للملك الظاهر وضبط الأمور وساس الملك أتم سياسة ، وفتح الفتوحات وباشر الحروب بنفسه .

وكان جباراً في الأسفار والحصارات والحروب ، وخافه الأعداء من التتار والفرنج وغيرهم ، لأنه روّعهم بالغارات والكبسات ، وخاض الفرات بنفسه فألقت العساكر بأنفسها خلفه ، ووقع على التتار فقتل منهم مقتلة عظيمة وأسر مائتي نفس ، وفي ذلك قال محيي الدين ابن عبد الظاهر :

تجمّع جيش الشرك من كل فرقة	وظنوا بأننا لا نطيق لهم غلبنا
وجاءوا إلى شاطي الفرات وما دروا	بأن جياد الخيل تقطعها وثبا
وجاءت جنود الله في العدد التي	تميس لها الأبطال يوم الوغى عجا
فعمنا بسد من حسيدي سباحة	إليهم ، فما اسطاع العدو له نقبا

وقال بدر الدين يوسف بن المهمندار^١ :

لو عاينت عينك يوم نزلنا
وقد اطلختم الأمر واحتدم الوغى
لرأيت سداً من حديد ما يرى
ظفرت وقد منّع الفوارس مدّها
ورأيت سيل الخيل قد بلغ الزبى
لما سبقنا أسهما طاشت لنا
لم يفتحوا للرمي منهم أعيناً
فتسابقوا هرباً ولكن ردهم
ما كان أجري خيلنا في إثرهم
كم قد فلقنا صخرة من صخرة
وجرت دماؤهم على وجه الثرى
والظاهر السلطان في آثارهم
ذهب الغبار مع النجيع بصقله

وقال ناصر الدين حسن ابن النقيب :

ولما تراءينا الفرات بخيلنا
فأوقفت التيار عن جريانه
سكرناه منا بالقوى والقوائم
إلى حيث عدنا بالغنى والغنائم

وقال الحكيم موفق الدين عبد الله بن عمر المعروف بالورن :

الملكُ الظاهرُ سلطاننا
اقتحم الماء ليُطفي به
نقدية بالمال وبالأهل
حرارة القلب من المغل

١ المهمندار هو الذي يتلقى الرسل والهربان الواردين على السلطان وينزلهم دار الضيافة ويتحدث في القيام بأمرهم (ومهم تمني الضيف بالفارسية) (صبح الأعشى : ٤ ، ٢٢ : ٥٩٩) .

وقال الشيخ شهاب الدين محمود من قصيدة :

لما تراقصت الرؤوس وحركت
خضت الفرات بسابح أقصى منى
حملتك أمواج الفرات ومن رأى
وتقطعت فرقا ولم يك طودها
رشت دماؤهم الصعيد فلم يطر
شكرت مساعيك المعقل والورى
هذي منعت وهؤلاء حميتهم
من مطربات قسيك الأوتار
هوج الصبا من نعله الآثار
بحراً سواك ثقله الأنهار
إذ ذاك إلا جيشك الجرار
منهم على الجيش السعيد غبار
والترب والآساد والأطيسار
وسقت تلك وعم ذي الإيثار

وعمر الحسور الباقية إلى اليوم بالساحل والأغوار ، وأمن الناس في أيامه .
فلما عاد من وقعة البلستين^١ أقام بالقصر الأبلق في دمشق ، فأحس في نفسه توعكاً ،
فشكا ذلك إلى الأمير شمس الدين سنقر السلحدار ، وكان قد شرب قمز^٢ ،
فأشار عليه بالقيء ، فاستدعاه فاستعصى عليه ، فلما كان ثاني يوم - وهو يوم
الجمعة ثاني عشرين المحرم سنة ست وسبعين وستمائة - ركب من القصر إلى
الميدان على عادته والألم يقوى عليه ، فلما أصبح اشتكى حرارة في باطنه ، فصنعوا
له دواء فشربه فلم ينجع ، فلما حضروا الأطباء أنكروا استعماله الدواء وأجمعوا
على أن يسقوه مسهلاً ، فسقوه فلم ينجع ، فحركوه بدواء آخر فأفرط الإسهال
به ودفع دمًا محتقناً ، فتضاعفت حماه وضعفت قواه ، فتخيل خواصه أن كبده
تتقطع وأن ذلك عن سم شربه ، فعولج بالجواهر ، وذلك يوم عاشره ، ثم أجهده
المرض إلى أن توفي يوم الخميس ثامن عشرين المحرم سنة ست وسبعين وستمائة ،
فأخفوا موته ، وحمل إلى القلعة ليلاً ، وغسلوه وحنطوه وصبروه ، وكفنه

١ السلوك (١ : ٦٢٥) الأبلستين ؛ وتسمى اليوم البستان ، وهي قرية من إفسس .

٢ نبيذ يعمل من لبن الخيل (راجع ملحق دوزي) .

مهتاره^١ الشجاع عنبر ، والفقير كمال الدين المعروف بابن المنبجي وعز الدين الأفرم ، وجعلوه في تابوت وعلقوه في بيت من بيوت البحرة بقلعة دمشق ، وكتب الأمير بدر الدين بيليك الخزندار مطالعة بيده إلى ولده الملك السعيد .

وركب الأمراء يوم السبت ولم يظهروا الحزن ، وكان الظاهر قد أوصى أن يدفن على السابلة قريباً من داريا وأن يبنى عليه هناك ، فرأى الملك السعيد أن يدفنه داخل الصور ، فابتاع دار العقيقي بثمانية وأربعين ألف درهم ، وأمر أن تبنى مدرسة للشافعية والحنفية ودار حديث وقبة للدفن ، ولما تجزت حضر الأمير علم الدين سنجر الحموي المعروف بأبي خرص ، والطواشي صفى الدين جوهر الهندي إلى دمشق لدفن الملك الظاهر ، وكان النائب عز الدين أيدير ، فعرفاه ما رسم به الملك السعيد ، فحمل تابوته ليلاً ودفن خامس شهر رجب الفرد من السنة ، فقال محيي الدين ابن عبد الظاهر :

صاح هذا ضريحه بين جفنة ي فروروا من كل فج عميق
كيف لا وهو من عقيق جفوني دفنوه منها بدار العقيقي

وفي سنة سبع وسبعين عملت أعزيتته بالديار المصرية ، ونصبت الخيام العظيمة وصنعت الأطعمة الفاخرة واجتمع الخاص والعام وحضر القراء والوعاظ ، ونخلع عليهم وأجيزوا بالجوائز السنية .

ذكر أولاده رحمه الله تعالى : الملك السعيد ناصر الدين بركة ، وأمه بنت حسام الدين بركة خان الخوارزمي ، والملك نجم الدين خضر ، وأمه أم ولد ، والملك بدر الدين سلامش ، وله من البنات سبع من بنت سيف الدين دماجي التري^٢ .

١ المهتار : لقب واقع على كبير كل طائفة من غلمان البيوت ، كمهتار الشراب خاناه ، ومهتار الطست خاناه ، ومهتار الركاب خاناه (مه بالفارسية = كبير ، وتار = أفل تفضيل) صبح الأعشى . ٤٧٠ : ٥ .

٢ يستفاد من السيرة أن بناته سبع ، اثنتان منهن من بنت دماجي .

ذكر فتوحاته : قيسارية . أرسوف . صفد . طبرية . يافا . الشقيف . أنطاكية .
بغراس . القصير . حصن الأكراد . حصن عكار . القرين ، صافيتا . مرقبة
حلبا^١ .

وناصف الفرنج على : المرقب وبليناس^٢ وبلاد أنطرسوس ، وعلى سائر
ما بقي في أيديهم من البلاد والحصون . وولّى في نصيبه الولاية والعمال ، واستعاد
من صاحب سيس : دريساك ، ودركوش ، وبليس ، وكفردين ، وربعان ،
والمرزبان .

وملك من المسلمين : دمشق وبعلبك وعجلون وبصرى وصرخد والصلت
وحمص وتدمر والرحبة وزليبا وتل باشر وصهيون وبلاطنس وبرزيه وحصون
الإسماعيلية والشوبك والكرك وشيزر والبيرة . وفتح الله عليه بلاد النوبة
ودُنُقلة وغيرها .

ذكر عمائره رحمه الله تعالى : عمر بقلعة الجبل دار الذهب ، وبرجة
الجبارج قبة عظيمة محمولة على اثني عشر عمود من الرخام الملون ، وطبقتين
مطلبتين على رحبة الجامع ، وعمر برج الزاوية المجاور لباب السر ، وأخرج
منه رواشن وبنى عليه قبة ، وأنشأ جواره طباق للممالك ، وأنشأ برجة القلعة
دار كبيرة لولده الملك السعيد ، وأنشأ دور كثيرة للأمراء ظاهر القاهرة مما يلي
القلعة ، وإصطبلات ، وأنشأ حماماً بسوق الخيل لولده ، والجسر الأعظم ،
والقنطرة الذي على الخليج والميدان .

وجدد الجامع الأحمر والجامع الأزهر ، وبنى جامع العافية بالحسنية ، أنفق
عليه ألف ألف درهم ، وزاوية للشيخ خضر^٣ ، وحماماً وطاحوناً وفرناً وقبة
على المقياس مزخرقة ، وعدة جوامع في الأعمال المصرية ، وجدد قلعة الجزيرة ،

١ السلوك ١ : ٦٢٨ و مرقبة وحلبا .

٢ السلوك : وياقياس .

٣ سنجي . ترجمته في حرف الخاء .

وقلعة العمودين ببرقة ، وقلعة السويس ، وعمّر جسراً بالقليوبية ، وجدد الجسر
الأعظم على بركة الفيل ، وأنشأ القنطرة المعروفة بقنطرة السباع التي أخرجها الملك
الناصر بن قلاوون بعده ، وقنطرة على بحر ابن منجى لها سبعة أبواب ، وقنطرة
بمنية الشيرج ، وقنطرة عند القصير بسبعة أبواب ، وستة عشر قنطرة تسلك منها
إلى دمياط ، وقنطرة على خليج القاهرة للمرور عليها إلى الميدان ، وقنطرة عظيمة
على خليج الإسكندرية ، وحفر خليج الإسكندرية وكان ارتدم ، وحفر بحر
أشموم وكان قد عمي ، وحفر ترعة الصلاح وخور سرسخا ، وحفر المحايري
والكافوري وترعة كيسان وزاد فيها قصبه ، وحفر بحر الصمصام وحفر بحر
السرديوس وحفر في ترعة أبي الفضل ألف قصبه ، وتمم عمارة حرم رسول
الله صلى الله عليه وسلم ، وعمل منبره ، وأحاط بالضريح درايزينا ، وذهب
سقفه وبيّضه ، وجدد البيمارستان بالمدينة ، ونقل إليه سائر المعاجين والأكحال
والأشربة ، وبعث إليه طبيباً من الديار المصرية ، وجدد قبة الخليل عليه السلام
ورمّم شعّته وأصلح أبوابه وميضاته وبيّضه ، وزاد في راتبه المجري عليه وعلى
قوامه ومؤذنيه ، ورتب له من مال البلد ما يجري على الواردين عليه والمقيمين
به ، وجدد بالقدس الشريف ما كان تداعى من قبة الصخرة ، وجدد قبة السلسلة
وزخرفها ، وأنشأ خاناً للسبيل ، وبنى به مسجداً وطاحوناً وبستاناً وفرناً ، وبنى
على قبر موسى عليه السلام قبة ومسجداً ، وهو عند الكتيب الأحمر ، ووقف
عليه وقفاً ، وبنى على قبر أبي عبيدة رضي الله عنه مشهداً بعمتا من الغور ووقف
عليه وقفاً ، وجدد بالكرك برجين كانا صغيرين فهدهما وكبرهما وعلاهما ،
ووسع مشهد جعفر الطيار ، ووقف عليه وقفاً زيادة على وقفه ، وعمر جسر دامية
بالغور ، ووقف عليه وقفاً برسم ما عساه يتهدم من عمارته ، وأنشأ جسور كثيرة
بالساحل والغور ، وعمر قلعة قاقون ، وبنى بها جامعاً ووقف عليه وقفاً ،

وبنى حوض السبيل ، ووجد جامع الرملة وأصلح مصالحها ، وأصلح جامع
 زرعين وما عداه من جميع البلاد الساحلية ، ووجد باشورة^١ لقلعة صغد ، وبنى
 برَبَضها جامعاً حسناً ، وكانت الشقيف قلعتين مجاورتين فجمع بينهما ، وبنى بها
 جامعاً وحماماً ودار نياية ، ووجد عمارة قلعة الصبيبة^٢ بعدما خربها التتار ،
 وكان التتار هدموا شراريف قلعة دمشق ورؤوس أبراجها فجدد ذلك ، وبنى
 الطارمة^٣ التي على سوق الخليل ، وبنى حمام خارج باب النصر ، ووجد ثلاث
 إصطبلات على الشرف الأعلى ، وبنى القصر الأبلق بالميدان ، ولم يكن مثله ،
 ووجد مشهد زين العابدين بجامع دمشق ، ووجد رؤوس الأعمدة والأساطين
 وذهبها ، ووجد باب البريد وفرشه بالبلاط ، ورمّ شعث مغارة الدم ، ووجد
 دور الضيافة للرسل والمترددين مجاورة للحمام ، ووجد ما تهدم من قلعة صرخد
 وجامعها ومساجدها ، وكذلك فعل ببصرى وبعجلون والصلت ، ووجد ما تهدم
 من قلعة بعلبك ، ووجد قبر نوح عليه السلام ، ووجد أسوار حصن
 الأكراد ، وعقد قلعتها حنايا ، وحال بينها وبين المدينة بخندق ، وبنى عليها
 أبرجة بطلاقات ، ووجد من حصن عكار ما كان استهدم وزاد الأبرجة ، وبنى
 خان المحدثه ، وعمل به الخفرا ، وبنى من القصير إلى المناخ إلى قارا إلى حمص
 أعمدة أبرجة فيها الحمام والخفرا ، وكذلك من دمشق إلى تدمر والرحبة إلى
 الفرات ، ووجد سفح قلعة حمص والدور السلطانية بها ، وقلعة شميمس^٤ أنشأها
 بجملتها ، وأصلح قلعة شيزر وقلعتي الشغر وبكاس وقلعة بلاطنس ، وبنى قلاع
 الإسماعيلية الثمان ، وبنى ما تهدم من قلعة عين تاب والراوندان ، وبنى بأنطاكية
 جامعاً مكان الكنيسة وكذلك ببغراس ، وأنشأ قلعة البيرة ، وبنى بها الأبرجة ووسع

١ الباشورة : سد من التراب يمنع وصول الخيالة أو غيرهم إلى مواضع المحاربين (انظر ملحق دوزي)

٢ هي قلعة بانياس .

٣ الطارمة : بيت من خشب ، سقفه على هيئة قبة يجلس فيه السلطان (ماحق دوزي) .

٤ السلوك (١ : ٤٤٦) شميمش ، وهي إحدى بلاد كورة حمص .

خندقها وجدد جامعها ، وأنشأ بالميدان الأخضر شمالي حلب مسطبة كبيرة مرخمة ،
وأنشأ الجسر للقلعة ، وبني في أيامه ما لم يُبْنَى في أيام غيره .

وكانت العساكر بالديار المصرية في أيام غيره عشرة آلاف فارس فضاغفها
أربعة أضعاف ، وكانوا الملوك قبله مقتصدين في النفقات والعُدَد ، وعسكره
بالضد من ذلك ، وكانت كلف المطبخ الصالحى النجمي ألف رطل لحم بالمصري
كل يوم فضاغفها عشر مرات ، فكانت في الأيام الظاهرية كل عشرة آلاف
رطل ، وتوابلها عشرون ألف درهم ، ويصرف من خزانة الكسوة كل يوم
عشرون ألف درهم ، ويصرف في ثمن القرط^١ لدوابه ودواب من يلوذ به كل
سنة ثمانمائة ألف درهم ، ويقوم بكلف الخيل والجمال والبغال والحمير كل يوم
خمس عشر ألف عليقة عنها ستمائة إردب ، ويصرف للمخابز للجرايات خلا
ما يصرف لأرباب الرواتب لمصر خاصة كل شهر عشرون ألف إردب .

وكان رحمه الله تعالى قد منع الخمر والحشيش وجعل الحد على ذلك السيف ،
فأمسك ابن الكازروني وهو سكران ، فصلب وفي حلقه جرة خمر ، فقال الحكيم
شمس الدين ابن دانيال رحمه الله :

لقد كان حدُّ السكر من قبل صلبه خفيف الأذى إذ كان في شرعنا جليداً
فلما بدا المصلوبُ قلت لصاحبي : ألا تُبْ فإن الحد قد جاوز الحدا

وقال القاضي ناصر الدين ابن المنير :

ليس لإبليس عندنا طمعٌ غيرُ بلاد الأمير مأواه
منعته الخمر والحشيش معاً أحرمته مائه ومرعاه

وقال ناصر الدين ابن النقيب الفقيسي :

منع الظاهر الحشيش مع الخمر رفولتى إبليس من مصر يسعى

١ القرط : البرسيم .

قال مالي وللمقام بأرضٍ لم أمتعَ فيها بماء ومرعى
وقال الحكيم شمس الدين ابن دانيال :

نهى السلطان عن شرب الحميّا وصيرَ حدّها حدّاً اليماني
فما جسرتُ ملوكُ الجن خوفاً لأجل الحمر تدخل في القناني

وقال آخر :

الحمر يا إبليس إن لم تقم وتوسع الحيلة في ردها
لا نفقت سوقُ المعاصي ولا أفلحتَ يا إبليس من بعدها

ولما أراد الظاهرُ أن يقرر القطيعة^١ على البساتين بدمشق واحتاط عليها وعلى
الأملاك والقرى وهو نازل على الشقيف قال له القاضي شمس الدين ابن عطا
الحنفي : هذا ما يجل ولا يجوز لأحد أن يتحدث فيه ، وقام مُغضباً وتوقف
الحال ، وصقعت^٢ البساتين تلك السنة وهدمت الثمار جملة كافية ، فقال في ذلك
مجد الدين ابن سحنون خطيب النيرب رحمه الله :

واهاً لأعطاف الغصون وما الذي صنعته أيدي البرد في أثوابها
صبغت خمائلها الصبا وكأنها قد ألبست أسفاً على أربابها

وقال نور الدين ابن مصعب :

لهفي على حلل الغصون تبدلت من بعد خضرة لونها بسواد
وأظنتها حزنتَ لفرقة أهلها فلذلك قد لبست ثيابَ حداد

وظنّ الناس أن السلطان يرحمهم لذلك ، فلما أراد التوجه إلى مصر أحضر
العلماء ، وأخرج فتاوى الحنفية باستحقاقها ، بحكم أن دمشق فتحها عمر بن

١ القطيعة : الضريبة .

٢ صقعت : أصيبت بالصقيع .

الخطاب رضي الله عنه عنوة ، ثم قال : من كان معه كتاب عتيق أجريناه ، وإلا
فنحن فتحنا هذه البلاد بسيوفنا ، ثم قرر عليهم ألف ألف درهم ، فسألوه
تقسيتها فأبى ، وتمادى الحال ، فعجلوا له أربعمئة ألف درهم بواسطة فخر
الدين الأتابك وزير الصحبة ، ثم أسقط الباقي عنهم بتوقيع قرىء على المنبر ،
رحمه الله تعالى .

حرف التاء

الأمير تنكز نائب الشام

تنكز الأمير الكبير المعظم المهيب ، سيف الدين نائب السلطنة بالشام ؛ جُلِبَ إلى مصر وهو حدث فنشأ بها ، وكان أبيض إلى السمرة ، رشيق القد مليح الشعر خفيف الحية قليل الشيب حسن الشكل ، جلبه الخواجا علاء الدين السيواسي ، فاشتراه الأمير حسام الدين لاجين ، فلما قتل لاجين في سلطنته صار من خاصكية السلطان الملك الناصر ، وشهد معه وادي الخزندار ، ثم وقعة شقحب . قال الشيخ صلاح الدين الصفدي في تاريخه : أخبرني القاضي شهاب الدين ابن القيسراني قال ، قال لي : أنا والأمير سيف الدين طينال من مماليك الأشرف أمره الملك الناصر عشرة قبل توجهه إلى الكرك ، وكان قد سلم إقطاعه إلى الأمير صارم الدين صاروجا المظفري ، فكان على مصطلح الترك آغا له ، ولما توجه السلطان إلى الكرك كان في خدمته ، وجهزه إلى دمشق رسولا إلى الأفرم ، فأتهمه أن معه كتاباً إلى أمراء الشام ، فحصل له منه مخافة شديدة ، وفُتِّش وعرض عليه العقوبة ، فلما عاد إلى السلطان عرفه ما جرى له فقال له : إن عدت إلى الملك فأنت نائب دمشق ، فلما عاد إلى المملكة جعل الملك سيف الدين أرغون الدوادار نائب مصر بعد إمساك الجوكندار الكبير ، وقال لتنكز ولسودي : احضرا كل يوم عند أرغون وتعلما منه النيابة والأحكام ، فبقيا كذلك سنة يلازماته ، فلما مَهَّرَا جهاز سيف الدين سودي إلى حلب نائباً ، وسيف الدين تنكز إلى دمشق

٨٨ - الوافي والدرر الكامنة ٢ : ٥٥ والسلوك ٢/٢ : ٥٠٦ والنجوم الزاهرة ٩ : ١٤٥ ،

نائباً ، فحضر إليهما على البريد هو والحاج سيف الدين أرقطاي وحسام الدين
 طرنطاي البشمقدار^١ ، فكان وصولهم إليها في شهر ربيع الأول سنة اثني عشرة
 وسبعمائة ، وتمكن في النيابة ، وسار بالعساكر إلى مَسَطِيَّة فافتتحها ، وعظم
 شأنه ، وهابه الأمراء بدمشق ونواب الشام ، وآمن الرعايا ، ولم يمكن أحداً من
 الأمراء ولا أرباب الجاه يقدر يظلم أحد ذمياً أو غيره ، خوفاً من بطشه وشدة
 إيقاعه ، ولم يزل في ارتفاع علو درجة يتضاعف إقطاعه وإنعامه وعوائده من
 الخيل والقماش والطيور والجوارح حتى كتب له : « أعز الله أنصار المقرِّ الكريم
 العالي الأميري » وفي الألقاب : « الأتابكي الزاهدي العابدي » وفي النعوت : « معز
 الإسلام والمسلمين سيد الأمراء في العالمين » ؛ وهذا لم يكتب عن سلطان لنائب ولا
 غير نائب على اختلاف الوظائف^٢ .

وكان السلطان لا يفعل شيء في الغالب حتى يسيّر يشاوره فيه ، وقلما كتب
 إلى السلطان في شيء فردّه ، وكلّ ما قرره من إمرة ونيابة وإقطاع وقضاء أو غير
 ذلك تردّ التواقيع السلطانية بإمضاء ذلك . وكان قد اعتمد شيئاً ما سمع عن غيره ،
 وهو أنه كان له كاتب ليس له شغل ولا عمل إلاّ حساب ما يدخل خزائنه
 من الأموال وما يستقر له ، فإذا حال الحول عمل أوراقاً بما يجب صرفه من
 الزكاة ، فيأمر بإصرافه إلى ذوي الاستحقاق .

وزادت أمواله وأملاكه . وعمر الجامع المعروف به بجكر السماق بدمشق ، وأنشأ
 إلى جانبه تربة وحمّاماً ، وعمرّ تربة إلى جانب الخواصين لزوجته ، وعمر داراً
 للقرآن إلى جانب داره دار الذهب ، وأنشأ بالقدس رباطاً ، وعمر القدس وساق إليه
 الماء وأدخله الحرم ، وعمر به حمامين وقيسارية مليحة إلى الغاية ، وعمر بصفد
 البيمارستان المعروف به ، وجدد القنوات بدمشق ، وكانت مياهها قد تغيرت ،
 وجدد عمائر المساجد والمدارس ، ووسع الطرقات بها واعتنى بأمرها ، وله في

١ النجوم (٩ : ١٤٧) البشمقدار - بالياء الموحدة - هو الذي يحمل نعل السلطان أو الأمير .

٢ ص : الوصايف .

سائر الشام أملاك وعمائر وآثار .

ولم يكن عنده دهاء ولا له باطن ، ولا يحتمل شيئاً ولا يصبر على أذى ، ولم يكن عنده مداراة للأمر ولا يرفع بهم راساً ، وكان الناس في أيامه آمنين على أموالهم ووظائفهم ، وكان في كل سنة يتوجه إلى الصيد بالعسكر إلى نواحي الفرات ، وعدى بعض السفرات الفرات وأقام في ذلك البر خمسة أيام يتصيد ، وكان الناس يجفلون قدامه إلى بلاد توريز والسلطانية ، وكان ما قصده غير الحق والعمل به ونصرة الشرع ، خلا أنه كان به سوداء يتخيل بها الأمر فاسداً وبينه عليه ، فهلك بذلك أناس ، ولا يقدر أحد من مهافته يوضح له الصواب ، ولا يقول له الحق فيما يفعله ، وكان إذا غضب لا سبيل له إلى الرضى ولا العفو ، وإذا بطش بطش الجبارين ، ويكون الذنب يسيراً فلا يزال يكبره ويزيده ويوسعه إلى أن يخرج فيه عن الحد .

وكان الشيخ حسن ابن دمرتاش قد أهمله أمره وخافه ، فيقال إنه تمم عليه عند السلطان وقال له إنه قصد الحضور إلى عندي والمخامرة عليك ، فتكر السلطان ، وكان في ذلك الأيام قد عزم السلطان على أن يجهز الأمير بشتاك ويلبغا اليحياوي وعشرين أمير من الخاصكية ليحضروا عرس أولاده ، ويجهز معهم بنات السلطان ، فبعث يقول : يا خوندي ، إيش الفائدة في حضور هؤلاء الأمراء الكبار إلى دمشق ، والبلاد الساحلية في هذا العام ممحلة ، ويحتاج العسكر إلى كلفة كثيرة ، أنا أحضر بأولادي إلى الباب ويكون الدخول هناك ، فجهز إليه السلطان طاجار الدوادار وقال له : السلطان يسلم عليك ويقول لك : إنه ما بقى يطلبك إلى مصر ، ولا يجهز إليك أمير كبير حتى لا تتوهم ، فقال تنكر : أنا أتوجه بأولادي إليه ، فقال طاجار : لو وصلت إلى بلبس ردك ، وأنا أكفيك هذا المهم ، وبعد ثمانية أيام أكون عندك بتقليد جديد وإنعام جديد ، فلبثه بهذا الكلام ، ولو كان

أجن : ووضايفهم .

توجه إلى السلطان كان خيراً له ، ولكن ليقضي الله أمراً كان مفعولاً
وكان أهل دمشق في تلك المدة قد أرجفوا بأنه قد عزم على التوجه إلى بلاد
التتار ، فوقع هذا الكلام في سمع طاجار الدوادار ، وكان قد عامله تنكز في هذه
المرّة معاملة لا تليق به ، فتوجه من عنده مُغضباً ، وكأنه حرّف الكلام ، والله
أعلم ، فتغير السلطان تغيراً عظيماً ، وجرّد عشرة آلاف فارس من مصر ،
وجّه بريدي إلى الأمير طشتمر حمص أخضر نائب صند ، وأمره بالتوجه إلى
دمشق لمسك تنكز ، وكتب إلى الحاجب وإلى الأمير سيف الدين قُطلوبغا الفخري
وإلى الأمراء بالقبض عليه وقال : إن قدرتم على تعويقه فهو المراد ، والعساكر
تصل إليكم من مصر ، فوصل الأمير سيف الدين طشتمر الظهر إلى المزة ، وجّه
إلى الأمير سيف الدين الفخري ، وكان دواداره قد وصل بكرة النهار واجتمع
بالأمراء فاتفقوا ، وتوجه اللمش الحاجب إلى القابون ووعدّ الطريق ورمى
الأخشاب فيها وأحمال التبن ، وقال للناس : إن غريم السلطان يعبر الساعة عليكم
فلا تمكثوه ، وركب الأمراء واجتمعوا على باب النصر . هذا كله وهو في غفلة
عما يُراد به ، ينتظر ورود طاجار الدوادار ، وكان قد خرج ذلك النهار إلى
القصر الذي بناه في القطايح ، فتوجه إليه الأمير سيف الدين قرشي وعرفه
بوصول طشتمر ، فبهت لذلك وسقط في يده . وقال : ما العمل ؟ قال : تدخل
إلى دار السعادة ، فحضر ودخل إلى دار السعادة ، وغلقت أبواب المدينة ، وأراد
اللبس والمحاربة . ثم علم أن الناس ينهبون ويعمل السيف في البلد ، فأثر إخماد
الفتنة وأن لا يجرد سلاح ، فجهز إلى الأمير سيف الدين طشتمر وقال له :
في أي شيء جيت ؟ قال : أنا جيتك رسول من عند أستاذك ، فإن خرجت إلي
قلت لك ما قال لي ، وإن رحمت إلى مطلع الشمس تبعتك ، ولا أرجع إلا إن
مات أحدنا ، فخرج إليهم واستسلم ، وأخذ سيفه وقيد خلف مسجد القدم ،
وجّه إلى السلطان وجّه معه الأمير ركن الدين بيبرس السلاح دار ، ثالث عشرين
ذي الحجة سنة أربعين وسبعمائة ، وتأسف أهل دمشق عليه ويا طول أسفهم ؟

فسبحان مزبل النعم الذي لا يزول ملكه ولا يتغير عزه ولا تطرأ عليه الحوادث ! واحتيط على حواصله ، وأودع طغاي وجنغاي^١ مملوكاه في القلعة ، وبعد مدة سيرة حضر الأمير سيف بشتاك وطاجار الدوادار والحاج أرقطاي وتمة عشرة أمرا ، ونزلوا القصر الأبلق ، وحال وصولهم حلقوا الأمراء ، وشرعوا في عرض حواصله ، وأخرجوا ذخايره وودايه ، وتوجه بشتاك إلى مصر ومعه من ماله ثلثمائة ألف وستة وثلاثون ألف دينار مصرية ، وألف ألف وخمسمائة ألف درهم ، وجواهر وبلخش ، وأقطع مثمثة ، ولولو غريب الحب . وطرز زركش ، وكلونات^٢ زركش ، وحوايص ذهب ، بحامات^٣ مرصعة ، وأطلس وغيره من القماش ما كان جملمته ثمانمائة حمل ، وأقام بعده برسبغا ، وتوجه في أثره بعد ما استخلص من الناس ومن بقايا أموال تنكر ، ومعه أربعون ألف دينار وألف ألف ومائة ألف درهم ، وأخذ مماليكه وجواريه وخياه المثمثة إلى مصر ، وأما هو فإنه جهز إلى اسكندرية وحبس بها مدة دون الشهر ، ثم قضى الله تعالى فيه أمره . يقال : إن المقدم ابن صابر توجه إليه ، وكان ذلك آخر العهد به ، ومات وصلى عليه أهل اسكندرية :

فكأنه بَرَقَ تَأَلَّقَ بالحمى ثم انثنى فكأنه لم يلمع .

ثم ورد مرسوم السلطان بتقويم أملاكه ، فعمل ذلك بالعدول وأرباب الخبرة ، وحضرت محاضر^٤ إلى ديوان الإنشاء لتجهز إلى الأبواب السلطانية . قال الشيخ صلاح الدين الصفدي^٥ : فنقلت منها ما صورته : دار الذهب بمجموعها وإسطلباتها ستمائة ألف درهم ، دار الزمرد مائتا ألف درهم ، دار

١ ص : وجنغاي .

٢ الكلوة : غطاء للرأس يلبس وحده أو بعمامة (ملحق دوزي) .

٣ كذا في ص ؛ وفي المطبوعة ولحامات .

٤ ص : محاضر .

٥ نقل صاحب النجوم الزاهرة هذا النص أيضاً (٩ : ١٥٤) .

الزردكاش وما معها مائتا ألف وعشرون ألف درهم ، الدار التي بجوار جامعه
 بدمشق مائة ألف درهم ، الحمام التي بجوار الجامع مائة ألف درهم ، خان
 العرصة مائة ألف وخمسون ألف درهم ، إسطل حكر السماق عشرون ألف
 درهم ، الطبقة التي بجوار حمام ابن يمن أربعة آلاف وخمسمائة درهم ، قيسارية
 المرحليين مائتا ألف وخمسون ألف درهم ، الفرن والحوش^١ بالقنوت من غير
 أرض عشرة آلاف درهم ، حوانيت التعديل ثمانية آلاف درهم ، الأهرام من
 إسطل بهادراس عشرة آلاف درهم ، خان البيض وحوانيته مائة ألف وعشرة
 آلاف درهم ، حوانيت باب الفرج خمسة وأربعون ألف درهم ، حمام القابون
 عشرون ألف درهم ، حمام القصير العمري ستة آلاف درهم ، الدهيشة^٢ والحمام
 مائتا ألف وخمسون ألف درهم ، بستان العادل مائة ألف وثمانون ألف درهم ،
 بستان النجيب والحمام والفرن مائة ألف وثلثون ألف درهم ، بستان الحلبي^٣
 بحرستان أربعون ألف درهم ، الحدائق بحرستان مائة ألف وخمسة وأربعون ألف
 درهم ، بستان القوصي بحرستان ستون ألف درهم ، بستان الدردور بزبدین خمسون
 ألف درهم ، الجنينة المعروفة بالحمام بزبدین سبعة آلاف درهم ، بستان الرزار
 خمسة وثلثون ألف درهم ، الجنينة وبستان عبرتهما^٤ ثمانون ألف درهم ، مزرعة
 البوقي والعنبري مائة ألف درهم ، الحصنة بالدقوف القبلية بكفر بطنا ثلثاها ثلاثون ألف
 درهم . بستان السقلاطوني بالمنيحة خمسة وسبعون ألف درهم ، حقل البيطارية
 بها خمسة عشر ألف درهم ، الفاتكيات والرشيدي والكروم بزملكا مائة ألف
 وثمانون ألف درهم ، مزرعة المرفع بالقابون مائة ألف وعشرة آلاف درهم ،
 الحصنة من غراس غيطة الأعجام عشرون ألف درهم ، نصف الغيطة المعروفة

١ النجوم : والحوض .

٢ النجوم : الدهشة .

٣ النجوم : الحلبي .

٤ عبرتهما : دخلهما .

بزرنبه خمسة آلاف درهم ، غراس قايم جواردار الجالحق ألفا درهم ، النصف
من غراس الهامة ثلاثون ألف درهم . الحوانيت التي قبالة الجامع مائة ألف درهم ،
الإسطبالات التي عند الجامع ثلاثون ألف درهم ، بيدر زبدين ثلاثة وأربعين
ألف درهم ، أرض خارج باب الفرج ستة عشر ألف درهم ، القصر وما معه
خمسمائة ألف درهم وخمسون ألف درهم ، ربع ضيعة القصرين مائة وعشرون
ألف درهم ، نصف البيطارية مائة ألف وثمانون ألف درهم ، حصة من البويضا
مائة ألف وخمسة وثمانون ألف درهم . نصف بوابة مائة وثمانون ألف درهم ،
العلائية بعيون الفاسرتا ثمانون ألف درهم ، حصة دير ابن عصرون خمسة وسبعون
ألف درهم ، حصة دوير اللبّن ألف وخمسمائة درهم ، الدير الأبيض خمسون
ألف درهم ، التنورية اثنان وعشرون ألف درهم ، العزير مائة ألف وثلاثون
ألف درهم ، حوانيت داخل باب الفرج أربعون ألف درهم .

الأملاك التي بمدينة حمص : الحمام خمسة وعشرون ألف درهم ، الحوانيت
سبعة آلاف درهم ، الربع ستون ألف درهم ، الطاحون الراكبة على العاصي
ثلاثون ألف درهم ، زور قبجق خمسة وعشرون ألف درهم ، الخان مائة ألف
درهم ، الحمام الملاصقة للخان ستون ألف درهم ، الحوش الملاصق له ألف
وخمسمائة درهم ، المناخ ثلاثة آلاف درهم ، الحوش المجاور للفندق ثلاثة آلاف
درهم ، حوانيت العريضة ثلاثة آلاف درهم ، الأراضي المحتكرة سبعة آلاف
درهم .

الأملاك ببيروت : الخان مائة وخمسة وثلاثون ألف درهم ، الحوانيت
والفرن مائة وعشرون ألف درهم ، المصبنة بآلاتها عشرة آلاف درهم ، الحمام
عشرون ألف درهم ، المسلخ عشرة آلاف درهم ، الطاحون خمسة آلاف درهم ،
قرية زلايا خمسة وأربعون ألف درهم .

القرى بالبقاع : مرج الصفا سبعمائة ألف درهم ، التل الأخضر مائة ألف
وثمانون ألف درهم ، المباركة خمسة وسبعون ألف درهم ، المسعودية مائة ألف

وعشرون ألف درهم . الضياع الثلاثة المعروفة بالجوهرى أربعمائة ألف وسبعون ألف درهم ، السعادة أربعمائة ألف درهم ، أبروطيا ستون ألف درهم ، نصف يبرود والصالحة والحوانيت أربعمائة ألف درهم ، الناصرية مائة ألف درهم . رأس الماء ييم الروس سبعة وخمسون ألف درهم ، حصه من خربة روق : اثنان وعشرون ألف درهم ، رأس الماء والدلي بمزارعها خمسمائة ألف درهم ، حمام صرخد خمسون ألف درهم ، طاحون الفوار ثلاثون ألف درهم ، السالمية سبعة آلاف وخمسمائة درهم ، طاحون المغار عشرة آلاف درهم ، قيسارية أذرعات اثنا عشر ألف درهم ، قيسارية عجلون مائة ألف وعشرون ألف درهم .

الأملك بقارا : الحمام خمسة وعشرين ألف درهم ، الهري ستمائة ألف درهم ، الصالحية والطاحون والأراضي مائة ألف وخمسة وعشرون ألف درهم ، راسليثا ومزارعها مائة وخمسة وعشرين ألف درهم ، القصيبة أربعون ألف درهم ، القريتين المعروفة لإحدهما بالمرزعة والأخرى بالينسية تسعون ألف درهم . هذا جميعه خارج عمّا له من الأملك في وجوه البر بصفد وعجلون والقدس الشريف ونابلس والرمله وجلجولية والديار المصرية .

ولما كان في أوائل شهر رجب سنة أربع وأربعين وسبعمائة حضر تابوته من الإسكندرية إلى دمشق ، ودفن في تربته جوار جامع المعروف بإنشائه ، رحمه الله تعالى ، فقال الشيخ صلاح الدين الصفدي :

في نقلٍ تنكز سرّ أرادَهُ اللهُ ربُّهُ
أنى بهِ نحو أرضٍ يحبُّها وتجبُّهُ

رحمه الله تعالى وعفا عنه ، بمنه وكرمه .

[توبة ابن الحمير]

توبة بن الحمير الخفاجي ، أحد المتيمين ، صاحب ليل الأخيلىة - ويأتي ذكرها في حرف اللام إن شاء الله تعالى - ؛ كان يهوى ليل فخطبها إلى أبيها فأبى أن يزوجه ، وزوجها في بني الأولع فكان يكثر زيارتها ، فشكوه إلى قومه فلم يُقلع فشكوه إلى السلطان فأهدر دمه إن أتاهم ، فعلمت بذلك ليل ، ثم إن قومها كمنواله في الموضع الذي يلقاها فيه ، فلما جاء خرجت إليه سافرة حتى جلست في طريقه ، فلما رآها سافرة فظن لما أرادت فركض فرسه ونجا ، وقال قصيدته التي منها :

وكنت إذا ما جئتُ ليلي تبرقتُ فقد رابني منها الغداة سفورها

ثم إن توبة قتله بنو عوف بن عقيل في حدود الثمانين من الهجرة ، رحمه الله تعالى ، فقالت ليلي ترثيه :

نظرتُ ودوني من عماية^٢ منكب وبطن الركاء أي^٣ نظرة ناظرٍ
منها :

وتوبة أحيى من فتاة حَيِّية وأجرأ من ليث بخفانَ خادر

٨٩ - الأغاني ١٠ : ٦٣ ، ٤ : ١٩٢ والشعر والشعراء : ٣٥٦ وأمالى القالي ١ : ٨٦ والسط :

١١٩ والخزاة ٣ : ٣١ والعيي ١ : ٥٦٩ ، ٢ : ٤٧ ، ٤ : ٥٣ والمؤتلف : ٦٨ ، ٩٣

وأسماء المقتالين : ٢٥٠ والمحاسن والأضداد : ١٢٥ .

١ ص : بني .

٢ ص : غمامة .

٣ ص : وبطن الردى من أي .

ونعم في الدنيا وإن كان فاجراً ونعم الفتى إن كان ليس بفاجر

وهي قصيدة طويلة أوردها صاحب «الأغاني» ، ولها فيه مراتٍ أخر .
ثم إن ليلى أقبلت من سفر فمرت بقبر توبة وهي في هودج ومعها زوجها ،
فقالت : والله لا أبرح حتى أسلم على توبة ، فجعل الزوج يمنعها وهي تأبى إلا
أن تلم به ، فتركها فصعدت أكمةً عليها قبر توبة ، فقالت : السلام عليك
يا توبة ، ثم حولت وجهها نحو القبر وقالت : ما عرفت له كذبة قط ، فقالوا :
وكيف ذلك ؟ قالت : أليس هو القائل :

ولو أن ليلى الأخيلىة سلّمت عليّ ودوني جندلٌ وصفائحُ
لسلّمتُ تسليمَ البشاشة أو زقا إليها صدّي من جانب القبر صائح
وأغبطُ من ليلى بما لا أنالهُ ألا كلُّ ما قرّت به العينُ صالح

فما باله لم يسلم عليّ كما قال ؟ وكان إلى جانب القبر بومة كامنة ، فلما
رأت الهودج واضطرابه فزعت وطارت في وجه الحمل ، فنفر ورمت بليلى على
رأسها فماتت من وقتها ودفنت إلى جانبه .

قال الشيخ صلاح الدين الصفدي : ما كذب بعد موته ؛ لأنه قال : « أو زقا
إليها صدّي من جانب القبر » والصدّي هو ذكر البوم ، وهذا من عجائب
الاتفاق ، رحمها الله تعالى .

[تقي الدين التكريتي]

توبة بن علي بن مهاجر بن شجاع بن توبة ، صاحب تقي الدين توبة التكريتي المعروف بالبيع ؛ ولد يوم عرفة بعرفة سنة عشرين [وستمائة] وتعانى التجارة والسفر ، وتعرّف بالسلطان حسام الدين لاجين لما كان أمير ، وعامله وخدمه ، فلما صار سلطان ولاءه وزارة الشام مدة ثم عزله ، وصور غير مرة ، ثم يسلمه الله تعالى .

وكان مع ظلمه وعسفه فيه مروءة وحسن إسلام وتقرب إلى أهل الخير وعدم خبث وهممة عالية وسماح ، وحسن خلق ومزاح ، واقتنى الخيل المسومة والدور الحسنة ، واقتنى الممالك الملاح ، وعمر لنفسه تربة حسنة تصلح للملك ، وبها دفن لما مات سنة ثمان وتسعين وستمائة ، وحضر جنازته ملك الأمراء والقضاة . يقال عنه إنه كان عنده مملوك مليح اسمه أقطوان ، فخرج ليلة وأقطوان خلفه إلى وادي الربوة ، فمروا على مسطول وهو نائم ، فلما أحس بوقع حوافر الخيل فتح عينيه وقال : يا الله توبة ؟ فقال له : واللك يا قواد ، إيش تعمل بتوبة ؟ شيخ نحس مقلع الأسنان قول : يا الله أقطوان .

ويقال إنه أتى إليه رجل من تكريت وقال له : يا مولانا صاحب أشتهي منك شفاعا إلى شيخ الخانقاه الشميصاتية حتى ينزلي فيها ، فدعا بنقيبه وقال له : روح مع هذا إلى شيخ الخانقاه ، وسلم عليه من جهتي ، وقولي له يقبل شفاعتي في هذا وينزله في الخانقاه ، فلما جاء إلى شيخ الشيوخ وأدى

٩٠ - انظر صفحات متفرقة من السلوك (ج : ١) والنجوم الزاهرة ٨ : ١٨٥ والوافي والعبير

٥ : ٣٨٧ والدارس ٢ : ٢٣٧ والشدرات ٥ : ٤٤١ .

الرسالة قال له : قول للصاحب : هذا ما هو صوفي ولا ينزل عمره في خانقاه ،
وهذه الخانقاه شرطها أنه لا ينزل فيها إلا صوفي مربي يعرف آداب القوم ،
فجاء إليه الرجل باكي وقال : يا سيدي لم يسمع من رسالتك ، فغضب وسيّر
خلف الشيخ فلما دخل عليه قال : يا مولانا ، لأي معنى ما تنزل هذا ؟ قال :
مولانا هذا ما هو صوفي ، فقال الصاحب للرجل : ما تعرف تاكل أرز
مفلقل ؟ قال : بلى والله ، قال : ما تعرف ترقص في السماع ؟ قال : بلى ،
قال : ما تعرف تلوط على المليح ، قال : بلى والله ، قال : صوفي أنت من
عمرك .

ولشمس الدين ابن منصور موقع غزة فيه ، وقد أعيد إلى الوزارة :

عبتُ على الزمان وقلت مهلاً أقيمتُ على الخنا ولبست ثوبه

نفاق في التجاهل والتعامي وعاد إلى التقى وأتى بتوبه

ولعلاء الدين الوداعي الكندي فيه ، وقد سقط عن حصان :

فديناك لا تخش من وقعة فإن وقوعك للأرض فخر

سقوط الغمام بفصل الربيع ففي البر بر وفي البحر در

وله أيضاً فيه رحمه الله تعالى :

إني حلفتُ يمينا لم آت فيها بحوبه

مذ أعددني الليالي لا قمتُ إلا بتوبه

[توران شاه]

توران شاه بن الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل محمد بن العادل الكبير ، الملك المعظم غياث الدين ؛ لما توفي الملك الصالح والده جمع فخر الدين ابن الشيخ الأمراء وحلفوا له ، وكان بحصن كَيْفَا ، وسيروا إليه الفارس أقطاي^١ فساق على البرية لا يعترض عليه أحد من الملوك ، فكاد يهلك عطشاً ، حتى قدم دمشق ودخل بأبنة السلطنة في أواخر رمضان ، ونزل القلعة وأنفق الأموال ، وأحبه الناس ، ثم سار إلى مصر بعد عيد الأضحى ، فاتفق كسرة الإفرنج - خذلم الله تعالى - عند قدومه ، ففرح الناس وتيمّنوا بوجهه ، لكن بدت منه أمور نفرت الناس عنه :

منها أنه كان فيه خفة وطيش ، وكان والده الصالح يقول : ولدي ما يصلح للملك ، وألحّ عليه يوماً الأمير حسام الدين ابن أبو علي ، وطلب إحضاره من حصن كَيْفَا ، فقال : أجيئه لكم حتى تقتلوه ؟ فكان الأمر كما قال أبوه . وقال سعد الدين بن حيمويه : لما قدم المعظم طال لسان كل من كان خاملاً في أيام أبيه ، ووجدوه مختلّ العقل سيء التدبير ، دفع خبز فخر الدين شيخ الشيوخ بحواصله إلى جوهر الخادم ، وانتظر الامراء أن يعطيهم كما أعطى أمرا دمشق فلم يكن لذلك أثر ، وكان لا يزال يحرك كتفه الأيمن مع نصف وجهه ، وكثيراً ما يولع بلحيته ، ومتى سكر ضرب الشمع بالسيف وقال : هكذا أفعل بممالك أبي ، ويتهدد الأمرا بالقتل ، فشوّش قلوب الجميع ومقتوه ، وصادف بخله .

٩١ - الوافي ومرآة الزمان : ٧٨١ والنجوم الزاهرة ٦ : ٣٦٤ والعبّر ٥ : ١٩٩ وذيل الروضتين :

١٨٥ والشذرات ٥ : ٢٤١ .

١ ص : أقطايا (في هذا الموضع وحده) .

قال سبط [ابن] الجوزي : بلغني أنه كان يكون على السماط بدمشق ، فإذا سمع فقيهاً يقول مسألة يقول : لا نسلم ، ويصيح بها .

ومنها أنه احتجب عن أمر الناس وانهمك على اللذات والفساد مع الغلمان ، على ما قيل ، ويقال إنه تعرض لحظايا أبيه .
ومنها أنه قدّم الأراذل وأخر خواصّ أبيه ، وكان قد وعد الفارس أقطاي لما جاء إليه إلى حصن كيفا أن يؤمّره ، فما وفى له فغضب .

وكانت شجر الدر زوجة أبيه قد ذهبت من المنصورة إلى القاهرة ، فجاء هو إلى المنصورة وأرسل إليها يتهددها ويطالبها بالأموال ، فعاملت عليه ، فلما كان اليوم السابع من المحرم سنة ثمان وأربعين وستمائة ضربه بعض البحرية وهو على السماط ، فتلقى الضربة بيده فذهبت بعض أصابعه ، فقام ودخل البرج الخشب الذي هناك وصاح : مَنْ جَرَحَنِي ؟ فقالوا : بعض الحشيشية ، قال : لا والله إلاّ البحرية ، والله لأفنينهم ، وخاط المزين جرحه وهو يتهددهم ، فقالوا : تمموه وإلاّ أبادنا ، فدخلوا عليه فهرب إلى أعلى البرج ، فرموا النار في البرج ، ورموه بالنشاب ، فرمى بنفسه وهرب إلى النيل وهو يقول : ما أريد ملكاً ، دعوني أرجع إلى حصن كيفا ، يا مسلمين ما فيكم مَنْ يصطنعني ؟ فما أجابه أحد ، فتعلق بذيل الفارس أقطاي فما أجاره ، ونزل في البحر إلى حلقة ، فقتلوه وبقي ملقى على جانب النيل ثلاثة أيام حتى شفع فيه رسول الخليفة فواروه . وكان الذي باشر قتله أربعة ، فلما قتل خطب على منابر الشام ومصر وأم خليل شجر الدر . ثم تسلطن الملك المعز أيلك التركماني .

وكان المعظم توران شاه قويّ المشاركة في العلوم حسن البحث ذكياً . قال ابن واصل : لما دخل المعظم دمشق قام الشعراء ، فابتدأ العدل تاج الدين ابن الدجاجة فقال :

كيف كان القدوم من حصن كيفا حين أرغمت للأعادي أنوفا
فأجابه المعظم في الوقت :

الطريق الطريق يا ألف نحس تارة آمنا وطوراً مخوفاً

وقال صاحب جمال الدين ابن مطروح يرثيه :

يا بعيدَ الليلِ من سَحَرِه دائماً يبكي على قمره
خلٌ ذا واندُبٌ معي ملكاً ولتِ الدنيا على أثره
كانت الدنيا تطيبُ لنا بين باديه ومحتضره
سلبتُه الملكَ أسرتهُ واستووا غدرًا على سرره
حسدوهُ حسينُ فاتهمُ في الشباب الغصَّ من عمره
وفيه يقول نور الدين ابن سعيد :

ليت المعظم لم يسِرْ من حصنه يوماً ولا وافى إلى أملاكه
إن العناصرَ إذ رآته مكملًا حسدته فاجتمعت على إهلاكه
واتفق يوم خروجه من دمشق مطر عظيم ، فقال نور الدين ابن سعيد :
إنَّ المعظمَ خيرَ أملاكِ الورى سُرَّتْ به الدنيا وتُعَدَّرُ فيه
أوما رأيت دمشقَ يومَ قدومه ضحكتْ ويومَ وداعه تبكيه

٩٢

[توفيق الطرابلسي]

توفيق بن محمد بن الحسين النحوي الطرابلسي ؛ كان جده الحسين بن محمد
ابن زريق يتولى الثغور من قبل الطائع ، وولد توفيق بطرابلس ، وسكن

١ ص : وتاوراً .

٩٢ - لم ترد هذه الترجمة في المطبوعة ، وانظر معجم الأدباء ٧ : ١٣٨ وبغية الوعاة : ٢٠٩

والزركشي : ٨١ .

دمشق ، وكان أديباً فاضلاً شاعراً .

قال ياقوت : وكان يتهم بقلّة الدين والميل إلى مذهب الأوائل ، توفي في
صفر سنة ست عشرة^١ وخمسمائة ، ودفن بمقبرة باب الفراديس ، وكان نحوياً ،
أقرأ العربية ، وله معرفة بالحساب والهندسة .
ومن شعره ، رحمه الله تعالى :

وجلنار كأعراف الديوكِ على	خضريّ تميمس كأذنان الطواويسِ
مثل العروس تحلّت يومَ زينتها	حمرَ الحليّ على خضر الملائيسِ
في مجلس بعثت أيدي السرورِ به	لدى عريشِ يحاكي عرش بلقيسِ
سقى الحيا أربعا تحيا النفوسُ بها	ما بين مقرى إلى باب الفراديسِ

حرف الشاء

[ثابت قطنة]

ثابت بن كعب أخو بني أسد بن الحارث بن العتيك ، ويعرف بثابت قطنة لأنه أصابه سهم في عينه في بعض حروب الترك فذهبت ، فجعل موضعها قطنة ؛ وهو شاعر شجاع ، وكان في صحابة يزيد بن المهلب ، ولي عملاً في خراسان ، فلما صعد المنبر يوم الجمعة رام الكلام فتعذر عليه وحصر ، فقال : سيجعل الله بعد عسرٍ يسراً ، وبعد عيٍّ بياناً ، وأنتم إلى أمير فعال أحوج منكم إلى أمير قوال ، ثم أنشأ :

وإلاّ أكن فيكم خطيباً فإنني بسيفي إذا جدّ الوغى لخطيب
فقال بعض الشعراء يهجوّه بذلك^١ :

أبا العلاء لقد لقيت معضلةً يوم العروبة من كربٍ وتخنيقٍ
أما القران فلم تخلق لمحكمه ولم^٢ تسدّد من الدنيا بتوفيقٍ
لما رمتك عيونُ الناسِ هبتهمُ وكدت تشرقُ لما قمتَ بالريقِ
تلوي اللسان وقد رمت الكلام به كما هوى زلِقٌ من شاهقِ النيقِ

ولما ولي سعيد بن عبد العزيز خراسان جلس يعرض الناس ، فرأى ثابتاً ، وكان تام السلاح جميل الهيئة ، فسأل عنه فقيل : هذا ثابت قطنة ، وهو فارس

٩٣ - الأغاني ١٤ : ٢٤٧ والشعر والشعراء : ٥٢٦ والخزانة ٤ : ١٨٤ والطبري ٢ : ١٤٨٠ ؛

وقد سقطت هذه الترجمة من المطبوعة .

١ هو حاجب الفيل ، كما في الأغاني .

٢ ص : فيه ولم .

شجاع ، فأمضاه وأجاز على اسمه ، فلما انصرف قال رجل : هذا الذي يقول :

إنّا لضرابون في حمس الوغى^١ رأس الخليفة إن أراد صدودا

فقال سعيد : عليّ به ، فلما أتاه قال له : أنت القائل : إنا لضرابون... ؟
فقال : نعم أنا القائل :

إنّا لضرابون في حمس الوغى^٢ رأس المتوجّح إن أراد صدودا

عن طاعة الرحمن أو خلفائه أو رام لإفساداً ولجّ عنودا

فقال له سعيد : أولى لك ، لولا أنك خرجت منها لضربت عنقك ، وأخباره
مستوفاة في كتاب « الأغاني » ، رحمه الله تعالى .

٩٤

[أبو البقاء التفليسي]

ثابت بن تاوان - بالتاء المثناة من فوق وبعد الألف واو وألف ونون - الإمام
نجم الدين أبو البقاء التفليسي الصوفي ؛ كان له معرفة بالفقه والأصول والعربية
والأخبار والأشعار والسلوك ، وله رياضات ومجاهدات ، وهو من كبار أصحاب
الشيخ شهاب الدين السهروردي ، وأذن له أن يصلح ما رآه في تصانيفه من الخلل
وقدم مصر رسولاً من الديوان ، وهو مليح الكتابة - كتب الأجزاء ، وتوفي
سنة إحدى^٣ وثلاثين وستمائة ، ووقف كتبه على الخانقاه الشيبصانية .

١ ص : الورى .

٢ ص : الورى .

٩٤ - موجزة كثيرأ في المطبوعة ؛ وانظر الزركشي : ٨١ .

٣ ص : أحد .

قال شهاب الدين القوسي ، أنشدني لنفسه :

شراً مالٍ حَزْتُهُ ذاك الذي حَزْتُ حَدَّ العلم في استحقاقه
اكتسبتُ الإثمَ في تحصيله وحرمت الأجرَ في إنفاقه
وأنشدني أيضاً لنفسه :

إن شام طرني عنك بارقَ سلوةٍ طفقَ الغرامُ إلى هواك يحثُّهُ
أو كاد يبيدي ضرَّه قال الهوى لا كان من يشكو الهوى ويثته
وقال أيضاً :

اغتم يومك هذا إنما يومك ضيفُ
وانتهب فرصةَ عمري حاضرٍ فالوقت سيفُ
لا تضيعْ هذه الأرزاقَ فالتضييع حيفُ
عدَّ عن سوف أو الـ ساعة أو أين وكيفُ

رحمه الله تعالى وعفا عنه .

حرف الجيم

[جابر بن حيان]

جابر بن حيان، أبو موسى الطرسوسي؛ ألف كتاباً يشتمل على ألف ورقة يتضمن رسائل جعفر الصادق في الكيمياء، وهي خمسمائة رسالة. قال الشيخ صلاح الدين الصفدي: وأنا أنزه جعفر الصادق رضي الله عنه عن الكيمياء، وإنما هذا الشيطان أراد الإغواء بكونه عزا ذلك إلى جعفر الصادق لتلقاه النفوس بالقبول، ورأيته إذا ذكر الحجر يقول بعد ما يرمزه: وقد أوضحت في الكتاب الفلاني، فيتعب الطالب حتى يظفر بذلك المصنف المشوم، فيجده قد قال: وقد بينته في الكتاب الفلاني، فلا يزال يحيل على شيء بعد شيء. ووجدت بعض الفضلاء قد كتب على بعض تصانيفه:

هذا الذي بمقاله غرَّ الأوائل والأواخر
ما أنت إلا كاسرٌ كذبَ الذي سماك جابرٌ

وتصانيفه في هذا الفن كثيرة وليس تحتها طائل، وكانت وفاته في حدود التسعين والمائة، رحمه الله تعالى وعفا عنه.

٩٥ - لم ترد هذه الترجمة في المطبوعة؛ وانظر الفهرست: ٣٥٤ وسيزكن: ٤: ١٣٢ - ٢٧٠، ٣٣٠ - ٣٣٢، وفيه عرض لمؤلفاته بالاعتماد على دراسات كراوس وروزكا؛ وللدكتور زكي نجيب محمود مؤلف لطيف عنه (سلسلة أعلام العرب).

الخطيئة الشاعر

جروول بن أوس بن مالك ، الخطيئة الشاعر ؛ لقب بالخطيئة لقربه من الأرض ، فإنه كان قصيراً . وهو من فحول الشعراء وفصحائهم ، وكان ذا شر ، ونسبه متدافع بين القبائل كان ينتمي إلى كل واحدة منها إذا غضب على الأخرى ، وهو مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام وأسلم ثم ارتدّ وقال :

أطعنا رسول الله إذ كان بيننا فيا لعباد الله ما لأبي بكر
أيورثها بكرٌ إذا مات بعسده وتلك لعمر الله قاصمة الظهر
وقال يهجو أمه :

تَنَحَّيْ فَاجْلِسِي عَنِّي بَعِيدَا أَرَاكِ اللَّهُ مِنْكَ الْعَالِمِينَا
أَغْرِبَالَا إِذَا اسْتَوْدَعْتَ سِرًّا وَكَانُونَا عَلَى الْمُتَحَدِّثِينَا
حَيَاتُكَ مَا عَلِمْتُ حَيَاةً سُوءًا وَمَوْتُكَ قَدْ يَسُرُّ الصَّالِحِينَا
والتمس يوماً إنساناً يهجوهُ فلم يجد ، فضاق عليه ذلك فقال :

أَبْتُ شَفَتَايَ الْيَوْمَ إِلَّا تَكَلَّمَا بَشَرًّا فَمَا أُدْرِي لِمَنْ أَنَا قَائِلُهُ

وجعل يدور هذا البيت في حلقه ولا يرى إنساناً ، فاطلع في حوض ماء فرأى وجهه فيه فقال :

أَرَى لِي وَجْهًا قَبَّحَ اللَّهُ خَلْقَهُ فَقَبَّحَ مِنْ وَجْهِ وَقَبْحِ حَامِلِهِ

٩٦ - الأغاني ١ : ٤١ ، ١٦ : ٣٨ والروائي والخزاعة ١ : ٤٠٨ والعيني ١ : ٤٧٣ والإصابة ٢ : ٦٣ وطبقات ابن سلام : ٩٣ والشعر والشعراء : ٢٣٨ ، وقد نشر ديوانه بتحقيق الأستاذ نعمان أمين طه (القاهرة : ١٩٥٨) ، وقد استوفت المطبوعة معظم هذه الترجمة .

وقدم المدينة في سنة مجدبة، فجمع أشرافها له من بينهم شيئاً^١ إلى أن تكمل له أربعمائة دينار وأعطوه إياها ، فلما كان يوم الجمعة استقبل الإمام ونادى : من يحملني على نعلين كفاه الله كبة جهنم .

قال الأصمعي : كان الخطيئة سؤالاً ملحفاً دنيء النفس كثير الشر قليل الخير ، بخيلاً قبيح المنظر رث الهيئة ، مغموز النسب فاسد الدين .
وهجا الزبرقان بن بدر بالأبيات التي منها :

دع المكارم لا ترحل^٢ لبغيتها واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي

فاستعدى عليه الزبرقان إلى^٢ عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ، فرفعه عمر إليه واستنشهده ، وقال لحسان : أتراه هجاه ؟ قال : نعم ، وسلح عليه ، فحبسه في بئر وأبقى عليه شيئاً^١ ، فقال :

ماذا تقول لأفراخ^٣ بذي مرخ^٤ زغب الحواصل لا ماء ولا شجر^٥
أليت كاسبهم في قعر مظلمة^٦ فاغفر عليك سلام^٧ الله يا عمر^٨
أنت الإمام الذي من بعد صاحبه ألفت إليك مقاليد النهي البشر^٩
لم يؤثروك بها إذ قدّموك لها لكن لأنفسهم كانت بك الاثر^{١٠}

فأخرجه وقال : إياك وهجاه الناس ، قال : إذن تموت عيالي جوعاً ، هذا مكسي ومنه معاشي ، قال : إياك والمقدع ، قال : وما المقدع ؟ قال : أن تخاير بين الناس فتقول : فلان خير من فلان ، وآل فلان خير من آل فلان ، قال : فأنت والله أهجى مني ، فقال عمر رضي الله عنه : لولا أن تكون سنة لقطعت لسانه ، ولكن اذهب فأنت له يا زبرقان ، فألقى الزبرقان في رقبة عمامته واقتاده بها ، فعارضته غطفان وقالت له : يا أبا شدرة^٣ إخوتك وبنو عمك فهبه لهم ، فوهبه لهم .

٢ كذا في ص والاصوب حذف «إل» .

١ ص : شي .

٣ ص : سدره .

وقيل إن عمر لما أطلقه اشترى منه أعراض المسلمين بثلاثة آلاف درهم ،
ليؤكد الحججة عليه .

ولما حضرت الحطيئة الوفاة واجتمع إليه قومه ، فقالوا : يا أبا مليكة ، أولص ،
فقال : ويل للشعراء من رواة السوء ، فقالوا له : أولص يرحمك الله ، فقال :
من هو الذي يقول ^١ :

إذا أنبض الرامون عنها ترنمت ترنم ثكلي أوجعتها الجنائز

فقالوا : أولص ويحك بما ينفعك ، فقال : أبلغوا امرأ القيس أنه أشعر
العرب حيث يقول ^٢ :

فيا لك من ليل كأن نجومه بكل مغار الفتل شدت ببذبل

فقالوا : اتقى الله ودع عنك هذا ، فقال : أبلغوا الأنصار أن شاعرهم أشعر
العرب حيث يقول ^٣ :

يُغشَوْنَ حَتَّى مَا تَهَرُّ كَلَابِهِمْ لَا يَسْأَلُونَ عَنِ السَّوَادِ الْمُقْبِلِ

فقالوا : إن هذا لا يغني عنك شيئاً ، فقل غير ما أنت فيه ، فقال :

الشعرُ صعبٌ وطويلٌ سلّمه إذا ارتقى فيه الذي لا يعلمه

زلّت به إلى الحضيض قدمه يريد أن يعرّبه ^٤ فيعجمه

فقالوا : هذا مثل ما كنت فيه ، فقال :

قد كنت أحياناً شديد المعتمد وكنت ذا غرب على الخصم الألد

فوردت نفسي وما كادت ترد

١ البيت للشماخ بن ضرار ، ديوانه : ١٩١ .

٢ البيت من معلقة امرئ القيس ، ديوانه : ١٩ .

٣ لسان بن ثابت ، ديوانه : ٧٤ .

٤ ص : يعرفه .

فقالوا : يا أبا مليكة ، ألك حاجة ؟ قال : لا ، ولكنني أجزع على المديح الجيد يُمدح به من ليس له أهلاً ، فقالوا : من أشعر الناس ؟ فأوماً بيده إلى فيه ، وقال : هذا إذا طمع في خير ، واستعبر باكياً ، فقالوا له : قل لا إله إلا الله ، فقال :

قالت وفيها حيدةٌ وذُعرٌ عوذٌ برّبي منكم وحجرٌ^١

قالوا : ما تقول في عبيدك وإمانك ؟ قال : هم عبيد قن ، ما عاقب الليل النهار ، قالوا : فأوص للفقراء بشيء ، قال : أوصيهم بالإلحاح في المسألة ، وابتست المسئول أضيّق ، قالوا : فما تقول في مالك ؟ قال : للأثني مثل حظ الذكر ، قالوا : ليس هكذا قضى الله عز وجل ، قال : لكني هكذا قضيت ، قالوا : فما توصي لليتامى ؟ قال : كلوا أموالهم وافعلوا بأمهاتهم ، قالوا^٢ : فهل تعهد غير هذا ؟ قال : نعم ، احملوني^٣ على أتان وتتركوني راكباً حتى أموت ، فإن الكريم لا يموت على فراشه ، والأتان مركّب لم يمّت عليه كريم قط ، فحملوه على أتان وجعلوا يذهبون به ويحيثون حتى مات ، وهو يقول :

لا أحدٌ أأمٌ من حُطيةٍ هجا بنيه وهجا المريّة^٤
من لؤمه مات على فريّة^٥

الفريّة^٥ : الأتان .

وتوفي في حدود الثلاثين للهجرة .

١ العرب تقول عند الأمر تنكره « حجر له » أي دفعا له ، وهو استعاذة من الأمر (انظر التاج :

حجر) .

٢ ص : قال .

٣ ص : حملوني .

[شعر الزنج]

أبو الجعد المعروف بشعر الزنج ؛ وكان وقاداً ببغداد ، قصته طويلة وأمره عجيب ، اقتضت^١ به الحال في تصرفاته إلى أن صار وقاداً في أتون حمام :
 عشق غلاماً من أبناء بغداد، وقال الشعر فجوده ، واشتد كلفه بالغلام، وكان الغلام ظريفاً مغرمًا بالتفاح لا يكاد يفارقه في أوانه ، فجاء يوماً شعر الزنج فقعد بإزاء الغلام ، ويبد الغلام تفاحة وهو يقلبها تارة ويشمها تارة، ويُدنيها من خده تارة ومن فيه تارة ، فقال شعر الزنج :

تفاحة أكرمها ربها يا ليتني لو كنت تفاحة
 تقبل الحب ولا تستحي من مسكه بالكف تفاحة
 تجري على خديه جواله نفسي إلى شمك مرتاحه

فلما سمع الغلام ذلك رمى بها في الطريق ، فأخذها شعر الزنج . واشتد كلفه بالغلام واشتد إعراض الغلام عنه ، فعمد شعر الزنج إلى تفاحة حمراء عجيبة فكتب عليها بالذهب :

أني لأعذرکم في طول صدکم من راقب الله أبدى بعض ما كتما
 لكن صدودکم يؤذي لمن عقلت^٢ به الصبابة حتى ترجع الكلما

ورمى بالتفاحة إلى الغلام ، فقرأ ما فيها ثم قام ودخل بيته فأبطأ وعاد

٩٧ - الواني والزرکشي : ٨٢ .

١ كذا في ص ، والأصوب : أفضت .

٢ ص : عقلت .

فرمى بها إلى شعر الزنج ، فأخذها وهو يظن أنه قدرق له ، وإذا هو قد كتب
بالأسود تحت كل سطر :

نصدُّ عنكم صدودَ المبغضين^١ لكم فلا تردُّوا إلينا بعدها كلما
وما بنسا الناس لو أننا نريدكم^٢ فاصبر فؤادك أو مت هكذا ألما

فاشتعلت نيران شعر الزنج وتضاعف وجده ، ثم ظنَّ أن الغلام يستوضع
حرفته بالوقادة فتركها وصار ناظوراً يحفظ البساتين ، وقصد بساتين التفاح
التي لا يوجد في بغداد أكثر منها تفاحاً ، فأتى إلى صاحب له ومعه تفاح كثير
وقال : أحب أن تهدي هذا التفاح إلى الغلام ، وتعمد المكتوب^٢ منه ، فنظر
وإذا هو قد كتب على بعضه ببياض لما كان في شجره ، من جملة تفاحة حمراء
مكتوب عليها ببياض :

جودوا لمن هيَّمه^١ حيكم^٢ فهساما
وصار ضوء يومه من حزنه ظلاما

وكتب على أخرى :

مهجة نفس أتتك مرتاحه تشكو هواها بلفظ تفاحه

فأهدى ذلك التفاح إليه ، فلما قرأ ما عليه قام وقد خجل ، وصار شعر الزنج
يختار أكبر التفاح ويكتب عليه الشعر ، ويحتال بصنوف الخيل في إيصاله إلى الغلام .
قال الحاكي : فإني يوماً لجالس أنا والغلام إذ اجتاز بنا بائع فاكهة جل ما
معه تفاح ، فأجلسه الغلام وابتاع منه التفاح بما أراد دون مما كسة ، وسر الغلام
يرخص التفاح ، وجعل يقبله ويعجب من حسنه ، وإذا هو بتفاحة صفراء مكتوب
عليها بالأحمر :

تفاحة تخبر عن مهجة أذابها المهجرُ وأضناها

٢ ص : المكتوم .

١ ص : المفضيين .

يا بؤسها ماذا يلبها أبعدها الحب وأقصاها

ففتن حينئذ وغالطني وقال : ما ترى ما يكتبون الناس على التفاح طلباً للمعاش؟! فتغافلت عنه ، وكان شعر الزنج قد دفع التفاح إلى البائع وقال له : تلتطف في إيصاله إلى الغلام وبيعهُ إياه بما أراد .

ثم إن شعر الزنج أهدى إليّ يوماً تفاحاً كثيراً : أحمر كالشقائق ، وأبيض كالفضة ، وأصفر كالذهب ، منه ما كتب عليه بياض في حمرة ، وبحمرة في بياض ، وعلى أحدها :

نبتُ في الأغصان مخلوقةٌ من قلب ذي شوق وأحزانِ
صفرني سقمُ الذي لونهُ يخبر عن حالي وأشجاني
وعلى أخرى بأحمر :

تفاحةٌ صيغتُ كذا بدعةٌ صفراءُ في لون المحبينا
زِينتها ذو كمدٍ مدنفٍ بدمعه إذ ظل محزوننا
فأمننُ فقد جئتُ له شافعاً وُقيتَ من بلواهُ آمينا

وعلى أخرى :

كتبتُ لما سُفِكت مهجتي بالدم كي ترحم بلوائي
رفعتُ هذي قصتي أشتكى الـ هجر فوقع لي ياغفائي

قال : فرحمته وأدركنني رقة له ، فحفظت التفاح جميعاً ، وعملت دعوة ودعوت الغلام وإخوته ، واجتمعنا على مجلس أنس ، وأحضرت التفاح ، فيما أحضرته فأوا منه شيئاً لم يروا مثله ، ثم تعمدت وضع التفاح المكتوب بين يدي الغلام ، فعجب منه وقرأ ما عليه وقال لي خفية : ترى من كتب هذا الذي عليه ؟ قال : فقلت : الذي كتب على ذلك التفاح الذي ابتعته ذلك اليوم ، قال :

١ ص : إلي .

ومن كتبه؟ قلت: شعر الزنج، قال: فحجبل، ثم استهدانيه فقلت^١: لا تستهده فإنه لك عمل ومن أجلك حضر، ثم أخذت في رياضته على الحضور مع شعر الزنج للفكاهة، فوجدته شديد النفور منه والبغض فيه، فتركته وعدلت إلى أبيه وقلت له: هل أنا عندك متهم في ولدك؟ فقال: حاش لله ولا في أهلي، فحكيت له خبر شعر الزنج مع ولده من أوله إلى آخره، وقلت له: إن هذا الأمر إن تبادى ظهر حاله واشتهر ولدك وصار أحدثه للخاص والعام، وأنا أرى أن اجتماعه به في منزلي بمحضر من أهله سواك مما يكف لسانه ويستر أمره، فقال: افعل ما تراه مصلحة فأنت ممن لا يتهم، قال: فعرفت شعر الزنج بما جرى وقلت له: إذا كانت ليلة كذا وكذا فاحضر وادخل بلا استئذان كأننا لم نشعر بك، واجلس إلى أن نوميء إليك بالقيام، ثم دعوت الغلام وإخوته في الليلة المحدودة، واجتمعنا في مجلس أنس وشربنا، فلم نشعر إلا وشعر الزنج داخل علينا، فلما رآه الغلام حجبل واستوحش وهم بالخروج فمنعناه، وكان بحضرتنا تفاح كثير أحمر والفتى يكثر شمه والعبث به والتنقل منه في أثناء شربه، فجعل شعر الزنج يتأمل الغلام ثم قال:

يا قمرأ في سَعْد أبراجه	وبيت أحزاني وأتراحي
ويا قضيباً مسائلاً مائلاً	أكثر في حبي له اللاحي
أبصرته في مجلس ساعة	والليل في حلة أمساح
في فنية كلهم سيّد	صالت عليهم سطوة الراح
يعصّ تفاحاً ^٢ بتفاحة	ويشرب الراح على الراح

فحجبل الغلام واحمر، فقال شعر الزنج عدة مقاطيع والغلام يزداد خمجلاً وتوريداً، فقلنا لشعر الزنج: يكفيك قد أحجبلت الفتى، فأومأنا إليه بالقيام على

١ ص: فقال .

٢ ص: تفاح .

الوفق الذي كان بيننا ، فوثب وهو يبكي ، وانصرف وقد انهار الليل ، فلم نزل في ذكره بقية ليلتنا إلى الصباح ، رحمه الله تعالى وعفا عنه .

٩٨

المقتدر بالله

جعفر بن محمد ، أبو الفضل المقتدر بالله أمير المؤمنين ابن المعتضد ابن العباس ابن أبي أحمد طلحة بن المتوكل ؛ بويع بعد أخيه المكتفي بالله سنة خمس وتسعين ومائتين ، وعمره ثلاث عشرة سنة ، ولم يل^٢ أمر الأمة قبله أصغر منه ، ولهذا انخرم النظام في أيامه ، وجرت تلك العظام ، وخلع في أول خلافته ، وبويع عبد الله بن المعتز ، فلم يتم الأمر ، وقتل ابن المعتز وأعيد المقتدر إلى الخلافة ، ثم خلع في سنة سبع عشرة^٣ ، وكتب خطه لهم بالخلع نفسه ، وبايعوا أخاه القاهر بالله محمداً ، ثم أعيد بعد ثلاثة أيام وجددت له البيعة . وكان ربعة جميل الوجه أبيض مشرباً بحمرة ، قد عاجله الشيب بعارضيه ، وكان له يوم قتل ثمان وثلاثون سنة .

قال المحسن التنوخي : كان جيد العقل صحيح الذهن ، ولكنه كان مؤثراً للشهوات ؛ لقد سمعت أبا الحسن علي بن عيسى يقول : ما هو إلا أن يترك هذا

٩٨ - انظر تاريخ الطبري والكمال لابن الأثير ومروج الذهب للمسعودي وتاريخ اليعقوبي والوافي ، المنتظم ٦ : ٢٤٣ والروحي ٦٠ : والفخري ٢٣٣ وتاريخ الخلفاء ٤٠٨ والنجوم الزاهرة ٣ : ٢٣٣ وتاريخ الخميس ٢ : ٣٤٥ وتاريخ بغداد ٧ : ٢١٣ ؛ ولم ترد الترجمة في المطبوعة .

١ ص : ثلاثة .

٢ ص : يلي .

٣ ص : سبعة عشر .

الرجل - يعني المقتدر - خمسة أيام ، وكان ربما يكون في أصالة الرأي كالمأمون والمعتضد .

رماه بربري بحربة فقتله في شوال سنة عشرين وثلثمائة ، وكانت قتلته في الموكب ، رماه البربري غلام بليق ، وولي الخلافة من أولاده ثلاثة : الراضي والمقتفي والمطيع ؛ وكذلك المتوكل ا قتل وولي من أولاده ثلاثة : المستنصر والمعتز والمعتمد ؛ والرشيد ولي من أولاده ثلاثة : الأمين والمأمون والمعتمد ؛ وأما عبد الملك بن مروان فولي من أولاده أربعة : الوليد ويزيد وهشام وسليمان ؛ والملك العادل ولي من أولاده أربعة : الكامل والأشرف والمعظم والصالح إسماعيل . قلت : والملك الناصر بن قلاوون ولي من أولاده : المنصور أبو بكر والأشرف كجك والناصر أحمد والصالح إسماعيل والكامل شعبان والمظفر حاجي والناصر حسن .

٩٩

جعفر العلوي

جعفر بن أحمد العلوي ، الأديب المصري ؛ قال شهاب الدين القوصي في معجمه أنشدني الشريف جعفر المذكور لنفسه في مهندس مليح الصورة :

وذي هيئة يُزهي بحسن وصنعة أموتُ به في كل يوم وأبعث
محيط بأشكال الملاحه وجهه كأنّ به إقليدساً يتحدث
فعارضه خطّ استواء وخاله به نقطة والصدغُ شكل مثلث

١ ص : للمتوكل .

٩٩ - الوافي والزرركشي : ٨٢ ؛ وقد سقط من المطبوعة أجزاء كثيرة من هذه الترجمة .

وأعاد هذه الأبيات النفيس القطرسي^١ . قال القوسي : وأنشدني لنفسه في
مليح مغني بيده طار :

غَنَى بطارٍ طارِ قلبي له بأتملِّ كالأنجمِ الخمسِ
كأنه والطار في كفه بدر الدجى يلعبُ بالشمسِ

قال وأنشدني لنفسه :

وَأفَيْتُ نَحْوَكُمْ لَأرْفَعُ مَبْتَسِدا شعري وأنصب خفضَ عيشٍ أخضرا
حاشاكمُ أن تقطعوا صلّةَ الذي أو تصرفوا من غير شيءٍ جعفرًا

قال : وأنشدني لنفسه في طفّاءة القناديل :

طفّاءةٌ تنفثُ في وسط القناديلِ الهبا ولأنّها نعامةٌ تلتقطُ منها لَهَبًا

توفي بعد الستمائة ، رحمه الله تعالى .

١٠٠

أبو الفضل الدمشقي

جعفر بن عبيد الله أبو الفضل الأنصاري الدمشقي ؛ كتب عنه ببغداد أبو
البركات هبة الله بن المبارك السقطي وأبو الوفا أحمد بن الحسين ، وتوفي سنة تسع

١ ص : القرطبي ، وانظر فيما يلي ترجمة جلدك التقوي رقم ١٠٨ حيث عرفت بالنفيس القطرسي ،
وهذه الأبيات قد أوردها ابن خلكان نقلا عن السلفي لجلدك التقوي كما وردت في عقود الجمان
لابن الشعار ١ : ١٥٢ منسوبة للنفيس القطرسي ، وأوردها ابن العديم في بنية الطلب ٩ : ٢٣٧
ونسبها لابن الملم ولد الوزير عز الدين الملم وزير الملك الأفضل علي .

١٠٠ - الوافي والزركشي : ٨٥ ؛ ولم ترد هذه الترجمة في المطبوعة .

وتسعين وأربعمائة ، ومولده سنة أربع وعشرين وأربعمائة .
من شعره :

شربتُ على زهر البنفسجِ قهوةً بجنح الدياجي وهي في الكاسِ مقباسُ
توهمتها في الكاسِ وهماً^١ فخلتها لرقتها نوراً^٢ يلوحُ به الكاس
وقبَلتها أحسو لذيذ شرايها فقلتُ فمي المشكاةُ والراحُ نبراسُ
ومنه :

لله يومٌ سرورٍ قد نعمتُ به فيه على الراح والريحانِ معتكفُ
والكاسُ كالبدر في ليل الكسوفِ إذن قد انجلي بعضه^٣ والبعضُ منكشفُ

١٠١

قمر الدولة ابن دواس

جعفر بن علي بن دواس ، أبو طاهر الكتامي المعروف بقمر الدولة ، من أهل مصر ؛ نشأ بطرابلس الشام ، وكان شاعراً رشيق الألفاظ عذب الإيراد لطيف المعاني ، وله في الغنا وضرب العود طريقة حسنة بديعة . قدم بغداد وأقام بها مدة في خدمة قسيم الدولة البرسقي ، وكان نديماً له ، وتوفي بعد الخمسمائة .
من شعره :

إن صار مولاي ذا يسار فإنتي ذلك المُغِـلُّ

١ ص والزركشي : وهي .

٢ ص والزركشي : نور .

١٠١ - الحريدة (قسم مصر) ٢ : ٢١٨ وذكر المحقق أنه له ترجمة في الوافي للصفدي (وكذلك هو في التجريد) .

كالشمس إن زيدت ارتفاعاً
يقصرُ فيءُ لها وظلُّ

وقال :

لما رأيتُ المشيبَ في الشَّعرِ الأَس
هذا وحقَّ الإلهُ أحسبهُ
ودِ قد لاحَ صِحتُ واحزني
أولَ خيطِ سدي من الكفنِ

وقال :

أنسا مِمَّنْ إذا أتى
تجسافي جنوبهم
صاحبُ البيتِ للكِرا
كلَّ وقتٍ عن الكرى

وقال :

لا يظنُّ العدوُّ أنَّ انحائي
ضاع مني أعزَّ ما كان مني
كبراً عند ما عسدمتُ شبابي
فأنا ناظرٌ له في الترابِ
أرشقُ من هذا قولُ القائل :

وعهدي بالصبا زمناً وقدي
فقد أصبحت منحنياً كأني
حكى أليفَ ابنِ مقله في الكتابِ
أفتش في الترابِ على شبابي
ومن شعر قمر الدولة :

تعجبتُ دُرُّ من شبي فقلت لها
وزادها عجباً أن رحتُ في سمل
لا تعجبي فطلوعُ البدرِ في السدفِ
وما درت دُرُّ أن الدر في الصدفِ
وله :

قلت لمن نادمني لَيْلَةَ
فامتثل المرسوم من وقته
عند التداي نَحَّ قمصانك
فقلت عند الصبح قم صانك

١ ص : ناظراً .

[جعفر بن قدامة]

جعفر بن قدامة بن زياد الكاتب ؛ ذكره الخطيب فقال : هو أحد مشايخ الكتاب وعلماهم ، وكان وافر الأدب حسن المعرفة ، وله مصنفات في الكتابة وغيرها ؛ حدثت على أبي العيناء وحماد بن إسحاق الموصلي والمبرد وغيرهم ، وروى عنه أبو الفرج الأصفهاني .

قال ياقوت^١ : قرأت في كتاب « المحاضرات » لأبي حيان قال : قلت للعروضي : أراك منخرطاً في سلك ابن^٢ قدامة ومنصباً إليه ومتوفراً عليه ، وكيف يتفق بينكما وتألفان ولا تختلفان ؟ فقال : اعلم أن الزمان وقت الاعتدال ، والرجل كما تعرفه في غاية البرد والغثاء ، وأنا كما تعرفني وتبني^٣ ، فاعتدلنا إلى أن يغير الزمان ، ثم نفرق ونختلف ولا نتفق ، ثم أنشأ يقول :

صاحب أصبح من برده	كالماء في كانون أو [في] شباط
ندمانه من ضيق أخلاقه	كأنهم في مثل سم الخياط
نادمته يوماً فألفيته	متصل الصمت قليل النشاط
حتى لقد أوهني أنه	بعض التماثيل التي في البساط

ومن شعره :

تسمع - مت قلبك - بعض قولي ولا تتسلن^٤ مني لو اذنا

١٠٢ - الوافي والزرکشي : ٨٥ و تاريخ بغداد ٥ : ٢٥٠ و معجم الأدباء ٧ : ١٧٧ ؛ ولم ترد

هذه الترجمة في المطبوعة .

١ معجم الأدباء ٧ : ١٨١ .

٢ ص : أبو .

٣ ياقوت : وتبني . ٤ ص : تسألا .

نعم^١ أسقمت بالهجرانِ جسمي ومثُ بغصتي ، فيكون ماذا ؟
وكانت وفاة ابن قدامة في سنة ثمان وثلثمائة^٢ ، رحمه الله تعالى .

١٠٣

[المتوكل العباسي]

جعفر بن محمد ، المتوكل علي الله بن المعتصم بن الرشيد ؛ بويح له بالخلافة بعد موت أخيه هارون الواثق ، وذلك في ذي الحجة سنة اثنتين وثلثين ومائتين ، وقتل سنة سبع وأربعين ومائتين .

وكان أسمر مليح العينين نحيف الجسم خفيف العارضين إلى القصر أقرب ، وأمه أم ولد اسمها شجاع ، ولما استخلف أظهر السنة وتكلم بها في مجلسه وكتب إلى الأفاق برفع المحنة وإظهار السنة وبسط أهلها ونصرهم .

وقال إبراهيم بن محمد التيمي قاضي البصرة : الخلفاء ثلاثة : أبو بكر الصديق رضي الله عنه قاتل أهل الردة حتى استجابوا ، وعمر بن عبد العزيز ردّ مظالم بني أمية ، والمتوكل محابدة البدع وأظهر السنة .

وقال محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب : إني جعلت دعائي في المشاهد

١ ياقوت : إذا .

٢ عند ياقوت أن وفاته كانت سنة ٣١٩ .

١٠٣ - تراجع ترجمته في كتب التاريخ العامة ؛ وانظر تاريخ الخلفاء : ٣٧٣ والروحي : ٥٣ والفخري : ٢١٥ وتاريخ الخميس ٢ : ٣٣٧ وتاريخ بغداد ٧ : ١٦٥ وابن خلكان ١ : ٣٥٠ ، وهي من مزيدات الطبعة البيروتية ، وقد وردت أيضاً في طبعة وستفيلد ، وربما لم تكن من شرط المؤلف ، ابن خلكان .

كلها للمتوكل ، وذلك أن عمر بن العزيز جاء الله به لرد المظالم ، وجاء للمتوكل لرد الدين .

وقال يزيد المهلبي ، قال المتوكل يوماً : يا مهلبي ، إن الخلفاء كانت تغضب على الرعية لتطيعها ، وأنا ألين لهم ليجبوني ويطيعوني .

يقال إنه سلم عليه بالخلافة ثمانية كل منهم ابن خليفة : منصور بن المهدي ، والعباس بن الهادي ، وأبو أحمد بن الرشيد ، وعبد الله بن الأمين ، وموسى ابن المأمون ، وأحمد بن المعتصم ، ومحمد بن الواثق ، وابنه المستنصر بن المتوكل . وكان جواداً ممدحاً ، يقال ما أعطى خليفة ما أعطى المتوكل . وباع بولاية العهد لولده المستنصر ، ثم أراد عزله وتولية أخيه المعتز لمحبه لأمه ، وكان يتهدده ويشتمه ويحط منزلته لأنه سأله النزول فأبى ، واتفق أن الترك انحرفوا عن المتوكل لأنه صادر وصيفاً وبُغوا فانفقوا مع المستنصر على قتل أبيه ، فدخلوا عليه في مجلس لهوه وقتلوه .

راه بعضهم في النوم فقال له : ما فعل الله بك ؟ قال : غفرت لي بقليل من السنة أحيتها ، ورؤي أيضاً كأنه بين يدي الله تعالى ، فقيل له : ما تصنع هاهنا ؟ قال : أنتظر محمداً ابني أخاصمه إلى الله الحكيم الكريم العليم . وقيل كان له أربعة آلاف سرية وطىء الجميع .

ودخل دمشق ، وعزم على المقام بها لأنها أعجبتة ، ونقل دواوين الملك إليها وأمر بالبناء بها ، فغلت عليه الأسعار وحال الثلج بين السابلة والميرة ، فأقام بها شهرين وأياماً^٢ ثم رحل إلى سامراً ، وكان قد بُني بأرض دارياً قصر عظيم ، ووقعت من قلبه بالموافقة .

وكان المتوكل قد أمر في سنة ست وثلاثين ومائتين بهدم قبر الحسين رضي الله عنه ، وهدم ما حوله من الدور ، وأن يعمل مزارع ويجرح ، ومنع الناس من

١ ص : برد .

٢ ص : وأيام .

زيارته ، وبقي صحراء ، وكان معروفاً بالنصب ، فتألم المسلمون^١ لذلك ، وكتب أهل بغداد شتمه على الحيطان ، وهجاه الشعراء^٢ دعبل وغيره ، وفي ذلك يقول يعقوب بن السكيت ، وقيل هي للبسامي :

تالله إن كانت أميةٌ قد أتت قتلَ ابن بنت نبيها مظلوما
فلقد أتاهُ بنو أبيه بمثله هـذا لعمر ك قبره مهدوما
أسفوا على أن لا يكونوا شاركوا في قتله فتبعوه رميما

١٠٤

ابن حنزابة

جعفر ابن الفضل بن جعفر بن محمد بن موسى بن الحسن ابن الفرات ، الوزير المحدث أبو الفضل بن حنزابة - بكسر الحاء المهملة وسكون النون وبعدها زاي وبعء الألف باء ، وهي المرأة القصيرة الغليظة - البغدادي نزيل مصر .
وزرَّ أبوه للمقتدر في السنة التي قتل فيها المقتدر ، وتقلد [أبو] الفضل وزارة كافور الإخشيدي بمصر ، قال الخطيب : كان يذكر أنه سمع من أبي القاسم البغوي ، وكان يملي الحديث بمصر ، وبسببه خرج الدارقطي إلى هناك ، وكان ابن حنزابة يريد يصنف مسنداً ، فأقام عنده مدة وحصل بسببه [له] مال كثير ، وروى عنه الدارقطي أحاديث . وولد ابن حنزابة سنة ثمان وثلاثمائة ، وتوفي

١ ص : المسلمین .

٢ ص : الشعراء .

١٠٤ - الوافي والزرکشي : ٨٥ وممعج الأدياء ٧ : ١٦٣ وتاريخ بغداد ٥ : ٢٧٥ والنجوم الزاهرة ٤ : ٢٠٣ وحسن المحاضرة ١ : ٣٥٢ والمغرب (قسم مصر) : ٢٥١ وابن خلكان ١ : ٣٤٦ وعلى هذا فهو ليس من المستدرک على الوفيات .

سنة إحدى وتسعين وثلثمائة .

ومن شعره رحمه الله تعالى :

مَنْ أَحْمَلَ النَّفْسَ أَحْيَاهَا وَرَوَّحَهَا ولم يبت طاوياً منها على ضجرٍ
إن الرياح إذا اشتدت عواصفها فليس تقصفُ إلاّ عاليَ الشجرِ

قال السِّلْفِي : كان ابن حنزابة من الثقات مع جلاله ورياسة .

ولما مات كافور وزر لأبي الفوارس أحمد بن الإخشيد ، فقبض على جماعة من أرباب الدولة ، وصادر يعقوب بن كِلِّس ، فهرب إلى الغرب ووزر لبني عبيد ، وكان قد أخذ منه أربعة آلاف دينار ، ثم إن ابن حنزابة لم يقدر على رضى الإخشيد ، فاختمى مرتين ونهبت داره ، ثم قدم أمير الرهالة الحسن بن عبيد الله ابن طغج وغلب على الأمور ، فصادر الوزير ابن حنزابة وعذبه ، فنزح إلى الشام ، سنة ثمان وخمسين ثم إنه بعد ذلك رجع إلى مصر . وممن روى عنه الحافظ عبد الغني ابن سعيد . وكان الوزير في أيامه ينفق على أهل الحرمين من الأشراف وغيرهم ، واشترى داراً إلى جانب المسجد من أقرب الدور إلى القبر [الشريف] ^٢ ليس بينها وبينه إلاّ حائط ، وأوصى أن يدفن [فيها] ، وقرر عند الأشراف ذلك ، فأجابوه ، فلما مات حمل تابوته من مصر إلى الحرمين ، وخرج الأشراف من مكة وحملوه وسعوا به وطاقوا ووقفوا به بعرفة ، ثم ردّوه ^٣ إلى المدينة ، ودفنوه في الدار التي اشتراها ، وحضر جنازته القاضي الحسين ابن علي بن النعمان وقائد القواد وسائر الأكابر .

وقال المسيحي : لما غسل جعل في فيه ثلاث شعرات من شعر النبي صلى الله عليه وسلم كان ابتاعها بمال عظيم ، وكانت عنده في درج مختوم الأطراف

١ ص : أبي .

٢ لم ترد في ص .

٣ ص : رده .

بالمسك ، وأوصى أن تجعل في فيه إذا مات ، ففعل ذلك .

وقال الشريف محمد بن أسعد بن الجوّاني المعروف بالنحوي^١ : كان الوزير يهوى النظر إلى الحشرات من الأفاعي والحيات والعقارب وأم أربعة وأربعين وما يجري هذا المجرى ، وكان في داره التي تقابل دار الشكالي^٢ قاعة لطيفة موجهة^٣ فيها تلك الحيات ، ولها قيّم وفراش وحاوي مستخدمون برسم نقل سلال الحيات وحطها ، وكان كل حاوي في مصر يصيد ما يقدر عليه من الحيات ، ويتناهون في ذوات العجب من أجناسها ، وفي الكبار وفي الغريب منها ، وكان يشبههم على ذلك أجلّ ثواب وينذل لهم الجزيل حتى يجتهدوا في تحصيلها ، وكان له وقت يجلس فيه على دكة مرتفعة ، ويدخل المستخدمون والحواة فيخرجون ما في تلك السلال ، ويطرحونه على ذلك الرخام ، ويجرّشون بين الهوام ، وهو يتعجب من ذلك ويستحسنه . فلما كان ذات يوم أنفذ خلف ابن المدبر الكاتب ، وكان من كتاب أيامه ودولته ، وهو عزيز عنده ويسكن جواره ، فأنفذ يقول له في رقعة : « إنه لما كان البارحة وعرض علينا الحواة الحشرات الجارية بها العادات ، انساب منها الحية البتراء وذات القرنين الكبرى والعقربان الكبير وأبو صوفة وما حصلوا لنا بعد عناء طويل ومشقة وجملة بذلناها للحواة ، ونحن نأمر الشيخ وفقه الله تعالى بالتوقيع إلى حاشيته بصون ما وجد منها إلى أن ينفذ الحواة بردها إلى سلالها » . فلما وقف ابن المدبر عليها قلب الرقعة وكتب : « أتاني أمر سيدنا الوزير — أدام الله تعالى نعمته وحرس مدته — بما أشار إليه من أمر الحشرات ، والذي أعتد عليه في ذلك أن الطلاق يلزمه ثلاثاً^٤ إن بات هو أو أحد من أولاده في الدار ، والسلام » .

١ ياقوت : بابن النحوي .

٢ ياقوت : الشنتكاني ، وفي المطبوعة السكاكي .

٣ ياقوت : مرخمة .

٤ ص : ثلاثة .

[ابن ورقاء الشيباني]

جعفر بن محمد بن ورقاء بن محمد بن ورقاء الشيباني ؛ كان من بيت إمرة
وتقدم وأدب ، ولد بسامرا سنة اثنتين وتسعين ومائتين ، وتوفي في شهر رمضان
سنة اثنتين وخمسين وثلثمائة ؛ وكان المقتدر يجريه مجرى بني حمدان ، وتقلد
عدة ولايات ، وكان شاعراً كاتباً جيد البديهة والروية - كان يأخذ القلم ويكتب
ما أراد من نثر ونظم كأنه عن حفظه ، وكان بينه وبين سيف الدولة مكاتبات
بالشعر والنثر مشهورة ؛ ومن شعره :

ولمّا عبث بأوتارهن قبيل التبلُّج أيقظني
جسِّنَ البُومِ وأتبعنها بنقر المثاني فهيجني
عملدن لإصلاح أوتارهن فأصلحنهنّ وأفسدنّني

وله :

هَزَزْتُكَ لَا أَنِي عِلْمَتِكَ نَاسِيَا
وَلَكِنْ رَأَيْتُ السَّيْفَ مِنْ بَعْدِ سَلْتِهِ
لِحَقِّي وَلَا أَنِي أَرَدْتُ التَّقَاضِيَا
إِلَى الْهَزِّ مَحْتَاجًا وَإِنْ كَانَ مَاضِيَا

ومنه :

قالوا تعرّزّ لقد أسرفت في جزع
فقلت إن غرامي والفقيه معاً
فالموت كأس عميم مرّ مشربه
قالوا فعينك أجممها فقد رمدت
باننا فما أنا مشغول بمطلبه
من فيض دمع مليث القطر مسكبه

فقلت ما لي فيها بعده أرب هل يحفظ المرء شيئاً ليس من أربه
ما كنت أذخرها إلا لرؤيته وللبكاء عليه إن فجعته به

١٠٦

جعفر ابن عبد العزيز

جعفر بن محمد بن عبد العزيز بن أبي القاسم بن عمر بن سليمان بن إدريس
ابن يحيى ، وأوصل الشيخ أثير الدين نسبه إلى الحسين ابن عليّ ابن أبي طالب
رضي الله عنهما ، وأنشد للمذكور :

لا تُلْمنا إن رقصنا طربسا لنسيم هبّ من ذاك الخبا
طبّق الأرضَ بنشرِ عاطرٍ فيه للعشاق سرٌّ ونبا
يا أهيلَ الحيّ من كاظمة قد لقينا من هواكم نصبا
قلتمُ جزُ ليرانا بالحمى وملاّتمُ حيّكم بالرقبا
ليس أخشى الموت في حبكمُ ليس قتلي في هواكم عجبا
إنما أخشى على عرضكمُ أن يقول الناس قولاً كذبا :
استحلّوا دمه في حبّهم فاجعلوا وصلي لقتلي سيبا

توفي بعد الثمانين وستمائة تقريباً ، رحمه الله تعالى .

١ في القافية اختلاف عن قوافي سائر الأبيات .

١٠٦ - الزركشي : ٨٦ .

جعيفران الموسوس

جعيفران الموسوس ابن علي بن أصفر بن السري بن عبد الرحمن الأنباري من ساكني سامرا ، ومولده ببغداد ، وكان أبوه من أبناء جند خراسان ، وظهر لأبيه^١ أنه يختلف إلى بعض سراريه فطرده ، وحج تلك السنة ، وشكا ولده إلى موسى بن جعفر الكاظم ، فقال له موسى : إن كنت صادقاً^٢ عليه^٣ فليس يموت حتى يفقد عقله ، وإن كنت قد تحققت ذلك عليه فلا تسأكنه في منزلك ، ولا تطعمه شيئاً من مالك في حياتك ، وأخرجه عن ميراثك ، وسأل الفقهاء عن حيلة تخرجه عن ميراثه ، فدلوه على الطريق في ذلك ، فأشهد عليه أبا يوسف القاضي . فلما مات أبوه أحضر القاضي الوصي وسأل جعيفران عن نسبه وتركته أبيه وأقام بيته عدولاً فأحضر الوصي بيته عدولاً تشهد على أبيه بما كان احتال على منعه ميراثه ، فلم ير^٤ أبو يوسف ذلك ، وعزم على أن يورثه ، فقال الوصي : أنا أدفع هذا عن الميراث بحجة واحدة ، فأبى أبو يوسف أن يسمع منه ، وجعيفران يقول : قد ثبت عندك أمري فلا تدفعني ، فاستمهل الوصي إلى غد ، وكتب في رقعة خبره وما قاله موسى ابن جعفر ، ودفعتها لمن دفعها إلى القاضي ، فلما قرأها دعا الوصي فاستحلفه على ذلك ، فحلف باليمين الغموس ، فقال : تعال غدأ

١٠٧ - الوافي وطبقات ابن المعتز : ٣٨٢ والأغاني ٢٠ : ١٤٦ وتاريخ بغداد ٧ : ١٦٣ .

١ ص : لأبوه .

٢ ص : صادق .

٣ ص : عطيه (دون إعجام للياء) .

٤ ص : يرى .

مع صاحبك فحضرا إليه ، فحكّم أبو يوسف للوصي ، فلما أمضى الحكم وسوس جعيفران واختلط ، وكان إذا تاب إليه عقله قال الشعر الجيد .

وعن عبد الله بن سليمان الكاتب عن أبيه قال : كنت ليلة أشرف من سطح داري على دار جعيفران ، وهو فيها وحده ، وقد تحركت عليه السوداء ، وهو يدور في الدار طول ليله ويقول :

طاف به طيفٌ من الوسواس نفرّ عنه لذّة النعاسِ
فما يرى يأنس بالأناس ولا يلدّ عِشرةَ الجلّاسِ
فهو غريبٌ بين هذي الناسِ

ولم يزل يرددّها حتى أصبح ، ثم سقط كأنه بقلة ذابلة .
وعنه قال : غاب عنا أياماً وجاءنا عريان ، والصبيان خلفه ، وهم يصيحون به : يا جعيفران يا خرا في الدار ، فلما بلغ إليّ وقف عندي ، وتفرقوا عنه ، فقال يا أبا عبد الله :

رأيتُ الناسَ يدعوني بمجنونٍ على حالِ
ولكنّ قولهمُ هذا لإفلاسي وإقلالي
ولو كنتُ أخا وفسرٍ رخي ناعم البالِ
رأوني حسنَ العقلِ أحلّ المنزل الغسالي
وما ذاك على خُبْرٍ ولكن هيسة المالِ

قال : فأدخلته منزلي فأكل ، وسقيته أقداحاً ، ثم قلت له : تقدر على أن تغير تلك القافية ؟ قال : نعم ، ثم قال بديهة :

رأيتُ الناسَ يرموز يَ أحياناً بوسواسِ
ومن يضبطُ يا صاح مقالَ الناسِ في الناسِ ؟

١ ص : لإقلالي وإفلاسي .

فَدَعُ ما قاله الناسُ ونازعُ صفوةَ الكاسِ
 ففى حراً صحیح الودِ ذا برٍّ وإيناسِ
 وإنّ الخلقَ مغرورٌ بأمشالي وأجناسي
 ولو كنتُ أحسا مالٍ أتوني بين جلاسي
 يخيّبوني ويحبسون على العينين والراس
 ويسدعوني عزيزاً غيّر أنّ الدلّ إفلاسي

ثم قام^٢ ليول ، فقال بعضُ من حضر : أي معنى في عشرتنا لهذا المجنون
 العريان ؟ والله ما نأمنه وهو صاح ، فكيف وهو سكران ؟ وفطن جعيفران لقوله
 فخرج وهو يقول :

وندامي أكلوني إذ تغيّبتُ قليلا
 زعموا أتّي مجنونا ن أرى العريّ جميلا
 كيف لا أعري ومسا أبصرُ في الناس منيلا
 إن يكن قد ساءكم قربي فخلوا لي السبيلا
 وأتموا يومكم سرّاً كُفُّ الله طويلا

قال : فرققنا به واعتذرنا إليه ، وقلنا له : والله ما نلتذ إلاّ بقربك ، وأتيناه
 بثوب لبّسه ، وأتممنا يومنا ذلك معه .

١ ص : حر

٢ ص : قال ؛ وهو سهو .

جلدك والي دمياط

جلدك بن عبد الله المظفري التقوي شجاع الدين والي دمياط ؛ قال شهاب الدين القوصي في معجمه : أنشدني شجاع الدين جلدك لنفسه :

خذوا حذرکم من ساحر الطرفِ أغيدِ فکم قتلَ العشاقَ عمداً ولا يدي
ولا تردوا ماءً بمسدينِ حُبِّهِ فليس بها ما ينفعُ الهائم الصَّدي
ولما نزلنا واديَ الودِّ لم أزل أبلى ثراهُ لاثماً بتودِّد
ونادى كليمُ الشوقِ مولاه ربه وخرَّ فؤادي صاعقاً لم أفقِ لسا
سألتكما يا أهلَ نجدٍ وحاسجٍ على جمراتِ الوجدِ من هو منجدي
وكم ليلةً أفنيتُ بالرشفِ ثغره وجرتُ على ذاكِ الشيتِ المنضد
وبات كما شاء اختياري على المنى وبت وإيساهُ كحرفٍ مُشدِّد

وسمع جلدك كثيراً من الحديث النبوي على الحافظ السلفي وروى عنه وعن مولاه تقي الدين عمر بن شاهنشاه .

ولي نيابة الإسكندرية ودمياط ، وشدَّ مصر ، وذكر أنه نسخ بيده أربعاً وعشرين ختمة ، وكان سمحاً جواداً ، محباً للعلماء مكرماً لهم يساعدهم بماله وجاهه ، وله غزوات مشهورة ومواقف مذكورة ، ومدح بالشعر ، وبني بحماسة

١٠٨ - الوافي والزرکشي : ٨٦ والشذرات ٥ : ١٢٧ والجزء الأول من السلوك للمقرزي ، وانظر ابن خلكان ١ : ١٦٧ (في ترجمة النفيس القطرسي) .

مدرسة . قال النفيس أحمد القطرسي^١ يمدحه بقصيدة منها :

أحرقْتَ يا ثغر الحبيب حَساي لما ذقتُ بِردكُ
أتظنُّ غصنَ البانِ يعجبي وقد عاينتُ قدكُ
أو خِلتُ آسَ عذاركِ المخضِرَّ يحمي منكُ وردكُ
يا قلبَ مَنْ لانتُ معاطفه علينا ما أشدَّكُ
أتظنني جلد القوى أو أن لي عزمات جلدكُ

وتوفي في شعبان سنة ثمان وعشرين وستمائة ، رحمه الله تعالى .

١٠٩

[جنكزخان]

جنكزخان طاغية التتار وملكهم الأول الذي حرب البلاد ، وقتل العباد ، ولم يكن للتتار قبله ذكر ، إنما كانوا ببادية الصين ، فملكوه عليهم ، وأطاعوه طاعة أصحاب نبي لنبيهم ، وكان مبدأ ملكه سنة تسع وتسعين وخمسمائة ، واستولى على بخارى وسمرقند سنة ست عشرة^٢ ، واستولى على مدن خراسان سنة ثمان عشرة^٣ ، ولما رجع من حرب السلطان جلال الدين خوارزم شاه على نهر السند

١ ص : القرطبي ؛ وهو أبو العباس أحمد بن عبد الغني القطرسي المعروف بالنفيس (انظر ابن خلكان ١ : ١٦٤ و عقود الجمال ١ : ١٤٩ و بنية الطلب ١ : ٢٣٤ و الوافي ٧ : ٧٢) وقد ضبط ابن خلكان القطرسي ، وقال إنها نسبة إلى جده قطرس .

١٠٩ - الوافي والنجوم الزاهرة ٦ : ٢٦٨ والخطط ٢ : ٢٢١ والبداية والنهاية ١٣ : ١١٧ ولعله الدين الجويني كتاب في سيرته .

٢ ص : ست عشر .

٣ ص : عشر .

وصل إلى مدينة تنكث من بلاد الحِطَا . فمرض بها ومات في رابع شهر رمضان سنة أربع وعشرين وستمائة ، فكانت أيام مملكته خمساً وعشرين سنة ، وكان اسمه قبل أن يلي الملك تمرحين ، ومات على دينهم وكفرهم ، وخلف من الأولاد ستة . وفوض الأمر إلى أركتاي أحدهم بعدما استشار الخمسة الباقين ، فلما هلك امتنع أركتاي من الملك وقال : في إخوتي وأعمامي مَنْ هو أكبر مني ، فلم يزالوا به بعد أربعين يوماً^١ حتى تملك عليهم ، ولقبوه القان الأعظم ، ومعناه الخليفة فيما قيل ، وبعث جنوده وفتح الفتوحات وطالت أيامه ، وولي بعده موتكوكا وهو القان الذي هولاكو من بعض مقدميه ، وولي بعده أخوه قبلاي ، وطالت أيام قبلاي ، وبقي في الأمر إلى سنة أربع وسبعمائة ، ومات بمدينة خان بالق . يقال إنه لما كان السلطان خوارزم شاه يغزو هؤلاء التتار ويقتلهم ويسبي ذراريهم وأولادهم ويمنعهم من الخروج عن حدود بلادهم اجتمعوا التتار وشكوا ما يلاقوا من خوارزم شاه وما هم فيه من الضيق والبلاء ، فقال لهم جنكزخان : إن ملكتموني عليكم والتزمت لي بالطاعة واتباع اليسق^٢ الذي أضع لكم شرعه رددت خوارزم شاه عنكم ، فالتزموا له بذلك .

وكان مما وضعه لهم أنه قال : كل من أحب امرأة ، بنتاً كانت أو غيرها ، لا يمنع من التزوج بها ولو كان زبالاً والامراة بنت ملك ، وكان غرضه أن يتناكحوا بشهوة شديدة ، ويتضاعف نسلهم ويكثر عددهم ، فلما تقرر ذلك دخلوا على خوارزم شاه ، وعقدوا مهادنته عشرين سنة ، فما جاءت العشرون سنة إلا وهم أمم لا يُحصون ولا يحصرون .

وكان من جملة ما قرره أنه إذا حرّم القان على أحد شيئاً فلا يحل له أن يأتيه

١ ص : يوم .

٢ ص : النسق ؛ وقال ابن تفردي (النجوم ٦ : ٢٦٨) هو صاحب « التورا » و « اليسق » والتورا : باللغة التركية هو المذهب ، واليسق : الترتيب ، وأصل كلمة اليسق : « سي يسا » ومعناه الترتيب الثلاث .

إلى الممات ، وقرر لهم : من رُعِف وهو يأكل قُتْل كائناً من كان ، وقرر لهم أن كل من لم يمضِ حكم اليسق ولم يعمل به قتل أيضاً ، وأراد أن يذهب الكبار الذين فيهم لعلمه أنه يداخلهم الحسدُ له ويستصغرونه ، فتركهم يوماً وهم على سِماطه ورعِف نفسه ، فلم يجسر أحد أن يمضي فيه حكمه لمهابته وجبروته ، فتركوه ولم يظالبوه بما قرره وهابوه في ذلك ، فتركهم أياماً وجمعهم وقال : لأي شيء ما أمضيتُ حكم اليسق فيّ وقد رعفت وأنا آكل بينكم ؟ فقالوا : لم نجسر على ذلك ، فقال : لم تعملوا باليسق ولا أمضيتُ أمره ، وقد وجب قتلكم ، فقتل أكابره واستراح منهم .

والترك يزعمون أنه ولد الشمس ، لأن في صحاريهم أماكن فيها غاب ، [وذلك] الغاب لا يقربه أحد من الذكران ، وأن أمة أعتقت فرجها وراحت إلى ذلك الغاب وغابت فيه مدة وأنتهم وقالت : هذا من الشمس ؛ لأن الشمس دخلت في فرجي في بعض الأيام وأنا أغتسل ، فحملتُ بهذا ، ويقال إنه كان حداداً ، والله أعلم .

١١٠

[جوبان القواس]

جوبان بن مسعود بن سعد الله ، أمين الدين الدينسري القواس التوزي ؛ كان من أذكى العالم ، وكان له النظم الجيد ، وقال شمس الدين الجزري : اسمه رمضان وجوبان ، ولم يكن يعرف الخط ولا النحو ، وكانت كتابته من جهة التوزيع في غاية القوة بحيث إنه استعار من القاضي عماد الدين ابن الشيرازي درجاً

١١٠ - الوافي والزركشي : ٨٦ .

١ التوزيع : تغطية القوس بلحاء شجر التوز ، وهو لحاء رقيق كورقة البردي يستعمل لتزيين القوس أو جعلها أشد ملامسة ، ويبدو من قول المؤلف هنا أن الكتابة على هذا النوع من اللحاء كانت ممكنة .

بخط ابن البواب ونقل ما فيه إلى درج بورق التوز ، وألزم التوز على خشب وأوقف عليه ابن الشيرازي فأعجبه ، وشهد له أن في بعض ذلك أشياء أقوى من خط ابن البواب ، واشتهر بذلك في دمشق ، وبقي الناس يقصدونه يتفرجون عليه ، وكان له ذهن خارق . وتوفي في حدود الثمانين وستمائة ، رحمه الله تعالى .
ومن شعره :

إذا افتَرَّ جُنْحُ الليلِ عن مبسمِ الفجرِ
وفاحت له من عابقِ الروضِ نكهةٌ
وعهدي بوجه الأرضِ مبتسماً فلم
إذا أَرَجَفَ المساءُ النسيمَ لوقته
وبحرِ الرياضِ الخضرِ بالزهرِ مزبداً
ومن شهبِ الكاساتِ بالنجمِ نهدي
نصونُ الحميّا في القناني وإنمسا
ولما حكى الراووقُ في العينِ شكله
تذكرُ عهداً بالكُرومِ فكلتهُ
عجبتُ له والراحُ تبكي به فلم
إذا ما أتاني كأسها غيرِ مُترَعٍ
يناولنيها مخطَفُ الحصرِ أغسداً
ينادمنا نظماً ونثراً ولفظسهُ
فلم يسقي كأسَ المدامةِ دونَ أن
وقال وفرطِ السكرِ يثني لسانه
ردوا من رضائي ما يعيض عن الطلا

ولاح به ثغراً من الأنجمِ الزهرِ
رشفنا به بردَ الرضابِ من الحمرِ
تغرغَرَ فيها الدمعُ من مقلِ الغُدرِ
كساه شعاعُ الشمسِ درعاً من التبرِ
كأنّا به في فُلكِ مجلسنا نسري
إذا تاه ساري العقلِ في لجةِ السكرِ
نصون القناني بالحميّا ولا نسدي
وقد علقَ العنقودُ في سالفِ الدهرِ
عيوناً على أيامِ عهدِ الصبا تجري
غدت بجبابِ الكاسِ باسمِ الثغرِ
تحققتُ عينِ الشمسِ في هالةِ البدرِ
فله ذاك الأغيذِ المخطفِ الحصرِ
ومبسمه يغني عن النظمِ والنثرِ
سقاني بعينه كؤوساً^٢ من السحرِ
إلى غير ما يرضى التثقي وهو لا يدري
إذا كان وجهي فيه يُغني عن الزهرِ

١ ص : عيوناً .

٢ ص : كؤوس .

ومن كان لا تحوي ذراعاهُ ميثرَي
فدون الذي تحوي أناملهُ خصري
وقال أيضاً :

أصغي إلى قول الوشاةِ بجملي
لتلقطي زهّرات ورد حديثكم
مستفهماً عنهُ بغير ملالِ
من بين شوكِ ملامةِ العذالِ
وقال على طريقة الصوفية والتهمك بهم :

مُتٌ في عشقي ومعشوقي أنا
غبتُ عنّي فمتي أجمعني
ففؤادي من فراقي في عنا
أنا من وجدِي مني في فنا
قلتُ والله ولا أدري أنا
أيها السامع تدري ما الذي
وقال أيضاً :

ألدُّ العشقِ ما قتّلا
إذا جار الحبيبُ على
وأشقى الناس من عدلا
محبّيه فقد عدلا
وأحذرُ أن يقالَ سلا
وأما أن أحولَ فلا
وبي قمرٌ يقامرني
فما لاحظتهُ إلاّ
على اللحظات إن غفّلا
تصرّجَ خدّه خجلا
وإن طالبتهُ بالعدو
ل في حكم الهوى عدلا

وقال في البان :

نفسَ غصن^١ البان أذنبه
وقال من في الروض مثلي وقد
واهتزّ عند الصبح عجباً وفاح
تُعزى إلى غصني قدود الملاح
وقال حقاً قلتهُ أو مزاح
فحدّق الزرجسُ بهزا^٢ به

١ ص : غصون .

٢ ص : يهزوا .

مقصوف عدواً بالدعاوى القباح
ما هذه إلاّ عيونٌ وقاح

بل أنت بالطول تحامقت يسا
قال له البان : أما تستحي

وقال أيضاً :

وأسمى وأضحى ساخطاً متعتبا
يرى أنها حقٌ^١ عليهم مرتبا
لوى وجهه غيظاً عليهم وقطباً
عييداً وفي كلّ القلوب محبباً
من الكون يجري ما أراد وما أبى

إذا كبرت نفسُ الفتى قلَّ عقله
وإن جاء يستقضي من الناس حاجةً
وإن طالبوه الناسُ يوماً بحقهم
يرى أن كلّ الناس قد خلّفوا له
فلا يرتضي إن لم يكن تحت أمره

وقال أيضاً :

شربَ المدامة تجلى في يد الساقى
بالميل ، والحمر شفاف عن الباقي

لاح الهلال ابن يوميه فذكرني
كأنه شفقٌ للكاسِ قد نقصتُ

وقال في شبابة :

تميلُ بعقلٍ ذي اللب العفيفِ
يخالفُ بين تقطيعِ الحروفِ
سوى من كان ذا طبع لطيفِ
وهيبة موكب ومدام صوفي

وناطقة بأفواه ثمان
لكلّ فمٍ لسانٌ مستعار
تحاطبنا بلفظٍ لا يعيه
فضيحة عاشقٍ ونديم راع

وقال في طاسة :

بلمٍ هسيّ الرشفِ غير ممنعِ
وإن ضربتُ أنتُ بغير توجعِ
وصاحبها في غبطة بالتمتعِ

ومعشوقةٍ تسقي المحبَّ رُضابها
إذا استودعت ردت بغير خيانةِ
مُبدلة^٢ لم تحمَ عن لثمٍ لاثمِ

١ ص : حقا .

٢ ص : مبدلة .

وتنقلُ ما تملأ وتحتفظُ ما تعي
فما خص منها موضع دون موضع

تجودُ بما تحوي فتُحيي بينها
تقبّلها الأفواهُ من كلِّ جانبٍ

وقال في منكورس :

أقطفُ بالملقاةِ وردَ خدّه
وعكس باقيهِ شبيه قدّه

ظبيٌ من الأتراك لا يتركني
نصف اسمه الأول منك لم يزد

وقال أيضاً :

واشرب وكلِّ وامطل ودافع
لي مالُ أرباب المَطامع

ارْبَحْ وخذْ بنسيئةٍ
فأحقّ مسا أكلَ المحام

وقال في حمام :

فغرني النقشُ والحصيرُ
كأتما تُنبشُ القبور
قد ييسّت منهم الصدور
وقد علا منهم الهريز
فيها كما ينقلُ الضير
وهج بل الكل زهير
بنحس أوصافها سير
قلنا ألم يأتكم نذير

جئتُ أريد الحمامَ يوماً
حتى إذا جزتُ نلت ربحاً
والناسُ عند الصدور فيها
يغرف هذا من جرن هذا
أنقلُ خوفَ الوقوعِ رجلي
جهنم لا يصاب فيها
قد عرفت فالحديث عنها
وكلمها جاءها زبونٌ

وقال أيضاً :

ولن يفيّ التواصل بالصدود
وجاروا باللواحق والتدود

حمانا الترك وانتهكوا حمانا
حمونا بالصوارم والعوالي

وقال أيضاً :

١ ص : ولا .

عذولٌ لا يميلٌ ولا يميلٌ ووجدٌ لا يقلُّ ولا يقيلُ
ومحبوبٌ يلدُّ له عذابي وإن لم أرضه فأنا الملول
فجسمي مثل موثقه ضعيف وليلي مثل مواعده طويل
يميلُ عليَّ كلَّ الميلِ ظلماً وبعض البعض ودي لا يميل
أراق دمي بناظره وألوى ألا يرضى وقد رضي القليل

وقال مواليا :

تغيب وتبطي أقول أسآ تبي وأقوم أحردهُ عليها وآمسيها مسا ميشوم
تبي ومعها الشوا والنقل والمشموم
أسكت، ومن هونٌ قال الناسُ : ذا مطعوم

وقال :

أفارقهُ وأقولُ اني قد انسلتُ ورحت قلبي وزال الهمُّ وانخلتُ
واذكرُ مساويهُ في حقي إذا وليتُ وإذا رجعتُ جا نسيت الكلَّ وانخلتُ

وقال ذوبيت :

جاءت سحراً تشق بحرَ الغلس كالطيف توارت في ظلال الخلس
ما أطيّب ما سمعتُ من منطقتها لا تسألُ ما لقيته من حرسى

وقال :

يمشي مرحاً بتيههِ والعُجبِ كالريم إذا خاف لحاق السربِ
ما يسرعُ في المشيةِ إلا حذراً أن ترسمَ عيني شخصه في قلبي

وقال :

زارت سحراً تراقب السمارا رعيساً وتراعي بالبيوت النارا
بالمهجة أفدي خاطراً عنَّ لها حتى ركبت من أجلي الأخطارا

وقال :

لا أستمع الحديث من غيركمُ
من لذة فكري واشتغالي بكمُ
ألوي نظري كأنني أفهمه
من قائله وخاطري عندكمُ

وقال :

في وجنته من مهج العشاقِ
ما قامَ دليلهُ على الإهراقِ
والسالف قد دبَّ على حمرتها
فالورد يُرى من خلل الأوراقِ

حرف الجاء

عرقلة الدمشقي

حسان بن نمير ، أبو الندى الكلبي ، الدمشقي ؛ النديم الخليع المطبوع ، المعروف بعرقلة ؛ كان من أهل دمشق ، وكان السلطان صلاح الدين قد وعده لما [كان] بدمشق في أول أمره ، وهو أمير من أمراء نور الدين ، أنه إن ملك مصر أعطاه ألف دينار ، فلما ملك مصر بعث إليه عرقلة يقول :

قلْ للصّلاح مُعيني عند إيساري يا ألفَ مولايَ أين الألفُ دينارِ
أخشى من الأسرِ إن وافيتْ أرضكمُ وما تفي جنّة الفردوس بالنار
فجُدْ بها عاضديّاتٍ مُوفِّرةً^٢ من بعض ما خلف الطاغى أخو العار
حُمراً كأسيافكم غُرّاً كخيلكمُ عتقاً ثقلاً كأعدائي وأطماري

فسير له ألفاً وأخذ من إخوته مثلها ، فجاءه الموت فجأة ولم ينتفع بفجأة الغنى ، وكانت وفاته في سنة سبع وستين وخمسمائة ، وقد قارب الثمانين ؛ وكان أعور ، رحمه الله تعالى .

ومن شعره^٣ :

أما دمشقُ فجنّاتٌ مزخرقةٌ للطالين بها الولدانُ والحُورُ

١١١ - الوافي والزركشي : ٨٨ والخريدة (قسم الشام) ١ : ١٧٨ والشذرات ٤ : ٢٢٠ والنجوم

الزاهرة ٦ : ٦٤ .

١ الخريدة : حاولت .

٢ الخريدة : مسطرة .

٣ الخريدة : ١ : ٢٠٤ .

ما صاح فيها على أوتاره قَمَرٌ
يا حبّذا ودروعُ الماء تسجها
وقال ١ :

تُرى عند من أحببتهُ لا عدته
جميعي إذا حدثتُ عن ذلك أعينُ
وقال ٢ :

كتم الهوى فوشتُ عليه دموعهُ
صَبَّ تشاغلَ بالربيع وزهره
يا لائمي في من تمنعَ وصلهُ
كيف التخلص إن تجنّى أو جتنى
شمسٌ ولكن في فؤادي حرّها
قال العواذل ما الذي استحسنته
وقال :

يا معشرَ الناسِ حالي بينكم عجبٌ
أحبُّ سُمَرَ القنا من أجل مُشبهها
تنامُ أجفانه المرضي وقد زعموا
يهوى خلافي كما أهوى رضاه فإن
وقال من أبيات :

أنا السيموأل في حفظِ الوفاء لهم
ما في الخيام وقد سارتُ حمولهم
وهم إذا وعدوا بالوصل عرقوبُ
إلاّ محبّ له في الركب محبوبُ

١ الخريدة ١ : ٢١٢

٢ الخريدة ١ : ١٨٣

كأتما يوسف في كلِّ راحلةٍ
وقال :

بروقُ الغوادي أم بروقُ المباسمِ
كأنَّ بك الوجدَ الذي بي من الأسي
تؤرِّقُ ورقُ الغوطتين لواحظي
أحبابنا إن كنتمُ قد عزمتمُ
فلا تُرسلوا برقاً إلى غيرِ ساهرٍ
وقال :

حيِّ بالحيِّ من قباب المصلَّى
فقُرى جلق قباب الفراديرِ
قال لي طيفهم سلوت هوانا
قال بل قلِّ ما عهدناك فيه
كل شيء يملُّ منه إذا زا
لو رأني مجنون ليلي إذا ما
أتقلِّي من القلى ولعمري
وقال أيضاً ١ :

مزللاً مونقاً ومساء وظلا
س قباب البريد ، عيشاً تولى
قلت لا والذي دنا فتدلى
قلت لا والذي لموسى تجلى
د وحاشا هواكم أن يملأ
جنَّ ليلى لصام شكراً وصلّى
أي صبَّ من القلى ما تقلِّي
ميلوا إلى الدار من ذات اللمي ميلوا
هذا بكائي عليها وهي حاضرة
كأتما قدّها رمع ومبسمها
في كلِّ يومٍ بعينها ومبسمها
إنّي لأعشقُ ما يحويه برقعها

١ انظر الخريدة ١ : ٢٢٠ .

وقال في المروحة^١ :

ومحجوبة في القَيْظ لم تخلُ من يد
إذا ما الهوى المقصور هيجَ عاشقاً
وقال رحمه الله تعالى^٣ :

دمشقُ حَيِّيتِ من حيٍّ ومن نادِ
يا رائحاً غادياً عرجَ على بَرَدَى
كم قد شربت به من ماء دالية^٤
في جنبِ ساقيةٍ من كَفِّ ساقيةٍ
لها بعيني إذا ماست معاطفها
وقال^٦ :

قال قومٌ بدأ عذارُ وهَيَّبِ
أنا جلدُ على لقسا أُسدِ عيني^٥
وقال :

كثر الخؤون وقَلَّت الإخوان
يا ليت شعري أين كنت من الدُّنا
وقال :

عارضها إن تبدت عارضها
وسلاها عن فؤادٍ ما سلاها

١ الخريدة : ١٨٦ .

٢ ص : وفي الصيف .

٣ الخريدة : ١٩٨ .

٤ الخريدة : في ظل دالية .

٥ الخريدة : قامت .

٦ الخريدة : ٢١٩ .

بأبي جارية جائرة ما شفت غلة قلبي شفتها
أتمنى قبلة من يسدها وسوائي مل من تقبل فاها
وقال وكان أعور وله معشوق طويل^١ :

لي حبيب قدّه قدّ من السمّر الرقاق
من رآه ورآني قال ذا غير اتفاق
أعور الدجال يمشي خلف عوج بن عناق

وقال في قوم مدحهم فأعطوه شعيراً^٢ :

يقولون لم أرخصت شعرك في الوري
أجاز على الشعر الشعير وإنسه
فقلت لهم إذ مات أهل المكارم
كثير إذا خلّصته^٣ من بهائم
وقال أيضاً :

عسى من ديار الظاعنين بشير
لقد عيل صبري بعدهم وتكاثرت
وكم بين أكناف الثغور متيم
سقى الله من سطرى ومقرى منازل
ولا زال ظلّ النيرين فإنه
فيا بردى لا زال ماؤك بارداً
أبي العيش إلا بين أكناف جلق
وكم بحمي جيرون سرب جاذر
ولكن سأحويه إذا كنت قاصداً
ومن جور أيام الفراق مجير
همومي ولكنّ المحبّ صبور
كثيب غزته أعين وثغور
بها للنسدامى نظرة^٤ وسرور
طويل وعيش المرء فيه قصير
عسى شبم من حافتيك نمير
وقد لاح فيها نظرة وسرور
حباثلهنّ المسال وهي نفور
إلى بلد فيه الصلاح أمير

١ الخريدة : ٢١٧ .

٢ ص : شعير ؛ وانظر الخريدة : ١ : ١٨٢ .

٣ الخريدة : استخلصته .

٤ ص : نظرة .

وقال وقد تولّى صلاح الدين يوسف شحنكية دمشق في الأيام النورية^١ :

رويدكمُ يا لصوص الشامِ فإني لكمُ ناصحُ في المقالِ
أتساكمُ سميّ النبيّ الكريمِ يوسفَ ربّ الحجى والجمالِ
فذاك يُقَطِّعُ أيدي النساءِ وهذا يقطِّعُ أيدي الرجالِ

وقال أيضاً^٢ :

عندي إليكم من الأشواقِ والبُرْحا ما صيرَ الجسمَ من فرطِ الضنى شبعا
أجبانينا لا تظنوني سلوتكمُ الحال ما حال والتبريح ما برحا
لو كان يسبحُ صبّ في مدامعه لكنّ أولَ من في دمه سبعا
أو كنت أعلم أن البين يقتلني ما بنت عنكم ولكن فات ما ذبعا

١١٢

أبو علي القرمطي

الحسن بن أحمد بن أبي سعيد الجنابي القرمطي ، مولده بالأحساء ، توفي بالرملة سنة ست وستين وثلثمائة . غلب على الشام ، وكان كبير القرامطة ، واستتاب على دمشق وشاح بن عبد الله ، وقدم إلى دمشق ، وكسر جيش المصريين وقتل جعفر بن فلاح ، ثم توجه إلى مصر وحاصرها شهوراً^٣ ، وكان يظهر طاعة أمير المؤمنين الطائع .

١ الخريدة ١ : ٢٢٢ .

٢ الخريدة ١ : ١٨٢ .

١١٢ - الوافي وتهذيب ابن عساكر ٤ : ١٤٨ وتاريخ أخبار القرامطة : ٩٥ (نقلا عن المقفى

للمقرئزي) وهو المعروف بالأعصم .

٣ ص : شهرها .

قال القاشي في كتابه « الإشعار بما للملوك من النوادر والأشعار » : إن أبا علي
القرمطي قال في بعض الليالي لكاتبه أبي نصر بن كشاجم : ما يحضرك في هذه
الشموع ؟ فقال : إنما نحضر مجلس السيد لنسمع كلامه ، ونستفيد من أدبه ،
فقال القرمطي بديهاً :

ومجدولة مثل صدر القناة تعرّت وباطنها مكتسي
لها مقلة هي روح لها وتاج على هيئة البرنس
إذا غازلتها الصبا حركت لساناً من الذهب الأملس
وإن رتقت لنعاس عرا وقطت من الرأس لم تنعس
وتنتج في وقت تلقيحها ضياء يُجَلّي دجى الخندس
فنحن من النور في أسعدٍ وتلك من النار في أنحس

وكنيته أبو محمد ، وقيل أبو علي ، وسيأتي ذكر جده الحسن بن بهرام القرمطي
أصل القرامطة ، إن شاء الله تعالى .

١١٣

[ابن جكينا البغدادي]

الحسن بن أحمد بن محمد بن جكينا الشاعر البغدادي ، كان من ظراف
الشعراء الخلقاء ، وأكثر أشعاره مقطعات ، وذكره العماد الكاتب وقال : أجمع

١١٣ - الوافي والزركشي : ٩٠ والخريدة (قسم العراق) ٢ : ٢٣٠ ومختصر ابن الديبشي : ٢٧٥
والشذرات ٤ : ٨٨ والنجوم الزاهرة ٦ : ١٩٧ ، وجكينا وردت بالجيم وبالهاء المهملة ،
وقد ضبطها صاحب التاج (٩ : ١٨٣) بالحاء المهملة وكذلك أثبتتها الكتبي هنا ؛ غير أنها ثبتت
بخط ابن خلكان نفسه بالجيم (انظر فهرست وفيات الأعيان) .

أهل بغداد على أنه لم يُرزق أحد من الشعراء لطافة شعره ، توفي سنة ثمان وعشرين
وخمسمائة ، رحمه الله تعالى .

من شعره :

لافتصاحي في عوارضه سببٌ والناسُ لثوأمُ
كيف يخفي ما أكابده والذي أهواهُ تمامُ

وقال :

تزايدَ القولُ فيه أنَّ لهُ ورداً جنيباً في صفحة الخدِّ
فنكرشت عارضاه تُشعرا أنَّ الشوكَ لا بدَّ منه للورد

وقال :

لمسا بدا خطُّ العسندا ريزينُ خديسه بمشقِ
وظننتُ أنَّ سواره فوق البياض كتابُ عتقي
فإذا به من سوء حظِّ ي عهدةٌ كتبتُ برقي

وقال :

ولائمٍ لام في اكتحالي يوم استباحوا دمَ الحسينِ
فقلت دعني ، أحقُّ عضوٍ ألبسُ فيه السوادَ عيني

أحسن منه قول أبي^٢ الحسين الجزار :

ويعود عاشوراء يذكرني رزءَ الحسينِ فليت لم يعدِ
يا ليت عيناً^٣ فيه قد كحلت لشماتةٍ لم تخلُ من رمد
ويدأً به لمسةٍ خضبتُ مقطوعة من زندها بيدي

١ ص : شعر .

٢ ص : أبو .

٣ ص : عين .

أما وقد قتل الحسين بسهـ فأبو الحسين أحقُّ بالكمد
 ولا بن جكينا في الشريف ابن الشجري صاحب «الأمالي»^١ :
 يا سيدي والذي يعيدك من نظم قريض يصدا به الفكرُ
 ما فيك من جدك النبيّ سوى أنك لا ينبغي لك الشعرُ

١١٤

[أبو نصر الفارقي]

الحسن بن أسد بن الحسن بن الفارقي ، أبو نصر ؛ شاعر رقيق حواشي النظم
 كثير التجنيس ، كان في أيام نظام الملك والسلطان ملك شاه ، شمله منهما الجاه
 بعد أن قبض عليه لأنه تولى آمد وأعمالها باستيفاء مالها ، فخلصه الكامل الطيب ،
 وكان نحوياً رأساً وإماماً في اللغة ، وصنف في الآداب تصانيف ، وله « شرح
 اللمع الكبير » . كتاب « الإفصاح في العويص » وكتاب « الألغاز » .
 اتفق أنه كان شاعر من العجم يعرف بالغساني وقد على أحمد بن مروان ،
 وكانت عادته إذا وفد عليه يكرمه وينزله ، ولا يستحضره إلاّ بعد ثلاثة أيام ،
 واتفق أن الغساني لم يكن أعدّ شعراً^٢ يمدحه به ثقةً بنفسه ، فأقام ثلاثة أيام ولم
 يفتح عليه شيء ، فأخذ قصيدة من شعر ابن أسد ولم يغير منها غير الاسم ، فغضب
 الأمير وقال : هذا العجمي يسخر منّا ، وأمر أن يكتب بذلك^٣ إلى ابن أسد ،

١ ابن خلكان ٤٦:٦ .

١١٤ - الوافي والزركشي : ٩٠ ومعجم الأدباء ٨ : ٥٤ وانباء الرواة ١ : ٢٩٤ وبنية الوعاة :

٢١٨ والشذرات ٣ : ٢٨٠ وروضات الجنات : ٢٢٠ والبلغة : ٥٤ .

٢ ص : شعر .

٣ ص : ذلك .

فأعلم الغساني بعض الحاضرين بذلك ، فجهز الغساني غلاماً له جليداً إلى ابن أسد يدخل عليه ويُعرفه العذر ، فوصل الغلام إلى ابن أسد قبل وصول قاصد ابن مروان ، فلما علم ذلك كتب الجواب إلى ابن مروان أنه لم يقف على هذه القصيدة أبداً ، ولم يرها إلاّ في كتابه ، فلما وقف ابن مروان على الجواب أساء إلى الساعي وسبه وقال : إنما تريد إساعتي بين الملوك ، ثم أحسن إلى الغساني وأكرمه غاية الإكرام ، وعاد إلى بلاده ؛ فلم يمض على ذلك مدّة حتى اجتمع أهل ميفارقين ودعوا ابن أسد على أن يؤمره عليهم ، وإقامة الخطبة للسلطان ملك شاه وإسقاط اسم ابن مروان ، فأجابهم إلى ذلك ، وحشد ابن مروان ، ونزل على ميفارقين فأعجزه أمرها ، فسير إلى نظام الملك والسلطان يستمدّهما ، فأنفذا^١ إليه جيشاً ومدداً مع الغساني الشاعر ، وكان قد تقدّم عند السلطان ، فصدقوا الحملة على ميفارقين ، فملكوها عنوة وقبض على ابن أسد ، وجيء به إلى ابن مروان فأمر بقتله ، فقام الغساني وجرّد العناية في الشفاعة حتى خلصه وكفله بعد عناء شديد ، ثم اجتمع به وقال : أتعرفني ؟ قال : لا والله ، ولكن أعرف أنك ملك من السماء منّ الله عليّ بك لبقاء مهجتي ، فقال : أنا الذي ادّعتُ قصيدتك وسترت عليّ ، وما جزاء الإحسان إلاّ الإحسان ، فقال ابن أسد : ما سمعت بقصيدة جُحِدَت فنفعت صاحبها إلاّ هذه ، فجزاك الله خيراً ؛ وانصرف الغساني من حيث جاء ، وأقام ابن أسد مدّة ، وتغيرت حاله وجفاه إخوانه وعاداه أعوانه ، ولم يقدر أحد على مرافدته ، حتى أضرّ به العيش ، فنظم قصيدة مدح بها ابن مروان ، فلما وقف عليها غضب وقال : ما يكفيه أن يخلص منا رأساً برأس حتى يريد منا الرّفد ؟ لقد أذكرني بنفسه ، اصلبوه ، فصلب سنة سبع وثمانين وأربعمائة .

ومن شعره :

أريقاً من رضاك أم رحيقاً رشفتُ فليستُ من سكري مفيقاً

١ ص : فأنفد .

وللصَّهْبَاءِ أَسْمَاءٌ وَلَكِنْ جَهِلْتُ بِأَنَّ فِي الْأَسْمَاءِ رَيْقًا
ومنه :

ولرب دان منك يُكرهُ قربه فاعرفْ وحلَّ مجرباً هذا الوري
وتراه وهو عشاءُ عينك والقدي واترك لقاءك ذا كفافاً والق ذا
وقال :

يا مَنْ جلا ثغره الدرّ النظيم ومن اعطف على مستهام ضميم من أسفٍ
تخالُ أصداغهُ السودَ العناقيدا على هواك وفي جبل العناقيدا
وقال :

لا يصرفُ الهمَّ إلاَّ شدوُ محسنة والراح للهمَّ أنفاها فخذُ طرفاً
أو منظرٌ حسنٌ تهواه أو قدحٌ منها ودعُ أمةً في شربها قدحوا
بكرٌ تخالُ إذا ما المزج خالطها سقاتها أنهم زنداً بها قدحوا
وقال :

تراك يا متلفَ جسمي ويا من بعد ما أضعيتني ساخط
مُكثراً إعلالي وإمراضي عليّ في حبك أم راضي
وقال :

قد كان قلبي صحيحاً كالحمى زمناً فلم سخطت على من كان شيمته
فمذ أبحثُ الهوى منه الحمى مرضا يا من إذا فوقت سهماً لواظظهُ
وقد أتحت له فيكَ الحمامَ رضى أنا الذي إن يمت جبا يمت أسفاً
أضحى لها كلُّ قلبٍ قلبٍ غرضاً وألبستُ ثوب سقام فيكَ صار له
وما قضى فيك من أغراضه غرضاً وصرتُ وقفاً على هم تجاذبني
جسمي لدفته من سقمه عرضاً أيلدي الصبابةِ فيه كلما عرضاً

ما إن قضى الله شيئاً في خليقته أشدَّ من زفرات الحبِّ حين قضى
فلا قضى كلفٌ نَحَباً فأوجعي إن قيل إن المحب المستهام قضى

١١٥

[ناصر الدين ابن النقيب]

الحسن ابن شاور بن طرخان بن الحسن . هو ناصر الدين بن النقيب الكناني
المعروف بالفقيسي^١ .

قال الشيخ أثير الدين أبو حيان : جالسته بالقاهرة مراراً وكتبت عنه ، وكان
نظمه حسناً ؛ وتوفي سنة سبع وثمانين وستمائة .

روى عنه الهميطي والشيخ فتح الدين وغيره ، وله كتاب سماه « منازل
الأحباب ومنازه الألباب » ذكر فيه المجازاة التي دارت بين أدباء عصره وبينه ،
وهو في مجلدين ، وله ديوان مقاطيع في مجلدين ، وشعره جيد عذب منسجم فيه
التورية الرائقة اللاتقة المتمكنة ، وهو أحد فرسان تلك الحلبة الذين كانوا من
شعراء مصر في ذلك العصر ، ومقاطيعه جيدة إلى الغاية ، رحمه الله .
فمن شعره :

يا مَنْ أدار بريقه مَشْمُولَةً^٢ وحبَّابها الثغرُ النقيُّ الأشنبُ
تُفَاح خدكَ بالعِذارِ ممسكٌ لكنهُ بدمِ القلوبِ مَحْضَبُ

وقال :

١١٥ - الوافي والزرکشي : ٩٢ والشذرات ٥ : ٤٠٠ ، وذكره السيوطي في حسن المحاضرة ١ :

٥٦٩ باسم « محمد بن الحسن بن شاور » ؛ وانظر النجوم الزاهرة ٧ : ٣٧٦ .

١ النجوم : بابن الفقيسي .

٢ النجوم : سلافة من ريقه .

يا مالكي ولديك ذلي شافعي
فوخدك النعمان إن بليتي
ما لي سألتُ فما أُجيبَ سُوالي
وشكيتي من طرفك الغزالي
وقال :

وما بين كفتي والدرهمِ عامرٌ
وما استوطنها قطُّ يوماً وإنّما
ولستُ بها دونَ الوريّ ببخيلٍ
تمرُّ عليها عابراتِ سبيلٍ
وقال :

ما كانَ عيباً لو تَفَقَّدتني
فعادةُ الساداتِ [من قبلُ أنْ] ١
هذا سليمانُ على ملكه
تَفَقَّدَ الطيرَ وأجناسها
وقال :

أراد الظبي أن يحكي التفاتكُ
وفدّى الغصنُ قدك إذ تثنى
وجيدك قلت لا يا ظبي فأتاكُ
وقال : الله يُبقي لي حياتك
ويا آسَ العذارِ فدتكَ نفسي
ويا وردَ الحدودِ حمتكَ عني
ويا قلبي ثبَّتَ على التّجني
وقال [:

أقولُ لنوبةِ الحمى اتركيني
فقالَت كيفَ يمكنُ تركُ هذا
ولا يكُ منك لي ما عشتُ أوبه
وهل يبقى الأميرُ بغيرِ نوبه
وقال [:

حدّثتَ عن ثغره المحلّي
فمِلْ إلى خده المورّدْ

١ ما بين مقفين سقط من ص .

خذتُ وثغر فجلتُ ربَّ
بمبدعِ الخلقِ قد تفرَّدُ
هذا عن الواقديَّ يروي
وذلك يروي عن المبرِّدُ

[وقال] :

أنا العذريُّ فاعذرنِي وسامحُ
ولما صرتُ كالمجنونِ عشقاً
وجرَّ عليَّ بالإحسانِ ذيلاً
كتمتُ زيارتي وأتيتُ ليلاً

وقال :

وجردت مع فقري وشيخوختي التي
فلا يدعي غيري مقامي فإني
تراها فنومي عن جفوني مشردُ
أنا ذلك الشيخُ الفقيرُ المجرَّدُ

وقال :

أعملت نفسي في السماء وقد بدا
فكأنما هي شقَّةٌ ممدودةٌ
فيها هلالٌ جسمه منهوكُ
وكأنه من فوقها مكوكُ

وقال :

قالوا فلانُ ناظرٌ فأجبتُ ما
لم يدر مسح الأرض قلت أزيدكم
هو ناظرٌ إلا إلى أعطاسه
أخرى : ولا مسحٌ على أطرافه

وقال :

الصبُّ من بعدكم مفردُ
وخذته ممَّا بكاكم دماً
ودمعه النيلُ وتغليقهُ
مقياسهُ والدمعُ تخليقهُ

وقال :

وما بي سوى عين نظرتُ لحسنها
وقالوا به في الحبِّ عين ونظرة
وذاك لجهلي بالعيون وغرِّي
لقد صدقوا عين الحبيب ونظرتي

وقال :

قالوا قد احترقت بالنار راحتُه
وهي الغمامُ ومنها الواابلُ الغدقُ

وقال قومٌ وما ضلُّوا وما وهموا
بأنها النيلُ قلتُ النيلُ يَحترقُ
وقال :

أبلمُ قلِّدوهُ أمرَ الرعايا
وهو في حليةِ الوزارةِ عطلُ
فهو بالبوقِ في الوزارةِ طبلُ
وقال :

يا غائباً لو قضيتُ من أسفٍ
من بعدهِ ما قضيتُ ما يجبُ
ما تركَ السقمُ بعدَ بُعدِكَ لي
واللهِ جنِباً عليهِ أنقلبُ
[وقال] :

يقولُ جسمي لنحولي وقد
أفرطَ بي فرطَ ضنِّي واكتئابُ
فعلتَ بي يا سقمُ ما لم يكنُ
تلبسَ واللهِ عليهِ الثيابُ
[وقال] :

لا تأسفنَّ على الشَّبَابِ وفقدَه
فعلى المشيبِ وفقدَه يتأسفُ
هَذَا يَخْلِفُهُ سِوَاهُ إِذَا انْقَضَى
ومضى وهذا إن مضى لا يَخْلَفُ
[وقال] :

عجبتُ للشيبِ كنتُ أكرهه
فأصبحَ القلبُ وهو عاشقه
وكنتُ لا أشتهي أراه فقد
أصبحتُ لا أشتهي أفارقه
وكتب إلى السراج الوراق تصحيف^١ :

ما زلتُ مذغبتُ عنكَ في بلدي حتى إذا ما أزحتُ علَّتْها
أقمتُ أجرانها على عَجَلٍ وبعد هذا خزنتُ غلَّتْها
وكتب إليه ابن سعيد المغربي :

١ كذا في ص .

أيا ساكني مصرٍ غدا النيل جاركم
وكان بتلك الأرض سحرٌ، وما بقي

فأجابه ابن النقيب :

ولما حلت الثغرَ زاد حلاوةً
فرحت وبي شوقاً وما كنت شيقاً
فلا تطلبن سحرَ البيانِ بأرضنا
ولا رقةَ الشعر الذي كان أولاً
وخليتهُ أغلى من الشدر والدر
للمم ذلك الثغرِ لولاك في الثغرِ
فكم فيه موسى مبطلاً آية السحر
وكيف رقيقُ الشعرِ مع قسوة الدهر

وكتب ابن النقيب إلى السراج الوراق :

يا ساكنَ الروضة أنت المشتهى
ويا سرورَ النفس بين الشعرا
ويا سراجاً لم تزل أنوارهُ
ما لي أراك قاطعاً لواصلٍ
من هذه الدنيا وأنت المقتضى
أنت الرضي فيهمُ والمرضى
تعيدُ مسودَّ الليالي أيضاً
ومعرضاً عن مقبلٍ ما أعرض

فأجابه السراج :

يا سهمَ عتبٍ جاء من كنانةٍ
لكن أسوت ما جرحته بما
يا ابن النقيب ما أرى منقبةً
إن ولائي حسنٌ في حسن
أصبت من سوادِ قلبي الغرضاً
أعقبته من العتاب بالرضاً
إلا وأولئك الثناء الأيضا
إذ ما أرى لعمرٍ أن يرفضاً

وقال :

قلدتُ يومَ البين جيدَ مودعي
وحداً بهم حادى المطي فلم أرى
ودعئهم ثم انثنتُ بحسرةٍ
درراً نظمتُ عقودها من أدعي
قلبي ولا جلدي ولا صبري معي
تركتُ معالمَ معهدي كالبلقع

١ ص : شوقاً .

ورجعتُ لا أدري الطريقَ ولا تسلُّ^١
وأشدُّ ما [بي] في القضيةِ شامتٌ
يا صاحبي أنصتْ لأخبارِ الهوى
إني أحدثُ في الهوى بعجائب
يا نفسُ قد فارقتِ يومَ فراقهم
هيهات يرجعُ شملنا بالأجرعِ
ما كان أحسننا وهمُ جسيراننا
بجياتكم جودوا عليَّ تكرمًا
فلقد عدمتُ الصبرَ يومَ فراقكم
يا نازحينَ فهل لكم من عودةٍ
إن لم تعودوا للديار وترجعوا
أترى يعودُ الدهرُ يجمعُ بيننا
ويقرِّ قلبٌ قد^٢ أطيلَ خفوقسهُ

وقال :

نحنُ إلّا قطاعةُ الأجنادِ
نحنُ إلّا حكايةٌ وخيالٌ
نحنُ إلّا غسالةٌ لمرقدا
نحنُ إلّا زبالةٌ ضمها الزب
وبراواتُ غُرِّ هذا النادي^٣
وحيثُ لحاضرٍ ولبسادي
رُ قدورٍ تفرغت وزبادي
نا وقد أحسنوا إلى الأغمداد

١ ص : المبغضين .

٢ ص : قلباً . . . عيناً .

٣ القطاعة : الرغوة ؛ والبرادة : ما تبقى من قطعة الصابون بعد الاستعمال .

٤ المرقدار : هو الذي يتصدى لخدمة ما يحوز المطبخ وحفظه ، سمي بذلك لكثرة معاطاته لمرق الطعام عند رفع الحوان ونحو ذلك (صبح الأعشى ٥ : ٤٧٠) .

وعرضنا على براذين جيش
وأتينا من القماش إليهم
وسروج تطايرَ الجلدُ عما
قد تبرّت منها مياثرها اللب
كشف الله ذلك السر عنها
ورماحٍ لم تُعتقلْ لطماعٍ
صدت في الجفون من كثرة اللب
فهي لا فرق في يد الفارس الـ
أترى من يكون في هذه الحا
ويخوض القرات في شهر كانوا
ودعوني بمفرديٍّ وما ذا
الرختي^٧ على قطاراتٍ بختٍ
كيف أقوى على الجهاد وخبزي

وقال رحمه الله :

إذا صرصر البازي فلا ديكَ صادقٌ ولا فاختٍ في أيكةٍ يترنمُ
وما الموتُ إلاّ طيبٌ طعمه إذا تدايكَ قروحٌ وزبذبَ حصرمُ

١ كذا في ص ، ولعلها : وكراد : وهو القطعة من البساط .

٢ البداد : أجد يشد على الدابة الدبرة ، والوكاد : سير يشد به القربوس .

٣ الكشحان : القرنان أو اللدوث .

٤ ص : يدي .

٥ للبيكار : ميدان القتال .

٦ ص : وكانون صعب القياد .

٧ الرخت : لفظة فارسية تعني المتاع .

٨ الوشاقية : جمع وشاق وهو الوصيف (مالحق دوزي) .

وقال :

قالوا رأينا العلقَ يُنفقُ مسرفاً
فأجبتُهُمُ إنفِساغَهُ من سُرْمِهِ
والعلقُ لا شيءٌ لديه ولا معه
قالوا صدقتَ لذلك يُنفقُ من سَعَةِ

وقال :

يا ناظري ما خلتُ أنكَ هكذا
أرْميتني وفعلتَ بي واللهِ ما
عونا عليَّ وأنتَ من أعدائي
لا تفعلُ الأعداءُ بالأعداءِ
والسهدِ فاعلمُ أنه بدعائي
فإذا ابتلاكَ الله يوماً بالبكا

وقال :

كم تجنَّيتَ أمرداً وتألَّي
ثم زال الجميعُ إذ صرتَ ألحى
تَ وكم تهتَ بالملاحَةِ زائداً
وبقي وجهنا ووجهك واحداً

وقال :

يا قُفْلَ بابِ الرزقِ يا ذا الذي
أفرطتَ في العسرِ ولا بدَّ أن
ما زال عندَ الفتحِ قفلاً عسرُ
تنفِشاً أو تندقاً أو تنكسرُ

وقال :

ألا يا أميرَ الملاحِ اتندُ
ولا بدَّ تُعزَلُ عما قليلٍ
فقد ذلَّ منَ بالجمالِ انتصرُ
إذا قامَ عارضكُ المنتظرُ

[وقال] :

قلتُ بماذا قصَّرتَ شعراً
قلتُ : إن تسألني فهدي
من أسودِ الرأسِ والعدارِ
قصارَةَ اللَّيْسِلِ والنَّهَارِ

ابن أبي حصينة

الحسن بن عبد الله بن أحمد بن عبد الجبار بن أبي حصينة ، الأمير أبو الفتح ؛
توفي في حدود الخمسمائة ، رحمه الله تعالى .

من شعره يمدح أسد الدولة عطية بن صالح بن مرداس^١ :
سرى طيفُ هندٍ والمطيُّ بنا تسري فأخفى دجى ليلي^٢ وأبدي سنا فجري
منها :

خليلي فكّاني من الهمّ واركبا فجاج الموامي الغُبر في النُوبِ الغبر
إلى ملكٍ من عِسامر لو تمثلتُ مناقبه أُغنتُ عن الأنجمِ الزهر
إذا نحنُ أثنينَا عليه تلفتتُ إليه المطايا مُصغيات إلى جبر^٣
وفوق سربير الملك من آل صالح فتى ولدته أمه ليلة القدر
فتى وجهه أبهى من البدر منظرأ وأخلاقه أشهى من الماء والحر
منها :

أبا صالح أشكو إليك نوائباً عرّتي كما يشكو النباتُ إلى القطرِ
لتنظرَ نحوي نظرةً لو نظرتها إلى الصخر فجرت العيون من الصخر
وفي الدار خلفي صبية قد تركتهم يطلّون إطلال الفراخ من الوكر
جنيتُ على روحي بروحي جناية فأثقلت ظهري بالذي خفّ من ظهري

١١٦ - الوافي ومعجم الأدباء ١٠ : ٩٠ (الحسين) وتهذيب ابن عساكر ٣ : ١٨٧ ، ٣٠٥ وتاريخ
ابن الوردي ١ : ٣٦٥ وله ديوان شرح بعضه أبو العلاء المعري (دمشق ١٩٥٦) .
١ الديوان ١ : ٣٥٠ نقلا عن القوات .
٢ ص : ليلي .
٣ ص : قبر (دون إعجام الباء) وعند ياقوت : الشكر .

فهب هبةً يبقى عليك ثناؤها بقاء النجوم الطالعات التي تسري

قال الأمير أسامة بن مرشد : فلما فرغ من إنشاده أحضر الأمير أسد الدولة القاضي والشهود ، وأشهد على نفسه بتملك ابن أبي حصينة ضيعةً من ملكه لها ارتفاع كثير ، وأجازه وأحسن إليه ، فأثرى وتمول .

ولما امتدح نصر ابن صالح بجلب قال له : تمنّ ، قال : أتمنى أن أكون أميراً ، فجعله أميراً يجلس مع الأمراء ، ويخاطب بالأمير ، وقربه وصار يحضر مجلسه في زمرة الأمراء ، ثم وهبه أيضاً مكاناً بجلب قبلي حمام الواساني ، فعمرها داراً ، وزخرفها وقرّنتصها وتمم بناءها وكمل حالها ، ونقش على دائرة الدرايزين^١ :

دارٌ بنيناها وعشنا بها في دعةٍ من آل مرداسِ
قوم محوًا بؤسي ولم يتركوا عليّ في الأيام من ناسِ
قل لبي الدنيا ألا هكذا فليفعل الناس مع الناسِ^٢

ولما تكامل عملُ الدار عملَ دعوةٍ ، وأحضر إليها نصر ابن صالح ، فلما أكل الطعام ورأى حسنَ بناء الدار ونقوشها وقرأ الأبيات قال : يا أمير ، كم خسرت على بناء الدار^٣ ؟ قال : يا مولانا ما لي علم ، بل هذا الرجل تولّى عمارتها ، فسأل ذلك المعمار فقال : غرم عليها ألفي دينار مصرية ، فأحضر من ساعته ألفي دينار مصرية وثوب أطلس وعمامة مذهبة وحصاناً بطوق ذهب وسرفسار^٤ ذهب ، وقال له :

قل لبي الدنيا ألا هكذا فليصنع الناس مع الناس

وبعد أيام حضر رجل من أهل المعرة ينبز بالزقوم كان من أراذلها وفيه

١ الديوان ١ : ٣٦٠ نقلًا عن الفوات .

٢ ص : بالناس .

٣ يا أمير . . . الدار : مكرر في ص .

٤ من الفارسية : سرّ افسار ، وهو مقبض الجام .

رجلة، فطلب خيز جندي فأعطي ذلك، وجعل من أجناد المعرة، فلما وصل نظم
أحمد بن محمد الدويذة المعري^١ :

أهل المعرة تحت أفبح خطّةٍ وبهم° أناخ الخطبُ وهو جسيمُ
لم يكفِهمُ تأميرُ ابنِ حصينةٍ حتى تجنسد بعده الزقومُ
يا قوم قد سئمتُ لذاك نفوسنا يا قوم أين التركُ أين الرومُ

فاشتهرت الأبيات بالمعرة وحلب، وسمعا الأمير أبو الفتح، فعبر على
باب ابن الدويذة وسلم عليه، وقال: والك يا ابن الدويذة هجوتني، والله
ما بي هجوي، مثل ما بي من كونك قرنتني إلى الزقوم، فضحك ابن الدويذة
وقال: الآن والله كان عندي الزقوم وقال: والله ما بي من الهجو ما بي من كونك
قرنتني بابن أبي حصينة، فقال له: قبحك الله؛ وهذا هجو ثان.

١١٧

شيخ الأكراد

الحسن ابن عدي بن أبي البركات بن صخر بن مسافر، الملقب بتاج العارفين
شمس الدين أبو محمد شيخ الأكراد، وجدّه أبو البركات هو أخو الشيخ عدي^٢
رحمه الله؛ وكان شمس الدين من رجال العالم رأياً ودهاء، وله فضل وأدب
وشعر وتصانيف في التصوف، وله أتباع ومريدون يبالغون فيه.

١ انظر ترجمة ابن الدويذة في الحريرة (قسم الشام) ٢ : ٥٣ ودمية القصر ١ : ١٥٢ وابن خلكان

٤ : ٤٤٠ (في ترجمة محمد بن سلطان، ابن حيوس).

١١٧ - الوافي وعبر الذهبي ٥ : ١٨٣ والشذرات ٥ : ٢٢٩.

٢ عدي بن مسافر الهكاري الذي تنسب إليه الطائفة العلوية، توفي سنة ٥٥٥ أو ٥٥٧ (انظر ابن

خلكان ٣ : ٢٥٤ وفي الحاشية مصادر أخرى لترجمته).

قال الشيخ شمس الدين الذهبي : وبينه وبين الشيخ عدي من الفرق ، كما بين القدام والفرق ، وقد بلغ من تعظيم العدوية له أنه قدم عليه واعظ فوعظه حتى رق قلبه وبكى وغشي عليه ، فوثب الأكراد على الواعظ فذبحوه ، ثم أفاق الشيخ حسن فرآه يخطب^١ في دمه ، فقال : ما هذا ؟ فقالوا : وإلاّ إيش هذا من الكلاب حتى يُبكي سيدنا الشيخ ؟ فسكت حفظاً لدسته وحرمته . وخاف منه بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل فقبض عليه وحجسه ، ثم خنقه بوتر بقلعة الموصل خوفاً من الأكراد لأنهم كانوا يشنون الغارات على بلاده ، فخشي لا يامرهم بأدنى إشارة فيخربون بلاد الموصل .

وفي الأكراد طوائف إلى الآن يعتقدون أن الشيخ لا بدّ أن يرجع ، وقد تجمعت عندهم زكوات وندور ينتظرون خروجه ، وما يعتقدون أنه قُتل . وكانت قتلته سنة أربع وأربعين وستمائة ، وله من العمر ثلاث وخمسون سنة .

ومن تصانيفه : كتاب « محك الإيمان » و « الجلوة لأرباب الجلوة » و « هداية الأصحاب » وله ديوان شعر فيه شيء من الاتحاد ، من ذلك :

وقد عصيتُ اللواحي في محبتها	وقلت كفتوا فهتك السرّ أليقُ بي
في عشق غانيةٍ في طرفها حورٌ	في ثغرها شنب ، وجددي من الشنب
فنيّتُ عني بها يا صاحٍ إذ برزتُ	وغبت إذ حضرتُ حقاً ولم تغب
وصرتُ فرداً بلا ثانٍ أقومُ به	وأصبح الككنُ والأكوانُ تفخربي
وكلّ معنای معناها وصورتها	كصورتي وهي تدعى ابنتي وأبي

وله ذوبيت :

الحكمةُ أن تشربَ من الحاناتِ	خمرأ قرنتُ بسائرِ اللذاتِ
من كفّ مهفهفٍ متى ما تليتُ	آياتُ صفاته بدتُ من ذاتي

١ المطبوعة : يتشطح ، وهي قراءة جيدة .

٢ ص : والأكعوان .

وله :

سطا وله في مذهب الحبّ أن يسطو مليحٌ له في كلِّ جارحةٍ قسطُ
ومن فوقِ صحنِ الخلدِ للنقطِ غايةٌ تدلُّ على ما يفعلُ الشكلُ والنقطُ

١١٨

الهمام العبدى

الحسن ابن علي بن نصر بن عقيل ، أبو علي العبدى الواسطي البغدادي المنعوت بالهمام ؛ مدح طائفة بالشام والعراق وأقام بدمشق ، وكان شيعياً ، روى عنه القوصي ، واتصل بخدمة الأجدد صاحب بعلبك . توفي سنة ست وتسعين وخمسمائة ذكره العماد الكاتب في الحريرة .

ومن شعره :

ذمّا معي قلبي وليلي في الهوى فكلاهما بالطّيفِ نمّ وأنجرا
ذا أيقظَ الرقباءَ فرطُ وجيبه بين الضلوعِ وذاك أشرق إذ سرى
وله أيضاً :

أين من ينشد قلباً ضاع يوم البين مني ؟
تاهَ لما راح يقفو أثرَ الظبي الأغنّ
سكن البيدَ فعلمي فيهما لا رجم ظن
أن هذا في لظى حز نِ وذا في روضِ حسن
نُحْ معي شوقاً إلى البَا نةِ يا وُرقُ وغنّي
كلّنا قد علمَ الحبّ بنا عاشقُ غصن

١١٨ - الوافي والزرکشي : ٩٤ .

المهذب ابن الزبير

الحسن ابن علي بن إبراهيم بن الزبير، أبو محمد الملقب بالقاضي المهذب، وهو [أخو] القاضي الرشيد؛ توفي القاضي المهذب المذكور في ربيع الآخر سنة إحدى وستين وخمسماية بمصر وكان كاتباً مليح الخط، جيد العبارة، مليح الألفاظ، وكان أشعر من أخيه الرشيد واختص بالصالح ابن رزّيك، ويقال إن أكثر الشعر الذي في ديوان الصالح إنما هو شعر المهذب، وحصل له من الصالح مالٌ جَم، وكان القاضي عبد العزيز بن الجبّاب هو الذي قدمه عند الصالح. ولما مات ابن الجبّاب شمت به المهذب ومشى في جنازته بثياب مذهبة، فاستقبح الناس فعله ونقص بهذا السبب، ولم يعيش بعده إلاّ شهراً واحداً.

وصنف المهذب كتاب « الأنساب » وهو أكثر من عشرين مجلدة، كل مجلد عشرون كراسة؛ قال ياقوت: رأيت بعضه فوجدته مع تحقيقي بهذا العلم وبحي عن كتبه لا مزيد عليه. وكان المهذب قد مضى رسولاً إلى اليمن عن بعض ملوك مصر واجتهد هناك في تحصيل كتب النسب وجمع منها ما لم يجتمع عند أحد، رحمه الله تعالى؛ ومن شعره:

لقد طال هذا الليل بعد فراقه وعهدي به قبل الفراق قصيرُ
وكيف أرجي الصبحَ بعدهمُ وقد تولّت شمسٌ بعدهم وبدورُ

ومنه:

١١٩ - الوافي والزرکشي : ٩٥ والخريدة (قسم مصر) ٢٠٤ : ١ ومعجم الأدباء ٩ : ٤٧
وابن خلكان ١ : ١٦١ والطالع السعيد : ١٠٠ والنكت المصرية : ٣٥؛ وقد أخلت المطبوعة
بأجزاء كثيرة من هذه الترجمة.

أَقْصِرْ فِدَيْتَكَ عَنِ لَوْمِي وَعَنْ عَدِّي
مِنْ كُلِّ طَرَفٍ مَرِيضِ الْجَفْنِ يَنْشُدُنِي
إِنْ كَانَ فِيهِ لَنَا وَهُوَ السَّقِيمُ شِفَاءً
وَلَهُ فِي رِفَاءٍ :

بَلَيْتُ بِرِفَاءٍ لَوَاحِظُ طَرْفِهِ
يَجُورُ عَلَى الْعِشَاقِ وَالْعَدْلِ دَابَهُ
وَمَنْهُ :

وَلِئِنْ تَرَقَّرَ دَمْعُهُ يَوْمَ النَّوَى
فَالسَيْفُ أَقْطَعُ مَا يَكُونُ إِذَا غَدَا
وَقَالَ بَرْتِي صَدِيقاً لَهُ وَقَعَ الْمَطَرُ يَوْمَ مَوْتِهِ :

بِنَفْسِي مِنْ أَبْكَى السَّمَوَاتِ فَقَدُهُ
فَمَا اسْتَعْبَرْتُ إِلَّا أَسَىً وَتَأْسِفًا
وَمَنْهُ :

لَا تَرَجُ ذَا نَحْسٍ وَإِنَّهُ أَصْبَحَتْ
كَيَوَانَ أَعْلَى كَوْكَبٍ مَوْضِعًا
وَلَهُ أَيْضًا :

إِذَا أَحْرَقَتْ فِي الْقَلْبِ مَوْضِعَ سَكْنَاهَا
وَإِنْ نَزَفَتْ مَاءَ الدَّمْعِ بِهَجْرهَا
وَمَا الدَّمْعُ يَوْمَ الْبَيْنِ إِلَّا لَالِيءٌ
وَمَا أَطْلَعَ الزَّهْرَ الرَّبِيعُ وَإِنَّمَا
فَمَنْ ذَا الَّذِي مِنْ بَعْدِ يَكْرَمُ مِثْوَاهَا
فَمَنْ أَحْبَبَ عَيْنَ تَأْمَلِ الْعَيْسُ سَقِيَاهَا
عَلَى الرَّسْمِ فِي رَسْمِ الدِّيَارِ نَثْرَاهَا
رَأَى الدَّمْعُ أَجْيَادَ الْغُصُونِ فَحَلَاهَا

١ الخريدة : الحمازة رب رام من بني ثعل ؛ وهو يشير إلى بيت شعر لامرئ القيس .
٢ عجز بيت للمتنبى وصدره : لعل عتبك محمود عواقبه .

ولما أبان العينُ سرَّ صدورنا
عددننا دموعَ العينِ لما تحدرت
ولما وقفنا للوداعِ وترجمتْ
بدت صورةً في هيكَلِ فلواتنا
وما طرباً صغنا القريضَ وإنما
وليلةَ بتنا في ظلامِ شيبتي
تأرجُ أرواحُ الصبا كلما سرى
ومهما أدركنا الكأسَ باتت جفونُها
منها :

ولو لم يجدْ يومَ الندى في يمينه
فيا ملكَ الدنيا وسائسِ أهلها
ومن كلفَ الأيامَ ضدَّ طباعها
عسى نظرة تجلو بقلبي وخاطري
وله :

فيا صاحبي سجن الخزانة خليسا
وقولا لضوء الصبح هل أنت عائد
ولا تأيسا من رحمة الله أن أرى
فإن تحبساني في التخوم تجبراً
ومنه :

وما لي إلى ماء سوى النيلِ غلَّةٌ
ولو أنه - أستغفر الله - زمزمُ

كان القاضي المهذب ، رحمه الله تعالى ، لما جرى لأخيه الرشيد ما جرى من

اتصاله بصلاح الدين ابن أيوب قبض شاور على المهذب وحبسه ، فكتب إليه يستعطفه فلم ينفذ فيه ، فالتجأ إلى ولده الكامل شجاع وكتب إليه أشعاراً كثيرة من جملتها هذه التي قدمناها ، فقام بأمره واصطنعه وضمه إليه بعد أن أمر أبوه شاور بصلبه .

ومن شعر المهذب :

أعلمتَ حينَ تجاورَ الحيانِ أن القلوبَ مواعدُ النيرانِ
وعلمتَ أن صدورنا قد أصبحت في القومِ وهي مرابضُ الغزلانِ
وعيوننا عوضَ العيونِ أمدهسا ما غادروا فيها من الغدرانِ
ما الوخدا هزّ قناتهم بل هزها قلبي لما فيه من الخفقانِ
وتراهُ يكره أن يرى أظعانهم^٢ وكأنتما أصبحت في الأظعان^٣

ومنه القصيدة التي كتبها إلى الداعي لما قبض على أخيه باليمن يستعطفه على أخيه الرشيد فأطلقه ، وهي :

يا ربُّ أين ترى الأحبةَ يَمَموا هل أنجدوا من بعدنا أو أتَمَموا
نزّلوا من العين السوادَ وإن نأوا ومن الفؤادِ مكانَ ما أنا أكَمَموا
رحلوا وفي القلب المعنى بعدهم وجدُّ على مرَّ الزمانِ نَحِيموا
رحلوا وقد لاح الصباح وإنما تسري إذا جنَّ الظلامُ الأنجموا
وتعوضتُ بالأنسِ روحي وحشةً لا أوحشَ الله المنازلَ منهموا
إني لأذكركم إذا ما أشرقت شمسُ الضحى من نحوكم فأسلموا
لا تبعثوا لي في النسيمِ تحيةً إني أغارُ من النسيمِ عليكموا
إني امرؤ قد بعثتُ حظي راضياً من هذه الدنيا بحظي منكموا

١ ص : الوجد ، والتصويب عن الحريرة .

٢ ص : أضعانهم .

٣ ص : الأضعان .

فسلوتُ إلاّ عنكمُ وقتعتُ إلاّ منكمُ وزهدتُ إلاّ فيكم
 ما كان بعد أخي الذي فارقتهُ لييوحَ إلاّ بالشكاية لي فم
 هو ذاك لم يملك علاه مالاً كلاً ولا وجدي عليه متمم
 أقوتُ مغانيه وعطلَ ربه ولربما هجرَ العرينَ الضيغم
 ورمت به الأهوالُ همةً ماجدٍ كالسيف يمضي غرْبُهُ ويصمم
 يا راحلاً بالمجدِ عنا والعلأ أتري يكون لكم علينا مقدّم
 يفديك قومٌ "أكنت واسطَ عقدهم" ما إن لهم مذ غبتُ شملٌ يُنظم
 جهلوا فظنّوا أن بُعدك مغمٌ لما رحلتُ وإنما هو مغرم
 ولقد أقرّ العينَ أنّ عيداك قد هلكوا بيغيهمُ وأنت مُسلمٌ

منها :

أقيالُ بأسٍ خيرٌ من حمل القنا وملوكُ قحطانَ الذين همُ همُ
 متواضعين ولو ترى ناديتهم ما استطعتُ^٢ من إجلالهم تنكلم
 وكفاهمُ شرفاً ومجداً أنهم أن أصبح الداعي المتوج منهم
 هو بلديتيم في سماء علائهم وبنو أبيه بنو زريعٍ أنجم
 ملكٌ حماهُ جنةٌ لعفاته لكنه للحاسدين جهنم

منها :

مع أنتي سيرت فيك شوارداً كالدرّ بل أبهى لدى من يفهم
 تغدو وهوجُ الذاريات رواكداً وتبيتُ تسري والكواكب نُومٌ

١ ص : قوماً .

٢ ص : استطعت .

[أبو البدر الإسكافي]

الحسن بن علي بن سالم المعمر بن عبد الملك بن باهوج الاسكافي الأصل البغدادي المولد والدار ، أبو البدر ابن أبي منصور ، أحد الكتاب المتصرفين في خدمة الديوان الإمامي ، هو وأبوه ، وكان فيه فضل ، وله أدب بارع وعربية ، ويكتب خطأ حسناً على طريقة ابن مقلة قل نظيره فيه ، ولقي المشايخ ، وصنف عدة تصانيف في الأدب ، وتنقل في الولايات ، وضحب أبا محمد ابن الحشاش النحوي مدة ، وقرأ عليه ، وعلقت عنه تعاليق ، وحجَّ وجاور بمكة ، ثم صار إلى الشام وأقام بحلب مدة ، ثم انتقل إلى مصر وسكنها إلى أن مات سنة ست وتسعين وخمسمائة ، رحمه الله تعالى . وطولُ ياقوت ترجمته . ومن شعره :

خليلي هل تشفي من الوجد وقفة	بخيف مني والسامرون هجوع
وهل للبيات المحصب عودة	وعيش مضى بالمأزمين رجوع
وهل سرحة بالسفح من أيمن الصفا	رعت من عهددي ما أضاع مضيع
وهل قوضت خيم على أبرق الحمى	وما ذاك من غدر الزمان بديع
وهل تردن ماء بشعب ابن عامر	حوائم لو يقضى لهن شروع
وما ذاك إلا عارض من طماعة	نه بقلوب العاشقين ولوع
وإني متى أعصي التجلد والأسى	فللشوق مني والغرام مطيع
فيا جيرتي إذ للزمان نضارة	وعودي نضار والخيام جميع
بنعمان والأيام فينسا حميدة	ووادي الهوى للنازلين مربع

١٢٠ - الوافي والزركشي : ٩٦ ومعجم الأدباء : ٩٠ : ٧٠ وفي نسبه « ناهوج » وبغية الوعاة : ٣٢٥ ،

ولم ترد الترجمة في المطبوعة .

كفى حزناً أني أبيتُ وبيننا من البيدِ معروضُ الفجاجِ وسيع
أعالجُ نفساً قد تولتْ بها الأسي وطرفاً^١ يجفّ المزن وهو مريع

١٢١

[الحسن الساسكوتي]

الحسن ابن علي بن حسن بن علي بن كثير بن علي العامري الساسكوتي الحموي
الشاعر ، توفي بعد الستائة ، رحمه الله تعالى .

من شعره :

أبرومُ هذا القلبُ برءٌ جراحه	وسيوفُ لحظك تُنتضي لكفاحه
يا مستيحَ دمِ المتيمِّ عامداً	أنسيتَ يومَ البعثِ حملَ جناحه
نظري الذي في الحبِّ قد أفسدته	إفسادهُ في الحبِّ عينُ ^٢ صلاحه
حتامَ تطرفُ طرفِ عيني بالبكا	وإلامَ طرفي مولى بطماحه
يا ويحَ مودِعِ سرِّه في جفنه	فلقد أرادَ السرَّ من فصاحه
ليت الحبيبَ غداةَ أتمرَّ خده	لم يحمِ عن عيني جتى تفاحه
يا لائمَ المشتاقِ يبغي نصحه	مُرهُ بهم لتكون من نصاحه
أو فانظرِ الرشأ الذي خلخاله	لو شاء صيره مكانَ وشاحه
يفترُّ عن شَبِّمٍ تلاًلاً نورهُ	كالروضِ لاحٍ لديك نورُ أقاحه
ويديرِ ناظره فيسكرنا فقلُّ	برشأ ينوب بعينه عن راحه

١ ص : وطرف .

١٢١ - الوافي والزركشي : ٩٦ .

٢ ص : غير .

منها في المديح :

ملكٌ إذا رتجَ العسدا أبوأبهم
يُرجى ويخشى فالمنيةُ والمنى
سمحٌ لوأن الغيثَ كلم قبله
هو بحرٌ جود فابتعدُ عن لجه
يعلو وينزلُ للرعية فضلهُ
كالطَّود يدفعُ ماءه لبطاحه

وقال يمدح زين الدين أتاك :

أعن لؤلؤ رطب تبسّمت أم ثغر
وعظنك تيهامس أم خوطُ بانه
فعنك نهاني لائمي ولو أنه
وها أنذري إن كنت ناذرة دمي
وإني لأهوى أن تبوي بقتلي
وقال أيضاً يهجو عروضياً نحوياً :

لا تنكروا ما ادعى فلان من الـ
فالنحو ثم العروض قد شهدا
يقصر ممدوده ويرفعه
يريك وهو البسيط دائرة
وقال في طراحة فيروز أخضر :

أنا أرض تغار مني السماء
فاض من كفه المنى فاستدارت
إذ يطاني بأخصيه البهاء
في حواشيه روضة غناء

وقال وقد ناوله ملبح خاتماً فضة عقيق ولوزاته فضة :

١ ص : بيروز .

وأهيفِ ناولي خاتماً فخلتهُ ناولي فاهُ
 كأنما الفصَّ ولوزاته لسانهُ بين ثناياهُ
 وفضلُ فيه أنه خاتم من فضةٍ صيَّغهُ اللهُ

١٢٢

بدر الدين ابن هود

الحسن بن علي بن عضد الدولة أبي الحسن ، أخي المتوكل على الله ملك الأندلس ابن يوسف بن هود الجذامي .

قال الشيخ أثير الدين : رأيتُه بمكة وجالسته ، وكان يظهر منه الحضور مع من يكلمه ، ثم لا تظهر الغيبة منه ، وكان يلبس نوعاً من الثياب مما لم يعهد لبس مثله بهذي البلاد ، وكان يذكر أنه يعرف شيئاً^١ من علوم الأوائل ، وكان له شعر منه :

خضتُ الدجِنَّةَ حتى لاح لي قَبَسُ وبانَ بانُ الحمى من ذلك القبسِ
 فقلتُ للقومِ هذا الربعُ ربعهمُ وقلتُ للسمعِ لا تخلو من الحرسِ
 وقلتُ للعينِ غُضِّي عن محاسنهِ وقلتُ للنطقِ هذا موضع الحرسِ

وقال الشيخ شمس الدين : هو الشيخ الزاهد الكبير أبو علي بن هود ، المرسي ، أحد الكبار في التصوف على طريقة الوحدة ؛ مولده سنة ثلاث وثلاثين وستمائة بمرسية ، وكان أبوه نائب السلطنة بها ، حصل له زهد مفرط وفراغ عن الدنيا ، وسكرة عن ذاته وغفلة عن نفسه ، فسافر وترك الحشمة ، وصحب ابن سبعين واشتغل بالطب والحكمة وزهديات الصوفية^٢ ، وخالط هذا بهذا ، وحج

١٢٢ - الوافي والزرکشي : ٩٧ والشذرات ٥ : ٤٤٦ (وفيات سنة ٦٩٩) وكذلك عبر الذهبي

٥ : ٣٩٧ وهو : حسن بن علي بن يوسف بن هود .

١ ص : شيء . ٢ ص : الصوفة .

ودخل اليمن وقدم الشام . وكان ذا هيبة ووقار وشيبة^١ وسكون وفنون ، وتلامذة وزبون ، وكان على راسه قبع كشف^٢ ، وعلى جسده دلق^٣ ؛ كان غارقاً في الفكرة عديم اللذة متواصل الأحزان ، فيه انقباض عن الناس ، وحمل مرة إلى والي البلد وهو سكران ، أخذوه من حارة اليهود ، فأحسن الوالي به الظن وأطلقه وقال : سقاء اليهود خُبثاً منهم ليغضوا عنه^٤ ، بذلك ، وكان قد نالهم منه أذى ، وأسلم على يده جماعة : منهم سعيد وبركات . وكان يحب الكوارع المغمومة^٥ ، فدعوه إلى بيت واحد منهم وقدموا له ذلك ، فأكل ثم غاب ذهولاً على عادته ، فأحضروا الخمر فلم ينكر حضورها ، فأداروها ثم ناولوه منها قدحاً ، فاستعمله تشبيهاً بهم ، فلما سكر أخرجوه على تلك الحال ، وبلغ الخبر الوالي فركب وحضر إليه وأرذفه خلفه ، وبقي الناس خلفه يتعجبون من أمره ، وهو يقول لهم بعد كل فترة : أي وايش قد جرى ؟! ابن هود يشرب العقار ؟ يعقد القاف كافاً في كلامه . وكان يشغل اليهود عليه في كتاب « الدلالة » وهو مصنف في أصول دينهم للرئيس موسى^٦ .

قال الشيخ شمس الدين : قال شيخنا عماد الدين الواسطي : أتيت إليه وقلت له : أريد أن تسلكني ، فقال : من أيّ الطرق ؟ من الموسوية أو العيسوية أو المحمدية ؟

وكان إذ طلعت الشمس يستقبلها ويُضَلَّبُ على وجهه .
وصحبه العفيف عمران الطبيب والشيخ سعيد المغربي وغيرهما ، ولا صلتى

- ١ ص : وشبه .
- ٢ القبع : غطاء الرأس (ملحق دوزي) ، ولم يتضح لي معنى قوله « كشف » وفي الشذرات : قبع لباد .
- ٣ الدلق : فروة أو ثوب يتميز بلبسه المتصوفة
- ٤ كذا في ص ، والصواب « منه » .
- ٥ في محيط المحيط أن « الامة » هي الرأس ، وهي لفظة ما تزال تستعمل في لبنان للدلالة على أكلة الكوارع والرأس وما يلحق بها .
- ٦ يعني موسى بن ميمون وكتابه هو « دلالة الحائرين » ؛ وسيترجم الكتابي له .

عليه قاضي القضاة بدر الدين ابن جماعة ، ودفن بسفح قاسيون سنة تسع وتسعين
وستمائة

قال الشيخ صلاح الدين الصندي : كان يبدض الأيام يقول لتلميذه سعيد :
أرني فاعلم النهار ، فيأخذ بيده ويصعد إلى سطح فيقف باهتاً إلى الشمس نصف
نهاراً ، وكان يمشي في الجامع باهت الطرف ذاهل العقل ، وهو رافع إصبعه السبابة
كالمشهد ، وكان يوضع في يده الجمر فيقبض عليه ذهولاً عنه ، فإذا أحرقه
رجع إلى حسه وألقاه من يده ، وكان تحفر له الحفر في طريقه فيقع فيها ذهولاً
وغيبة .

ومن شعره عفا الله عنه وتجاوز :-

فؤادي من محبوب قلبي لا يخلو وسري على فكري محاسنه يجلو
ألا يا حبيب القلب يا من بذكره على ظاهري من باطني شاهد عدل
تجلّيت لي مني عليّ فأصبحت صفاتي تنادي : ما لمحوبنا مثل
أورّي بذكر الجزع عنه وبانة ولا البان مطلوبي ولا قصدي الرمل
وأذكر سعدى في حديثي مغالطاً بليل ولا ليلي مرادي ولا جمل
ولم أر في العشاق مثلي لأنتي تلذ لي البلوى ويخلو لي العذل
سوى معشر حلّوا النظام ومزقوا الثياب فلا فرض عليهم ولا نقل
مجانين إلا أن ذلّ جنونهم عزيز على أعتابهم يسجد العقل

وله قصيدة أولها :

عِلْمٌ قومي بي جهلٌ إن شاني لأجلٌ

منها :

أنا عبدٌ أنا ربّ أنا عزّ أنا ذل

١ كرر هنا في ص لفظة « قال » .

٢ نصف نهار : مكررة في ص .

أنا دنيا أنا أخرى أنا بعض أنا كل
أنا معشوق لذاتي لستُ عني الدهر أسلو
فوق عشر دون تسع بين خمس لي يحلُّ

وهي طويلة جداً . والله أعلم بحاله .

١٢٣

[بدر الدين ابن المحدث]

الحسن بن علي ، الشيخ بدر الدين ابن المحدث ، الكاتب المجود ؛ كان
فاضلاً ينظم وينثر ، وله كتاب برّا باب الحايية بدمشق ، وكان يكتب العصر
بالأمينية ، كتب عليه جماعة ، وكتب هو على الشيخ نجم الدين ابن البصيص .
توفي في سنة اثنتين وثلاثين أو ثلاث وثلاثين وسبعمائة ، وقد ناهز السبعين .
كان الملك الأوحده معه صحبة ، فتحدث له مع الأفرم أن يدخل ديوان
الإنشاء بدمشق ، فرسم له بذلك فأبى فلامه الملك الأوحده على ترك ذلك ، فقال :
أنا إذا دخلت إلى الديوان ما يرتب لي أكثر من خمس الدراهم كل يوم ،
وما يجلسوني فوق بني فضل الله ، ولا بني القلانسي ، ولا بني القيسراني ، ولا
فوق بني غانم ، وما يجلسوني إلاّ دونهم ، ولو تكلمت قالوا : ابصر المصفعة
واحد كان فقيه كتاب يريد يقعد فوق السادة الموقعين ، وإن جا سفر ما يخرجون
غيري ، وإن تكلمت قالوا : ابصر المصفعة قال يحتشم على السفر في ركاب

١٢٣ - الزركشي : ١٠٠ والدرر الكامنة ٢ : ١٠٩ « الحسن بن علي بن محمد بن عدنان بن شجاع

الحماداني » .

١ كذا في ص ، وقد أبقيت كل ما هو خارج عن حكم الأعراب على حاله في هذه الترجمة .

ملك الأمراء، وها أنا كل يوم أحصل من المكتب الثلاثون درهماً والأكثر والأقل،
وأنا كبير هذه الصناعة ، وأحكم في أولاد الرؤسا والمحتشمين .

ومن شعره في فرحة بنت المخابلة المغنية :

ما فرحتي إلاّ إذا واصلت فرحةً بين الكسِّ والكاسِ
لا أن أراها وهيّ في مجلسٍ ما بسين طبّاخٍ وهرّاسِ

ومن شعره :

وقد عنفوني في هواه بقولهم ستطلع منه الدقن^١ فاصبر على الحزن
فقلت لهم : كفوا فإنّي واقع وحقكم بالوجد فيه إلى الدقن^١

١٢٤

[أبو الجوائز الواسطي]

الحسن ابن علي بن محمد الكاتب ، أبو الجوائز الواسطي ؛ أقام ببغداد زمناً
طويلاً ، وذكره الخطيب في تاريخه^٢ وقال : علقت عنه أخباراً وحكايات
وأناشيد وأمالي عن ابن سكرة الهاشمي وغيره ، ولم يكن ثقة ، فإنه ذكر لي
أنه سمع من ابن سكرة وكان يصغر عن ذلك ، وكان أديباً شاعراً . ومن شعره :

دع الناس طراً واصرف الودّ عنهم إذا كنت في أخلاقهم لا تسامح
ولا تبغ من دهرٍ تظاهر رفقهُ صفاءً بنيه فالطباعُ جوامح
وشيثان معدومان في الأرض : درهمٌ حلالٌ ، وخلٌ^٣ في المودّة ناصح

١ أبقيتها كما هي في ص .

١٢٤ - وفیات الأعيان ٢ : ١١١ وتبدو الترجمة هنا وكأنها ملخصة عن ابن خلكان .

٢ تاريخ بغداد ٧ : ٣٩٣ .

٣ ص : وخلا .

ومن شعره :

يا خجلتي من قولها خان عهددي ولها
وحقاً من صيّرني وقفاً عليها ولها
ما خطرتُ بخاطري إلاّ كستني ولها

وقال أيضاً :

براني الهوى برّي المدى وأذابني صدودك حتى صرت أنحلّ من أمسِ
فلمست أرى حتى أراك وإنّما يبين هباء الدرّ في ألق الشمسِ

وكانت وفاته في سنة ستين وأربعمائة ، رحمه الله

١٢٥

[أبو العالية الشامي]

الحسن بن مالك ، أبو العالية الشامي ، مولى للعميين - وبنو العم : قوم من فارس نزلوا البصرة في بني تميم أيام عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ، وغزوا مع المسلمين فحمدوا وبلاءهم وقالوا لهم : انتم وإن لم تكونوا من العرب إخواننا وأهلنا ، وأنتم الأنصار وبنو العم ، فلقبوا بذلك .

ونزل أبو العالية البصرة ثم قدم بغداد ، فأدب العباس ابن المأمون وكان أديباً شاعراً راوية من أصحاب الأصمعي ، وكان إذا - الس الأصمعي أو غيره وتكلم معه انتصف منه وزاد عليه . ومن شعره :

ولوأني أعطيتُ من دهري المنى وما كل من يعطى المنى بمسدّدِ

١٢٥ - ذكره ابن خلكان مرتين مرة باسم الحسن (٣ : ١٧٦) ومرة باسم (أحمد ٧ : ٢٤٣)

وله ترجمة في الوافي للصفدي .

لقلت لأَيَّامٍ مضمين ألا ارجعي وقلت لأَيَّامٍ أتين ألا ابعدني

حدث المبرد قال ، قال الجهمز لأبي العالية : كيف أصبحت ؟ قال : أصبحت على غير ما يحب الله وغير ما أحبّ أنا وغير ما يحبّ إبليس ؛ لأن الله عز وجل يحب أن أطيعه ولا أعصيه ولست كذلك ، وأنا أحب أن أكون على غاية الحيدة والثروة ولست كذلك ، وإبليس يحب أن أكون منهمكاً في المعاصي واللذات ولست كذلك .

ومن شعره أيضاً :

أذم بغداد والمقام بها من بعد ما خيرة وتجريب
ما عند سكاتها لمختبط رِفْدٍ ولا فرجةً لمكروب
قومٌ مَواعيدُهُمْ مُطرزة بزخرفِ القولِ والأكاذيب
خلوا سبيل العلى لغيرهم ونازعوا في الفسوق والحب
يحتاجُ راجي النوالِ عندهم إلى ثلاثٍ من غير تكذيب
كنوزُ قارونَ أن تكونَ له وعُمُرُ نوحٍ وصبرُ أيّوب

وكانت وفاته بعد الأربعين والمائتين ، رحمه الله تعالى وعفا عنه .

١٢٦

ابن الحل الشاعر

الحسن بن المبارك بن محمد بن الحل الفقيه أبو الحسين الشاعر أخو أبي الحسن

١٢٦ - قد ترجم فيما مضى لمن اسمه « أحمد بن المبارك » أخي ابن الحل الفقيه (انظر رقم : ٤٣) وذكر أن وفاته كانت سنة ٥٥٢ أيضاً ، ومعنى ذلك أن اللبس في الاسم (بين حسن وأحمد) جعل الكتبي يترجم له مرتين وكذلك فعل الصفدي . وانظر الوافي والزرکشي : ٩٧ .

١ ص : أبو

محمد ابن الخل الفقيه؛ كان شاعراً ظريفاً رشيق القول مليح المعاني ، مدح وهنجا وتنوع في قول الشعر ، وقال الذويبت .

قال محب الدين ابن النجار : روى شعره أبو بكر ابن كامل الخفاف وأبو القاسم علي بن الحسين بن هبة الله الدمشقي في معجم شيوخهما ، وكلهم سماه الحسن ، وسماه ابن السمعاني أحمد ، ورأيت بخطه « وكتب الحسن » . وتوفي فجأة سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة .

ومن شعره رحمه الله :

عوضَ الماءَ القَرَّاحِ	رَوْحًا رُوحي بِرَاحِ
قَبْلَ إدراكِ الصِّباحِ	وإدراكِني بالأغْصاني
هـِ أماراتُ الفِلاحِ	فهو يومٌ قد بدت فيه
من مِجُونٍ ومِزراحِ	يومٌ لهُوٍ وفُنونٍ
بِلا من كلِّ النَّواحي	سَيِّما والغيمُ قد أء
لَمَّةَ من جورِ الرِّياحِ	واستغاثَ الماءُ في دج
في فسادِ أو صلاحِ	ودعا عَدْلَ كما لي
صر في ذا اليومِ صاحِ	ففسادِ العقلِ أن أب

وقال أيضاً :

زورةٌ ما تموهتَ بالوصالِ	زار طيفُ الخيالِ نِضْوَ خيالِ
أو بوعدٍ منغصٍ بمطالِ	غيرَ أنَّ المحبَّ يرضى بطيفِ
حين يسري عني يزيدُ خبالي	وعلى أنَّه يُسرُّ ولكنُّ
رِ وويلي من كثرةِ العذالِ	أهٍ من قِلَّةِ التجلِّدِ والصبِ
حسنه أن أقيسهُ بالغزالِ	وبنفسِ ذاكِ الغزالِ وحاشا
لداغِ أَعدى القلوبِ بالبلبالِ	والبديعُ الذي إذا بلبلِ الأص

١ ص : خيالي .

وَمُحْيَاهُ كَالهَلَالِ إِذَا أَوْ حَرَّ فِي تَمَهٍ وَلَا كَالهَلَالِ
وَقَالَ أَيْضاً :

قَلْتُ لَهَا لَا تَقْتُلِي مَدْنَفَا هَوَاكِ قَدْ هَيَّجَ بِلْبَالِهِ
مَا زَالَ يَرْجُو مِنْكَ وَصِلَاً إِلَى أَنْ قَطَعَ الْمَجْرَانُ أَوْصَالَهُ
فَابْتَسَمَتْ تَيْهِيّاً وَقَالَتْ وَكَمْ قَدْ قَتَلْتَ عَيْنَايَ أَمْثَالَهُ

١٢٧

[الوزير المهلي]

الحسن بن محمد بن عبد الله بن هارون، أبو محمد الوزير المهلي، من ولد المهلب ابن أبي صفرة؛ كان كاتب معز الدولة ابن بويه، ولما مات الصيمري قلده معز الدولة الوزارة مكانه سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة، وقربه وأدناه واختص به وعظم جاهه عنده، وكان يدبر أمر الوزارة للمطيع من غير تسمية الوزارة، ثم جددت له الخليفة من دار الخلافة بالسواد والسيف والمنطقة، ولقبه المطيع بالوزارة، ودبر الدولتين.

وكان ظريفاً نظيفاً، قد أخذ من الأدب بحظ وافر، وله همة كبيرة وصدر واسع، وكان جماعاً لخلال الرياسة صبوراً على الشدائد.

وكان أبو الفرج الأصبهاني وسخاً في ثوبه ونفسه وفعله، فواكل الوزير المهلي على مائدة، وقدمت سكباجة وافقت من أبي الفرج سعلة، فندرت من

١٢٧ - ترجم له ابن خلكان في وفيات الأعيان ٢ : ١٢٤ وانظر المنتظم ٧ : ٩ واليتمية ٢ : ٢٢٤

ومعجم الأديباء ٩ : ١١٨ والشذرات ٣ : ٩؛ وهذه الترجمة ليست من المستدرک علی ابن خلکان.

١ ص : نضيفا .

فمه قطعة بلغم وقعت في وسط الصحن ، فقال المهلبي : ارفعوا هذا وهاتوا من هذا اللون في غير هذا الصحن ، ولم يَبَسْ في وجهه استكراه ، ولا داخل أبا الفرج حياء ولا انقباض .

وكان من ظرف^١ الوزير المهلبي إذا أراد أكل شيء من أرز بلبن وهرايس وحلوى دقيق وقف إلى جانبه الأيمن غلام معه نحو من ثلاثين مِلْعَقَةً زجاجاً مجروداً ، فيأخذ الملعقة من الغلام الذي على يمينه ويأكل بها لقمة واحدة ثم يدفعها إلى الغلام الذي على يساره لئلا يعيد المِلْعَقَةَ إلى فيه مرة ثانية .

ولما كثر على الوزير استمرار ما يجري من أبي الفرج جعل له مائدتين إحداهما كبيرة عامة ، والأخرى لطيفة خاصة يواكله عليها مَنْ يدعوه إليها . وعلى صنعه بأبي الفرج ما كان يصنعه ما خلا من هجوه ، فإن أبا^٢ الفرج قال :

أبعين مفتقر إليك نظرتني فأهنتني وقذفتني من حالق
لست الملوّم أنا الملوّم لأنتي أنزلت آمالي بغير الخالق

ويروى هذان البيتان^٣ للمنتبي ، رواهما^٤ له تاج الدين الكندي ، والله أعلم لمن هما .

وكان^٥ قبل وزارته قد سافر مرة ولقي في سفره مشقة شديدة ، واشتهى اللحم فلم يقدر عليه ، وكان معه رفيق يقال له أبو عبد الله الصوفي ، فقال المهلبي ارتجالاً :

ألا موتٌ يباعُ فأشتريه - فهذا العيشُ ما لا خيرَ فيه -

١ ص : طرف .

٢ ص : أبو .

٣ ص : هذين البيتين .

٤ ص : رواها .

٥ انظر ابن خلكان ١ : ١٢١ .

إذا أبصرتُ قبراً من بعيدٍ وددتُ لو أنني ممّا يليه
ألا موتٌ لذيذُ الطعامِ يأتي يخلّصني من الموتِ الكريه
إلا رحيمَ المهيمنِ نفسَ حرٍّ تصدقَ بالوفاةِ على أخيه

فلما سمع الأبياتَ اشترى له بدرهمٍ لحماً^١ وطبخه وأطعمه ، وتفرّقا ،
وتنقلت الأحوال بالمهلي وولي الوزارة ، وضاعت الأحوال برفيقه الصوفي ،
فقصده وكتب إليه :

ألا قل للوزير فدتهُ نفسي مقالَ مُذكّرٍ ما قد نسيه
أتذكر إذ تقول لضيقِ عيشٍ « ألا موت يباع فأشتريه »

فلما قرأ الأبياتَ تذكره ، وأمر له في الحال بسبعمئة درهم ، ووقع له في
رقعته ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ
سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سَنَابِلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ ﴾ (البقرة: ٢٦١) ثم دعا به وخلع عليه وقلده عملاً^٢
يليق به .

ولما ترقّت به الحال قال :

رقّ الزمانُ لفاقتي ورثي لطولِ تقلقي
فأنالني مما أرتجيه وحاد عما أتقي
فلأصفحَنَ عما جناه من الذنُوبِ السُّبُقي
حتى جنايته بما فعل المشيبُ بمفرقي

ومن شعره :

قال لي من أحبُّ والبينُ قد ج دةً وفي مهجتي لهيبُ الحريقِ
ما الذي في الطريقِ تصنعُ بعدي ؟ قلت أبكي عليك طول الطريقِ

قال أبو إسحاق الصابي : كنت يوماً عند الوزير المهلبي ، فأخذ ورقة
وكتب فيها ، فقلت بديهاً :

له يدٌ أبدعتُ أجوداً بناثلها ومنطقٌ دره في الطرس ينتثرُ
فحاتمٌ كامنٌ في بطنِ راحتهِ وفي أناملها سَحبانٌ يسترُ
ومن شعره :

الجودُ طبعي ولكن ليس لي مالٌ وكيف يصنعُ مَنْ بالقرضِ يحتالُ
فهناك خطي فخذهُ معكَ تذكرةٌ إلى اتساعِ فلي في الغيبِ آمالُ^٢
ومنه :

أتاني في قميص اللاذ يسعى عدوٌ لي يلقَّب بالحبيب
فقلتُ له فديتكَ كيف هذا بلا واشٍ أتيتَ ولا رقيب
فقال الشمسُ أهدتُ لي قميصاً كلونِ الشمسِ في شفقِ الغروب
فتوبني والمدامُ ولونُ خدي قريبٌ من قريبٍ من قريب
ومنه :

تُطوى بأوتارها الهمومُ كما يُطوى دجى الليلِ بالمصاييحِ
ثمَّ تغنَّتْ فخلتُها سمحتُ بروحها خلعةً على روحي

كان أبو النجيب شداد بن إبراهيم الجزري الواعظ الملقَّب بالظاهر^٣ كثير
الملازمة للوزير المهلبي ، فاتفق أن غسل ثيابه ، فأنفذ الوزير يدعوه فاعتذر ، فلم
يقبل ، وألح في استدعائه ، فكتب إليه :

عبدكَ تحتَ الجبلِ عريانُ كأنه - لا كان - شيطانُ
يغسلُ أثواباً كأنَّ البلي فيها خليطٌ وهي أوطان

١ ص : ابرعت . ٢ بهامش ص تصويب : فهناك خطي إلى أيام مسرتي : ديناً علي ...

٣ سترجم له المؤلف ، انظر رقم : ١٦٣ .

أرقَّ من ديني وإن كان لي دين كما للناس أديان
كأنها حالي من قبل أن يصبَحَ عندي لك إحسان
يقول من يبصرني معرضاً فيها وللأقوال برهان
هذا الذي قد نسجت فوقه عناكب الحيطان إنسان

فأنفذ إليه جبّة وقميصاً وعمامة وسراويل وخمسائة درهم ، وقال : أنفذت
إليك ما تلبسه ، وما تدفعه إلى خياط ، فإن كنت غسلت التكة واللالكة^١ عرفني
لأنفذ لك عوضهما .

ومن شعر الوزير المهلب :

تصارمت الأجنانُ لما هجرني فما تلتقي إلا^٢ [على] عبرة تجري
وطولُ ياقوت ترجمته .

وكانت وفاته سنة اثنتين وخمسين وثلثمائة ، بطريق واسط ، وحمل إلى
بغداد ، رحمه الله تعالى .

١٢٨

ابن كسرى الملقب

الحسن بن محمد بن علي الأنصاري ، أبو علي الملقب المعروف بابن كسرى ؛
قال ابن الأبار في « تحفة القادم »^٣ ؛ توفي سنة أربع وستمائة ، رحمه الله . ومن

١ اللالكة : نوع من النعال ، وتكتب أحياناً « لالجة » .

٢ بهامش ص : صوابه : إلا وعبرتها تجري .

١٢٨ - التكملة : ٢٦٤ وانظر نفع الطيب ٣ : ٣٩٩ حيث ورد اسمه « ابن كسرين » . وبغية

الوعاة : ٢٢٩ والزركشي ١ : ٩٨ .

٣ التحفة : ٩١ .

شعره في طفل قبَّله فاحمرَّت وجنته :

وا بأبي رائق الشباب ويا
كأنتي عندما أقبلها
بهجة خدَّيه ما أميلحها
أنفخ في وردةٍ لأفتحها

وقال :

وخالِقٌ بنقصانٍ جميعَ الوريِّ تسُدُّ
ألمُ ترَ أنَّ البَدْرَ يُرْقَبُ ناقصا
فيا سوءَ ما تلقاهُ إن كنتَ فاضلا
ويُتركُ منسياً إذا كانَ كاملا

وقال في ابن خلدون :

يا شاعراً يتسامى وجدّه خلدونُ
لم يكفِ أنك خلٌّ حتى بأنك دونُ

١٢٩

[أبو الفضائل الصاغانى]

الحسن بن محمد بن الحسن بن حيدر بن علي ، العلامة رضي الدين أبو الفضائل القرشي العدوي العُمري ، المحدث الفقيه الحنفي اللغوي النحوي الصاغانى ؛ و صاغان من بلاد ما وراء النهر .

قال ياقوت : قدم العراق وحجّ ، ثم دخل اليمن ونفق [له] بها سوق ، وله تصانيف في الأدب منها « تكملة العزيزي » وكتاب في التصريف ومناسك الحج

١ في ص : دنا ، وقد صوبت في الهامش بخط مختلف .

١٢٩ - معجم الأدياء ٩ : ١٨٩ وبغية الوعاة : ٢٢٩ والشذرات ٥ : ٢٥٠ (وفيات سنة ٦٥٠) وعبر الذهبي ٥ : ٢٠٥ والنجوم الزاهرة ٧ : ٢٦ والروافي للصفدي ؛ ومعظم هذه الترجمة لم يرد في المطبوعة .

ختمه بأبيات قالها وهي :

شوقي إلى الكعبة الغراء قد زادا فاستحمل القلص الوخادة الزادا
أراقك الحنظل العامي متجعاً وغيرك انتجع السعدان وارتابا
أتعبت سرحك حتى آض عن كذب نياقتها رزحاً والصعب متقادا
فاقطع علائق ما ترجوه من نسب واستودع الله أموالاً وأولادا

وكان يقرأ عليه بعدن « معالم السنن » للخطابي ، وكان معجباً به وبكلام مصنفه .
ويقول : إن الخطابي جمع لهذا الكتاب جراميزه^١ . وقال لأصحابه : احفظوا
« غريب » أبي عبيد القاسم بن سلام ، فمن حفظه ملك ألف دينار ، فإني حفظته
فملكته ، وأشرت على بعض أصحابي بحفظه فحفظه وملكها .
قال ياقوت : وفي سنة ثلاث عشرة^٢ وستمائة كان بمكة ، وقد رجع من
اليمن ، وهو آخر العهد به .

وقال الشيخ شمس الدين في حقه : هو صاحب التصانيف ، ولد بمدينة لوهور
سنة سبع وسبعين وخمسمائة ، ونشأ بغزنة ، ودخل بغداد سنة خمس عشرة
وستمائة ، وذهب منها بالرسالة الشريفة إلى ملك الهند سنة سبع عشرة^٣ وأقام
بها مدة ، ثم رجع وقدم سنة أربع وعشرين ، ثم أعيد إليها بالرسالة ، ثم رجع
إلى بغداد سنة سبع وثلاثين ، وسمع بمكة واليمن والهند وبغداد ، وكان إليه
المنتهى في علم اللغة ومعرفة اللسان العربي ، صنف كتاب « مجمع البحرين في
اللغة » اثنا عشر مجلد ، و « العباب الزاخر » عشرين مجلد ، ولم يكمل ، رأته
بدمشق بخطه ، وأبيع في سوق الكتب ، وله كتاب « الشوارد في اللغات » وكتاب
« توشيح الدرديدية » وكتاب « التراكيب » وكتاب « فعال » وكتاب « فعلان »

١ جمع جراميزه كناية عن الاستعداد والتشهير .

٢ ص : ثلاثة عشر .

٣ ص : سبعة عشر .

وكتاب «الانفعال» وكتاب «يفعل»^١ وكتاب «الأضداد» وكتاب «العروض» وكتاب «أسماء العادة» وكتاب «أسماء الأسد» و «أسماء الذئب» وكتاب في علم الحديث و «مشارك الأنوار في الجمع بين الصحيحين» و «مصباح الدجى» و «الشمس المنيرة» و «شرح البخاري» في مجلد و «در السحابة في وفيات الصحابة» وكتاب «الضعفاء» و «الفرائض» و «شرح أبيات المفصل» وغير ذلك .

قال الديمياطي : كان شيخاً صالحاً صموتاً عن فُضول الكلام ، صدوقاً في الحديث ، إماماً في اللغة والفقه والحديث ، قرأت عليه وحضرت دفته بداره بالحريم الظاهري ، ثم نقل بعد خروجي من بغداد إلى مكة ودفن بها ، وكان قد أوصى بذلك ، وأعدَّ خمسين ديناراً لمن يحمله . وتوفي سنة خمسين وستمائة^٢ .

قال العلامة قاضي القضاة تقي الدين السبكي : حكى لي الشيخ شرف الدين الديمياطي أن الصاغاني كان معه ولد ، وقد حكم فيه بموته في وقت ، وكان يترقب ذلك الوقت ، فحضر ذلك اليوم وهو مُعافى قائم ليس به علة ، فعمل لأصحابه وتلامذته طعاماً شكران ذلك ، وفارقناه ، وعديت الشط فلقيني مَنْ أخبرني بموته ، فقلت له : الساعة فارقته ، فقال : والساعة وقع الحمام بخبر موته فجأة ، أو كما قال ، رحمه الله تعالى ، وعفا عنه وعنّا وعن جميع المسلمين بمنّه وكرمه .

١ نشره الدكتور إبراهيم السامرائي بمجلة كلية الآداب بجامعة البصرة (العدد الخامس) وصدوره بمقدمة عن الصاغاني ومؤلفاته .

٢ ص : وثلاثمائة ، وهو سهو حتماً ، وقد صوب في الحاشية بخط مختلف .

[أبو علي السهواجي]

الحسن ابن محمد السهواجي أبو علي ؛ قال ياقوت : أديب شاعر لبيب مشهور مذكور ، وسهواج من قرى مصر ، صنف كتاب « القوافي » . وتوفي بمصر سنة أربعمائة ، رحمه الله ؛ ومن شعره :

وقد كنتُ أخشى الحبَّ لو كان ناعياً من الحبِّ أن أخشاه قبل وقوعه
كما حذّرَ الإنسانَ من نوم عينه ونامَ ولمْ يَشْعُرْ أو انْ هجوعه
ومنه :

قوم كرامٌ إذا سلّوا سيوفهمُ في الرّوعِ لم يغمدوها في سوى المهجِ
إذا دجا الخطبُ أو ضاقت مذاهبه وجدت عندهم ما شئت من فرج
ومنه :

كرامٌ المساعي في اكتساب محامد وأهدى إلى طرق المعالي من القطا
وأبوابهم معمورةٌ بعُفاتهم وأيديهم ما تستريحُ من العطا
ومنه :

ذكَرَتْ إليها فحَتَّتْ إليه فبكيننا من الفراقِ جميعا

١٣٠ - معجم الأديباء ١٠ : ١٦٠ وفيه « الحسين » ؛ والزركشي : ٩٨ والوافي للصفدي ، ونسبته بالشين في ص .

العز الإربلي الضرير

الحسن بن محمد بن أحمد بن نجا الإربلي ، الفيلسوف عز الدين الضرير ؛ كان بارعاً في العربية والأدب ، رأساً في علوم الأوائل ، وكان بمنزله بدمشق منقطعاً ، ويقرىء المسلمين وأهل الكتاب والفلاسفة ، وله حرمة وافرة ، وكان يهين الرؤساء وأولادهم بالقول ، وكان مخلاً بالصلوات يبدو منه ما يشعر بانحلاله ، وكان يصرح بتفضيل عليّ^٣ على أبي بكر ، وكان حسن المناظرة ، له شعر خبيث الهجو ، روى عنه من شعره وأدبه الديمياطي وابن أبي الهيجا ، وتوفي سنة ستين وستمائة .

ولما قدم القاضي شمس الدين بن خلكان ذهب إليه فلم يحتفل به ، فأهمله القاضي وتركه .

قال عز الدين بن أبي الهيجا : لازمت العز الضرير يوم موته ، فقال : هذه البنية قد تحللت ، وما بقي يرجي بقاؤها . واشتهى أرز بلبن فعمل له وأكل منه ، فلما أحس بشروع خروج الروح منه قال : قد خرجت الروح من رجلي ثم قال : قد وصلت إلى صدري ، فلما أراد المفارقة بالكلية تلا هذه الآية ﴿ألا يعلم مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللطيفُ الخبير﴾ (الملك : ١٤) ثم قال : صدق الله العظيم ، وكذب ابن سينا ، ثم مات في ربيع الآخر ، ودفن بسفح قاسيون ، ومولده بنصيبين سنة ست وثمانين وخمسمائة .

قال الشيخ شمس الدين : وكان قذراً زري الشكل قبيح المنظر ، لا يتوقى

١٣١ - الوافي والزركشي : ٩٨ ونكت الهميان : ١٤٢ والشذرات ٥ : ٣٠١ (حسين) وعبر

الذهبي ٥ : ٢٥٩ وذيل الروضتين : ٢١٦ وذيل مرآة الزمان ٢ : ١٦٥ .

النجاسات ، ابتلي مع العمى بقروح وطلوعات ، وكان ذكياً جيد الذهن . ومن شعره ذوبيت :

لو كان لي الصبرُ من الأنصارِ ما كان عليك هتكتت أستاري
ما ضركَ يا أسمرُ لو بتَ لنا في دهرِكَ ليلةً من السُّمَارِ

ومنه :

لو ينصرني على هواه صبري حرمتُ على السمعِ سوى ذكرهمُ
ما كنتُ ألد فيه هتكِ السِّترِ ما لي سمرٌ سوى حديثِ السُّمْرِ

ومن شعره في العماد ابن أبي زهران :

تعمّمَ بالطرفِ من طرفه وقال السلامُ على من زنى
وقال السلامُ على من زنى فردوا جميعاً عليه السلام
وقال يجوز التداوي بها وقلّ يترجمُ عن شانه
وقال يجوز التداوي بها وقلّ عليلٌ بأشجانه

وله فيه ، وقد تلقب بالعماد وكان يلقب أولاً بالشجاع :

شجاع الدين عمّدنا فهلاً كنت شمّستنا
خطيباً قمت سكرانا وبالزُّكرةِ عمّمتنا

وقال :

توهم واشينا بليلٍ مزاره فهمٌ ليسعى بيننا بالتباعدِ
فعانقته حتى اتحدنا تعانقاً فلما أتانا ما رأى غير واحدِ

قال قاضي القضاة كمال الدين ابن العديم لما سمع هذين البيتين : مسكه

مسكة أعمى .

وهذا المعنى تداوله الشعراء ولمجوا به ، قال سيف الدين المشد :

ولمّا زار مَنْ أهواهُ ليلاً
تَعانَقْنَا لأخفيهِ فصرّنا
وقال خالد الكاتب^١ :

كأنّي عانقتُ ريحانة
فلو ترانا في قميص الدجى
تنفست في ليلها البارد
حسبتنا في جسدٍ واحد

وقال نبطويه النحوي :

ولمّا التقينا بعد بعدٍ بمجلسٍ
جعلتُ اعتمادِي ضمّه وعناقه
نغازلُ فيه أعينَ الرجس الغضّ
فلمْ نفرقْ حتى توهمته بعضي

وقال غرس الدين أبو بكر الإربلي :

همّ الرقيبُ ليسعى في تفرقنا
عانقته فاتحدنا والرقيب أتى
ليلاً وقد بات من أهواه معتني
فمذ رأى واحداً ولّى على حنق
ومن شعر العز الإربلي ذوبيت :

إنْ أجفُ تكلفاً وفي لي طبعاً
يبغي لي في ذلك دوامَ الأسرِ
أو خنت عهدوه عهدِي يرعى
هذا ضررٌ يحسبه لي نفعاً
ومنه :

وكاعبٍ قالت لأتراها
هل تعشق العينان^٢ ما لا ترى
يا قومُ ما أعجبَ هذا الضريرُ
فقلتُ والدمعُ بعيني غزير
إن كان طرفي لا يرى شخصها

وقال :

١ لم يرد البيتان في المطبوعة .

٢ ص : العينين .

ذهبت بشاشة ما عهدت من الجوى
وسلوت حتى لو سرى من نحوكم
وتغيرت أحواله وتناكرا
طيفاً لما حياه طيفي في الكرى
وقال ١ :

قم يا نديم إلى الإبريق والقدح
وغنّ إن غادرتني الكاس مطرحاً
هات الثلاث وسل ما شئت واقترح
وأنت يا صاح صاح غير مطرح
وما عليك ثلاث غير مازجها
ما ليس تفهمه النسك في السبح
إني لأفهم في الأوتار ترجمة
وقال :

قالوا عشقت وأنت أعمى
وحلاه ما عايتها
ظيماً كحيل الطرف ألقى
م فما أطاف ولا ألتا
فتقول قد شغفتك وهما
د ولم تراه العين سهمها
العشق إنصاتا وفهما
ع ولا أرى ذات المسمى
أهوى بجارحة السما
من أين أرسل للفؤا
فأجبت : إني موسوي
أهوى بجارحة السما

وشعر العز الإربلي كله جيد ، عفا الله عنه .

١٣٢

قوام الدين ابن الطراح

الحسن بن محمد بن جعفر بن عبد الكريم ابن أبي سعيد الصاحب قوام الدين

١ لم ترد هذه الأبيات في المطبوعة .

١٣٢ - الوافي والزرکشي : ٦٩ .

ابن الطراح ؛ قال أثير الدين : هو من بيت رياسة وحشمة وعلم وحديث ، وله معرفة بنحو ولغة ونجوم وحساب وأدب وغير ذلك ، وكان فيه تشيع يسير ، وكان حسن الصحبة والمحاورة ، وكان لأخيه فخر الدين المظفر بن محمد تقدم عند التتار ؛ قدم علينا قوام الدين إلى القاهرة ثم سافر إلى الشام ، ثم كر منها راجعاً إلى العراق مع غازان وكنت سألته أن يوجه لي شيئاً من أخباره وشيئاً من شعره ، فوجه إلي بذلك ، وكتب لي من شعره بخطه :

غدِيرُ دَمْعِي فِي الْحَدِّ يَطْرُدُ وَنَارُ وَجْدِي فِي الْقَلْبِ تَتَّقِدُ
وَمَهْجَةٌ فِي هَوَاكَ أَتْلِفُهَا لِي شَوْقٌ وَقَلْبٌ أَوْدَى بِهِ الْكَمْدُ
وَعَدَاكَ لَا يَنْقَضِي لَهُ أَمْدٌ وَلَا لِلَّيْلِ الْمِطَالِ مِنْكَ غَدٌ

ومنه :

لَقَدْ جُمِعَتْ فِي وَجْهِهِ لِمَحَبَّةٍ بَدَائِعُ لَمْ يَجْمَعْنَ فِي الشَّمْسِ وَالْبَدْرِ
حَبَابٌ وَخَمْرٌ فِي عَفِيقٍ وَنَرَجِسٌ وَأَسٌّ وَرِيحَانٌ وَلَيْلٌ عَلَى فَجْرِ

وقال : كتب إلي أخي أبو محمد المظفر يعاتبني على انقطاعي عنه ، وهو الذي رباني وكفني^١ بعد الوالد ، فقال :

لَوْ كُنْتُ يَا بْنَ أَخِي حَفِظْتَ إِخَائِي مَا طُبَّتْ نَفْسًا سَاعَةً بِجَفْسَائِي
وَحَفِظْتَنِي حَفِظَ الْخَلِيلِ خَلِيلَهُ وَرَعَيْتَ لِي عَهْدِي وَحَسَنَ وَفَائِي
خَلَقْتَنِي قَلِقَ الْمُضَاجِعِ سَاهِرًا أَرَعَى الدَّجَى وَكَوَاكِبَ الْجُوزَاءِ
مَا كَانَ ظَنِّي أَنْ تَحَاوَلَ هَجْرَتِي أَوْ أَنْ يَكُونَ الْبَعْدُ مِنْكَ جَزَائِي

فكُتِبَتْ إِلَيْهِ الْجَوَابُ :

إِنْ غَبْتُ عَنْكَ فَإِنَّ وَدِي حَاضِرٌ^٢ رَهْنٌ بِمَحْضِ مَحَبَّتِي وَوَلَائِي

١ ص : وكلفني .

٢ ص : حاظر .

ما غبتُ عنك لهجرةٍ تعتدها ذنباً عليّ ولا لضعفٍ وفائي
لكنني لما رأيتُ يدَ النوى ترمي الجميعَ بفرقةٍ وتنائي
أشفقتُ من نظر الحسود لوصلنا فحجبتَه عن أعينِ الرقباءِ

١٣٣

الحسن بن وهب

الحسن بن وهب بن سعيد بن عمرو بن حصين الكاتب ؛ كان يذكر أنه من ولد الحارث بن كعب ، وهو معروف في الكتابة ، فأبأوه وأجداده كلهم كتبة في الدولتين : الأموية والعباسية ، وكان الحسن يكتب بين يدي محمد بن عبد الملك ابن الزيات ، ثم إنه ولي ديوان الرسائل ، وولي بعض الأعمال بدمشق ، وبها مات وهو يتولى البريد آخر أيام المتوكل . ومولده سنة ست وثمانين ومائة . قال المرزباني : بنو وهب كلهم كتاب ، وأصلهم نصارى من جند سابور ، تعلقوا بنسب في اليمن في بني الحارث بن كعب ، وكان عبيد الله وابنه القاسم يدفعان ذلك . وكتب الحسن إلى أخيه سليمان وقد نكبه الوراق :

اصبرُ أبا أيوبَ صبراً يرتضى^١ فإذا عجزتَ عن الخطوبِ فمن لها
الله يفرج بعد ضيقِ كربها^٢ ولعلها أن تنجلي ولعلها

وكان الحسن قد جعل على نفسه أنه لا يذوق طيباً ولا يشرب شراباً حتى

١٣٣ - الأغاني ٢٢ : ٥٣٣ وسمط اللالي : ٥٠٦ وابن خلكان ٢ : ١٥ - ١٨ وتهذيب ابن

عساكر ٤ : ٢٥٢ والروابي ؛ وفي الترجمة أجزاء كثيرة أدخلت بها المطبوعة .

١ الأغاني : خطب أبا أيوب جل محله .

٢ الأغاني : فاصبر لعل الصبر يفتق ما ترى .

يتخلص أخوه سليمان ، ووفى بذلك . ومن شعر الحسن :

جرّاك^١ عفوي على الذنوب فما تخاف عند الذنوب إعراضي
أشدّ يوم^٢ أكونه غضباً عليك فالقلب ضاحك راضي
أنت أمير عليّ مقتدر حكمك في قبض مهجتي ماضي
والخصم لا يرتجى الفلاح له يوماً إذا كان خصمه القاضي

وقال :

أبكي فمن أيسر ما في البكا لأنه للوجد تسهيل
وهو إذا أنت تأملتسه حزن على الخدين محلول

زارته يوماً بنات جارية ابن حماد ، وكان يهواها ، وشرطت عليه أن
تنصرف وقت أذان العشاء ، فلما أقبل الليل كتب إلى مؤذن محلته :

قل لداعي الصلاة أخّر قليلاً قد قضينا حق الصلاة طويلاً
ليس في ساعة تؤخّرها إثم تجازى به ، وتحيي قتيلاً
وتراعي حق المودة فينا وتعافى من أن تكون ثقيلاً

فحلف المؤذن أنه لا يؤذن العشاء شهراً .

قال الصولي في أخباره : كان أبو تمام يعشق غلاماً خزرياً للحسن بن وهب ،
وكان الحسن يعشق غلاماً رومياً لأبي تمام ، فرآه يعبث بغلامه فقال : والله لئن
سرت^٣ إلى الرومي لأسيرن إلى الخزري ، فقال له الحسن : لو شئت حكمتنا
واحتكمت ، فقال أبو تمام : أنا أشبهك بدادود عليه السلام وأشبهني بخصمه ،
فقال له الحسن : لو كان هذا منظوماً ، فقال أبو تمام من أبيات^٤ :

١ ص : جزاك . ٢ ص : يوماً .

٣ ص : لا سرت .

٤ ديوان أبي تمام ٤ : ٤٦٣ - ٤٦٤ وأخبار أبي تمام : ١٩٤ مع اختلاف في بعض الرواية .

أذكرتني أمر داود وكنتُ فتىً
 عندك الشمس تزهي في مطالعها
 إن أنت لم تترك السير الحثيث إلى
 وربّ أمنع منه جانباً وحميً
 جردت فيه جيوش العزم فأنكشفت
 أنت المقيم فما تغدو ورواحلهُ
 مصرف القلب في الأهواء والفكر
 وأنت مشغول الأفكار بالقمير
 جاذر الروم أعنتنا إلى الخزر
 أمسى وتكته مني على خطر
 عنه غياهبها عن نيكة هدر
 وأيره أبدأ منه على سفره

وقيل لأبي تمام^١ : غلامك أطوعٌ للحسن ابن وهب من غلامه لك ، قال :
 أجل ؛ لأنه يعطي غلامي مالا ، وأنا أعطي غلامه قيلاً وقال .
 وكان^٢ قد وقف ابن الزيات على ما يجري بينهما ، فاتفق أن عزم غلام أبي
 تمام على الاحتجاج ، فكتب إلى الحسن بن وهب يعلمه بذلك ويستهديه مطبوخاً ،
 فوجه إليه بمائة دن^٣ مطبوخ ومائة دينار ، وكتب إليه :

ليت شعري يا أملك الناس عندي
 دفع الله عنك لي كل سوء
 قد كتمت الهوى بأبلغ جهدي
 وخلعت العذار إذ علم النأ
 فليقولوا بما أحبوا إذا كند
 هل تداويت بالحجامة بعدي
 باكر رائح وإن خنت عهدي
 فبدا منه غير ما كنت أبدي
 س بأني إياك أصفى بودي
 ت وصولاً ولم ترعني بصد

واتفق أنه وضع الرقعة تحت مصلاه ، وبلغ محمد بن الزيات خبرها ، فوجه
 إلى الحسن من شغله بالحديث ، وأمر من جاءه بتلك الورقة ففكها وقرأها ،
 وكتب فيها على لسان أبي تمام الطائي :

ليت شعري عن ليت شعرك هذا
 أبهزل تقوله أم يجسد

١ أخبار أبي تمام : ١٩٦ .

٢ المصدر نفسه .

فلئن كنتَ في المقال مجدّاً يا ابنَ وهبٍ لقد تطرّقتَ بعدي
لا أحبُّ الذي يلومُ وإنْ كا نَ حريصاً على صلاحِي وزهدي
بل أحبُّ الأخَّ المشاركَ في الح بِّ وإنْ لم يكنْ به مثلٌ وجدِي
كنديمي أبي علي وحاشا لنديمي من مثل شقوة جدِّي
إنَّ مولايَ عند غيري ولولا شؤم جدِّي لكان مولاي عندي

وقال : ضعوا الرقعة مكانها ، فلما رآها الحسن قال : إنا لله ، افتضحنا عند الوزير ، وأعلم أبا تمام بما جرى ووجه إليه بالرقعة ، فلقيا محمد بن عبد الملك ، فقالا له : إنما جعلنا هذين الغلامين سبباً لمكاتبتنا بالأشعار ، فلا يظن بنا الوزير أعزه الله تعالى إلاّ خيراً ، فقال : ومن يظن غيرَ هذا بكما ؟ وكان هذا الكلام أشدَّ عليهما .

ولما مات الحسن بن وهب رثاه البحري بأبيات منها ١ :

أصابَ الدهرُ دولةَ آلِ وهبٍ ونالَ الليلُ منهمُ والنهارُ
أغارهمُ رداءَ العزِّ حتى تقاضاهم فردّوا ما استعاروا
وقد كانوا وجوههم بدور لمختبطٍ وأيديهم بحار

١٣٤

المستضيء بالله أمير المؤمنين

الحسن بن يوسف بن محمد بن أحمد بن عبد الله ، أمير المؤمنين المستضيء

١ ديوان البحري : ٩٦١ وفي الديوان أنه قال هذه القصيدة لما نكب الواثق آل وهب .
١٣٤ - ابن الأثير ١٣ : ٥٩ ؛ وابن خلدون ٣ : ٥٢٨ ومرآة الزمان : ٣٥٦ وتاريخ الحميس
٢ : ٣٦٦ والروحي : ٦٧ والفخري : ٢٨٢ وتاريخ الخلفاء : ٤٧٦ والعبير : ٤ : ٢٢٣
والشذرات : ٤ : ٢٥٠ والروافي .

بالله ابن المستنجد ابن المقضي ابن القائم ابن القادر ابن إسحاق ابن المقتدر ابن المعتضد ابن الموفق ابن المتوكل ابن المعتصم ابن الرشيد ابن المهدي ابن المنصور .
بويغ بالخلافة بعد وفاة والده المستنجد يوم الأربعاء العاشر من ربيع الآخر سنة ست وستين وخمسائة ، وعمره يومئذ عشرون سنة وتسعة أشهر ويومان ، ومولده سُحْرَة يوم الاثنين ثالث عشرين شعبان سنة ست وثلاثين وخمسائة ، وأمه أم ولد أرمنية اسمها غضة .

كان حليماً رحيماً شفوفاً ليناً ، سهل الأخلاق ، كريماً جواداً معطاءً ، كثير الصدقة والمعروف ، شديد البحث عن الفقراء وأحوالهم وتفقدتهم بالبر والعطاء ، وكانت أيامه مشرقة بالعطاء والعدل . وتوفي سنة خمس وسبعين وخمسائة وكان له من الولد أحمد وهو الإمام الناصر ، وهاشم أبو منصور .

ولما تولى المستضيء بالله نادى برفع المكوس وردّ المظالم الكثيرة ، وفرق مالاً عظيماً على الهاشميين والعلويين والمدارس والرُّبُط ، وكان دائم البذل للمال ، وخلع على أرباب الدولة ألفاً^١ وثلاثمائة قباء إبريسم لما استخلف ، وحرّر^٢ سبعة عشر مملوكاً ، ثم احتجب عن الناس ولم يركب إلاّ مع الخدم ، ولم يدخل عليه غير قايماز .

وفي أيامه زالت دولة العبيدية بمصر ، وضربت السكّة باسمه ، وجاء البشير إلى بغداد ، وغلقت الأسواق ، وعملت القباب ، وصنف ابن الجوزي في ذلك كتاب « النصر على مصر » وخطب له بمصر وأسوان^٣ والشام واليمن وبرقة ، ودانت الملوك لطاعته .

وكان يطلب ابن الجوزي ويأمره بعقد مجلس الوعظ ويجلس حيث يسمع .
ووزر له عضد الدين ابن رئيس الرؤساء ، وأبو الفضل زعيم الدين ابن جعفر ،

١ ص : ألف .

٢ ص : وأمر .

٣ ص : وأسواق .

ومحمد بن محمد بن عبد الكريم الأنباري ، ومات في الوزارة ظهر الدين ابن العطار .
وكان على قضائه أبو الحسن علي بن الدامغاني ، وحاجبه مجد الدين أبو الفضل بن
الصاحب وأبو سعد محمد بن المعوج ، وقال فيه الحَيْصَ بِيصَ :

يا إمامَ الهدى علّوتَ عن الجوى دِ بِمَالٍ وَفِضَّةٍ وَنُضَّارِ
فوهبتَ الأعمارَ والمدنَ والبلدا نَ فِي سَاعَةٍ مَضَتْ مِنْ نَهَارِ
فبماذا أثني عليكَ وقد جا وَزَتْ فَضْلَ الْبُحُورِ وَالْأَمْطَارِ
إنّما أنتَ معجز مستقيل خارقٌ للعقولِ والأبصارِ
جمعتَ نفسك الشريفةُ بالبا سِ وَبِالْجُودِ بَيْنَ مَاءٍ وَنَارِ

١٣٥

[ابن الجصاص]

الحسين بن عبد الله بن الحسين ، أبو عبد الله ابن الجصاص الجوهري ؛ كان
من أعيان التجار ، ذو الثروة الواسعة ، ولما بويع لعبد الله ابن المعتز وانحل أمره
وتفرق جمعه وطلبه المقتدر واختفى عند ابن الجصاص هذا ، فوشى به خادمٌ
صغير لابن الجصاص فصادره المقتدر على ستة آلاف ألف دينار .

قال ابن الجوزي : أخذوا منه ما مقداره ستة عشر ألف ألف دينار عيناً
وورقاً وقماشاً وخيلاً ، وبقي له بعد المصادرة شيء كثير إلى الغاية من دور

١٣٥ - المنتظم ٦ : ٢١١ (وفيات : ٣١٥) وأخبار الحمقى والمفلين ٥٠ - ٥٨ وله قصص
كثيرة في نشوار المحاضرة ، انظر مثلاً ١ : ٢٥ - ٣٧ ، ٢ : ٣٦ ، ٣٩ ، ٣١٢ - ٣١٧ ؛
وفي البصائر للتوحيدي وجمع الجواهر للحصري والنفقات النادرة للصابي وقد جمع أبو سعد
الآبي في «نثر الدر» كثيراً من نوادره .
١ ص : شيئاً كثيراً .

وقماش وأموال وبضائع وضياع .

قال أبو القاسم علي بن المحسن ابن علي التَّنُوخي عن أبيه قال^١ : حدثني أبو الحسن أحمد بن محمد بن جعلان ، قال : حدثني أبو علي أحمد بن الحسين بن عبد الله بن الحصاص الجوهري قال : قال لي أبي : كان بدءُ يساري أني كنت في دهليز [حرم] أبي الجيش خُمارويه بن أحمد بن طولون ، وكنت وكيله في ابتياع الجواهر وغيره مما يحتاجون إليه ، وما كنت أفارق الدهليز لاختصاص به ، فخرجت إلي قهرمانة لهم في بعض الأيام ، ومعها عقد جواهر فيه مائتا حبة ، لم أرَ قبله أفخر ولا أحسن منه ، تساوي كلُّ حبة منه ألف دينار عندي ، قالت : نحتاج أن نخرط هذه حتى تصغر فتجعل في آذان اللب وفي قلائدهم ، فكدت أظير ، وأخذتها وقلت : السَّمع والطاعة ، وخرجتُ في الحال مسروراً ، وجمعت التِّجار ، ولم أزل أشتري ما قدرت عليه ، إلى أن جمعت مائة حبة أشكالا في النوع الذي طلبته وأرادته ، وجئت عَشياً وقلت : إن خَرَطُ هذا يحتاجُ إلى زمانٍ وانتظار ، وقد خرطتُ اليوم ما قدرنا عليه ، وهو هذا ، ودفعت إليها المجتمع وقلت : الباقي يخرط في أيام ، فقنعت بذلك وأعجبها الحب ؛ وخرجت ، فما زلت أياماً^٣ في طلب الباقي حتى اجتمع فحملته إليهم ، وقامت علي المائتا حبة بدون المائة ألف درهم ، وأخذت منهم جوهراً^٢ بمائتي ألف ألف دينار ، ثم لزمت دهليزهم ، وأخذت لي غرفة كانت فيه فجعلتها مسكني ، وكان يلحقني من هذا أكثر مما يحصى ، حتى كثرت النعمة وانتهيت إلى ما استفاض خبره .

وحكى ابن الحصاص قال : كنت يوم قبض عليَّ المقتدر جالساً في داري وأنا ضيق الصدر ، وكانت عادتي إذا حصل لي مثلُ ذلك أن أخرجَ جواهر^٤

١ نشوار المحاضرة ٢ : ٣١٢ .

٢ ص : جواهر .

٣ ص : أيام .

٤ ص : جواهرأ .

كانت عندي في درج مُعدَّةٌ لمثل هذا من ياقوت أحمر وأصفر وأزرق وحباً كبيراً^١ ودرّاً فاخراً ما قيمته خمسون ألف دينار ، وأضعه في صينية وألعب به فيزول قبضي ، فاستدعيت بذلك الدرج فأتي به بلا صينية ، ففرغته في حجري وجلست في صحن داري في بستان في يوم بارد طيَّب الشمس ، وهو مزهر بصنوف الشقائق والمنثور ، وأنا ألعب بذلك إذ دخل الناسُ بالزعقات والمكروه ، فلما رأيتهم دُهِشْتُ ونفضتُ جميع ما كان في حجري من الجوهر بين ذلك الزهر في البستان فلم يروهُ ، وأخذت وحُمِلتُ وبقيت مدة في المصادرة والحبس ، وانقلبت الفصول على البستان وجفَّ ما فيه ، ولم يفكر أحد فيه ، فلما فرج الله عني وجئت إلى داري ورأيت المكان الذي كنت فيه ذكرتُ الجوهر ، فقلت : ترى بقي منه شيء ؟ ثم قلت : هيهات ! وأمسكت ، ثم قمت بنفسي ومعبي غلام يثير البستان بين يدي ، وأنا أفتش ما يثيره ، وأخذ منه الواحد بعد الواحد ، إلى أن وجدت الجميع ، ولم أفتد منه شيئاً .

وكان يُنسب إلى الحمق والبله فمما يحكى عنه أنه قال في دعائه يوماً : اللهم اغفر لي من ذنوبي ما تعلم وما لا تعلم .

ودخل يوماً على ابن الفرات الوزير فقال : يا سيدي عندنا في الحويرة كلاب لا يتركونا ننام من الصباح ، فقال الوزير : احسبهم جراء ، فقال : أيها الوزير لا تظن ذلك ، كل كلب مثلي ومثلك .

ونظر يوماً في المرأة فقال لرجل آخر : انظر ذقني هل كبرت أو صغرت ؟ فقال له : إن المرأة بيدك ، فقال : صدقت ، ولكن الحاضر يرى ما لا يرى الغائب . ورؤي وهو يبكي ويتحب ، فقيل له : ما لك ؟ فقال : أكلت اليوم مع الجوارى المخيض بالبصل فأداني ، فلما قرأت في المصحف : ويسألونك عن المخيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء في المخيض فقلت : ما أعظم قدرة الله !

قد بين كل شيء حتى أكل اللبن مع الجوارى !
وأراد مرة أن يدنو من بعض جواريه فتمنعت عليه ، فقال : أعطي عهداً
لله لا أقربك إلى سنة لا أنا ولا أحد من جهتي .
وقال مرة : قد جربتُ يدي لو غسلتها ألف مرة ما تنظف^١ أو أغسلها مرتين .
وماتت أمّ أبي إسحاق الزجاج ، فاجتمع الناس عنده للعزاء ، فأقبل ابن
الخصاص وهو يضحك ويقول : يا أبا إسحاق ، والله سرتي هذا ، فدهش أبو
إسحاق والناسُ وقال بعضهم : يا هذا كيف سركَ غمه وغمنا ؟ قال : بلغني
أنه هو الذي مات ، فلما صح عندي أنها أمّ سرتي ذلك ، فضحك الناس .
وكان يكسر يوماً لوزاً فظفرت لوزة وأبعدت ، فقال : لا إله إلاّ الله ،
كل الحيوان يهرب من الموت حتى اللوز .
وقال يوماً في دعائه : اللهم إنك تجد منّ تعذبه سواي ، وأنا أجد من
يرحمني سواك ، فاغفر لي .

وقال يوماً : اللهم امسخني واجعلني حورية وزوجني بعمر بن الخطاب ،
فقال له زوجته : سئل الله أن يزوجك من النبي صلى الله عليه وسلم إن كان
لا بد لك أن تبقى حورية ، فقال : ما أحب أن أصير ضرة لعائشة رضي الله عنها .
وأتاه يوماً غلامه بفرّخ وقال : انظر هذا الفرخ ما أشبههُ بأمّهُ ؛ فقال :
أمّهُ ذكر أو أنثى ؟

وبنى ابنه داراً وأتقنها ثم أدخل أباه ليراها وقال له : انظر يا أبه ، هل فيها
عيب^٢ ؟ فطاف بها ودخل المستراح واستحسنه وقال : فيه عيب ، وهو أن بابه
ضيق لا تدخل منه المائدة .

وكتب إلى وكيل له أن يحمل إليه مائة منّ^٣ قطناً ، فلما حملها إليه حلجها

١ ص : تنصف .

٢ ص : عيباً .

٣ ص : منّا .

فاستقلّ المحلوج؛ وكتب إليه : هذا لم يجيء منه إلاّ الربيع ، فلا يزرع بعدها قطن
إلاّ بغير حب ، ويكون محلوجاً^١ .

وقال يوماً لصديقه : وحياتك الذي لا إله إلاّ هو .

وانبثق له كنيف فقال لغلامه : بادر أحضر من يصلحه لتغدي به قبل أن

يتعشى بنا .

وطلب يوماً من البستاني الذي له بصلاً^٢ بخلّ ، فأحضر إليه بصلاً^٢ بلا

خل ، فقال : لأيّ^٣ شيء ما تزرعه بخلّ ؟

والصحيح أنه كان يتظاهر بذلك ليرى الوزراء منه هذا التغييل فيأمنوه على

أنفسهم إذا خلا بالخلفاء . وتوفي بعد العشرين والثلاثمائة تقريباً ، عفا الله عنه ورحمه .

١٣٦

ابن رواحة الحموي

الحسين بن عبد الله بن رواحة ، أبو علي الأنصاري الفقيه الشافعي الشاعر ،
ابن خطيب حماة؛ ولد سنة خمس عشرة^٤ وخمسماية ، وتوفي سنة خمس وثمانين
وخمسماية . سمع بدمشق من أبي المظفر الفلكي وأبي الحسن عليّ بن سليمان
المرادي ، والصائغ هبة الله وجماعة ، ووقع في أسر الفرنج وبقي عندهم مدة ،
وولد له بجزائر البحر عز الدين عبد الله ، وقدم به إلى الاسكندرية ، وأسمعه
الكثير من السلفي ، وكان قد سافر في البحر إلى الغرب فأسر وخلصه الله تعالى ،

١ ص : محلوج .

٢ ص : يصل .

٣ ص : لا .

١٣٦ - الوافي والزركشي : ١٠٧ ومعجم الأدباء ١٠ : ٤٦ .

٤ ص : خمس عشر .

وحصلت له الشهادة على عكا .

ومن شعره رحمه الله تعالى :

يا قلب دعْ عنكَ الهوى قسراً ما أنتَ منهُ حامداً أمراً
أضعتَ دنيائيَ بهجرانــــه إن نلتَ وصلاً ضاعت الأخرى
ومنه :

لاموا عليكَ وما درَوا أن الهوى سبب السعادة
إن كان وصلاً فالمنى أو كان هجراً فالشهادة

[ومنه] :

إن كان يخلو لديك قتلي فزد من الهجر في عذابي
عسى يطيل الوقوف بيني وبينك اللهُ في الحساب

١٣٧

[سعد الدين الطيبي]

الحسين بن علي بن أحمد بن عبد الواحد بن بكر بن شبيب الطيبي أبو عبد الله الكاتب ، سعد الدين ؛ كان من الأعيان الفضلاء المشهورين بالأدب وكمال الظرف ، اختص بالإمام المستنجد بالله ومناذمته ؛ ولي الإشراف بالمخزن أيام المستضيء بالله ، ولما عزل ابن العطار عن نظر المخزن تولى سعد الدين مكانه أيام الإمام الناصر سنة خمس وسبعين ، ثم عزل في سنته^١ .

دخل يوماً على المستنجد فقال له : ابن شبيب ؟ فقال له : عندك يا أمير

١٣٧ - الوافي والزركشي : ١٠٧ ومعجم الأدباء ١٠ : ١٢٦ وفيه « النصيبي » بدل « الطيبي » .
١ - ولي الأشراف . . . سنته : لم يرد في المطبوعة .

المؤمنين ، فأعجبه هذا التصحيف منه .

وذكره العماد الكاتب في « الخريدة » فقال : ابن شيب ، حلو التشيب ،
رقيق نسيم النسب . ومن شعره في المستنجد بالله :

أنت الإمام الذي يحكي بسيرته من ناب بعد رسولٍ أو خلقتا
أصبحت « لب » بني العباس كلهم إن عددت بحروف الجمل الخلفا

المستنجد هو الثاني والثلاثون من الخلفاء ، و « لب » جمل حروفها اثنان
وثلاثون .

ولد ابن شيب سنة خمسمائة وتوفي سنة ثمانين وخمسمائة ، ودفن بمقبرة
معروف الكرخي ، رحمه الله تعالى وإيانا . ومن شعره :

وأغيدَ لم تسمَحْ لنا بوصاله يدُ الدهر حتى دبَّ في عاجه النملُ
تمنيتُ لما اختطَّ فقدانَ ناطري ولم أرَ إنساناً تمنى العمى قبلُ
ليبقى على مرِّ الزمانِ خيساله حياي ، وفي عيني لمنظره شكلُ
وله :

سرى والدجى تصبي غدائره الجونُ نسيمٌ على سرِّ الأحيّةِ مأمونُ
فراحت قدود البان من سكر راحه نشاوى فقد كادت تميدُ الميادين
وشقَّ له وردُ الشقائق جيبه من الوجد وارتاحت إليه الرياحين
وغنتُ له الورقاء بين مورق تجاوبها من جانبيه الوراشين
فبلغ من سرِّ التحايا لظائماً فهاج غرامٌ بالأضالع مكنون
تهادى به طيف البخيلة واهتدى ومن دوننا بين المشت أو البين
عليه من الظلماء رينطٌ ممسكٌ وفي جيده من لؤلؤ الطلّ موزون
وما استيقظ الواشون إلا بشره فقالوا ، وما قالوه حدسٌ وتخمين
وعرّج عنا يجعل الليل مركباً له ، وقمير الفجر في الشرق عرجون
صباً أذكرت عهد الصبا وصابتي بأسماء إذ دارُ الأحيّة دارين

سرى حيث لا تسري الشمول ودونه
 وبجر الهوى حامي الغوارب مزبد
 مشارعُ للعشاقِ فيها مناسكُ
 صحا القلب إلاّ عن هواها فاني
 إذا جنّ ليلي جنّ قلبي صبايسة
 وقد ظنّ خالٍ من جوى الحب أنما
 لعمرك كم للعامريات منّ به
 وكم لأمر المؤمنين صنائعُ
 وله أيضاً :

إذا حلّ تشرينُ فاحلل أوانا
 فهذا الربعُ صففا ظلّه
 منها :

وقد سكنت نزوات العقار
 وصهباء لم تبتذها اليهود
 تأتق في عصرها المسلمون
 فمازج نشوتها عزة
 فقد حرّموها لأنّ الوضیع
 وندب نسدبنا لتحصیلها
 فجاء بها عطراً نشرها
 وقمنا تقبل تيجانها
 أهنا الكرائم في مهرها
 وطاف بها وبضراتها
 وبان الوقار عليها وأنا
 ولا دوستها النصاری امتهاننا
 بأیمانهم یملأون الدنانسا
 فصالت علی العقل حتی استکانا
 من جهله بالشریف استهاننا
 فما حسر الصبح حتی أتانا
 فأهدت علی السفع رنداً وبانا
 ونشکر منّ باعها واشترانا
 ولن یکرّم المرء حتی یهاننا
 غزال إذا صدق الوعد ماننا

أوان : من نواحي دجيل بغداد (ياقوت) .

فما درّة شدخت بالضيا نهاراً وما جبت عنها الصوانا
 تراءت فكفر غواصهـا لديها وأسجدت المرزبانا
 بأحسن ممن أدار المدام فورست الكاس منه البنانا
 قوله : « فمازج نشوتها عزة » . . . البيتين ، يشبه قول الحيص بيص :

لا تضع من عظيم قدر وإن كذت مشاراً إليه بالتعظيم
 فالشريف الرفيع يسقط قدراً بالتجري على الشريف العظيم
 ولع الخمر بالعقول رمى الخمر بتنجيسهـا وبالتحريم

وكان ابن شبيب مقداماً على حل الألغاز ، ولا يكاد يتوقف عما يسأل عنه ،
 فتفاوض أبو غالب ابن الحصين هو وأبو منصور محمد بن سليمان بن قلمش في
 أمر ابن شبيب هذا وما هو عليه من حل اللغز ، فقال أبو منصور : تعال حتى
 نعمل لغزاً محالاً ونسأل عنه ، فنظم أبو منصور :

وما شيء له في الرأس رجلٌ وموضعٌ وجهه منه قفاهُ
 إذا غمضت عينك أبصرتهُ وإن فتحت عينك لا تراه

ونظم أيضاً :

وجارٍ و [هو] تيارٌ ضعيف العقل خوار
 بلا لحمٍ ولا ريشٍ ولكن هو طيارٌ
 بطبعٍ باردٍ جداً ولكن كته نار

وأنفذا اللغزين إليه ، فكتب على الأول : هو طيف الخيال ، وكتب على
 الثاني : هو الزئبق ، فجاء إليه وقال : هب اللغز الأول هو طيف الخيال ، والبيت
 [الثاني] يساعدك عليه ، فكيف تعمل في البيت الأول ؟ فقال : لأن المنامات تفسر
 بالعكس ؛ لأن من بكى يفسر له بالضحك ، ومن مات فسر له بطول العمر .

١ ابتداء من القصيدة النونية حتى هذا الموضع لم يرد في المطبوعة .

وقوله في الثاني « هو طيار » : أرباب صنعة الكيمياء يرمزون الزئبق بالطيار والفسّرار والآبق وما أشبه ذلك ، لأنه يناسب صفته ، وأما برده فظاهر ، وإفراط برده ثقل جرمه ، وكله نار لسرعة حركته وتشكله في افتراقه والتثامه ، وعلى كل حال ففي ذلك تسامح يجوز في مثل هذه الأشياء الباطلة إذا نزلت على الحقائق .

وقد ذكر ابن شرف القيرواني في كتابه « أبكار الأفكار » عن رجل يُعرف بأبي علي التونسي أنه وضع ألغازاً^١ من هذه المادة التي لا حقيقة لها ، وأنشده إياها ، فيجيب عنها على الفور وينزلها على حقائق ، من ذلك أنه وضع لغزاً^٢ ، وهو :

ما طائرٌ في الأرض منقارهُ وجسمهُ في الأفق الأعلى
ما زال مشغولاً به غيرهُ ولا يرى أن له شغلا

فقال للوقت والساعة : هو الشمس ، وأخذ يتكلم على شرح ذلك ، وذكر عدة ألغاز صنعها له ، وهو ينزلها على حقائق ، ويذكر لها مناسبات لائقة بذلك ، وسرد جميع ذلك في « أبكار الأفكار » ، والله أعلم .

١٣٨

[أبو عبد الله ابن ممويه]

الحسين بن علي بن محمد بن ممويه ، أبو عبد الله ، المعروف بابن قُمٍّ ؛ ولد بزبيد ، وكتب رسالته المشهورة عنه إلى أبي حمير سبأ بن أبي السعود أحمد ابن المظفر بن علي الصليحي اليماني ، بعد انفصاله عنه ، رواها الحافظ أبو طاهر

١ ص : ألغاز .

٢ ص : لغز .

١٣٨ - الخريدة (قسم الشام) ٣ : ٧٤ و معجم الأدباء ١٠ : ١٣٢ والوفائي للصفدي .

السلفي عنه سنة اثنتين^١ وستين وخمسمائة ، والرسالة المذكورة : كتب عبد
 حضرة السلطان الأجل ، مولاي ربيع المجدين ، وقريع المتأدين ، جلاء^٢
 الملتبس ، وذكاء^٣ المقتبس ، شهاب المجد الثاقب ، ونقيب ذوي المناقب ، أطل
 الله بقاءه ، وأدام علوه وارتقاه ، ما أجابت العادية المستغير^٤ ، ولزمت الياء
 التصغير ، وجعل رتبته في الأولوية وافرة السهام ، كحرف الاستفهام ، وكالمبتدأ
 لأنه وإن تأخر في البنية ، فإنه مُقَدَّم في النية ، ولا زالت حضرته للوفود مزدحماً ،
 ومن الحوادث حِمِّي ، حتى يكون في العلا ، بمنزلة حروف^٥ الاستعلاء ،
 فإنهن^٦ لحروف اللين حُصُون ، وما جاورهن عن الإمامة مَصُون ، ولا زال عدوه
 كالألف ، في أن حالها تختلف ، فتسقط في صلة الكلام ، لا سيما مع اللام ،
 ولا تكون أولاً بحال ، وإن تقدم همز فاستحال ، لأنه - أدام الله علوه - أحسن
 إليّ ابتداء ، ونشر عليّ من فضله رداء ، أراد إخفائه ، فكشف خفائه ، ومن
 شرف الإحسان ، سقوط ذكره عن اللسان ، كالمفعول رُفِعَ رَفِعَ الفاعل الكامل ،
 لما حذف من الكلام ذكر العامل ، يهدي إليه سلاماً ، ما الروض ، ضاحكه النوض^٨ ،
 غرس وحرس ، وسقي ووقى ، وغيث وصيب ، فأخذ من كل نوّ بنصيب ،
 زهاه الزهر ، وسقاه النهر ، جاور^٩ الأضا ، فحسن وأضا ، رتعت فيه الفور^{١٠} ،

١ ياقوت : ثمان .

٢ ياقوت : جلوة .

٣ ياقوت : وجذوة .

٤ ياقوت : ما قدمت العارية للمستغير .

٥ ص : حرف .

٦ ص : فإهم .

٧ ياقوت : وهو في الرمز طيار .

٨ النوض : البرق ، أو سرب الماء .

٩ ص : جاوز .

١٠ الفور : الظباء .

ومرح العصفور ، فاطلع من التمراد^١ ، وقد ظفر بالمراد ، فنظر إلى أقاحيه . تفرّ
 في نواحيه ، وإلى البّهار ، يضاحك شمس النهار ، فجعل يلثم من ورده خدودا ،
 ويهصر من أغصانه قدودا ، ويقتبس النار ، من الجلتار ، ويلتمس العقيق ، من
 الشقيق ، فغرد ثملا ، وغنّى خفيفا ورملا ، بأطيب من نفتحته المسكية ، وأعطر
 من رائحته الذكية ، مع أني وإن أهديته في كل أوان ، عن أداء ما يجب عليّ
 غير وان ، أعدّ نفسي السكيت اللاحق^٢ ، لما يجب عليّ من الحق ، فعثرت^٣ ،
 وجهدت فما أثرت ، فأنا بحمد الله في حال خقول وقنوع ، وجناب عن غير
 الغير ممنوع ، فارقت المتوجّ بأزال^٤ ، ولزمت الحمول والاعتزال ، سعيي
 سعي الجاهد ، وعيشي عيش الزاهد ، ببلد الأديب فيه غريب ، والأريب
 كالمريب ، إن تكلم استثقل ، وإن سكت استقل ، منازله كبيوت العناكب ،
 ومعيشته كعجالة الراكب ، فهو كما قال أبو تمام حيث قال ° :

أرضُ الفلاحة لو أتاها جرولٌ أعني الحطيئة لا غتدى حرّانا
 لم آتِها من أيّ بابٍ جئتُها إلاّ حسبتُ بيوتها أجدانا
 تصدنا بها الأفهام بعد صقالها وتردّ ذُكرانَ العقولِ إنانا
 أرضٌ خلعتُ اللهو خلعي خاتمي فيها وطلقت السرور ثلاثا

وأما حال عبده بعد فراقه في الجلكد ، فما حال أم تسعة من الولد؟ ذكور ،
 كأنهم عقبانُ وكور ، اخترم منهم ثمانية ، وهي على التاسع حانية ، نادى النذيرُ
 في البادية : يا للعادية يا للعادية ، فلما سمعت الداعي ، ورأت الخيل وهي
 سواعي ، جعلت تنادي ولدها الأناة الأناة ، وهو ينادي القناة القناة :

١ التمراد : بيت صغير يجعل في بيت الحمام لمبيضه .

٢ ياقوت : السكيت في السبق .

٣ ياقوت : أثرت فعثرت .

٤ ياقوت : فارقت المشول ولا أزال ؛ وأزال هي صنماء .

٥ ديوان أبي تمام ١ : ٣٢٥ .

بطل^٢ كأنّ ثيابه في سرحة^١ يحذى نعال السبّبتِ ليس بتوأم^٢

فحين رآته يختال في غضون الزرد المصون ، أنشأت تقول^٣ :

أسدٌ أضبط يمشي بين طرفاءٍ وغيلٍ

لبسه من نسجِ داوٍ دكضحضاح^٤ المسيلِ

فعرض له في العادية أسد هصور ، كأن ذراعه مسد مضمفور^٥ :

فتطاعنا وتواقفت خيلاهما وكلاهما بطل اللقاء مقنّع^٦

فلما سمعت صياح الرعيل ، برزت من الصرم^٧ بصبر قد عيل ، فسألت
عن الواحد ، فقيل لها : لحدّه اللاحد :

فكثرت تبسّغيه فصادفته على دمه ومصرعه السبّعا^٨

عبن به فلم يترك إلاّ أديماً قد تمزق أو كراعا

بأشد من عبدك تأسفاً ، ولا أعظم كمداً ولا تلهفاً ، وإنه ليعنف نفسه دائماً ،
ويقول لها لائماً : لو فطنت لقطنت ، ولو عقلت لما انتقلت ، [. . .]^٩ لندمت
ولو رجعت ، لما هجعت^{١٠} :

١ ص : ثباته في سرحه .

٢ البيت لمنثرة من معلقته ، ديوانه : ٢١٢ .

٣ ص : أنشأ يقول ؛ وانظر التاج (ضبط) ؛ والأضبط : الأسد يعمل بيساره كما يعمل بيمينه .

٤ ص : كضحاح .

٥ ص : محصور .

٦ البيت لأبي ذؤيب الهذلي ، ديوان الهذليين ١ : ٣٨ ورواية الديوان « مخدع » .

٧ ياقوت : الخدر .

٨ الشعر للقطامي ، ديوانه : ٤١ ، وفي الرواية اختلاف عما هنا .

٩ هنا سقطت لفظة وليس في ص بياض ؛ وفي ياقوت : ولو قنعت لرجعت وما هجعت ؛ ولعل

الصواب « واوقنعت لما ندمت » .

١٠ ورد البيت الأول في الحماسة (المرزوقي : ١١٣٣) لإياس بن القائف .

يقيمُ الرجالُ الموسرون بأرضهم وتَرمي النوى بالمقترين المراميا
وما تركوا أوطانهم عن ملالة ولكن حذاراً من شمات الأعدايا

أيها السيد ، أمين العدل والإنصاف ، ومحاسن الشيم والأوصاف ، إكرام
المهان ، وإذالة جواد الرهان ؟ يشع في ساجوره كلب الزبل ، ويسغب في
خيسه أبو الشبل :

إذا حلّ ذو نقصٍ محلةَ فاضلٍ وأصبح ربُّ الجاهِ غير وجيهِ
فإن حياةَ المرءِ غير شهيةٍ إليه وطعمُ الموتِ غيرُ كربهِ

أقول لنفسي الدنية : هُبِّي طال نومك ، واستيقظي لا عزَّ قومك ، أَرْضيت
بالعطاء المنزور ، وقنعت بمواعيد الزور؟ يقظة ، فإن الحدَّ قد هجع ، ونجعة ،
فمن أجذب انتجع ، أعجزت في الإباء ، عن خلق الحرباء ، أدلى لساناً كالرشاء ،
وتسنم أعلى الأشياء ، ناط همته بالشمس ، مع بعدها عن اللمس ، أنف من
ضيق الوجار ، وفرخ في الأشجار ، فهو كالخطيب ، على الغصن الرطيب :
وإن صريح الحزم والرأي لامرئٍ إذا بَلَغته الشمسُ أن يتحوّلاً^٢

وقد أصحَبَ عبده هذه الأسطر شعراً يقصر فيه عن واجب الحمد ، وإن
بنيت قافيته على المدِّ ، وما يعدّ نفسه إلاّ كمهدي جِلْدِ السبتي^٣ الأتمر ، إلى
الدياج الأحمر ، أين درّ الحباب ، من ثغور الأحباب ؟ وأين الشراب من السراب ؟
والركي البكي ، من الواد ذي المواد ؟ أتطلب الصّباحة من العتم ، والفصاحة
من العتم ؟ غلط من رأى الآل في القي^٤ ، فشبهه بهلهال الديقي^٥ ؛ هيهات ! ان

١ ياقوت : السماء .

٢ البيت لأبي تمام ، ديوانه ١٠٦:٣ .

٣ السبتي : النمر .

٤ القي : الأرض القفر .

٥ ص : بالديقي .

مناسج الرياط ، تسبق تنيس ودمياط ؛ لا أقول كما^١ قال القائل :

مَنْ يُسَاجِلُنِي يَسَاجِلُ مَا جَدًّا يَمَلَأُ الدَّلُو إِلَى عَقْدِ الْكَرْبِ
 بل أضع نفسي في أقل المواضع ، وأقول لمولاي قول الخاضع :

فَأَسْبِلُ عَلَيْهَا سِتْرَ مَعْرُوفِكَ الَّذِي سَتَرْتَ بِهِ قِدْمًا عَلَى عَوْرَاتِي
 وها هي هذه^٢ :

فِيكَ بَرَّحْتُ بِالْعَذُولِ إِبَاءَ وَعَصَيْتُ اللَّوَامَ وَالنَّصْحَاءَ
 فَانْتَنَى الْعَاذِلُونَ أَخِيبَ مِنِّي يَوْمَ أَزْمَعْتُمُ الرَّحِيلَ ، رَجَاءَ
 مَنْ مَجِيرِي مِنْ فَاتِرِ اللَّحْظِ أَلْمَى جَمْعَ النَّارِ خَدَهُ وَالْمَاءَ
 فِيهِ لِلَّيْلِ وَالنَّهَارِ صَفَاتٌ فَلِهَذَا سَرَّ الْقُلُوبَ وَسَاءَ
 لِأَزْمِ شِمَةِ الْخِلَافِ فَإِنْ لَدُنِّي قَسَا أَوْ دَنُوتُ مِنْهُ تَنَاءَى
 يَا غَرِيبَ الصِّفَاتِ حَقًّا^٣ لِمَنْ كَانَتْ غَرِيبًا أَنْ يَرْحَمَ الْغُرَبَاءَ
 [. . .] مِنْ صَدُودِهِ وَتَجَنَّبِي هِـ وَإِشْمَاتِهِ بِي الْأَعْدَاءِ
 وَإِذَا مَا كَتَمْتَ مَا بِي مِنَ الْوَجْدِ لِدِ أَدَاعَتُهُ مَقْلَتَايَ بِكَاءِ
 كَعَطَايَا سِبَا بْنِ أَحْمَدٍ يَخْفِي هَا فَتَزْدَادُ شُهُرَةً وَنَمْسَاءَ
 أُرِيحِيَّ يَهْزُهُ الْمَدْحُ لِلْجَوِّ دِ وَإِنْ لَمْ تَمْدَحْهُ جَادَ ابْتِدَاءَ
 أَلْمَى يَكَادُ يُنْبِيكَ عَمَّا كَانَ فِي الْغَيْبِ فِطْنَةً وَذَكَاءَ
 وَإِذَا أَخْلَفَ السَّمَاءَ بِأَرْضِ أَخْلَفْتَ رَاحَتَهُ ذَاكَ السَّمَاءِ
 بِنْدِي يَنْجَلُ الْغَيْوْثَ انْهَمَالًا وَجَدِّي يَنْهَلُ الرَّمَاحَ الظَّمَاءِ
 مَا أَبَالِي إِذْ أَحْسَنَ الدَّهْرُ فِيهِ أَحْسَنَ الدَّهْرِ بِالْوَرَى أَمْ أَسَاءَ
 أَيُّهَا الطَّالِبُ الْغَنَى زُرَّهُ تَظْفَرُ بَعَطَايَا تَنْجَلُ الْأَنْسَاءَ

١ ص : إلا كما .

٢ حدث اضطراب في بعض أبيات القصيدة في ص ، فأعدت ترتيبها بما يناسب المعنى .

٣ ص : حقاً . ٤ ص : وشذى .

تلقَ منهُ المهذبَ الماجدَ النَّدَّ
 راحةً في الندى تنيلُ نُضاراً
 إن سَطَا أرهبَ الضراغمَ في الآ
 شيم من أبيه أحمدَ لا يذ
 قد تعاطى في المجدِ شأوكَ قومُ
 شرفاً شامخاً ومجداً منيفاً
 يا أبا حميرِ دعوتك للده
 فأبى البخلُ أن يكونَ أماماً
 أنا أشكو إليكَ جورَ زمانِ
 أهملتني صروفهُ وكأني
 مال عني بما أوملُ فيه
 رهن بيت لو استقرَّ به الير
 نقصتني نقصَ المرخمِ حتى
 منعني من التصرفِ منعَ ال
 يا أبا حميرِ وحرمةِ إحسا
 ما ظننتُ الزمانَ يبعثني عن
 غير أُنِي فدتكَ نفسي من السو
 ضاع سعيي وخبث، خابت أعاد
 واحتملتُ الزمانَ والنقصَ والإب
 وتجملت واصطبرت فما أب
 أعلى هذه المصيبةِ صبر؟
 ولواني لم أعتمدُ دون غيري

بَ الكريمَ السميدع^١ الأباء
 وحسامٌ في الروحِ يهمني دماء
 جامٍ أو جادٍ بحلِّ الكرماء
 فكُ عنها تتبعاً واقتفاء
 عجزوا واحتملت فيه العناء
 عدملياً وعزّةً قعساء
 ر فكنت امرءاً توجبُ الدعاء
 وأبى الجودُ أن يكونَ وراء
 دأبه أن يعاندَ الأدياء
 ألفُ الوصلِ ألغيت الغناء
 كلما قلت سوف بأسو أساء
 بوع لم يرضه [له نافقاء]^٢
 خلثني في فَمِ الزمانِ نداء
 عللِ التسعِ صرّفها الأسماء
 نك عندي ما كان حبي رياء
 لك إلى أن أفارقَ الأحياء
 ء وإن قلَّ أن تكونَ فداء
 يك ومن يتبغي لك الأسواء
 عادِ والذلِّ والعنسا والجفاء
 قى على عوديَ الزمانُ لحاء
 لا ، ولو كنتُ صخرةً صماء
 لتأسيتُ أن أموتَ وفاء

١ ص : السميدع .

٢ سقط من ص .

غير أن التصريح ليس بخافٍ عند مَنْ كانَ يفهمُ الإيماءَ
 غير أنني مثنٍ عليكَ وما لم تُ على ما لقيتُ إلاّ القضاء
 وسيأتيك في البعادِ وفي القـ ربٍ مديحٌ يجمُلُ الشعراءَ
 فبشكرٍ رحلتُ عنكَ وألقا ك بهِ إن قضى الإلهُ لقاء
 ليس يبقى في الدهر غير ثناء فاكْتسب ما استطعتَ ذاك الثناء

وكانت وفاته [سنة إحدى وثمانين وخمسمائة]^١ .

١٣٩

الحسين ابن مطير

الحسين بن مطير الأسدي - تصغير مطر - من فحول الشعراء ، مدح الدولتين
 وله مدائح في المهدي ، وتوفي في حدود السبعين ومائة .

قال صاحب « الأغاني » : هو مولى بني سعد بن مالك من بني أسد ، وهو
 يذهب مذهب الأعراب ، وكان من ساكني زباله ، ومن شعره^٢ :

لقد كنتُ جَلْدًا قبل أن يوقد الهوى على كبدي ناراً بطيئاً خُمُودها
 وقد كنتُ أرجو أن تموتَ صبابتي إذا قدمتُ أيامها وعهودها
 فقد جعلتُ في حبةِ القلبِ والحشا عهادُ الهوى تولى بشوقٍ يُعيدها^٣

١ سقط من ص ، واعتمدنا فيه على ياقوت .

١٣٩ - طبقات ابن المعتز ١١٤ والأغاني ١٥ : ٣٣١ ومعجم الأدباء ١٠ : ١٦٦ وتهذيب ابن

عساكر ٤ : ٣٦٢ والرواني للصفدي وقد جمع ديوانه مرتين : مرة بعناية الدكتور حسين عطوان

(مجلة مهمد المخطوطات : ١٩٦٩) ومرة بعناية الدكتور محسن غياض (بغداد : ١٩٧١)

وسأعتمد في الإشارة إلى شعره على الأول .

٢ ديوانه : ١٥٦ . ص : يعيدها .

بسودِ نواصيها وحميرِ أكفها
مُخَصَّرةِ الأوساطِ زانتَ عقودها
يَمْنِينا حتّى تَرَفَّ قَلُوبُنَا
منها :

وكنت أذودُ العينَ أن تردَّ البكا
خليليَّ ما بالعيشِ عتبٌ لو انتسا
ولي نظرةٌ بعد الصدودِ من الجوى
هل الله عافٍ عن ذنوبٍ تسلفت
وقال يرثي مَعْنُ ابن زائدة^١ :

ألمّا على مَعْنُ فقولا لقبره :
فيا قَبْرَ مَعْنُ أنت أول حفرة
ويا قَبْرَ مَعْنُ كيف وارىت جوده
بلى قد وَسِعَتْ الجودُ والجودُ ميتٌ
فتى عيش في معروفه بعد موته
أبى ذكر معن أن تموت فعاله^٢
ولما مضى معن مضى الجودُ وانقضى
ومن شعره^٢ :

فيا عجباً للناس يستسرفوني
يقولون لي اصرمُ يرجع العقلُ كله
ويا عجباً من حب من هو قاتلي
ومن بينات الحب أن كان أهلها

١ ديوانه : ١٧٢ .

٢ ديوانه : ١٨٢ .

ابن عبدل الشاعر

الحكم بن عبدل الأسدي ثم الغاصري الكوفي ؛ شاعر مشهور مجيد القول هجاء ، نفاه ابن الزبير من العراق لما نفى عمال بني أمية ، وقدم دمشق وكان له من عبد الملك بن مروان موضع .

وقال ابن ماكولا : هو الشاعر الأعرج ، كوفي مشهور ، قال : كان يأتي بشر بن مروان فيقول له بشر : أحسمائة أحب إليك العام أم ألف في قابل ؟ فيقول : ألف في قابل ، وإذا أتى إليه في قابل قال له : ألف أحب إليك العام أم ألفان من قابل ؟ فيقول : ألفان من قابل ؛ قال : فلم يزل كذلك حتى مات بشر ولم يعطه شيئاً .

وقال صاحب الأغاني : كان أعرج أحذب لا تفارقه العصا ، فترك الوقوف بباب الملوك ، وكان يكتب على عصاه حاجته ، ويبعث بها مع رسوله ، فلا يجبس له رسول ولا تؤخر له حاجة ، فقال في ذلك يحيى بن نوفل :

عصا حكّم في الدار أولُ داخلٍ ونحن على الأبواب نُقصى ونحجبُ
وكانت عصا موسى لفرعون آيةً فهذي لعمرُ الله أدهى وأعجبُ
تطاع ولا تُعصى ويحذر سخطها ويرغب في المرضاة منها ويرهبُ

وشاعت هذه الأبيات بالكوفة وضحك منها الناس ، فكان الحكم يقول

١٤٠ - الأغاني ٢ : ٣٦٠ وتهذيب ابن عساكر ٤ : ٣٩٦ والمؤتلف والمختلف : ٢٤٢ ومعجم الأدباء ١٠ : ٢٢٨ والوافي للصفدي ، وله ترجمة في ابن خلكان هي من مزيدات طبعة بيروت وهو ليس من شرط ابن خلكان لأنه لا يعرف سنة وفاته على التحديد . وقد أخلت المطبوعة بأجزاء متفرقة من هذه الترجمة .

ليحيى : يا ابن الزانية ما أردت من عصاي حتى صيرتها ضحكة ، واجتنب أن يكتب عليها كما كان يفعل أولاً .

وكان له صديق أعمى يدعى أبا عليّة ، وكان ابن عبدل قد أقعد ، فخرجا ليلة من منزلهما إلى منزل بعض إخوانهما ، والحكم يحملُ وأبو عليّة يقاد ، فلقبهما صاحب العَسَس بالكوفة وأخذهما فحبسهما ، فلما استقرا في الحبس نظر الحكم إلى عصاه موضوعة في الحبس بجنب عصا أبي عليّة ، فضحك الحكم وقال :

حبسي وحبس أبي عليّة من أعاجيب الزمانِ
أعمى يُقادُ ومُقعّدٌ لا الرجل [منه] ولا اليدان
هذا بلا بصريّ هنسا ك وبني يُحِبُّ الحاملان
يا مَنْ يرى ضبّ الفلّاة قرينَ حوتٍ في مكان
طِرفي وطرف أبي عليّة يّة دهرنا متوافقان
منْ يفتخرُ بجوادِه فجوادنسا عكازتان
طِرفان لا علقاهما^٢ يُشْرى ولا يتصاهلان

وقال أيضاً من أبيات :

ففي حالتينا عبرة وتفكّر وأعجبُ منه حبسُ أعمى ومقعّدِ
كلانا إذا العكاز فارق كفه يخرّ صريعاً أو على الوجه يسجد
فعكازه يهدي إلى السبلِ أكمهاً وأخرى مقامَ الرجل قامت مع اليد

وكان بالكوفة امرأة موسرة ، وكان لها على الناس ديون بالسواد ، فاستغاثت بابن عبدل في دينها وقالت : إني لست بزوج ، وجعلت تُعرّض أنها تزوجه بنفسها ، فقام ابن عبدل في دينها حتى اقتضاه ، فلما طالبها بالوفاء كتبت إليه شعراً :

١ ص : أبو .

٢ ص : علقاهما .

سَيُخْطِئِكَ الَّذِي حَاوَلْتَ مِنِّي قَفَطَّعَ حَبْلَ ١ وَصَلَّكَ مِنْ حَبَالِي
كَمَا أَخْطَاكَ مَعْرُوفُ ابْنِ بَشْرٍ وَكُنْتَ تَعْدُوْهُ ذَلِكَ رَأْسَ مَالٍ

وضرب الحجاجُ البعثَ على المحتلمين ومن أنبت من الصبيان الصغار ، وكانت
المرأة تجيء إلى ابنها فتضمه إليها وتقول : يا ابني ، جزعاً عليه ، فسمي ذلك
الجيش « جيش بني » ، وأحضر ابن عبدل فجرد ، فوجد أحدب أعرج ،
فأعفي من ذلك فقال :

لعمري لئن جربتني فوجدتني كثيرَ العيوبِ سيء المتجرّدِ
فأعفيتني لما رأيت زماتي ووفقت مني للقضاء المسدّدِ
ولست بندي شيخين يلتزمانه ولكن يتيماً ساقط الرجل واليدِ

وخرج ليلة وهو سكران محمول في محفة فلقبه صاحب العسس فقال له :
من أنت ؟ فقال : يا بغيض ، أنت أعرف بي من أن تسأل عني ، اذهب إلى شغللك
فإن اللصوص لا يخرجون في الليل في محفة ، فضحك منه وانصرف .
وكانت له جارية سوداء فولدت له ابناً أسود ، وكان أعرم الصبيان فقال
فيه :

يا ربَّ خالٍ لك مسودّ القفا لا يشتكي من رجله مسّ الحفا
كأن عينيه إذا تشوّفا عينا غرابٍ فوق نيقٍ أشرفا

وأخبره في « الأغاني » وشعره كثير ؛ وكانت وفاته في حدود المائة ،
رحمه الله .

[الحكم الربضي]

الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان ،
ملك الأندلس ؛ ولي الأمر بعد والده ، وامتدت أيامه وأقام في الأمر بعده سبعاً
وعشرين سنة وشهراً ، ولقّب نفسه بالمرتضى ، وكان فارساً شجاعاً فائقاً جباراً
ذا حزم ودهاء ، كان يمسك أولاد الناس الملاح فيخصيهم ويمسكهم لنفسه .
وتوفي سنة ست ومائتين ، وهو ابن خمسين سنة ، وقام بعده ولده أبو المطرف
عبد الرحمن . وله شعر فمنه :

قُضِبَ من البانِ ماست فوق كئبانٍ ولتَيْنَ عني وقد أزمعن هجراني
ملككِنني ملكاً ذلتَ عزائمهُ للحبِّ ذلَّ أسير مؤثقي عاني
من لي بمغتصبات الروح من بدني يغصبني في الهوى عزي وسلطاني

وكان له ألفا فرس مرتبطة على شاطئ النهر ، وكان يعرف بالربضي لأنه
قتل أهل الريض القبلي ، وهو من جانب شقندة في العدو الأخرى من قرطبة
وراء الوادي ، وهدم ديارهم وخرّبها فأصبحت فدادين بعد حرب عظيم ، ويظهر
في ذلك بشجاعة وبسالة ، وقال في ذلك :

رأبتُ صدوع الأرض بالسيفِ راقعا وقدماً لأمتُ الشعبَ مذ كنتُ يافعا
فسائل ثغوري هل بها اليوم ثغرةٌ أبادرها مستنضي السيفِ دارعا
وشافه على الأرض الفضاء جماجماً كأقحاف منشور الهبيد لوامعا

١٤١ - البيان المغرب ٢ : ٦٨ - ٨٠ والخلة السراء ١ : ٤٣ والمعجب : ٤٤ وأعمال الأعلام :

١٤ وصفحات متفرقة من نفع الطيب ، والوافي للصفدي .

١ ص : رأيت .

تُنَبِّئُكَ أَنِّي لَمْ أَكُنْ فِي قِرَاعِهِمْ بُوَانٍ ، وَقَدِمًا كُنْتُ بِالسَيْفِ قَارِعًا
وَهَلْ زِدْتُ أَنْ وَفِيهِمْ صَاعٌ قَرَضَهُمْ^١ فَوَافُوا مَنَايَا قُدِّرْتُ وَمِصَارِعًا
فَهَاكَ سِلَاحِي أَنِّي قَدْ تَرَكْتُهَا مَهَادًا وَلَمْ أَتْرِكْ عَلَيْهَا مَنَازِعًا^٢

وكان قد تظاهر في صدر ولايته بالخمور والفسق ، فقامت الفقهاء والكبار
وخلعوه سنة تسع وثمانين ثم أعادوه لما تنصّل وتاب ، فقتل طائفة من الكبار
وصلبهم بإزاء قصره ، قيل بلغوا سبعين نفساً ، وكان يوماً فظيماً^٣ فمقتته النفوس
وأضمرُوا له السوء ، وأسمعوه الكلام المر ، فتحصن واستعد ، وجرت له أمور
يطول شرحها .

قال أبو محمد بن حزم : وكان من المجاهرين بالمعاصي سقاً كالأدماء .

١٤٢

[حملة الوادياشية]

حملة بنت زياد بن بقي العوفي ؛ قال ابن الأبار في «تحفة القادم» : كانت من
التأديبات المصرفات المتغزلات المتعطفات حدثت عن أبي الكرم جودي ابن عبد
الرحمن الأديب . قال ابن الأبار أنشدني القاسم بن البراق ، قال : أنشدتني
حملة بنت زياد العوفية وقد خرجت متنزهة بالرملة من وادياش فرأت ذات

١ ص : قرصهم .

٢ وكان له . . . منازعا : لم يرد في المطبوعة .

٣ ص : فضيما .

١٤٢ - الوافي والزرکشي : ١٠٧ والتكملة (رقم : ٢١٢٠) والإحاطة ١ : ٤٩٨ والتحفة :

١٦٢ والمطرب : ١١ والسيوطي : ٤٨ والذيل والتكملة (الجزء الأخير - مخطوط) ونفح

الطيب ٤ : ٢٨٧ ، وقد سقط من المطبوعة أجزاء من هذه الترجمة .

وجه وسيم أعجبها ، فقالت :

أباح الدمعُ أسراري بوادي لهُ للحسنِ آثارِ بوادي
فمن نهرٍ يطوفُ بكلِّ روضٍ ومن روضٍ يطوفُ بكلِّ وادي
ومن بينَ الأطباءِ مهأةُ رملٍ سبت لي وقد ملكت قيادي
لها لحظٌ ترقدُهُ لأمرٍ وذاك اللحظُ يمنعي رقادي
إذا سدلت ذوائبها عليها رأيت البدرَ في جنح الدآدي
كأن الصبح مات له شقيق فمن حزنٍ تسربلَ بالحداد

قال : وأنشدني الكاتبان : أبو جعفر بن عبيد الأركشي وأبو إسحاق ابن
الفيقيه الجياني قالا : أنشدنا القاضي أبو يحيى عتبة بن محمد بن عتبة الجراوي
الحمدة هذه :

ولما أبى الواشونَ إلاّ فراقنا وما لهمُ عندي وعندك من ثار
وشتّوا على أسماعنا كلِّ غارةٍ وقلّت حماتي عند ذلك وأنصاري
غزوتهمُ من مقلتيك وأدمعي ومن نفسِي بالسيف والسيل والنار

وعاصرت حمدة هذه نزهون بنت القليعي الغرناطية ، الآتي ذكرها إن شاء
الله تعالى في حرف النون ؛ وكانت وفاة حمدة في [. . .] .

١٤٣

حمزة بن بيض

حمزة بن بيض — بكسر الباء الموحدة وسكون الياء والضاد المعجمة — الحنفي

١ ص : قتالنا .

١٤٣ — معجم الأدباء ١٠: ٢٨٠ وأخبار الحمقى والمغفلين ٤٣: والواقي للصفهري والأغاني ١٦: ١٤٢.

أحد بني بكر بن وائل ؛ كوفي شاعر مجيد ساهم في القول كثير المجون ، كان منقطعاً إلى المهلب بن أبي صفرة وولده ، ثم إلى بلال بن أبي بردة ، حصلت له أموال كثيرة إلى الغاية من ذهب وخيل ورقيق ، قيل إنه حصل ألف ألف درهم ، وتوفي سنة عشرين ومائة .

أتى بلال بن أبي بردة ، وكان كثير المزاح معه ، فقال لحاجبه : استأذن لحمزة بن بيض الحنفي ، فدخل الحاجب وخرج وقال : يقول لك : حمزة بن بيض ، ابن من ؟ فقال : ادخل وقل له : الذي جئت إليه إلى سبار الحمام وأنت أمرد تسأله أن يهبك طائراً ، فأدخلك السبار وناكك وأعطاك طائراً ، فشمته الحاجب فقال : ما أنت وذا ؟ بعثك برسالة فأبلغه الجواب ، فدخل الحاجب وهو مُغضبٌ ، فلما رآه بلال ضحك وقال : ما قال لك ، قبحه الله ؟ فقال : ما كنت لأخبر الأمير بما قال ، فقال : يا هذا أنت رسول ، فأد الجواب ، فأبى فأقسم عليه ، فأخبره بقوله ، فضحك حتى فحص برجليه ، وقال : قل له قد عرفنا العلامة فادخل ، فدخل فأكرمه وسمع مديحه ، وأحسن صلته .

وأراد بلال بقوله « ابن من » قول الشاعر فيه :

أنت ابن بيض لعمرى لست أنكره فقد صدقت ولكن من أبو بيض
وقدم على مَخْلَد بن المهلب ، وعنده الكميت ، فأنشده :

أتيناك في حاجة فاقضها وقل مرحباً يجب المرحب
ولا . لا تكلنا إلى معشر متى وعدوا عدةً يكذبوا
فإنك في الفرع من أسرة لهم خضع الشرق والمغرب
بلغت لعشر مضت من سنين ما يبلغ السيد الأشيب
فهمك فيه جسام الأمور وهم لِدَاتِك أن يلعبوا

١ ص : قول .

٢ ص : طائر .

وَجُدَّتْ فَقَلَّتْ : أَلَا سَائِلٌ فَيُعْطَى وَلَا رَاغِبٌ يَرْغَبُ
فَمِنْكَ الْعَطِيَّةُ لِلْسَائِلِينَ وَمِمَّنْ يَنْوِيكَ أَنْ يَطْلُبُوا

فأمر له بمائة ألف درهم ، فأخذها ، وسأله عن حوائجه فأخبره ، ففضاها جميعاً .

وأودع حمزة عند ناسك ثلاثين ألف درهم ، ومثلها عند رجل نباتاذ ، فأما الناسك فبنى بها داره وزوج بناته وأنفقها وجحدته ، وأما النباتاذ فأدّى إليه الأمانة في ماله ، فقال حمزة :

أَلَا لَا يَغْرُكَ ذُو سَجْدَةٍ يَظُلُّ بِهَا دَائِمًا يَجْدَعُ
كَأَنَّ بِجِبْهَتِهِ جُلْبَةً تَسْبَحُ طَوْرًا وَتَسْتَرْجِعُ
وَمَا لِلتَّقَى لَزِمَتْ وَجْهَهُ وَلَكِنْ لِيغْتَرَّ مُسْتَوْدِعُ
فَلَا تَفْرَنْ مِنْ أَهْلِ النَّيِّدِ وَإِنْ قِيلَ يَشْرَبُ لَا يَقْلَعُ
فَعَنْدِي عِلْمٌ بِمَا قَدْ خَبِرْتُ إِنْ كَانَ عِلْمٌ بِهِمْ يَنْفَعُ
ثَلَاثُونَ أَلْفًا حَوَاهَا السُّجُودُ فَلَيْسَتْ إِلَى أَهْلِهَا تَرْجِعُ
بَنَى الدَّارَ مِنْ غَيْرِ مَا مَالَهُ فَأَصْبَحَ فِي بَيْتِهِ يَرْتَعُ
مَهَائِرَ مِنْ غَيْرِ مَالٍ حَوَاهُ يُقَاتُونَ أَرْزَاقَهُمْ جُوعًا
وَأَدَى أَخُو الكَاسِ مَا عِنْدَهُ وَمَا كُنْتُ فِي رَدِّهَا أَطْمَعُ

وكان عبد الملك بن مروان يعبث به ، فوجه إليه ليلة رسولا وقال : جئني به على أيّ حالة وجدته ، فهجم عليه فوجده داخلا إلى بيت الخلاء ، فقال : أجب أمير المؤمنين ، فقال : ويحك ! أكلت كثيرا وشربت نبيذا حلوا وقد أخذني بطبي ، فقال : لا سبيل إلى مفارقتك ، ثم أخذه وأتى به إلى عبد الملك ، فوجده قاعدا في طارمة ، وعنده جارية جميلة يتحظاها وهي تسجر العود وتبخّر أمير المؤمنين ، فجلس يحادثه ويعالج ما هو فيه من داء بطنه ، فعرضت له ريح فسيبها ظنا أن يسرها البخور . قال حمزة : فوالله لقد غلب ريحها ريح البخور والند ،

فقال : ما هذا يا حمزة ؟ قال : فقلت : عليّ عهدُ الله والمشي إلى بيت الله والهدْيُ إن كنت فعلتها ، وما فعلها إلاّ هذه الجارية ، قال : فغضب وخرجت الجارية وما قدّرت على الكلام ، ثم جاءني أخرى فسرحتها ، وسطعَ والله ريحها ، فقال : ما هذا ويلك ؟ أنت والله الآفة ، فقلت : امرأتي طالق إن كنت فعلتها ، فقال : وهذه اليمين لازمة لي إن كنتُ فعلتها ، ثم قال للجارية : ويلك ، ما قصتك ؟ قومي إلى الخلاء إن كنت تجدين شيئاً ، وطمعتُ فيها فسرحتُ الثالثة فسَطعَ ريحها ما لم يكن في الحساب ، فغضب عبدُ الملك حتى كاد أن يخرج من جلده ، ثم قال : يا حمزة ، خذ بيد هذه الجارية الزانية فقد وهبتها لك ، وامض فقد نغصتُ عليّ ليلتي ، فأخذتُ بيدها وخرجت ، فلقيني خادم فقال : ما تريد أن تصنع ؟ فقلت : أمضي بها ، فقال : والله لئن فعلت ليبغضنك بغضاً لا تتفع به بعده ، وهذه مائة دينار ، فخذها ودع هذه الجارية ، فقلت : والله لا نقصتُك من خمسمائة دينار ، فقال : ليس إلاّ ما قل لك ، فأخذتها منه وأخذ الجارية ، فلما كان بعد ثلاثٍ دعاني عبد الملك ، فلقيني الخادم فقال : هذه مائة دينار أخرى وتقول ما لا يضرّك ولعله ينفعلك ؟ فقلت : ما هو ؟ فقال : إذا دخلت إليه تدّعي عنده أن تلك الفسوات الثلاث أنت فعلتهنّ ، فقلت : هاتها ، فلما دخلتُ وقفتُ بين يديه وقلت : الأمان يا أمير المؤمنين ، فقال : قل ، فقلت : أرأيت تلك الليلة ما جرى من الفسوات ؟ قال : نعم ، قلت : عليّ وعليّ إن كان فساهنّ غيري ، فضحك حتى سقط على قفاه وقال : فلم ويلك ما أخبرني ؟ فقلت : أردت خصالاً ، منها أن قمتُ وقضيتُ حاجتي ، ومنها أخذت جارتك ، ومنها أني كافأتك على أذاك بمثله ، حيث منعي رسولك من دفع أذائي ، قال : وأين الجارية ؟ قلت : ما خرجت من دارك ، وأخبرته الخبر . فسرّ بذلك ، وأمر لي بمائتي دينار أخرى ، وقال : هذه لجميل فعلك ، وترّكك أخذ الجارية .
وأخبار حمزة كثيرة وكلها طرّف .

حرف الخاء

[خالد الكاتب]

خالد بن يزيد ، أبو الهيثم الكاتب البغدادي ، أصله من خراسان ، وكان أحد كتاب الجيش ، ولاة ابن الزيات الإعطاء ببعض الثغور ، فخرج فسمع في طريقه منشداً ينشد :

من كان ذا شَجَنٍ بالشامِ يطلبهُ ففي سوى الشامِ أمسى الأهلُ والوطنُ

فبكى حتى سقط مغشياً عليه ، ثم أفاق واختلط عقله ، واتصل به ذلك إلى الوسواس وبطل ، وكان مغرماً بالمرد وينفق عليهم كل ما يفيد ، فهوي غلاماً يقال له عبد الله ، وكان أبو تمام يهواه ، فقال فيه خالد :

قضيْبُ بانِ جنّاهُ وردُ تحملهُ وجنةٌ وخدُّ
لم أئنِ طرفي إليه إلاَّ مات عزاء وعاش وجدُّ
مُلْكٌ طوعَ النفوسَ حتى علّمه الحسنُ كيف يبدو
واجتمع الصّدُّ فيه حتى ليس خلقي سِواهُ صدُّ

فبلغ ذلك أبا تمام فقال :

شعرك هذا كلّه مفرطٌ في برده يا خالدُ الباردُ

١٤٤ - الوافي والزرکشي ١٠٨ : ٨ وتاريخ بغداد ٣٠٨ : ٢٠ والأغاني ٢٠ : ٢٣٤ والمنظّم ٥ : ٣٥ وطبقات ابن المعتز : ٤٠٥ ومعجم الأدباء ١١ : ٤٧ ووردت له ترجمة في ابن خلكان ٢ : ٢٣٢ وهي من مزيدات طبعة بيروت ، وليست من شرط ابن خلكان ؛ وانظر بغية الطلب ١٢١ : ٦ .
١ ص : جنة وورد .

فعلقتها الصبيان وما زالوا يصيحون به : يا خالد البارد ، حتى وسوس ، وهجا
أبا تمام فقال :

يا معشر المرد إنّي ناصحٌ لكمُ
لا ينكحنّ حبيباً منكمُ أحدٌ^١
لا تأمنوا أن تعودوا بعد ثلاثة
ومن شعره :

عشٌ فحبيك سريعاً قاتلي
ظفر الشوقُ بقلبٍ دنفٍ
فهما ما بين وجدٍ وضنّى
وبكى العاذل لي من رحمة
والهوى إن لم تصلني واصلي
فيك والسقمُ بجسمٍ ناحلٍ
تركاني كالقضيبي الذابل
فبكائي لبكساء العاذل
ومنه :

عشية حيتاني بورد كأنه
وراح وفعلُ الراحِ في حركاته
خُدودٌ أضيفت بعضهنّ إلى بعضٍ
كفعلِ النسيمِ الرطبِ في الغصنِ الغضّ
ومنه :

رقدتَ ولم تترثِ للساهر
ولم تدرِ بعد ذهابِ الرقادِ
وليلُ المحبِّ بلا آخرِ
ما فعلِ الدمعُ بالناظرِ

وتوفي خالد في حدود السبعين والمائتين ، رحمه الله تعالى .

١ ص : حبيب ... أحد .

الزین خالد

خالد بن یوسف بن سعد بن الحسن بن مفرج بن بکار ، الحافظ المفید زین الدین ، أبو البقاء النابلسی ثم الدمشقی ؛ ولد بنابلس سنة خمس وثمانین وخمسائة . وتوفي سنة ثلاث وستین وستمائة .

قدم دمشق ونشأ بها ، وسمع من القاسم ابن عساكر ومحمد بن الحصب و ابن طبرزرد وحنبل وطائفة ، وسمع ببغداد من ابن الأخضر وابن منینا ، وكتب وحصل الأصول النفیسة ، ونظر فی اللغة والعربیة ، وكان إماماً ذكياً فطناً ظریفاً حلوا النادرة حلوا المزاح ، وكان يعرف قطعة كبيرة من الغریب والأسماء والمختلف والمؤتلف ، وله حکایات متداولة بین الفضلاء ، وكان الملك الناصر یحبه ویكرمه . روى عنه محیی الدین النوایوی والشیخ تاج الدین الفزاری وأخوه الخطیب شرف الدین وتقی الدین ابن دقیق العید . وكان ضعیف الكتابة جداً ، ويعرج من رجله .

حدث الشرف الناسخ أنه كان یحضره الناصر بن العزیز ، فأنشد شاعر قصيدة یمدحه بها ، فخلع الزین خالد سراویله وخلعه علی الشاعر ، فضحك الناصر وقال : ما حملك علی هذا ؟ قال : لم یکن معی ما أستغنی عنه غیره ، فعجب منه ووصله . وولي مشیخة النوریة ، وكان قصیراً شدید السمرة ویلبس قصیراً ؛ ومن شعره ، رحمه الله تعالی :

أبا حسن إني إليك وإن نأت ركابي إلى بغداد ما عشتُ تائق
ولو عنت الأقدار قبلي لعاشق لما عاقني عنك العشية عائق

١٤٥ - الوافي والزركشي : ١١٠ وعبر الذهبي : ٥ : ٢٧٣ والشذرات : ٥ : ٣١٣ وذيل الروضتين : ٢٣٣ وتذكرة الحفاظ : ١٤٤٧ والدارس : ١ : ١٠٦ والبدایة والنهاية : ١٣ : ٢٤٦ .

ومنه :

يا ربّ بالمبعوث من هاشم وصهره والبضعة الطهر
لا تجعل اليوم الذي لا ترى عيني تاج الدين من عمري

١٤٦

[سبط ابن الحمامية]

خسرو شاه بن سعد بن عبد السيد ، أبو شجاع سبط ابن الحمامية ، ويسمى
محمد أيضاً ؛ كان أديباً فاضلاً له شعر ، وتوفي سنة أربع وخمسمائة . ومن شعره :
وليلة جعلت في أرضها فلكاً يديره عبث القينات بالوتر
فشمسه الراح والمصباح كوكبه وبدره شادن من أحسن الصور
فسعدها بتمام الليل متصل ونحسها فرقة تأتي مع السحر

١٤٧

[الشيخ خضر العدوي]

الشيخ خضر بن أبي بكر بن موسى المهراني العدوي ، الشيخ المشهور ،
شيخ الملك الظاهر ؛ كان صاحب حال ونفس قوية ، وكان له حال كاهني ، أخبر
الظاهر بسلطنته قبل وقوعها ، فلهذا كان يعظمه وينزل إلى زيارته ويُطلعه على
غوامض أسراره ويستصحبه في أسفاره ؛ سأله وهو محاصر أرسوف : متى

١٤٦ - الوافي والزركشي : ١١١ ؛ ولم ترد هذه الترجمة في المطبوعة .

١٤٧ - الوافي وعبر الذهبي : ٣٠٩ : ٥ (وفيات سنة ٦٧٦) والشذرات : ٥ : ٣٥١ .

تؤخذ ؟ فعين له اليوم ، فوافق ذلك ، وكذلك صَفَدَ وقيسارية .
ولما عاد إلى الكرك سنة خمس وستين استشاره في قَصْدِهَا ، فأشار عليه أن
لا يقصدها ويتوجه إلى مصر ، فخالفه وتوجه فوقع عند بركة زيزا وانكسرت
فخذه .

وقال في بعلبك والظاهر على حصن الأكراد : يأخذه السلطان بعد أربعين
يوم ، فوافق ذلك .

ولما توجه السلطان إلى الروم كان الشيخ خضر في الحبس ، فأخبر أن السلطان
يظفر ويعود إلى دمشق ، وأموت ويموت بعدي بعشرين يوماً ، فاتفق ذلك .
وكان السلطان قد نغم عليه وأحضر مَنْ حَاقَقَه على أمور لا تصدرُ من
مسلم ، فأشاروا بقتله ، فقال هو للسلطان : أَجَلِي قريب من أجلك ، وبينك وبينك
أيام يسيرة ، فوجم لها السلطان وتوقف في قتله وحبسه وضيق عليه ، لكنه
يرسل إليه الأطعمة الفاخرة والملابس ، وكان حبسه في شوال سنة إحدى
وسبعين .

ولما وصل الظاهر من الروم إلى دمشق كتب إلى مصر بإخراجه ، فوصل
البريد بعد موته . وكان قد بنى له عدة زوايا في عدة بلاد . وكان كل أحد يتقي
جانبه ، حتى صاحب بهاء الدين ابن حنا وبيليك الخزندار .
وإذا كتب ورقة يقول فيها : من خضر نياك الحمارة .
وأخرج من السجن ميتاً وحمل إلى الحسينية ودفن بزوايته .

قال الشيخ تقي الدين : الشيخ خضر مسلم صحيح العقيدة ، لكنه قليل الدين
باطولي له حال شيطاني ، وكانت وفاته سنة ست وسبعين وستمائة ، وكان قد بنى
له زاوية بالحسينية على الخليج محاذية لأرض الطبالاة ، ووقف عليها أحكاراً يحيي
منها في السنة ثلاثون ألف درهم ، وبنى له بالقدس زاوية ، وبالمرزة بدمشق زاوية ،
وبظاهر بعلبك زاوية ، وبجماعة زاوية ، وبجمص زاوية ، وهدم بدمشق كنيسة
اليهود وكنيسة المصلبة التي للنصارى بالقدس ، وقتل قسيسها بيده وعملها زاوية ،

وهدم بالإسكندرية كنيسة الروم وبنها مدرسة وسماها الخضراء . وكان واسع الصدر يعطي الفضة والذهب ، ويعمل الأطعمة في قُدور مفرطة الكبر يحمل القدر جماعة عتالين ، وفي ملازمته الظاهر يقول الشريف^١ الناسخ :

ما الظاهر السلطان إلا مالك الـ دنيا بذاك لنا الملاحم^٢ تخبر
ولنا دليل واضح كالشمس في وسط السماء بكل عين تنصر
لما رأينا الحضرة يقدم جيشه أبسداً علمنا أنه الإسكندر

١٤٨

الأشرف خليل

خليل بن قلاوون ، السلطان الملك الأشرف صلاح الدين ابن السلطان الملك المنصور قلاوون الصالحى . جلس على تخت الملك في ذي القعدة سنة تسع وثمانين وستمائة . بعد موت والده ، واستفتح الملك بالجهاد . وسار فنازل عكا وافتتحها ، ونظف^٣ الشام كله من الفرنج . ثم سار في السنة الثانية فنازل قلعة الروم وحاصرها خمسة وعشرين يوماً وافتتحها ، ثم في السنة الثالثة جاءته مفاتيح قلعة بهسنا من غير قتال إلى دمشق ، ولو طالت مدته مَلَكَ العراق وغيرها ، فإنه كان شجاعاً مقداماً مهيباً عالي الهمة يملأ العين ويرجف القلب . وكان ضخماً سميناً كبير الوجه بديع الجمال مستدير اللحية . على صوته رونق الحسن وهيبة السلطنة ، وكان إلى جوده وبذله الأموال في أغراضه المنتهى . تحافه الملوك في أقطارها ؛

١ مرّ ص ٤٠٣ : الشرف .

١٤٨ - الوافي والزركشي ١ : ١١١ والنجوم الزاهرة ٨ : ٣ - ٢٧ والسلوك ١ : ٧٥٦ وما بعدها والبداية والنهاية ١٣ : ٣٣٤ والشذرات ٥ : ٢٢٢ وغير الذهبي ٥ : ٣٧٧ .

٢ ص : ونصف .

أباد جماعةً من كبار الدولة ، وكان منهمكاً على اللذات ؛ لا يعبأ بالتحرز على نفسه لشجاعته .

توجّه من القاهرة ثالث المحرم [سنة ثلاث وتسعين وستمائة]^١ هو والوزير شمس الدين بن السلجوس وأمراء دولته ، وفارقه وزيره من الطرّانة^٢ إلى الإسكندرية ، وعسّف وظلّم وصادر الناس ، ونزل الأشرف بأرض الحمامات للصيد ، وأقام إلى يوم السبت ثالث عشر المحرم ، فلما كان العصر وهو بتروجة حضر نائب السلطنة بيدرا وجماعة من الأمراء ، وكان الأشرف أمره بكرةً أن يتقدم بالدلهيز لیتصيد هو ويعود عشية ، فاحتاطوا به وليس معه إلاّ شهاب الدين ابن الأشل أمير شكارا ، فابتدره بيدرا فضربه بالسيف قطع يده ، فصاح حسام الدين لاجين عليه وقال : من يريد السلطنة تكون هذه ضربته ؟ وضربه على كتفه حلّه ، فسقط السلطان إلى الأرض ، ولم يكن معه سيف ، بل كان وسطه مشدود بالبند ، ثم جاء سيف الدين بهادر رأس نوبة^٣ ، فأدخل السيف من أسفله وشقّه إلى حلقة ، وتركوه طريحاً في البرية ، والتفوا على بيدرا وحلقوا له . وساق تحت العصايب يطلب القاهرة . وتسمى بالملك الأوحده ، وبات تلك الليلة ، وأصبح يسير ، فلما ارتفع النهار إذا بطلب كبير قد أقبل يقدمه زين الدين كتّيبغا وحسام الدين أستاذدار^٤ يطلبون بيدرا بدم أستاذهم ، وذلك بالطرّانة ، فحملوا عليه ففترق عنه أكثر من معه ، وقتل في الحال وحمل راسه على رمح وجاءوا

١ زيادة لا بد منها .

٢ قرية صغيرة على الشاطئ الغربي لفرع رشيد بمديرية البحيرة .

٣ وظيفة من وظائف أرباب السيوف ، موضوعها الحكم على الممالك السلطانية والأخذ على أيديهم (صبح الأعشى ٤ : ١٨) .

٤ وظيفة الأستاذ دارية هي التحدث في أمر بيوت السلطان كلها من المطابخ والشرابخانة والحاشية والغلمان ، والأستاذ دار هو الذي يمثي بطلب السلطان ويحكم في علمانه وباب داره ، وله تصرف تام في كل ما يحتاجه بيت السلطان من النفقات والكساوي (صبح الأعشى ٤ : ٢٠) وانظر ٥ : (٤٥٧) .

به إلى القاهرة ، فلم يمكنهم الشجاعي من التغذية ، وكان نائب السلطنة في تلك السفارة ، فأمر بالشواني كلها فربطت إلى الجانب الآخر ، ونزل الجيش على الجانب الغربي . ثم مشت بينهم الرسل على أن يقيموا الملك الناصر محمد أخا الأشرف ، فقرر ذلك ، وأجلسوه على التخت يوم الاثنين رابع عشر المحرم ، وصار أتابكه كَتَبُغًا ووزيره الشجاعي ، واختفى حسام الدين لاجين وقراسنقر المنصوري وغيرهما ممن شارك في قتله .

قال الشيخ شمس الدين الجزري رحمه الله تعالى : حدثني الأمير سيف الدين المحفد^١ قال : كان السلطان رحمه الله قد نفذني بكرة إلى بيدرا بأن يتقدم بالعساكر ، فلما قلت له ذلك نفرني وقال : السمع والطاعة ، كم تستعجلني ! ثم إني حملت الزردخانا^٢ والثقل الذي لي وركبت ، فبينما أنا ورفيقي الأمير صارم الدين الفخري وركن الدين أمير جنّدار عند الغروب وإذا بنجّاب قد أقبل فقلنا له : أين تركت السلطان ؟ فقال : يطول الله أعماركم فيه ؛ فبهتنا ، وإذا بالعصايب قد لاحت ، وأقبل الأمراء وبيدرا في الدست ، فجيننا وسلمنا ، وساق معه ركن الدين أمير جنّدار ، وقال له : يا خوند هذا الذي تمّ كان بمشورة الأمرا ؟ قال : نعم أنا قتلتهم بمشورتهم وحضورهم ، وهاهم حضور ، وكان من جملتهم حسام الدين لاجين وبهادر رأس نوبة وقراسنقر وبدر الدين بيسري ؛ ثم إن بيدرا شرع يعدّد ذنوبه وإهماله لأمر المسلمين واستهتاره بالأمر وتوزيعه لابن السلّعوس ، ثم قال : رأيتم الأمير زين الدين كَتَبُغًا ؟ فقلنا : لا ، فقال له أمير جنّدار : عنده علم من هذه القضية ؟ قال : نعم ، هو أول من أشار بها ، فلما كان من الغد جاء كتبغا في طلب نحو من ألفين من

١ المحفد : هو الذي يتصدى لخدمة المحفة ومعناه ممك المحفة (صبح الأعشى ٥ : ٤٧٠) .

٢ يقال لها أيضاً «السلّح خانا» وتشتمل على أنواع السلاح ، وصانع السلاح يسمى الزردكاش (صبح الأعشى ٤ : ١١-١٢) .

الخاصكية^١ وغيرهم ، ثم قال كتبغا لبيدرا : أين السلطان ؟ ورماه بالنشاب ، ورموا كلهم بالنشاب وقتلوه ، وتفرق جمعه ، فلما رأينا ذلك التجأنا إلى جبل ، واختلطنا بالطلب الذي جاء ، فعرفنا بعض أصحابنا ، فقال لنا : شدوا بالعجلة مناديلكم^٢ في أرقابكم إلى تحت الإبط ، يعني شعارهم .

قال ابن المحفّدار : وسألت شهاب الدين ابن الأشل : كيف كان قتل السلطان ؟ قال : جاء إليه بعد رفع الدهليز أن بتروجة طيراً كثيراً ، فقال لي : امش بنا حتى نسبق الخاصكية ، فركبنا وسرنا ، فرأينا طيراً كثيراً ، فرمى بالبندق وصرع كثيراً ، ثم قال : أنا جيعان ، فهل معك شي تطعمني ؛ فقلت : ما معي سوى فروجة ورغيف في سولقي^٣ ، فقال : هاته ، وناولته فأكله ، ثم قال : امسك فرسي حتى أبول ، ثم نزل وجعل يريق^٤ الماء ويمازحني ثم ركب ، وإذا بغبّار عظيم ، فقال : سقّ واكشف الخبر ، فسقت ، وإذا ببيدرا والأمراء فسألتهم عن سبب مجيئهم فلم يردوا علي ، وساقوا إلى السلطان وقتلوه كما ذكرنا .

ثم إن بعد يومين طلع والي تروجة وغسلوه وكفنوه ووضعوه في تابوت ، وسيروا من القاهرة الأمير سعد الدين كوجبا الناصري فأحضر التابوت ودفن في تربة والدته ، وذلك في المحرم سنة ثلاث وتسعين وستمائة ، وكان من أبناء الثلاثين أو أقل ، رحمه الله تعالى .

ذكر فتوحاته : عكا وصور وصيدا وبيروت وقلعة الروم وبهسنا ، وجميع الساحل في أقرب مدة .

١ الخاصكية : هم الذين يدخلون على السلطان في أوقات خلواته وفراغه ويركبون لركوبه ليلاً ونهاراً ويتميزون بسيوفهم وملابسهم الطرز المتركش (زبدة كشف الممالك : ١١٥) .
٢ ص : مناديلكم (دون إعجام للياء) .
٣ السولق - بالسین والصاد - مخلّاة من جلد يضعها الشخص في حزامه من الجهة اليمنى .
٤ ص : يرق .

وكان مدة ملكه ثلاث سنين وشهر وخمسة أيام .
وكان كرمه زائداً وإطلاقه عظيم ، وكانت واقعته تسمى وقعة الأيدي
والأكتاف ، لأن جميع من وافق عليه قطعت أيديهم أولاً ، وفيهم من سُمّر ،
وفيهم من أحرق ، وفيهم من قتل ، ولم يجدد في زمانه مظلمة ، ولا استجد ضمان
مكس . وكان يحب الشام وأهله ، وفيه يقول شمس الدين ابن غانم :

مليكان قد لقباً بالصلاح فهذا خليلٌ وذا يوسفُ
فيوسفُ لا شكَّ في فضله ولكن خليلٌ هو الأشرفُ

وكان مُغرّى بالهدم ، لأنه هدم أماكن ، وفيه بقول علاء الدين الوداعي
لما أمر بهدم الأماكن المجاورة للميدان بدمشق ، ووزع عمارته على الأمراء :

إنَّ أمرَ السلطان في جلقٍ بهدم ما جاور ميّدانهُ
فإنه قد غار لنا رأى عبر بيوت الله جيرانهُ

وقال أيضاً :

أرى الأمراء قد جدوا وجدوا وشدوا في بنائهم وشادوا
وهم متسابقون ولا عجبٌ ففي الميدان تستبق الحياض

وقال أيضاً :

تحزيمٌ أبها الأمراء حبراً على إيقانكم هذي النيةُ
فلا تحشوا على الميدان شيئاً سوى سيل العطايا الأشرفيةُ

ولما افتتح السلطان عكا امتدحه القاضي شهاب الدين محمود بقصيدته البائية
المشهوره . وهي :

الحمد لله دلّت دولة الصلْبِ وعزّ بالترك دينُ المصطفى العربي

رؤياه في النوم لاستحيت من الطلب
 في البحر للشرك عند البر من أرب
 دهرأً وشدت عليها كف مغتصب
 في البر والبحر ما ينجي سوى الهرب
 أن التفكير فيها غاية العجب
 شاب الوليد بها هولاً ولم تشب
 دار وأدناها أنأى من القطب
 من الرماح وأبراج من اليلتب
 بالنبل أضعاف ما تهدي من السحب
 من المجانيق يرمي الأرض بالشهب
 غضبان لله لا للملك والنشب
 جم الجيوش فلم يظفر ولم يجب
 للعجز عنه ملوك العجم والعرب
 يدعون رب العلى سبحانه بأب
 نال الذي لم ينله الناس في الحقب
 ما بين مضطرم ناراً ومضطرب
 عاراً، وراحتهم ضرب^٣ من الضرب
 أمران واختلفا في الحال والسبب
 في ذلك الأفق برجاً غير منقلب
 عنها مجانيقهم شيئاً ولم يشب
 به الفتوح وما قد خط في الكتب

هذا الذي كانت الآمال لو طلبت
 ما بعد عكا وقد هدت قواعدها
 عقيلة ذهبت أيدي الخطوب بها
 لم يبق من بعدها للكفر مذ خربت
 كانت تخيلنا آمالنا فنرى
 أما الحروب فكم قد أنشأت فتناً
 سوران : بر وبحر حول ساحتها
 مصفح بصفاح حولها أكم
 مثل الغمام تهدي من صواعقها
 كأنما كل برج حوله فلك
 ففاجأتها جنود الله يقدمها
 كم رامها ورامها قبله ملك
 لم ترض هيمته إلا الذي قعدت
 ليث أبي أن يرد الوجه عن أمم
 لم يلهه ملكه بل في أوائله
 فأصبحت وهي في بحرين مائة
 جيش من الترك ترك الحرب عندهم
 خاضوا إليها الردى والهجر فاشتبه الـ
 تسنموها فلم يترك تسنمهم
 أتوا حماها فلم تمنع وقد وثبوا
 يا يوم عكا لقد أنسيت ما سبقت

١ ابن الفرات : ولم يصب .

٢ ص : عاراً .

٣ ص : ضرباً .

لم يبلغ النطقُ حدَّ الشكر منك فما
كانت تمنى بك الأيام مبعدةً
أغضبت عبّاد عيسى إذ أبدتهمُ
وأطلع الله جيشَ النصر فابتدرت
وأشرف المصطفى الهادي البشير على
فقرٍ عيناً بهذا الفتح وابتهجت
وسار في الأرض سيرَ الريح سُمعته
وخاضت البيض في بحر الدماء وما
وغاص زُرُقُ القنا في زُرُقِ أعينهمُ
توقدت وهي غرقى في دمائهمُ
وذاب من حرها عنهم حديدهمُ
كم أبرزتُ بطلاً كالطود قد بطلت
أجرت إلى البحر بجرّاً من دمائهمُ
تحكمتُ وسطتُ فيهم قواضينا
كأنه سُنينُ الرمحِ يظلمسه
بشراك يا ملكَ الدنيا لقد شرفتُ
ما بعد عكا وقد لانت عريكها
فانهض إلى الأرض فالدنيا بأجمعها
كم قد دعت وهي في أسر العدا زماناً
أتيتها يا صلاحَ الدينِ معتقداً
أسلّتَ فيها كما سالت دماؤهم
أدركتُ ثأرَ صلاحَ الدينِ إذ غُصبتُ

عسى يقوم به ذو الشعر والخطب
فالحمد لله نلنا ذاك عن كتب
لله أي رضى في ذلك الغضب
طلّاع النصر بين السُمُر والقُضْب
ما أسلف الأشرف السلطانُ من قرب
بفتح الكعبة الغراء في الحجب
فالبرُّ في طربِ والبحرُ في حرَب
أبدتُ من البيض إلا ساقَ مختضب
كأنها شطنٌ تهوي إلى قلب
فزادها الطفحُ منها شدةً اللهب
فقيدتهم بها ذعراً يدُ الرهب
حواسه فغدا كالمنزلة الحرب
فراح كالراح إذ غرقاه كالحجب
قتلاً وعفتُ لحاويها عن النسب
برجٌ هوى ووراه كوكب الذئب
بك الممالك واستعلت على الرتب
لديك شيءٌ تلاقيه على تعب
مدت إليك فواصلها بلا نصب
صيدَ الملوك فلم تُسمع ولم تجب
بأن داعي صلاح الدينِ لم يجب
من قبل إحرازها بجرّاً من الذهب
منه لسرّ طواه الله في اللقب

وجنتها بجيوش كالسيولِ على
 وحطنتها بالمجانيق التي وقفت
 مرفوعة نصبوا أضعافها فغدا
 ورؤسيتها بنقوبٍ ذلت شَمَمًا
 وغنت البيض في الأعناق فارتقصت
 وخلقت بالدم الأسوار^١ فانفغمت
 وأبرزت كلَّ خودٍ كاعبٍ نثرت
 باتت وقد جاورتنا ناشراً وغدت
 بل أحرزتهم ولكن للسيوف لكي
 أضحت أبا لب تلك البروج وقد
 وتمت النعمة العظمى وقد كملت
 وجارت النار في أرجائها وعلت
 وأفلت البحر منهم من يخبرُ من
 أختان في أن كلا منهما^٢ جمعت
 لما رأته أختها بالأمس قد خربت
 الله أعطاك ملك البحر إذ جمعت
 من كان مبداه عكا وصوراً معاً
 علا بك الملك حتى إنَّ قبته
 فلا برحتَ قريرَ العين مبتهجاً

وقال أيضاً يمدحه عند فتح قلعة الروم سنة إحدى وتسعين وستمائة :

١ ص : الأصوار .

٢ ص : أحداً .

٣ ص : كل منهم .

فَمَنْ كَيْبَادٌ إِنْ رَأَاهَا وَكَيْخَسْرُو
 هَوَى الشَّرْكَ وَاسْتَعْلَى الْهُدَى وَانْجَلَى الثُّغْرُ
 جَلَا النَّعَمَ مِنْ لَأْلَاءِ طَلْعَتِهَا الْبَسْدِرُ
 كِتَابُ خَضِرٍ تَحْتَهَا الْبَيْضُ وَالسَّمِرُ
 بَرُوقٌ ، وَأَنْتَ الْبَدْرُ ، وَالْفَلَكَ الْبَحْرُ
 هَدِيَّةٌ تَأْيِيدٌ يَقْدِمُهَا الدَّهْرُ
 سَمَاءٌ بَدَتْ تَرَى كَوَاكِبَهَا الزَّهْرُ
 مَضَى الدَّهْرُ عَنْهَا وَهِيَ عَانِسَةٌ بِكَرٍ
 مِنَ الرَّعْبِ أَوْ جَيْشٍ^٢ يَقْدِمُهُ النَّصْرُ
 مِنَ الْخَوْفِ أَسْيَافٍ تَجْرُدُ أَوْ حَصْرٍ
 وَلَا جَسَدٌ إِلَّا لِأَرْوَاحِهِمْ قَبْرِ
 وَإِنْ عَظُمَتْ إِلَّا إِلَى غَيْرِهَا جَسْرُ
 إِذَا مَا تَبَدَّتْ فِي ضَمَائِرِهَا سِرُّ
 مَجَالٌ وَلِلنَّسْرِينَ بَيْنَهُمَا وَكْرٌ
 وَبَعْضٌ سَمَا حَتَّى هَمَى دُونَهُ الْقَطْرُ
 كَمَا لَاحَ يَوْمًا فِي قَلَائِدِهِ النَّحْرُ
 إِذَا مَا اسْتَدَارَتْ حَوْلَ أَبْرَاجِهَا نَهْرُ
 حَدِيدٍ وَفِيهَا عَنْ إِيْجَابَتِهِ وَقَرُّ
 عَلَى الْفِكْرِ حَتَّى مَا يُخَيِّلُهُ الْفِكْرُ

لَكَ الرَّايَةُ الصَّفْرَاءُ يَقْدِمُهَا النَّصْرُ
 إِذَا خَفَقَتْ فِي الْأَرْضِ هَدْبٌ بَنُودِهَا
 وَإِنْ نَشَرْتَ مِثْلَ الْأَصَائِلِ فِي وَعْيِ
 وَإِنْ يَمْتِ زَرْقُ الْعَدَا سَارَ تَحْتِهَا
 كَأَنَّ مِثَارَ النَّعَمِ لَيْلٌ ، وَخَفَقَهَا
 لَهَا كُلَّ يَوْمٍ أَيْنَ سَارَ لَوَاؤُهَا
 وَفَتَحَ أُنَى فِي إِثْرٍ فَتَحَ كَأَنْتُمْ
 فَكَمْ وَطِئَتْ طَوْعًا وَكِرْهًا مَعَاقِلُ
 فَإِنْ رَمَتْ حَصْنًا سَابِقَتِكَ كِتَابُ
 فِي كُلِّ قَطْرِ الْعَدَى وَحَصُونِهِمْ
 فَلَا حَصْنَ إِلَّا وَهُوَ سَجْنٌ لِأَهْلِهِ
 وَمَا قَلْعَةُ الرُّومِ الَّتِي حَزَّتْ فَتَحَهَا
 مُحَجَّبَةٌ بَيْنَ الْجِبَالِ^٣ كَأَنَّهَا
 تَفَاوَتْ وَصَفَاها فَلِلْحَوْتِ فِيهِمَا
 فَبَعْضٌ رَسَا حَتَّى جَرَى الْمَاءُ فَوْقَهُ
 يَحِيطُ بِهَا نَهْرَانِ تَبَرَّزُ فِيهِمَا
 تَخَاضُ مَتُونُ السَّحْبِ فِيهَا كَأَنَّهَا
 عَلَى هُضْبٍ صَمٌّ يَكْتُمُ صَخْرَهَا الِ
 لَهَا طَرِقٌ^٥ كَالْوَهْمِ أَعْيَا سُلُوكَهُ

١ ص : الجتر .

٢ ص : جيشاً .

٣ ص : الخيال .

٤ ص : ذكر .

٥ ص : طرقاً .

أو الدرُّ يوماً زلّ^١ عن منته الدر
 عقابٌ ويهفو في مراقبها النسر
 صوارمه أنهاره والقنا الزهر
 وجردُ المداكي السفنُ والحوذُ الدر
 أهلتسه ، والنبلُ أنجمه الزهر
 جيوشك ، والآصال راياتك الصفر
 لها كلُّ يومٍ في ذرى ظفر ظفر
 عليهم ولا ينهل من فوقهم قطر
 إذا ما رماها القوسُ والنظر الشزر
 وفي كلِّ قوس مدّة ساعده بدر
 وأصبح سهلاً تحت خيلهم الوعر
 لقليل هنا قد كان فيما مضى هر
 لئلا يذرى خاتم أو تحت منطقة خصر
 سحبَ ردّى لم يخل من قطره قطر
 رواعدُ سُخْطٍ وبُلْها النار والصخر
 فتوحك فيما قد مضى كلّه قسر
 له الأرض دار وهي من حسنها قصر
 تبيدُ الليالي والعدا وهو مفتر
 وذخراً لأهل الشرك فانعكس الأمر

إذا خطرت فيها الرياح تعثرت
 يضلُّ القطا فيها ويخشى عقابها ال
 فصبتحتها بالجيش كالروض بهجة
 وأبدعت بل كالبحر والبيض موجه
 وأغربت بل كالليل ، عوج سيوفه
 وأخطأت لا بل كالتهار فشمسه
 ليوث من الأتراك آجامها القنا
 فلا الريح تسري بينهم لاشتباكها
 يرى الموت معقوداً بهذب نباهم
 ففي كلِّ سرج غصن بان مهفف
 إذا صدموا صم الجبال تزلزلت
 ولو وردت مساء الفرات خيولهم
 أداروا بها سوراً^٢ فأضحت كخنصر
 وأجروا إليها من بحار أكفهم
 كأن المجانيق التي قمن^٣ حولها
 فأحرزتها بالسيف قهراً ، وهكذا
 غدت بشعاره الأشرف الملك الذي
 وأضحت بحمد الله ثغراً ممنوعاً
 وكانت قدّى في ناظر الدين فانجلى

١ ص : زال .

٢ ص : سور .

٣ ص : قمت .

٤ ص : نبها .

٥ ص : بشعار .

حرف اللام

[الملك الناصر داود]

داود بن عيسى بن محمد بن أيوب ، الملك الناصر صلاح الدين أبو المفاخر ابن الملك المعظم عيسى بن الملك العادل الكبير ابن أيوب ؛ ولد في جمادى الآخرة سنة ثلاث وستمائة بدمشق ، وتوفي سنة ست وخمسين وستمائة ؛ سمع ببغداد من القطيعي وغيره ، وبالكرك من ابن اللي ، وأجاز له المؤيد الطوسي ؛ وكان حنفي المذهب عالماً فاضلاً مناظراً ذكياً ، له اليد البيضاء في الشعر والأدب ، لأنه حصل طرفاً جيداً من العلوم في دولة أبيه ، وولي السلطنة سنة أربع وعشرين بعد والده ، وأحبه أهل دمشق ، وسار عمه الكامل من مصر ليأخذ دمشق منه ، فاستنجد بعمه الأشرف ، فجاء لنصرته ، ونزل بالدهشة ، ثم تغير عليه ومال لأخيه الكامل ، وأوهم للناصر أنه يصلح قضيته ، فاتفقا عليه وحاصراه أربعة أشهر وأخذوا دمشق منه ، وسار إلى الكرك وكانت لوالده ، وأعطى معها الصلت ونابلس وعجلون وأعمال القدس ؛ وعقد نكاحه على بنت عمه الكامل ، ثم إن الكامل تغير عليه ، ففارق ابنته قبل الدخول ، ثم إن الناصر قصد الإمام المستنصر بالله ، وقدم له تحف ونفائس ، وسار إليه على البرية ومعه فخر القضاة ابن بصاقة وشمس الدين الخسر وشاهي والخواص من مماليكه وألزامه ، وطلب الحضور بين يديه كما فعل بصاحب إربل ، فلم يأذن له ، فنظم قصيدته البائية وأولها :

١٤٨ - الوافي والزرکشي : ١١٢ وعبر الذهبي : ٥ : ٢٢٩ والشذرات : ٥ : ٢٧٥ وابن خلكان : ٣ : ٤٩٦ وذيل مرآة الزمان : ١ : ١٢٦ والنجوم الزاهرة : ٧ : ٦١ ونفح الطيب : ٢ : ٤٠٧ والسلوك ومفرج الكرب ، والقسم الأعظم من هذه الترجمة لم يرد في المطبوعة .

دان ألت بالكثيب ذوائبُه
 تقهقه في تلك الربوعِ رعوْدُه
 أرفقت له لما توالى بروقه
 إلى أن بدأ من أشقرِ الصبحِ قادمٌ
 وأصبحَ ثغرُ الأفحوانةِ ضاحكاً
 تمرُّ على نبتِ الرياضِ بلياسة
 وأقبلَ وجه الأرضِ طلقاً وطلما
 وكساهُ الحيا شيئاً من النبتِ فاخراً
 كما عادَ بالمستنصرِ ابنِ محمدٍ
 إمامٌ تحلّى الدين منه بماجدٍ
 هو العارضُ الهتان لا البرقِ مخلفٌ
 إذا السنة الشهباء شحتْ بظلمها
 فأحيا ضياءَ البرقِ ضوءً جبينه
 له العزمات اللائي لولا نضالها
 بصيرٌ بأحوالِ الزمانِ وأهلِهِ
 بديهته تغنيه عن كلِّ مشكلٍ
 حوى قصباتِ السبقِ مذ كان يافعاً
 تزينتِ الدنيا به وتشرّفتْ
 لئن نوهتْ باسمِ الإمامِ خلافةً
 فأنت الإمامُ العدلُ والعريقُ الذي
 وأغنيتْ حتى ليس في الأرضِ معلمٌ
 ومنْ جدُّه عمُّ النبيِّ وخذنُه

وجنح الدجى وحفٌ تجولُ غياهبُه
 وتبكي على تلك الطلولِ سحائبه
 وحلّتْ عزاليه وأسبلَ ساكبه
 يراعُ له من أدهمِ الليلِ هاربه
 تدغدغه ريحُ الصبا وتُداعبُه
 تجمشهُ طوراً وطوراً تُلَاعِبُه
 غدا مكفهرّاً موحشاتِ جوانبه
 فعاد قشياً غورهُ وغواربه
 نظامُ المعالي حينَ قلتُ كتابه
 تحلّتْ بآثارِ النبيِّ مناكبه
 لديه ولا أنواره وكواكبه
 سخا وابلٌ منه وسحتْ سواكبه
 كما نخلتْ جودَ الغواصي مواهبه
 تزعزعَ ركنُ الدينِ وانهدَّ جانبه
 حذورٌ فما تخشى عليه نوابه
 وإن حنكتهُ في الأمورِ تجاربه
 وأربتْ على زهرِ النجومِ مناقبه
 بنوها فأضحى خافضِ العيشِ ناصبه
 ورفعتِ الزاكي المنارِ مناسبه
 به شرفتْ أنسابه ومناصبه
 يبور عليه دهره ويحاربه
 إذا صارتمه أهله وأقاربه

وفرقتُ جمعَ المالِ فأنهالَ كاتبه^١
 على كاهلِ الجوزاءِ تعلقو مراتبه
 وأنتَ الذي تُعزّي إليه مذاهبه
 سبّارتهُ مُغبرةٌ وجوانبه
 بنفسي ولا أعبأ بما أنا راكبه
 فكلمهمُ نحوي تدبُّ عقاربه
 طريرٌ شباه فئاتُ ذوائبه
 بواهرَ جاهِ يبهرُ النجمَ ثاقبه
 له الدهرُ عبداً^٢ طائعا لا يغالبه
 وتعلي محلي فالسّها لا يقاربه
 تشرفُ قدرِ النيرينِ جلابيه
 على الفلكِ الأعلى تسيرو مواكبه
 وما الجاهِ إلاّ بعضُ ما أنتَ واهبه
 له الأمنُ فيها صاحبُ لا يجانبه^٣
 ولا اتصلتُ بالسيرِ فيها ركائبه
 ويحظى ولا أحظى بما أنا طالبه
 فيرجعُ والنورُ الإماميُّ صاحبه
 وصدقِ ولائِ لستَ فيه أصاقبه
 أزيدُ عليه لم يعبِ ذاكَ عائبه
 ولو أنعلتُ بالنيراتِ مراكبته

جمعتُ شتيتَ المجدِ بعد انفراقه
 ألا يا أميرَ المؤمنين ومن غدت^٤
 أيحسنُ في شرعِ المعالي ودينها
 بأني أخوضُ الدوَّ والدوَّ مُقفرُ
 وأرتكبُ الهولَ المخوفَ مخاطراً
 وقد رصدُ الأعداءِ لي كلَّ مرصد
 وآتيكُ والعضبُ المهتدُ مصلتُ
 وأتركُ آمالي بيابكُ راجياً
 فتقبل مني عبدُ رقٍ فيغتدي
 وتُنعمُ في حقّي بما أنتَ أهله
 وتلبسني من نسجِ ظلكِ حلّةً
 وتركبني نعمي أياديكُ مركباً
 وتسمح لي بالمالِ والجاهِ بغيتي
 ويأتيكُ غيري من بلادِ قريسة
 وما اغبرّ من جوبِ الفلا حُرّ وجهه
 فيلقى دنواً منك لم ألقَ مثله
 وينظر من لألاءِ قدسكُ نظرةً
 ولو كان يعلوني بنفسِ ورتبة
 ولكنّه مثلي ولو قلتُ إتي
 ولا بالذي يرضيه دونَ نصيره

- ١ ص : كاتبه .
 ٢ ص : حدث .
 ٣ ص : عبد .
 ٤ ص : تحانبه .

لكنْتُ أُسَلِّي النَّفْسَ عَمَّا أَرُومُهُ وكنْتُ أذودُ العَيْنَ عَمَّا تراقبه
وما أنا ممتنٌ يملأُ المالُ عينَهُ ولا بسوى التقريبِ تُقضى مآربه
ومن عجبٍ أني لدى البحرِ واقفٌ وأشكو الظَّما والبحرُ جمٌّ عجائبه
وغير ملومٍ من يؤملُ قاصداً إذا عظمت أغراضهُ ومآربه
وقد رضت مقصودي فتمت صدوره ومنكَ ترجى أن تمَّ عواقبه

فلما وقف الخليفة عليها أعجبه كثيراً ، فاستدعاه سراً بعد مضي شطر من الليل ، فدخل من باب السرِّ إلى إيوان فيه ستر مضروب ، فقبل الأرض ، فأمر بالجلوس ، فجعل الخليفة يحدثه ويؤنسه ، ثم أمر الخدام فرفعوا الستر ، فقبل الأرض وقبل يده ، فأمر بالجلوس فجلس ، وجاراه في أنواع من العلوم وأساليب الشعر ، وأخرجه ليلاً وخلع عليه خلعة سنوية : عمامة مذهبة سوداء وجبة سوداء مذهبة ، وخلع على أصحابه ومماليكه خلعاً جليلاً ، وأعطاه مالاً جزيلاً ، وبعث في خدمته رسولاً مشربشاً^١ من أكبر خواصه إلى الكامل يشفع فيه في إخلاص النية له وإبقاء ملكه عليه والإحسان إليه . وبلغ الكامل فخرج إلى تلقيهما إلى القصر ، وأقبل على الناصر إقبالاً كثيراً ، ونزل الناصر بالقابون وجعل رنكه^٢ أسود^٣ انتماءً إلى الخليفة ، وكان الخليفة زاد في ألقابه بـ « الولي المهاجر » مضافاً إلى لقبه ، وتوجه من دمشق والرسول معه ليرتبه في الكرك ، وذلك سنة ثلاث وثلاثين وستمائة .

١ مشربشاً : يلبس شربوشاً وهو قلنسوة طويلة تلبس بدل العمامة ، وكانت شارة للأمرء (ملحق دوزي) .

٢ الرنك لفظ فارسي معناه اللون ، وهو يستعمل بمعنى الشعار الذي يتخذه الأمير لنفسه عند تأمير السلطان له علامة على وظيفة الإمارة التي يعين عليها (حاشية السلوك ١ : ٦٧٢ رقم : ٤ ، وانظر صبح الأعشى ٤ : ٦١ - ٦٢) .

٣ ص : أسوداً .

ولما كان الناصر ببغداد حضر في المستنصرية وبحث واستدلّ ، والخليفة في روشن يسمع ، وقام يومئذ الوجيه القيرواني ومدح الخليفة بقصيدة منها :
لو كنت في يوم السقيفة حاضراً كنت المقدّم والهام الأروعا
فقال له الناصر : كذبت ، قد كان العباس جد أمير المؤمنين حاضراً^١ ،
ولم يكن المقدّم إلاّ أبو بكر رضي الله عنه ، فخرج الأمر بنفي^٢ الوجيه ، فذهب
إلى مصر وولي تدريس مدرسة ابن شكر .

رجع الكلام :

ثم وقع بين الكامل والأشرف ، وأراد كل منهما أن يكون الناصر معه ،
فمال إلى الكامل ، وجاء في الرسالية القاضي الأشرف ابن الفاضل ، وسار الناصر
إلى الكامل فبالغ في تعظيمه وأعطاه الأموال والتحف ، ثم اتفق موت الأشرف
والكامل ، والناصر بدمشق في دار أسامة ، فتشوف إلى السلطنة ، ولم يكن يومئذ
أمير منه ، ولو بذل المال لخلقوا له ، فتسلطن الجواد ، فخرج الناصر من دمشق
إلى القابون وسار إلى عجلون ، ثم حشد وجاء ، فخرج الجواد بالعساكر ، ووقع
المصاف بين نابلس وجنين ، فانكسر الناصر وأخذ الجواد خزائنه ، وكانت على
سبعمائة جمل ، فافتقر الناصر .

ولما ملك الصالح نجم الدين أيوب دمشق وسار لقصده مصر ، جاء عمه الصالح
إسماعيل وملك دمشق ، فتسحب جيش نجم الدين عنه ، وبقي في نابلس في
جماعة قليلة ، فجهز الناصر عسكرياً^٣ من الكرك فأمسكوه وأحضره إلى الكرك ،
فاعتقله عنده مكرماً .

ونزل الناصر عند موت الكامل من الكرك على القلعة التي عمرها الفرنج

١ ص : حاضر .

٢ ص : بنفا .

٣ ص : عسكر .

بالقدس وحاصرها وملكها وطرد مَنْ بالقدس من الفرنج وفي ذلك يقول ابن مطروح :

المسجد الأقصى له عادة سارت فصارت مثلاً سائراً
إذا غدا للكفر مستوطناً أن يبعث الله له ناصراً
فناصرٌ طَهَّرَهُ أولاً وناصرٌ طَهَّرَهُ آخراً

ثم إنه اتفق مع الصالح نجم الدين أيوب في أنه إن ملك مصر ما يفعل ، فقال الصالح : أنا غلامك ، وشرط عليه أشياء وأطلقه ، فلما ملك مصر وقع التسوية منه والمغالطة ، فغضب الناصر ورجع فبعث الصالح عسكرياً واستولوا على بلاد الناصر ، ثم إن ابن الشيخ نازله في الكرك وحاصره أياماً ورحل ، فقل ما عند الناصر من الذخائر والأموال واشتدَّ عليه الأمر ، فجهز الشيخ شمس الدين الحسروشاهي ومعه ولده إلى الصالح وقال : تسلم مني الكرك وعوضني الشوبك وخبزاً بمصر فأجابته ، فرحل إلى مصر مريضاً . ثم إن الأمر ضاق عليه فترك ولده المعظم نائباً في الكرك ، وأخذ ما يعزُّ عليه من الجواهر ومضى إلى حلب مستجيراً بصاحبها ، فأكرمه ، ثم توجه قاصداً بغداد ، وأودع ما معه من الجواهر عند الخليفة ، وكانت قيمتها أكثر من مائة ألف دينار ، ولم يصل بعد ذلك إليها .

وكان له ولدان : الظاهر والأجد ، وهما من بنت الملك الأجد ابن العادل ، فأمهما بنت عمه ، و [أم المعظم] بنت عمه الصالح ، فاتفقا مع أمهما على القبض على المعظم فقبضاه ، واستولوا على الكرك . ثم سار الأجد إلى المنصورة فأكرمه الصالح ، فكلمه في الكرك وتوثق منه لنفسه وإخوته وأن يعطيه خبزاً بمصر ، فأجابته ، وسير الطواشي بدر الدين الصوابي إلى الكرك نائباً ، وأقطع أولاد الناصر إقطاعات جليلة ، وفرح بالكرك ؛ وبلغ الناصر الخبير وهو بحلب فعظم ذلك عليه . فلما مات الصالح وتملك ابنه المعظم توران شاه وقتل عمه الطواشي الصوابي وأخرج

المغيث عمر ابن العادل ابن الكامل من حبس الكرك وملكه الكرك والشوبك ،
وجاء صاحب حلب فملك دمشق ، ومعه الصالح إسماعيل والناصر داود ، فقيل
له ان الناصر يسعى في السلطنة ، فقبض عليه وحبسه بجمص ، ثم أفرج عنه بشفاعة
الخليفة ، فتوجه إلى الخليفة فلم يؤذن له في الدخول إلى بغداد ، فطلب وديعته
فلم تحصل له ، فردّ إلى دمشق ، ثم سافر إلى بغداد لأجل الوديعة ، فنزل بمشهد
الحسين بكر بلا ، وسير قصيدة إلى الخليفة يمدحه ويسأله في ردّ الوديعة ويتلطف ،
فلم يرد عليه جواب ، فحج وأتى المدينة وقام بين يدي الحجر النبوية ، وأنشد
قصيدته التي أولها :

إليك امتطينا العملات رواسماً يجبن الفلا ما بين رضوى ويذبل

ثم أحضر شيخ الحرم والخدام ، ووقف بين يدي الصريح مستسماً بسجف
الحجرة وقال : اشهدوا أن هذا مقامي من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قد
دخلت عليه مستشفعاً به إلى ابن عمه أمير المؤمنين في ردّ وديعتي ، فأعظم الناس
هذا وبكوا ، وكتبوا بصورة ما جرى إلى الخليفة ؛ ولما كان الركب في الطريق
خرج عليهم أحمد بن حجي بن يزيد من آل مري فوقع القتال ، وكادوا يظفرون
بأمر الحاج ، فشقّ الناصر الصفوف ، وكلم أحمد بن حجي ، وكان أبوه
صاحبه ، فترك الركب ونزل الناصر بالحلة ، فقرر له راتب يسير ، ولم ينل مقصوداً ،
فجاء إلى قرقيسيا ، ومنها إلى تيه بني إسرائيل ، وانضم إليه عربان ، فخاف المغيث
منه وراسله وخدعه إلى أن قبض عليه وعلى من معه ، وحبسه بطور هارون ،
فبقي ثلاثة أيام . واتفق أن المستعصم دهمه أمر التتار فكتب إلى صاحب الشام
يستمدّه ويطلب منه جيشاً يكون مقدمه الناصر داود ، فطلبه من المغيث فأخرجه ،
وقدم إلى دمشق ونزل بقرية البويضا قرب البلد ، وأخذ يتجهز للمسير ، فجاءت
الأخبار بما جرى على بغداد من التتار ، وعرض طاعون بالشام عقيب واقعة التتار ،

فطعن الناصر في جنبه وتوفي ليلة الثامن والعشرين^١ من جمادى الأولى سنة ست وخمسين وستمائة ، وركب السلطان إلى البويعضا ، وأظهر التأسف عليه وقال : هذا كبيرنا وشيخنا ، ثم حمل إلى تربة والده بسفح قاسيون .

وكان رحمه الله تعالى معتنياً بتحصيل الكتب النفيسة ، ووفد عليه راجح الحلبي ومدحه فوصل إليه منه ما يزيد على أربعين ألف درهم ، وأعطاه على قصيدة أخرى ألف دينار .

وكتب الملك الناصر داود إلى وزيره فخر القضاة ابن بصاقه :

يا ليلة قَطَّعَتْ عَمَرَ ظلامها
بالمساحل النامي روائح نشره
واليمُّ زاهٍ قد جرى تيارُهُ
من بعد طولِ تَقَلُّبٍ وتموج
طوراً يدغدغه التَّسِيمُ وتارةً
يَكْرَى فتوقظه بنات الخرزج
والبدرُ قد ألقى سنا أنواره
في لَحَّةِ المتجعَّدِ المتدبج
فكأنَّهُ إذ قَدَّ صفحةً منه
بشعاعه المتوقد المتوهج
نهرٌ تَكُونُ من نُضارٍ يانعٍ
يجري على أرضٍ من الفيروزج

ومن شعره :

صبحاني بوجهه القمريِّ
بدرٌ ليلٍ يسعى بشمسٍ نهارٍ
واعجبا لاجتماع شمسٍ وبدرٍ
فشهيٌّ يَنْتَابُنَا بشهيِّ
إن تددتْ بوجهها ذهبياً
في سنائي سنا كمالٍ بهيِّ
يا ولوعاً بالنيل أصميت قلبي
قلتُ هذا من وجهه الفضيِّ
رشقتَه من حاجيك سهامٌ
بسهامٍ من لحظك البابليِّ
ومتنصاةٌ أحسنُ بها من قسيِّ

ومنه :

١ ص : والعشرون

لو عاينت عينك حسن معذبي
عين الرشا قد القنا ردف النقسا

ومما ينسب إليه وهو غاية :

بأبي أهيف إذا رمت منه
قد حمى خده بسور عذار

وله أيضاً :

تراخيت عني حين جد بي الهوى
فلو عاينت عينك في الليل حالي
رأيت سليماً في ثياب مسلم
وله :

إذا عاينت عيناى أعلام جلتى
تيقت أن البين قد بان والنوى
وله أيضاً :

طرفي وقلبي قاتل وشهيد
يا أيها الرشا الذي لحظاته
من لي بطيفك بعدما منع الكرى
وأما وحبك لست أضمر توبة
وألذ ما لاقيت فيك منيتي
ومن العجائب أن قلبك لم يلن
ودمي على خديك منه شهود
كم دونهن صوارم وأسود
عن ناظري البعد والتسهيد
عن صبوتي ودع الفؤاد يبيد
وأقل ما بالنفس فيك أجود
لي والحديد لأنه داود

وعلى الجملة إنّه لم يكن مسعود الحركات ، لأنه قضى عمره في أسوأ حال ،
مشرداً^١ عن الأوطان معكوس المقاصد، وقيل : إنه كان إذا دخل في الشراب

١ ص : مشرد .

وأخذ السكر منه يقول : أشتهي أن أرى فلاناً طائراً في الهواء ، فيرمى ذلك المسكين في المنجنيق ويراه وهو في الهواء، فيضحك ويسرُّ به ويقول : أشتهي أشمَّ روايح فلان وهو يشوى، فيحضر ذلك المعثر ويقطع لحمه ويشوى، وهو يضحك من فعلهم بذلك المسكين ، وله من هذه الأفعال الرديئة أنواع كثيرة . وفيه يقول جمال الدين ابن مطروح :

ثلاثة ليس لهم رابع عليهم معتمدُ الجودِ
الغيثُ والبحرُ وعزَّزهما بالملكِ الناصرِ داودِ

رحمه الله تعالى وعفا عنه وعنا وعن جميع المسلمين .

١٥٠

[الملك المؤيد هزبر الدين]

داود بن يوسف بن عمر بن رسول التركماني ، الملك المؤيد هزبر الدين ، ملك اليمن نيفاً وعشرين سنة ، ومات في ذي الحجة سنة إحدى وعشرين وسبعمائة .

وكان قد تفنَّن وحفظ « كفاية المتحفظ » ومقدمة ابن شاذ ، وبحث « التنبيه » وطالع وسمع من المحب الطبري وغيره ، واشتملت خزائنه على مائة ألف مجلد ، وكان مجباً للخير يزور الصالحين ، وقدم عليه عز الدين الكولبي ومعه من المسك والحريير والصيني ما أدى عليه ثلثمائة ألف درهم ، وأنشأ المؤيد قصرأ بديع الحسن عديم المثال .

١٥٠ - الوافي والشذرات ٦ : ٥٥ وعبر الذهبي ٦ : ١٢٠ والدرر الكامنة ٢ : ١٩٠ والنجوم الزاهرة ٩ : ٢٥٣ .

ولما مات تولى ابنه المجاهد ، واضطرب ملك اليمن مدة ، وتمكن الملك
الظاهر ابن المنصور وقبضوا على المجاهد ، ثم مات المنصور وكان ديناً رحيماً ،
فثار أمراء مع المجاهد ، واستولى على قلعة تعز ، ثم قوي أمره وأباد أعداده .
وقال الشيخ تاج الدين عبد الباقي اليماني يمدح المؤيد وقد ركب فيلاً :

الله أولاك يا داود مكرمة ورتبة ما أتاها قبلُ سلطانُ
ركبت فيلاً وظلَّ الفيلُ ذارهج مستبشراً وهو بالسلطان فرحان
لك الإلهُ أذلَّ الوحشَ أجمعه هل أنت داودُ فيه أم سليمان

وقال يمدحه وقد بنى قصرًا^١ بظاهر زبيد :

يا ناظمَ الشعرِ في نَعْمٍ ونعمان وذاكرَ العهدِ من لَبْنِي ولبنان
ومعملَ الفكرِ في لَبْلِي وليلتها بالسفحِ من عَقَدَاتِ الضالِّ والبان
قصرِ فيا لعلوً من زبيد^٢ علا عالي المنارِ عظيمِ القدرِ والشان
به التغزلُ أحلى ما يُرى بهجسًا فدع حديثَ لويلاتِ بعسفان
قصرٌ بناه هزبر الدين مفتخرًا وشاد ذلك بانِ أيما بان
هذا الخورنقُ بل هذا السديرُ أتى في عصرِ داودِ لا في عصرِ نعمان
أنسى بإيوانه كسرى فلا خبرٌ من بعد ذلك عن كسرى لإيوان
سامى النجومِ علاءِ فهي راجعة عن [...] ذاك لإيوان ابن حسان
تودُّ فيه الثريا لو بدت سُرجًا مثلَ الثريا به في بعضِ أركان
يحفه دوح زهرٍ كله عجبٌ كم فيه من فنن زاه بأفنان

١ ص : قصر .

٢ ص : من وادي زبيد .

ولم يوجد شيئاً [كذا] على حرف الذال المعجمة

تم الجزء الأول من المجموع المسمى بـ « فوات الوفيات
والذيل عليها » من خط جامعه محمد بن شاكر بن أحمد
الكتبي عفا الله عنه وغفر له ولوالديه ولجميع المسلمين .
ويتلوه في الجزء الثاني ترجمة راجح بن إسماعيل بن أبي
القاسم الحلبي الأسدي .

والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله
وصحبه وسلم تسليماً كثيراً .

محتويات الكتاب

٥	مقدمة المحقق	١
٩	مقدمة المؤلف	٢
أ		
١٣	ابراهيم بن أدهم	١
١٤	ابراهيم بن اسحاق بن ابراهيم الحربي ، أبو إسحاق	٢
١٧	ابراهيم بن جعفر ، المتقي لله بن المقتدر	٣
١٨	ابراهيم بن سليمان بن حمزة ، جمال الدين ابن النجار	٤
٢٠	ابراهيم بن سهل الاسرائيلي	٥
٣١	ابراهيم بن عبد الله بن يوسف الأرموي	٦
٣٢	ابراهيم بن عبد الرحمن بن ضيا ، برهان الدين الفزاري	٧
٣٣	ابراهيم بن عبد الواحد بن علي المقدسي ، عماد الدين الحنبلي	٨
٣٤	ابراهيم بن علي بن سلمة ، ابن هرمة الشاعر	٩
٣٥	ابراهيم بن علي بن خليل الحراني ، عين بصل	١٠
٣٩	ابراهيم بن عمر بن ابراهيم ، برهان الدين الجعبري	١١
٤١	ابراهيم بن القاسم ، الرقيق	١٢
٤٢	ابراهيم بن كيغلغ ، أبو اسحاق	١٣
٤٣	ابراهيم بن لقمان ، فخر الدين الشيباني	١٤
٤٤	ابراهيم بن محمد بن عبيد الله ، ابن المدبر الكاتب	١٥

٤٧	ابراهيم بن محمد بن محمد ، ابن لنكك الشاعر	١٦
٤٨	ابراهيم بن محمد بن طرخان ، عز الدين السويدي	١٧
٤٩	ابراهيم بن معضاد بن شداد ، برهان الدين الجعبري	١٨
٥٠	ابراهيم الحائك المعمار ، غلام النوري	١٩
٥٣	ابراهيم بن [محمد] ، ظهير الدين البارزي	٢٠
٥٥	أحمد بن ابراهيم بن عمر ، عز الدين الفاروثي	٢١
٥٦	أحمد بن ابراهيم بن عبد الرحمن ، عماد الدين الواسطي	٢٢
٥٧	أحمد بن أحمد بن أحمد ، شرف الدين المقدسي	٢٣
٥٨	أحمد بن اسحاق ، القادر بالله أمير المؤمنين	٢٤
٦٠	أحمد بن أبي بكر ، شهاب الدين أبو جلنك الشاعر	٢٥
٦٢	أحمد بن جعفر بن أحمد الديبشي ، أبو العباس البيع	٢٦
٦٤	أحمد بن جعفر ، المعتمد على الله ابن المتوكل	٢٧
٦٦	أحمد بن الحسن ، الناصر لدين الله أمير المؤمنين	٢٨
٦٨	أحمد بن الحسن ، الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين	٢٩
٦٩	أحمد بن الحسين بن محمد المسيلي	٣٠
٧٠	أحمد بن صالح أبي فن بن أبي معشر	٣١
٧٠	أحمد بن صالح ، شهاب الدين السنيلي	٣٢
٧٢	أحمد بن طلحة ، المعتضد بالله أمير المؤمنين	٣٣
٧٤	أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام ، تقي الدين بن تيمية	٣٤
٨١	أحمد بن عبد الدايم بن أحمد ، زين الدين المقدسي الحنبلي	٣٥
٨٢	أحمد بن عبد الدايم بن يوسف الشارمساحي	٣٦
٨٤	أحمد بن عبد الرحمن بن علي بن نفادة السلمي	٣٧
٨٦	أحمد بن عبد الرحمن بن عبد المنعم ، شهاب الدين الحنبلي العابر	٣٨
٨٨	أحمد بن عبد الله ، المستظهر أمير المؤمنين	٣٩

٩٠	أحمد بن عبد الله بن هريرة ، أبو العباس التطيلي الأعمى	٤٠
٩٥	أحمد بن عبد الملك العزازي الشاعر	٤١
١٠٦	أحمد بن عبد الوهاب بن خلف ، علاء الدين ابن بنت الأعز	٤٢
١٠٧	أحمد بن عبيد الله بن فضال ، الماهر الحلبي	٤٣
١٠٩	أحمد بن المبارك بن أحمد ، ابن الخلل	٤٤
١١٠	أحمد بن محمد بن إبراهيم ، شمس الدين ابن خلكان	٤٥
١١٩	أحمد بن محمد بن أحمد ، زين الدين كتاكوت	٤٦
١٢٠	أحمد بن محمد بن أحمد ، كمال الدين ابن الشريشي	٤٧
١٢٢	أحمد بن محمد بن الحسن ، الصنوبري الشاعر	٤٨
١٢٥	أحمد بن محمد بن سالم ، أبو المواهب بن صصرى	٤٩
١٢٧	أحمد بن محمد بن سلمان ، شهاب الدين ابن غانم	٥٠
١٣٢	أحمد بن محمد بن عبيد الله ، ابن المدبر	٥١
١٣٤	أحمد بن محمد بن علي ، سيف الدين السامري	٥٢
١٤٠	أحمد بن محمد بن هارون ، المستعين أمير المؤمنين	٥٣
١٤٣	أحمد بن محمد بن أبي الوفا ، شرف الدين الحلوي	٥٤
١٤٩	أحمد بن محمد بن منصور ، ناصر الدين ابن المنير	٥٥
١٥٠	أحمد بن محمد الافريقي ، أبو الحسن المقيم	٥٦
١٥٢	أحمد بن محمد ، فتح الدين ابن البققي	٥٧
١٥٤	أحمد بن هبة الله بن محمد ، موفق الدين ابن أبي الحديد	٥٨
١٥٥	أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري	٥٩
١٥٧	أحمد بن يحيى بن فضل الله ، شهاب الدين العمري	٦٠
١٦١	ادريس بن عبد الله بن اليمان العبدي	٦١
١٦٢	اسيهدوست بن محمد بن الحسن الديلمي الشاعر	٦٢
١٦٣	اسحاق بن خلف ، ابن الطيب الشاعر	٦٣

١٦٥	أسعد بن ابراهيم بن حسن ، مجد الدين النشابي	٦٤
١٦٨	أسماء بن خارجة بن حصن الفزاري	٦٥
١٧٠	اسماعيل بن ابراهيم بن أبي اليسر شاكر ، أبو محمد المعري	٦٦
١٧٣	اسماعيل بن ابراهيم بن حمدويه ، أبو علي الحمدوني	٦٧
١٧٨	اسماعيل بن سلطان بن علي ، شرف الدولة بن منقذ	٦٨
١٧٩	اسماعيل بن علي بن محمد ، فخر الدين ابن عز القضاة	٦٩
١٨٢	اسماعيل بن علي العين زربي الشاعر	٧٠
١٨٣	اسماعيل بن علي ، الملك المؤيد صاحب حماة	٧١
١٨٨	اسماعيل بن محمد بن يزيد ، السيد الحميري	٧٢
١٩٤	اسماعيل بن محمد ، ابن مكنسة الاسكندراني	٧٣
١٩٦	أشجع بن عمرو السلمي	٧٤
١٩٧	أشعب الطمع	٧٥
٢٠١	أفلق بن يسار ، أبو عطاء السندي	٧٦
٢٠٥	ألطنبغا ، علاء الدين الجاولي	٧٧
٢٠٨	أيدمر المحيوي ، فخر الترك	٧٨
٢١٤	أيدمر بن عبد الله ، عز الدين السنائي	٧٩

ب

٢١٩	بكر بن النطاح	٨٠
٢٢١	بكر بن علي الصابوني	٨١
٢٢٤	أبو بكر بن قوام بن علي بن قوام البالسي	٨٢
	بهرام شاه بن فرخشاه ، الملك الأجد مجد الدين صاحب	٨٣
٢٢٦	بعلبك	
٢٢٨	بهلول بن عمرو المعنون	٨٤

٢٣١	بولش الفرنجي ، الفرنسيس (لويس التاسع)	٨٥
٢٣٣	بولس الراهب ، الحبيس	٨٦
٢٣٥	بييرس الملك الظاهر ، ركن الدين الصالحى	٨٧

ت

٢٥١	تنكز الأمير الكبير نائب الشام	٨٨
٢٥٩	توبة بن الحمير	٨٩
٢٦١	توبة بن علي بن مهاجر ، تقي الدين التكريتي	٩٠
٢٦٣	توران شاه بن الملك الصالح ، الملك المعظم غياث الدين	٩١
٢٦٥	توفيق بن محمد بن الحسين الطرابلسي النحوي	٩٢

ث

٢٦٩	ثابت قطنة	٩٣
٢٧٠	ثابت بن تاوان ، أبو البقاء التفليسي	٩٤

ج

٢٧٥	جابر بن حيان	٩٥
٢٧٦	جرول بن أوس ، الخطيئة الشاعر	٩٦
٢٨٠	أبو الجعد شعر الزنج الوقاد	٩٧
٢٨٤	جعفر بن محمد ، المقتدر بالله أمير المؤمنين	٩٨
٢٨٥	جعفر بن أحمد العلوي	٩٩
٢٨٦	جعفر بن عبيد الله ، أبو الفضل الدمشقي	١٠٠
٢٨٧	جعفر بن علي بن دواس ، قمر الدولة الكتامي	١٠١
٢٨٩	جعفر بن قدامة بن زياد الكاتب	١٠٢

٢٩٠	جعفر بن محمد ، المتوكل على الله بن المعتصم	١٠٣
٢٩٢	جعفر بن الفضل بن جعفر ، ابن حنزابة	١٠٤
٢٩٥	جعفر بن محمد بن ورقاء الشيباني	١٠٥
٢٩٦	جعفر بن محمد بن عبد العزيز الحسيني	١٠٦
٢٩٧	جعيفران الموسوس	١٠٧
٣٠٠	جلدك بن عبد الله المظفري التقوي	١٠٨
٣٠١	جنكزخان طاغية التتار	١٠٩
٣٠٣	جوبان بن مسعود ، أمين الدين القواس	١١٠

ح

٣١٣	حسان بن نمير ، العرقلة الدمشقي	١١١
٣١٨	الحسن بن أحمد بن أبي سعيد الجنابي القرمطي	١١٢
٣١٩	الحسن بن أحمد بن محمد بن جكينا الشاعر	١١٣
٣٢١	الحسن بن أسد بن الحسن ، أبو نصر الفارقي	١١٤
٣٢٤	الحسن بن شاور بن طرخان ، ناصر الدين بن النقيب	١١٥
٣٣٢	الحسن بن عبد الله بن أحمد ، أبو الفتح بن أبي حصينة	١١٦
٣٣٤	الحسن بن عددي بن أبي البركات ، شيخ الأكراد	١١٧
٣٣٦	الحسن بن علي بن نصر ، الهمام العبدي	١١٨
٣٣٧	الحسن بن علي بن ابراهيم ، القاضي المهذب ابن الزبير	١١٩
٣٤٢	الحسن بن علي بن سالم ، أبو البدر الاسكافي	١٢٠
٣٤٣	الحسن بن علي بن حسن الساسكوتي الحموي	١٢١
٣٤٥	الحسن بن عضد الدولة ، ابن هود الجذامي	١٢٢
٣٤٨	الحسن بن علي ، بدر الدين ابن المحدث	١٢٣
٣٤٩	الحسن بن علي بن محمد ، أبو الجوائز الواسطي	١٢٤

٣٥٠	الحسن بن مالك ، أبو العالية الشامي	١٢٥
٣٥١	الحسن بن المبارك بن محمد ، ابن الخلل الفقيه	١٢٦
٣٥٣	الحسن بن محمد بن عبد الله ، أبو محمد الوزير المهلبى	١٢٧
٣٥٧	الحسن بن محمد بن علي ، ابن كسرى الملقى	١٢٨
٣٥٨	الحسن بن محمد بن الحسن ، رضي الدين الصاغاني	١٢٩
٣٦١	الحسن بن محمد السهواجي	١٣٠
٣٦٢	الحسن بن محمد بن أحمد ، عز الدين الضرير الاربلي	١٣١
٣٦٥	الحسن بن محمد بن جعفر ، قوام الدين ابن الطراح	١٣٢
٣٦٧	الحسن بن وهب الكاتب	١٣٣
٣٧٠	الحسن بن يوسف بن محمد ، المستضيء بالله أمير المؤمنين	١٣٤
٣٧٢	الحسين بن عبد الله بن الحسين ، ابن الجصاص الجوهري	١٣٥
٣٧٦	الحسين بن عبد الله بن رواحة الحموي	١٣٦
٣٧٧	الحسين بن علي بن أحمد ، سعد الدين الطيبي	١٣٧
٣٨١	الحسين بن علي بن محمد ، ابن ممويه وابن قم	١٣٨
٣٨٨	الحسين بن مطير الأسدي	١٣٩
٣٩٠	الحكم بن عبدل الأسدي	١٤٠
٣٩٣	الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الأموي الربضي	١٤١
٣٩٤	حمدة بنت زياد الوادياشية	١٤٢
٣٩٥	حمزة بن بيض الحنفي	١٤٣

خ

٤٠١	خالد بن يزيد الكاتب البغدادي	١٤٤
٤٠٣	خالد بن يوسف بن سعد ، زين الدين النابلسي	١٤٥
٤٠٤	خسروشاه بن سعد ، سبط ابن الحمامية	١٤٦

- ١٤٧ خضر بن أبي بكر موسى المهراني العدوي ، شيخ الملك الظاهر ٤٠٤
١٤٨ خليل بن قلاوون ، السلطان الملك الأشرف ٤٠٦

د

- ١٤٩ داود بن عيسى بن محمد بن أيوب ، الملك الناصر صلاح الدين ٤١٩
١٥٠ داود بن يوسف بن عمر بن رسول ، الملك المؤيد هزبر الدين ٤٢٨

تمّ ، بمونه تعالى ، طبع هذا الجزء من

قوات الوفيات

على مطابع دار صادر في بيروت

في اكتوبر (تشرين الأول) ١٩٧٣